أنوار الحكمة



تأليف

المحدث الشهير والحكيم الإلهي محمد محسن
الملقب بالفيض الكاشاني

دار الأميرة

دار القارئ



تأليف

المحدث الشهير والحكيم الإلهي محمد محسن
الملقب بالفيض الكاشاني

دار الأميرة

دار القارئ

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار الأميرة

طباعة - نشر - توزيع

بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/١١٥٤٢٥ - ٠١/٢٧٦٤٠٨

http://www.Dar-ALamira.com

email:info@dar-alamira.com

دار القارئ

للطباعة والنشر والتوزيع

ت: ٠٣/٤١٣٢٥٦ - ٠٣/٩٠٢٩٤٤

Email:dar_alkari@hotmail.com



كلمة المصحح:

بعد ما وفّقني الله تعالى - وله الحمد والمنّة - على تصحيح ونشر كتاب «علم اليقين» للمحدّث المتكلم الحكيم العارف محمد بن المرتضى المعروف بالفيض الكاشاني - قدس الله سره - تأمّلت في عمل المؤلف لتلخيص كتابه في تأليف آخر سماه بـ«أنوار الحكمة»، وما رأى فيه من الفائدة لمن لا يحتاج إلى البحث الطويل ويكفيه الكلام المختصر المفيد، فرأيت تتميم العمل بنشر هذا الكتاب، تبعا لما رأى فيه مؤلفه النحرير من الفائدة، ومن الله التوفيق وعليه التكلان.

والمرجوّ منه تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وفي طريق رضاه، وما ذلك من لطفه الشامل العميم ببعيد.

ثم إنه لما كان القصد في هذا الكتاب التلخيص فينبغي مراعاته في شتى الجوانب، فلانطول الكلام في التقديم على الكتاب، بعد ما فصّلنا القول في ترجمة المؤلف وذكر تأليفاته ونهجه العلمي في مقدمة كتابه المذكور - علم اليقين - فلانورد هنا إلا كلاما مختصرا في ترجمة المؤلف جدا - حتّى لا يخلو الكتاب عن التعريف بمؤلفه بالمرّة - ثم ذكر النسخ المعتمد عليها في تصحيح الكتاب، إن شاء الله تعالى.

المؤلف في سطور:

محمّد بن المرتضى، المدعوّ بمحسن، الملقّب بالفيض الكاشاني، ولد في رابع شهر صفر سنة (١٠٠٧) في كاشان، وتوفّى في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة (١٠٩١) في هذا البلد أيضا ودفن فيها - قدس الله سرّه - ومقبرته مشهور ومعروف عند العوام والخواص.

وقد ولد الفيض في أسرة عريقة وبيت حافل بالعلماء والمؤلفين، فجده وأبوه وخاله وإخوانه وأبناؤه وأحفاده كلّهم من العلماء والمحدّثين والمؤلفين، على أنّه صهر الحكيم الإلهي والعارف الربّاني الشهير صدر المتألهين الشيرازي ومن أشهر تلامذته.

نشأته ورحلاته العلمية

ولد الفيض كما ذكرنا بكاشان ونشأ فيه واشتغل بالتحصيل، وبعد تكميل المقدمات سافر إلى شيراز وأصبهان وحضر مجالس دروس الأساتذة فيهما، مثل العالم المحدث الشيخ البهائي والسيد ماجد البحراني والسيد محمد باقر الداماد وغيرهم، ثم سافر إلى الحج وبعد الرجوع منها وصل إلى قم واتّصل بصدر المتألهين وأقام معه وبنى ببنته، ثم رحل معه إلى شيراز فأقام فيه، وفي الأخير رجع إلى مولده كاشان.

تأليفاته

الفيض الكاشاني - قدس سره - من المكثرين والموفقين في التأليف، وصار إحاطته العلمية وجامعيته للفنون المختلفة سببا لرواج كتبه واشتهارها عند العلماء والمحقّقين، وقد جاوز عدد كتبه مائة وعشرين تأليفا، منها مختصرة تقع في كراسة أو كراستين، ومنها متوسطة تقع في مجلد أو مجلدين، مثل كتابه «علم اليقين» وما نحن الآن بصدد نشره «أنوار الحكمة»، ومنها ماهي أكثر من خمسة وعشرين مجلدا مثل كتابه المعروف «الوافي».

أنوار الحكمة:

هذا الكتاب - كما ذكرنا تلخيص كتابه علم اليقين، والمؤلف في هذا الكتاب بصدد بيان المعارف الكلاميّة مستفيدا من القرآن والحديث والحكمة المتعالية، وبعبارة أخرى بناء علم الكلام على ما يستفاد من الكتاب والسنة وتبيينهما مستفيدا من الحكمة.

عملنا في هذا الطبع:

حصل عندي صورة مخطوطتين من الكتاب، أولهما مكتوبة في حيات المؤلف والثانية بعد وفاته بسنوات قليلة، وعلما بأن هذا الكتاب ملخص من أصله «علم اليقين» الذي نشرناه مستمدا من النسخة المكتوبة بيد مؤلفه - قدس سره - رأينا الاعتماد على النسختين المذكورتين مع مراجعة علم اليقين كافيا في تصحيح الكتاب، ولم نر لزوما في الفحص عن النسخ الأُخر.

على أنه كان نسخة من الكتاب موجودة بشيراز في مكتبة مدرسة الإمام العصر، وقابل قسما من الكتاب سماحة حجة الإسلام الشيخ البركة - مشكورا - معها، وحيث لم يشاهد فرقا معتدا بها مع النسخ الموجودة عندنا لم نر في تتميم العمل كثير فائدة.

تعريف النسخ:

١- نسخة (مل): وهي مخطوطة موجودة بمكتبة ملي بطهران، (فهرس المكتبة: ١١٩/٧ ، ١٣٧/ع) كتبت عن النسخة المستنسخة عن نسخة المؤلف - قده - وقوبل عليها، وكتب في آخرها:

وقع الفراغ من نقله من النسخة التي كان نقله من خطّ مصنّفه - أدام الله تعالى أيّام إفاضاته في شهر شوّال، ختم بالظفر والخير والإقبال، من شهور سنة (١٠٨٥) خمس وثمانين بعد الألف من الهجرة النبويّة - صلّى الله عليه وسلّم بعدد علمه وزنة عرشه وملإ سماواته وأرضه - في بلدة شيراز - صانها الله عن الحوادث والآفات والأعواز.

قوبل وصحّح مع أصله، الذي كتب وصحّح من النسخة الأصل، التي خطّها المصنّف الأُستاذ الاستناد - أدام الله فيضه وفضله ومتّعنا بوجوده وبقائه

- وكان آخر مجالس المقابلة أوّل شهر جمادي الأولى من شهور سنة ١٠٨٦، وكنت طرف المقابلتين بحمد الله ومنّه؛ وأنا العبد المذنب الأثيم عند ربّه الكريم محمّد شفيع بن محمّد مقيم، نوّر الله قلبهما بأنوار العلم والحكمة؛ والمرجوّ من الأخ في الله - مولانا محمّد علي - صاحب الكتاب - الدعاء.

والنسخة كاملة قليلة الأخطاء مكتوبة بخط نسخ جيد. وعلى هامشه آثار المقابلة وبعض التعليقات من المؤلف كتب في آخرها «منه سلمه الله». أو: «بخطه دام فيضه». وتعليقات قليلة كأنه من الكاتب كتب في آخرها: «لطف الله سلمه الله» ويظهر أنها مأخوذة من علم اليقين أو الوافي للمؤلف قده.

٢- نسخة (ر): وهي مخطوطة موجودة بمكتبة المسجد الأعظم بقم رقم (٢٧٠٦)، كتبه محمد بن محمد مؤمن السمناني عن نسخة استنسخها أحد تلامذة المؤلف اسمه «محمد خان» عن نسخة المؤلف، وكتب في آخر النسخة.

«صورة خط سيدي ومولاي وملاذي أمير محمد خان طاب ثراه:

قد وقع الفراغ من كتابة هذا الكتاب المستطاب وانتسخ من نسخة المحقّق الربّاني والمدقّق العارف الإلهيّ الصمداني مولانا محمّد محسن الكاشاني بخطّه الشريف - أدام الله بركاته وأفاض على العالمين أنوار فيوضاته، وقوبل بها؛ وقد كان أرسلها إليّ من كاشان، وأنا يومئذ بسمنان، صانها الله عن آفات الزمان ونوائب الدهر الخوّان. وأنا العبد الفقير المحتاج المستنير بأنوار الهدى محمّد خان بن عزيز الله طبا طبا - عفي عنهما-». كتبه الفقير الحقير المحتاج إلى ربّه الغني محمد بن محمد مؤمن فصاع (كذا مهملة) السمناني عفي عنهما، تم في أصيلة يوم الخميس (١١) شهر ربيع الثاني سنة (١١٢٦).

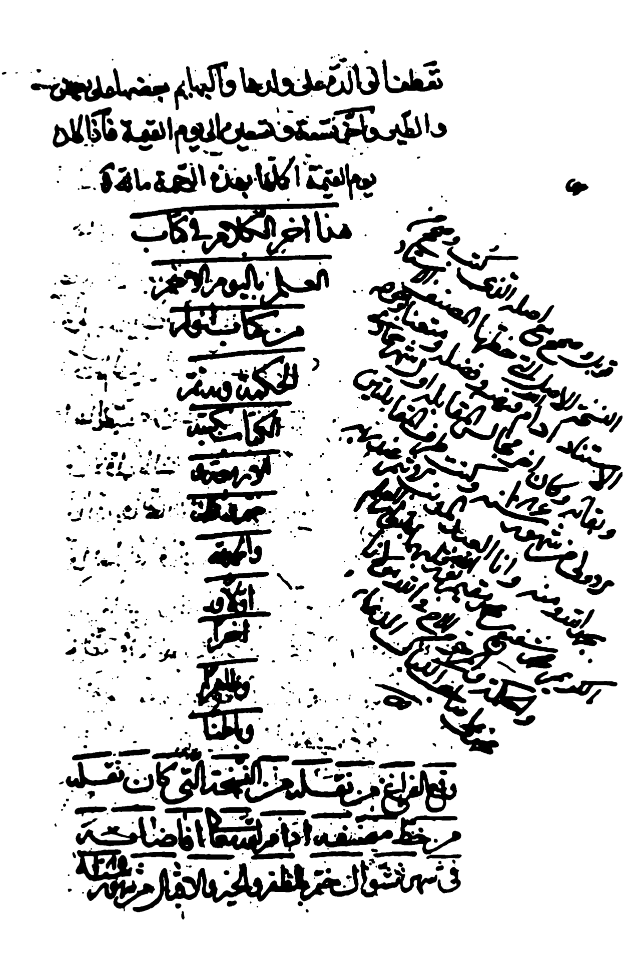
اتّفق تاريخ الإتمام هذه العبارة: تمت الأنوار ساقطا عنه ثلاث آحاده - أعني الثلاثة -: ١١٢٦».

وقد سقط من أول النسخة بضعة أوراق وأول الموجود منها يطابق الصفحة (٣٢) من هذا الطبع.

صورة الصفحة الأخيرة لنسخة (ر):

الراجين لحدوثه بعد الغضب والعذاب ونعيم اهل الجنة من حضرة الرحمن الرحيم والامتنان الجسيم والاول
كالقشر للثاني لكثافة ذلك ولطافة هذا كالتبن في النخالة للحمار والبقر ولباب البر للانسان والبشر
والقشر انما هو صيانة اللب وحفظه فكذا اهل النار محامل تحمل المشاق لعمارة العالم واهل الجنة مظاهر
يحققون المعارف والحقايق لعمارة الاخرة فيحفظونهم عن الشدايد ويزعجونهم للازمة المعاد فعمرت
الداران وسبقت الرحمة الغضب ووسعت كل شيء جهنم ومن فيها والله ارحم الراحمين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة فجعل في الارض منها رحمة تعطف الوالدة على ولدها
والبهايم بعضها على بعض والطير واخر تسعة وتسعين الى يوم القيمة فاذا كان يوم القيمة اكملها
بهذه الرحمة مائة. هذا اخر الكلام في كتاب العلم باليوم
الاخر من كتاب انوار الحكمة وبه تم
الكتاب بكتبه الاربعة
وختم وكمل والحمد
اولا واخرا
وظاهرا
باطنا

صورة الصفحة الأخيرة لنسخة (مل):



هذا آخر الكلام في كتاب العلم باليوم الآخر من كتاب

وقع الفراغ من نقله عن النسخة التي كان نقلها من خط مصنفه

أنوار الحكمة

تأليف

المحدّث الشهير والحكيم الإلهي محمّد محسن
الملقّب بالفيض الكاشاني

تحقيق وتعليق
محسن بيدارفر

انتشارات بيدار



نحمدك اللهمّ - وأنت للحمد أهل - ونستهديك - وهدايتُنا عليك يسيرٌ سهلٌ - ما أضيقَ الطريق على من لم تكن دليله، وما أوضح الحقُّ عند من هديتَه سبيلَه، فاسلك بنا سُبل الوصول إليك، وسيّرنا في أقرب الطرُق للوفود عليك، قرّب علينا البعيدَ، وسهّل لدينا العسيرَ الشديد، صلِّ على ملائكتك ورسلك وصفوتك من العباد، وخصوصا محمّد وأهل بيته المعصومين - شفعاء يوم التناد.

أمّا بعد:

فيقول الفقير إلى الله - محمّد بن مرتضى المدعوّ بمحسن - عفا الله عنه - هذا مختصرٌ من كتابنا الموسوم بـ «**علم اليقين**»؛ أضفتُ إليه فوائد حكميّة؛ وسمّيتُه بـ «**أنوار الحكمة**»، ويشتمل - كأصله - على:

العلم بالله،

والعلم بالملائكة،

والعلم بالكتب والرسل،

والعلم باليوم الآخر؛

في أربعة كتب - ومن الله التأييد:

كتاب العلم بالله

[تعالى]

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[٣/٥٧]

في إنيّته سبحانه

﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾
[١٤/١٠]

نور

[إثبات وجود الله تعالى]

إنَّ في الآفاق والأنفس وما خلَق اللهُ من شيء، لآيات مبيّنات ودلائل واضحات على الله - سبحانه - و توحيده و تقديسه وسائر صفاته العليا من وجوهٍ كثيرة؛ وقد وقعت الإشارة إلى طرف منها في القرآن المجيد للتنبيه والإرشاد، وفي ذلك كفاية وغُنية لأُولي الأبصار.

سُئل أعرابيٌّ عن الدليل على الصانع، فقال[١] : «البَعرةُ تدلُّ على البعير، وأثر الأقدام على المسير، فالسماءُ ذاتُ بروج[٢] والأرضُ ذات فجاج أما تدلّان على الصانع الخبير» ؟

ثمّ من أراد التعمّق الحكميّ والفحص العلميّ فلينظر إلى آية الإمكان والفقر وليهتدِ بها، فإنّه لولم يوجَد الواجب - أعني الغنيّ بالذات - لم يوجَد الممكن - أعني المستغني بالغير - فلم يوجَد موجودٌ أصلا ؛ لأنَّ ذلك الغير

---

١) في روضة الواعظين (ص٤٠): «البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدلّ على المسير، فهيكلٌ علويٌّ بهذه اللطافة، ومركز سفليٌّ بهذه الكثافة، أما يدلان على الصانع الخبير» ؟ ويقرب منه ما في تفسيرالفخر الرازي: ٩٩/٢، البقرة/٢١.
وفي جامع الأخبار (الفصل الأول: ٣٥) نسب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام: «البعرة تدلُّ على البعير، والروثة تدلُّ على الحمير، وآثار القدم على المسير؛ فهيكل علويٌّ بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لايدلان على اللطيف الخبير».

٢) علم اليقين: ذات أبراج.

على هذا التقدير مستغنٍ بالغير، فإمّا أن يتسلسل، أو يدور؛ وعلى التقديرين، جاز انتفاء الكلّ بأن لايوجد شيءٌ منها أصلا؛ فلابدَّ من مرجِّح خارج عنها يُرجِّح وجودَها؛ وهو الغنيُّ بالذات ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ ﴾ [٤٧/٣٨].

ولقد كفى لأولي البصائر النظرُ إلى الوجود من حيث هو وجود، فإنّه إن كان قائما بذاته غير متعلّق بغيره أصلا، فهو الله تعالى؛ و إن كان قائما بغيره، وذلك الغير يكون وجودا أيضا - إذ غير الوجود لايكون مقوّما للوجود، كيف وهو محتاج إلى الوجود - فننقل الكلام إليه، وهكذا إلى أن يتسلسل أو يدور، أو ينتهي إلى وجود قائم بذاته، غير متعلق بغيره أصلا. ثمّ جميع تلك الوجودات - المتسلسلة أو الدائرة - في حكم وجود واحد في تقوّمها بغيره، وهو الله القيّوم - جلّ ذكره -.

قال الله سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٤١/٥٣].

وسئل نبيّنا ﷺ بم عرفتَ الله؟ قال[١]: «بالله عرفتُ الأشياءَ».

نور

[الوجود والعدم]

الوجود البَحت الخالص هوالله سبحانه، والعدم البَحت لاذات له ولا أثر ولاتميّز، بل هو لاشيء محض؛ والوجود المشوب بالعدم هوالمعبَّر عنه في الشرع بـ«الماء العذب»: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ ﴾ [١١/٧]؛ وهو أول مخلوق خلقه الله عزّ وجلّ[٢]؛ ويتبعه العدم المشوب بالوجود - أعني المتميّز به ولوبنسبته إليه أو كونه قوّة له، المعبَّر عنه بـ«الملح الأجاج» وهو مخلوق بالعرَض من غير

١) راجع ما يجيء في ص ٢٦-٢٧.

٢) كما ورد في عدة من الروايات؛ منها ما في كتاب التوحيد (٦٧، باب التوحيد، ح٢٠) عن الباقر عليه السلام: «... فأول شيء خلقه من خلقه الشيء الذي جميع الأشياء منه، وهوالماء».

صُنع فيه ؛ و إليه يرجع الشرور ؛ كما أنّ إلى الأول يرجع الخيرات ؛ ومن مزجهما نشأ سائر الموجودات. ومن هنا قيل : «كلّ ممكن فهو زوجٌ تركيبيّ».

قال إمامنا الباقر للعلوم - عليه الصلاة والسلام -[1] :«لوعلم الناسُ كيف ابتداء الخلْق ماختلف إثنان ؛ إنّ الله تعالى قبل أن يخلق الخلقَ قال : «كُنْ ماءً عذبا أخلقُ منك جنّتي وأهل طاعتي ، وكنْ ملحا أُجاجا أخلقُ منك ناري وأهل معصيتي» ثمّ أمرهما فامتزجا ؛ فمن ذلك صار يلد المؤمنُ الكافرَ ، والكافرُ المؤمنَ».

وفي لفظ آخر : «إنّ الله تعالى حيث خلَقَ الخَلْقَ خلَق ماء عذْبا وماء مالحا أُجاجا ، فامتزج الماءان...» - الحديث -.

سِرٌّ نُورِيٌّ

[الوجود والماهيّة وأصالة الوجود]

ليس في الوجود موجود بالذات سوى **الوجود** ، إذ لو وجد غيره فإمّا أن يكون وجوده زائدا عليه ، فيلزم أن يكون له وجود قبل وجوده ، لأنّ ثبوت الشيء للشيء فرع لثبوت المثبَت له ؛ أو جزءا له ، وننقل الكلام إلى الجزء الآخر ، وهكذا إلى أن يتسلسل ، وهو محال.

نعم ، للعقل أن ينتزع من الموجودات الممكنة معنى غير الوجود - لستُ أقول منفكّا عنه ؛ فإنّ الكون في العقل وجود عقليّ ، كما أنّ الكون في الخارج وجود خارجيّ ؛ بل أقول : من شأنه أن يلاحظه وحده ، من غير ملاحظة الوجود ، وعدم اعتبار الشيء ليس باعتبار لعدمه - وذلك المعنى يسمّى **بالماهيّة والعين الثابت** ؛ وهي ليست بموجودة بالذات - بل بالعرض ، أي بتبعيّة الوجود ، لا كما يتبع الموجودُ الموجودَ ؛ بل كما يتبع الظلّ للشخص ، والشبح لذي الشبح.

---

١) الكافي: ٦/٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، الباب الثاني ، ح١.

ومن هنا قيل : «الأعيان الثابتة ماشمّت رائحة الوجود» ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [٢٣/٥٣]

سؤالٌ: هب أنّ ثبوت الشيء للشيء فرع لثبوت المثبت له ؛ لكنّ الوجود إنّما هو ثبوت الشيء ، لا ثبوت الشيء للشيء ؟

جوابٌ: فالوجود إذن غير زائد على الشيء ؛ إذ لوكان زائدا لكانا شيئين ، أحدهما ثابتا للآخر .

سؤالٌ: لِمَ لايجوز أن يكون المسمّى بالماهيّة هي الأصل في التحقّق ، ويكون الوجود معنىً اعتباريّا منتزعا منه ، لاتأصّل له ، حتّى يجري فيه الترديد المذكور في البرهان ؟

جوابٌ: لأنّ موجوديّة الممكنات إنّما هي بوجوداتها ، وأنّ الموجود من كلّ شيء إنّما هو نحو وجوده - دون ماهيّته - إذ لاشكّ في أنّ الماهيّة قبل انضمام الوجود إليها واعتبار الوجود معها غير موجودة ، ولا في أنّها إذا اعتبرت بذاتها لا مع اعتبار الوجود - و إن كان بعد الوجود - فهي غير موجودة ولامعدومة ؛ إذ «الماهيّة من حيث هي ليست إلا هي» .

فإذن لولم يكن الوجود موجودا ، لم يمكن ثبوت مفهوم أحدهما للآخر ، فلم يوجَد موجود أصلا ؛ لأنّ ثبوت شيء لشيء أواعتباره معه أوانضمامه إليه أو انتزاعه عنه ، فرعٌ لوجود المثبت له ؛ ولا أقلّ مستلزمٌ للمغائرة بينهما في الثبوت .

ومن هنا قيل : إنّ العقل الصحيح الفطرة يشهد بأنّ الماهيّة إذا كانت موجودة بنفس وجودها - لا قبل وجودها بوجود آخر - يكون الموجود بالذات وبالأصالة منها لامحالة هو نفس الوجود ، لا نفس الماهيّة .

تنبيهٌ

[تقدم الوجود على الماهيّة والماهيّة على الوجود]

قد ظهر ممّا ذكر أنّ الماهيّات كلها وجودات خاصّة في الواقع ، عينا

وذهنا، وإن كان المفهوم من الماهيّة غير المفهوم من الوجود في اعتبار العقل، فهما متّحدان اتّحاد الأمر العينيّ مع المفهوم الاعتباري؛ ولكلٍّ منهما تقدّمٌ على الآخر، لا بمعنى التأثير، إذ لا معنى لتأثير الماهيّة في الوجود - و إلا لزم أن تكون قبل الوجود موجودة - ولا لتأثير الوجود في الماهيّة، لأنّها ليست مجعولة ولا موجودة في نفسها لنفسها.

بل تقدّم الوجود عليها عبارة عن أصالته في التحقّق ومتبوعيّته لها. وتقدّمها على الوجود عبارة عن صحّة ملاحظة العقول إيّاها وحدها من غير ملاحظة الوجود - لا العيني، ولا الذهني - وبهذا الاعتبار يصير الوجود نعتا لها، ويحكم عليه بأنّه زائد عليها؛ و إلّا فالحقيقة العينيّة ليست إلا للوجود.

نور

[من أدلة أصالة الوجود]

كيف لايكون للوجود حقيقة عينيّة، وغيره به يكون متحقّقا وكائنا في الأعيان أو في الأذهان؛ فهو الذي به ينال كلّ ذي حقٍّ حقّه؛ فهو أحقّ الأشياء بأن يكون ذاحقيقة، كما أنّ البياض أولى بأن يكون أبيض ممّا ليس ببياض، ويعرض له البياض. ومن هنا قيل: «الوجود حقيقته أنّه في الأعيان، لاغير» وكيف لايكون في الأعيان ما هذه حقيقته.

وأيضا: الوجود نقيض العدم، والنقيضان لايجتمعان ولايرتفعان، والعدم لاتحقّق له في الأعيان أصلا؛ فالوجود متحقّق فيها قطعا.

نور

[الوجود لايعرف بالحدّ والرسم]

ومن ثمّة لايمكن تصوّر الوجود بالحدّ ولا بالرسم ولا بصورة مساوية له؛ إذ تصوّر الشيء عبارة عن حصول معناه وانتقاله من حدّ العين إلى حدّ الذهن؛ وكلّ ما كان حقيقته أنّه في الأعيان، فيمتنع أن يكون في الأذهان، وإلا لزم انقلاب الحقيقة.

فما يرتسم من الوجود في النفس إنّما هو وجه من وجوهه وعنوان من عنواناته، وليس بحقيقته.

و إذ ليس له وجود ذهنيّ، فليس بكلّيّ ولاجزئيّ ولاعامّ ولاخاصّ ولامطلق ولامقيّد؛ بل يلزمه هذه الأشياء بحسب ما يوجد به من الماهيّات وعوارضها؛ وهو في ذاته أمر بسيط لا تتألّف حقيقته من أجزاء عينيّة أو ذهنيّة، و إلا لكان حصول حقيقته لتلك المقوّمات أقدم من حصوله لما يتقوّم بها - أي الوجود - فيلزم حصول الشيء قبل نفسه؛ فدار الوجود على نفسه.

ثمّ تخصّص كلّ وجود إمّا بالتقدّم والتأخّر، أو بالكمال والنقص، أو الغِنى والفقر؛ و إمّا بعوارض ماديّة - إن وقع في الموادّ - وهي لوازم الشخص المادّي وعلاماته.

فوقوع كلّ وجود في مقام من المقامات ومرتبة من المراتب مقوّم له، لايتصوّر وقوعه في مرتبة أُخرى - لاسابقة ولا لاحقة - ولا وقوع وجود آخر في مرتبته - لاسابق ولا لاحق.

وتمام تحقيق المقام يطلب من كتابنا الموسوم بعين اليقين.

نور

[شهادة الفطرة بوجوده تعالى]

الحقُّ أنَّ التصديق بوجوده سبحانه أمرٌ فطريٌّ؛ ولذا ترى الناسَ عند الوقوع في الأهوال وصعاب الأحوال يتوكّلون بحسب الجبلّة على الله ويتوجّهون - توجُّها غريزيًا - إلى مسبِّب الأسباب، ومسهّل الأُمور الصِعاب، و إن لم يتفطّنوا لذلك؛ قال الله سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَ ٱلأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللهُ ﴾ [٣١/٢٥]

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللهِ أَو أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَ تَنْسَونَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [٦/٤٠-٤١]

وسُئل مولانا الصادق عليه السلام عن الله، فقال للسائل[1] : يا عبدالله، هل ركبتَ سفينةً قطُّ ؟ قال : بلى. قال : فهل كسرت بك حيث لاسفينةَ تُنجيكَ ولاسباحة تُغنيكَ ؟ قال : بلى. قال : فهل تعلَّق قلبُكَ هناك أنَّ شيئا من الأشياءِ قادرٌ على أن يُخلصك من ورطتك ؟ قال : بلى.

قال الصادق عليه السلام : فذاك الشيءُ هو الله القادرُ على الإنجاءِ حين لامنجي وعلى الإغاثة حين لا مغيث.

قيل : «في قوله - عزّ وجلّ - : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [١٧٢/٧] إشارةٌ لطيفةٌ إلى ذلك، فإنَّه - سبحانه - استفهم الإقرار بربوبيَّـته، لابوجوده، تنبيها على أنَّهم كانوا مقرِّين بوجوده في بداية عقولهم، وفطَر نفوسهم».

وفي كتاب التوحيد[2] عن زرارة، عن الباقر عليه السلام - قال :- سألته عن قول الله - عزَّ وجلَّ- ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ [٣١/٢٢] وعن الحنيفيّة ؟ فقال : «هي الفطرةُ التي فطَرالله الناسَ عليها، لاتبديل لخَلق الله». ـ قال :ـ «فطرهم الله على المعرفة».

قال زرارة : « وسألته عن قول الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّـتَهُم ﴾ ـ الآية ـ [١٧٢/٧] » ؟ قال : « أخرج من ظَهْر آدم ذرّيـتّه إلى يوم القيامة ؛ فخرجوا كالذرِّ ؛ فعرَّفهم وأراهم صُنعَه، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربَّه».

وقال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «كلُّ مولودٍ يولَد على الفطرة»، يعني على المعرفة بأنّ الله - عزَّ وجلَّ - خالقُه، فذلك قوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَ ٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللهُ ﴾ [٢٥/٣١] ».

---

١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : في تفسير البسملة، ٢٢. التوحيد : باب معنى بسم الله : ٢٣٠. معاني الأخبار : باب معنى الله - عزّ وجلّ - : ٤. وجاء ما يقرب منه في تفسير الفخر الرازي : ٩٨/٢.

٢) التوحيد : باب فطرة الله عز وجل الخلق على التوحيد، ح٩، ٣٣٠. الكافي : باب فطرة الخلق على التوحيد، ح٣، ١٢/٢ مع فروق يسيرة.

وفي روايات أُخر[١] بأسانيده المستفيضة : «إنَّ الفطرة هي التوحيد».

وبإسناده[٢] عن ابن عمر ـ قال :ـ قال رسول الله ﷺ : «لاتضربوا أطفالَكُم على بكائهم ، فإنَّ بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لاإله إلّا الله ، وأربعة أشهر الصلاة على النبيّ وآله ، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه».

وفي الكافي ما يقرب منه[٣] .

وقد ظهر من هذه الكلمات أنَّ «كُلّ مولود يولد على الفطرة والمعرفة ، وأبواه يُهوِّدانه ويُنصِّرانه ويُمجِّسانه» كما ورد في الحديث النبوي ﷺ[٤] .

ولهذا جُعلت الناسُ معذورين في تركهم اكتسابَ المعرفة بالله عزَّ وجلَّ ، متروكين على ما فُطروا عليه ، ولم يكلَّفوا الاستدلالات العلميَّة في ذلك - كما هو التحقيق.

وقال نبيّنا ﷺ[٥] : «أُمرتُ أن أُقاتل الناس حتَّى يقولوا لاإلٰه إلّا الله».

و إنَّما التعمُّق والاستدلالُ لزيادة البصيرة ، ولطائفةٍ مخصوصة ، وللردّ على أهل الضلال ؛ ولهذا أيضا أُمرت الأنبياءُ - صلوات الله عليهم - بقتل من أنكر وجودَ الصانع فجأة بلا استتاب ولا عتاب ، لأنَّه يُنكر ما هو من ضروريّات الأُمور.

وسُئل عارفٌ عن الدليل على إثبات الصانع فقال : «لقد أغنى الصباحُ عن المصباح».

أقول: إنّ أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان وتحصيل الاطمئنان ، كمّا وكيفا ، شدّةً وضعفا ، سرعةً وبطؤًا ، حالاً وعلما ، وكشفا

---

١) التوحيد : الباب السابق : ٣٢٨ و ٣٢٩. الكافي : الباب والصفحة السابقة.

٢) التوحيد : الباب السابق ، ح١٠ ، ٣٣١.

٣) الكافي : باب النوادر من كتاب العقيقة : ٥٣/٦.

٤) مع فرق يسير في اللفظ في أمالي المرتضى : المجلس ٥٦ ، ٨٢/٢ (وليس فيه : يمجسانه). عوالي اللئالي ، ح١٨ ، ٣٥/١. عنه البحار : ٢٨١/٣.

٥) عيون أخبارالرضا : فيما جاء عن الرضا ؑ من الأخبار المجموعة ، ح٢٨٠ ، ٦٤/٢.

وعيانا، وإن كان أصل المعرفة فطريًا ضروريًا، أويُهتدى إليه بأدنى تنبيه.

فلكلِّ طريقةٌ هداه الله [عزَّ وجلَّ] إليها إن كان من أهل الهداية، و «الطرُق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»[١] و﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ آللهِ ﴾ [٣/١٦٣] و ﴿ يَرْفَعِ آللهُ آلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ آلَّذِينَ أُوتُوا آلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [٥٨/١١].

سِرٌّ نُورِيٌّ

[الله تعالى أظهر الموجودات وسبب غفلتنا عن ذلك]

قال بعض العلماء[٢] :

اعلم أنَّ أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى[٣] ، فكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أوّل المعارف وأسبقُها إلى الأفهام، وأسهلها على العقول، ونرى الأمرَ بالضدِّ من ذلك؛ فلابدَّ مِن بيان السبب فيه.

و إنَّما قلنا: «إنَّ أظهر الموجودات وأجلاها هوالله تعالى» لمعنى لاتفهمُه إلّا بمثال: وهو أنَّا إذا رأينا إنسانا يكتبُ أو يخيطُ - مثلا - كان كونُه حيًّا من أظهرالموجودات، فحياتُه وعلمُه وقدرتُه للخياطة، أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة؛ إذ صفاتُه الباطنةُ - كشهوته وغضبه وخُلقه وصحَّته ومرضه، وكلّ ذلك - لانعرفُه، وصفاتُه الظاهرةُ لانعرف بعضَها، وبعضُها نشكّ فيه - كمقدار طوله، واختلاف لون بشَرَته، وغير ذلك من صفاته -؛ أمَّا حياتُه وقدرتُه و إرادتُه وعلمُه وكونُه حيوانا، فإنَّه جليٌّ عندنا من غيرِ أن يتعلَّق حسُّ البصر بحياته وقدرته وإرادتِه، فإنَّ هذه الصفات لاتُحَسُّ بشيءٍ من الحواسِّ الخمس.

---

١) نسب إلى النبي ﷺ (جامع الأسرار: ٨) ولم أعثر عليه في الجوامع الروائية.

٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب المحبّة والشوق، بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى: ٤/٤٦٤ ـ٤٦٧. راجع أيضا الوافي: ٤/٥٩.

٣) في هامش مل: «لأنّ كلّ ما هوأقوى وجودا فهو أشدّ ظهورا؛ إذ الوجود هو النور؛ والله أقوى الموجودات لأنّ وجودات ماسواه منه وبه حصلت، وبإشراق ذاته عليها ظهرت ـ منه دام فيضه».

ثمَّ لايمكن أن نعرف حياتَه وقدرتَه و إرادتَه، إلاّ بخياطته وحركته ؛ فلونظرنا إلى كلّ ما في العالَم سواه لم نعرف به صفاتَه، فما عليه إلاّ دليلٌ واحدٌ، وهو مع ذلك جليٌّ واضحٌ؛ و وجودُ الله وقدرتُه وعلمُه وسائرُ صفاتِه، يشهد له بالضرورة: كلُّ ما نشاهده ونُدركه بالحواسّ الظاهرة والباطنة - من حجَرٍ ومدَرٍ، ونباتٍ وشجَرٍ وحيوانٍ، وسماءٍ وأرضٍ وكوكبٍ، وبَرٍّ وبحرٍ، و نارٍ و هواءٍ، و جوهرٍ و عرَضٍ - بل أوّل شاهدٍ عليه أنفُسُنا وأجسامُنا وأصنافُنا[1]، وتقلُّبُ أحوالِنا، وتغيُّر قلوبِنا، وجميعُ أطوارنا في حركاتنا وسكناتِنا؛ وأظهرُ الأشياءِ في علمِنا أنفسُنا، ثمّ محسوساتُنا بالحواسّ الخمس، ثمّ مدرَكاتُنا بالبصيرة والعقل، وكلُّ واحد من هذه المدرَكات له مدرِكٌ واحدٌ وشاهدٌ واحد ودليلٌ واحد، وجميعُ ما في العالم شواهد ناطقة، وأدلَّة شاهدة بوجود خالقها و مدبِّرها و مصرِّفها و محرِّكها، و دالَّة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته، والموجودات المدرَكة لاحصر لها.

فإن كان حياةُ الكاتب ظاهرةً عندنا وليس يشهد له إلاّ شاهدٌ واحدٌ - و هو ما أحسسنا[2] من حركة يده - فكيف لايظهر عندنا من لايتصوَّر في الوجود شيءٌ داخل نفوسنا وخارجها إلاّ وهو شاهدٌ عليه وعلى عظمته وجلاله، إذ كلُّ ذرّةٍ فإنّها تنادي بلسان حالها أنّه ليس وجودُها بنفسها، ولاحركتها بذاتها؛ و إنما تحتاج إلى موجدٍ ومحرّكٍ لها.

يشهد بذلك أوّلا تركيبُ أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ونبات شعورنا وتشكُّل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة، فإنّا نعلم أنّها لم تأتلف بنفسها، كما نعلم أنَّ يدَ الكاتب لم تتحرَّك بنفسها. ولكن لمَّا لم يبقَ في الوجود مدرَكٌ ومحسوسٌ ومعقولٌ وحاضرٌ وغائبٌ إلاّ وهو شاهد ومعرِّف عظم ظهوره، فانبهرت[3] العقولُ، ودهشت عن إدراكه.

---

١) الإحياء والمحجة: أوصافنا.

٢) الإحياء والمحجة: أحسسنا به.

٣) هامش النسختين: بَهَرَه بَهرًا: أي غلبه فانبهر.

فإذن ما يقصر عن فهمه عقولُنا، له سببان:

أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه - وذلك لايخفى مثالُه.

والآخر مايتناهى وضوحُه، و هذا كما أنَّ الخفَّاش يبصر بالليل، ولايبصر بالنهار - لا لخفاء النهار و استتاره، ولكن لشدَّة ظهوره، فإنَّ بصرَ الخفَّاش ضعيفٌ، يبهره نورُ الشمس إذا أشرق، فيكون قوّة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره، فلايرى شيئا إلّا إذا امتزجَ الظلامُ بالضوءِ وضعفَ ظهورُه.

فكذلك عقولُنا ضعيفةٌ، وجمالُ الحضرة الإلهيَّة في نهاية الإشراق والاستنارة، وفي غاية الاستغراق والشمول، حتَّى لايشذُّ[1] عن ظهوره ذرَّةٌ من ملكوت السماوات والأرض، فصار ظهورُه سببَ خفائه. فسبحان من احتجب بإشراق نوره، و اختفى عن البصائر والأبصار بظهوره[2].

ولا تتعجَّب من اختفاء ذلك بسبب الظهور، فإنَّ الأشياءَ تُستبان بأضدادها، وما عمَّ وجودُه - حتَّى [أنّه][3] لاضدَّ له - عَسر إدراكُه؛ فلو اختلف الأشياءُ، فدلَّ بعضُها دون البعض، أُدرك التفرقةُ على قُربه، ولمَّا اشترك في الدلالة على نسقٍ واحد، أشكل الأمرُ.

ومثالُه نورُ الشمس المُشرق على الأرض: فإنَّا نعلم أنَّه عَرَضٌ من الأعراض يحدث في الأرض، ويزول عند غيبة الشمس، فلوكانت الشمسُ دائمةَ الإشراق - لاغروب لها - لَكُنَّا نَظنُّ أن لاهيأة في الأجسام إلّا ألوانها، وهي السواد والبياض وغيرها؛ فإنَّا لانُشاهد في الأسود إلّا السواد، وفي الأبيض إلّا البياض؛ فأمَّا الضوءُ فلا ندركه وحده، لكن لمَّا غابت الشمسُ وأظلمت المواضعُ، أُدركت تفرقة بين

---

١) في الإحياء والمحجة: لم يشذ.

٢) في هامش مل:

حجاب روي تو هم روي تُست در همه حال نهانى از همه عالم زبسكه پيدائى

٣) زيادة من الإحياء والمحجة.

الحالتين ؛ فعَلِمنا أنَّ الأجسام كانت قد استضاءت بضوءٍ ، واتَّصفت بصفة فارقتها عند الغروب ، فعرفنا وجودَ النور بعدمه ، وما كنَّا نطَّلع عليه - لولا عدمُه - إلَّا بعُسرٍ شديدٍ ؛ وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهةً غير مختلفةً في الظلام والنور .

هذا مع أنَّ النورَ أظهرُ المحسوسات - إذ به يُدرَك سائرُ المحسوسات - فما هو ظاهرٌ في نفسه وهو مُظهِر لغيره ، أُنظر كيف تصوُّرُ استبهام أمره بسبب ظهوره - لولا طريانُ ضدِّه - .

فإذن الربُّ - تعالى - هو أظهرُ الأمور ، وبه ظهرت الأشياءُ كلُّها ، ولوكان له عدمٌ أو غيبةٌ أو تغيُّرٌ ، لانهدَّت السماواتُ والأرضُ ، وبطل الملكُ والملكوتُ ، ولأُدركت التفرقةُ بين الحالتين ؛ ولوكان بعضُ الأشياء موجودا به وبعضُها موجودا بغيره ، لأُدركت التفرقةُ بين الشيئين في الدلالة ؛ ولكن دلالته عامَّةٌ في الأشياء على نسقٍ واحدٍ ، ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافُه ، فلاجرم أورث شدَّةُ الظهور خفاءً .

فهذا هو السبب في قصور الأفهام .

وأمَّا من قويت بصيرتُه ، ولم تضعف مُنَّته[1] ، فإنَّه في حال اعتدال أمره لايَرى إلَّا الله و أفعاله[2] ؛ وأفعالُه أثرٌ من آثار قدرته ، فهي تابعة له ، فلا وجود لها بالحقيقة[3] ، وإنَّما الوجود للواحد الحقِّ الذي به وجودُ الأفعال كلُّها . ومَن هذا حالُه فلا ينظر في شيءٍ من الأفعال إلَّا ويرى فيه الفاعلَ ، ويذهل عن الفعل من حيث أنَّه سماءٌ وأرضٌ ، وحيوانٌ وشجرٌ ؛ بل ينظر فيه من [حيث] أنَّه صُنع[4] ، فلايكون نظرُه مجاوزا له إلى غيره ؛ كمَن نَظر في شِعر إنسان ، أو خطِّه ، أو تصنيفه ،

---

١) هامش مل : المُنَّة - بالضم - القوة.
٢) المحجة : + ولايعرف غيره ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله.
٣) الإحياء والمحجة : + دونه.
٤) الإحياء والمحجة : + الواحد الحق.

ورأى فيه الشاعرَ والمصنِّفَ، ورأى آثارَه من حيث هو آثارُه - لا من حيث أنَّه حِبرٌ و عَفصٌ وزاجٌ مرقومٌ على بياضٍ - فلايكون قد نظرَ إلى غير المصنِّف.

فكلُّ العالَم تصنيف الله - تعالى - فَمَن نظرَ إليها من حيث أنَّها فِعْل الله، وعرفها مِن حيث أنَّها فِعْل الله، وأحبَّها من حيث أنَّها فِعْل الله: لم يكن ناظرا إلَّا في الله، ولاعارفا إلَّا بالله، ولا محبًّا إلَّا لله؛ وكان هو الموحِّد الحقّ الذي لا يرى إلَّا الله، بل لاينظر إلى نفسه من حيث نفسه؛ بل من حيث هو عبدُ الله[1]. فهذا هو الذي يقال فيه: «إنَّه فني في التوحيد، و إنَّه فني من نفسه»؛ و إليه الإشارة بقول من قال: «كُنَّا بِنا، ففنَينا عَنَّا، فبَقِينا بلانحن».

فهذه أمورٌ معلومةٌ عند ذوي البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها، وقصورِ قدرةِ العلماء عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهِمة موصلةٍ[2] للغرض إلى الأفهام، أو لاشتغالهم بأنفسهم، واعتقادهم أنَّ بيان ذلك لغيرهم ممّا لايعنيهم.

فهذا هوالسبب في قصور الأفهام عن معرفة الله - تعالى -.

وانظمّ إليه أنَّ المدرَكات كلّها التي هي شاهدة على الله إنَّما يدركها الإنسان في الصبي، عند نقْد العقل[3] قليلا قليلا، وهو مستغرقُ الهمِّ بشهواته، وقد أنس بمدرَكاته ومحسوساته وألِفَها، فسقط وقْعُها عن قلبه بطول الأُنس، ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا، أوفعلا من أفعال الله خارقا للعادة عجيبا: أنطق لسانه بالمعرفة طبعا، فقال: «سبحان الله»؛ وهو يرى طولَ النهار نفسَه وأعضاءَه وسائرَ الحيوانات المألوفة - وكلُّها شواهد قاطعة - ولايحسّ بشهادتها لطول الأُنس بها.

---

١) في هامش مل:

بجهان خرم ازآنم كه جهان خرم ازوست　　　عاشقم برهمه عالم كه همه عالم ازوست

٢) مل: موصولة.

٣) الإحياء والمحجة: + ثم تبدو فيه غريزة العقل.

ولو فُرض أكمهُ بلغ عاقلا، ثمّ انقشعت غشاوة[1] عن عينه، فامتدَّ بصرُه إلى السماء والأرض، والأشجار والنبات والحيوان - دفعةً واحدةً، على سبيل الفجأة - يخاف على عقله أن ينبهر، لعِظم تعجُّبه من شهادة هذه العجائب على خالقها.

فهذا وأمثاله من الأسباب، مع الانهماك في الشهوات [هي] التي سدَّت على الخَلق سبيلَ الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة؛ والجليَّات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة[2].

فهذا سدّ الأمر[3]، فليتحقَّق، ولذلك قيل:

لقد ظهرتَ فلا تخفى على أحدٍ
إلاّ على أكمه لا يعرف القمَرا
لكن بطنتَ بما أظهرتَ محتجِبا
وكيف يعرف من بالعُرف استترا

انتهى كلامُه[4].

ويشهد له ما في كتاب التوحيد، بإسناده[5]، عن مولانا الكاظم عليه السلام قال: «ليس بينه وبين خَلقه حجاب غير خَلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور»[6].

---

١) مل: غشاوه.

٢) هامش مل: في الصحاح: اعتاص عليه الأمر أي التوى. والعويص من الشعر ما يصعب استخراج معناه.

٣) علم اليقين: سر الأمر.

٤) إحياء علوم الدين: ٤/٤٦٧.

٥) التوحيد: باب نفي المكان والزمان والحركة، ١٧٩، ح١٢. عنه البحار: ٣/٣٢٧. وروي في التوحيد أيضا(باب أنه عزّ وجلّ ليس بجسم، ٩٨، ح٥) عن الرضا عليه السلام: «... احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، عرف بغير رؤية... ». عنه البحار: ٤/٢٦٣. ومثله في الكافي: كتاب التوحيد، باب النهي عن الجسم، ١/١٠٥، ح٣.

٦) في هامش مل:

از فريب نقش نتوان خامهٔ نقاش ديد   ورنه دراين سقف زنگاری يکی درکارهست

وقال الحسين بن عليّ عليه السلام في بعض دعواته[1] : «كيف يُستدَلُّ عليك بما هو في وجوده مفتقِرٌ إليك ؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك ، حتَّى يكونَ هو المظهِر لك ؟ ! متى غِبتَ حتَّى تحتاجَ إلى دليلٍ يدلُّ عليك ؟ ! ومتى بعُدتَ حتَّى تكونَ الآثارُ هي التي توصل إليك ؟ ! عَميَتْ عينٌ لاتراك ولاتزال عليها رقيبا ، وخسرت صفقةُ عبدٍ لم تجعل له من حبّكَ نصيبا» .

وقال أيضا[2] : «تعرَّفتَ لكلِّ شيءٍ فما جهلكَ شيءٌ» .

و[قال :] «تعرّفت إليَّ في كلِّ شيءٍ ، فرأيتُك ظاهرًا في كلِّ شيءٍ ، فأنتَ الظاهر لكلِّ شيءٍ» .

وقال صاحب الفتوحات : «إنّ العالم غيبٌ لم يظهر قطّ ، والحقّ تعالى هوالظاهر ، ماغاب قطّ ؛ والناس فى هذه المسألة على عكس الصواب ، فيقولون : العالم ظاهر والحقّ تعالى غيب ؛ فهم بهذا الاعتبار في مقتضى هذا الشرك ، كلهم عبيد للسوى ، وقد عافى اللهُ بعضَ عبيده عن هذا الداء» .

تنبيه

[معرفة الله والأشياء بالله]

أشرف الدلائل وأوثقها وأسرعها في الوصول وأغناها عن ملاحظة الأغيار هوطريقة الصدّيقين، الذين يستشهدون بالحق على كل شيء ؛ لابغيره عليه[3] ؛ فيشاهدون جميعَ الموجودات في الحضرة الإلهيّة ويعرفونها في أسمائه وصفاته ، فإنّه ما من شيء إلا وله أصل في عالم الأسماء الإلهيّة ، وله وجهٌ إلى الحقّ سبحانه ، لما دريت أنّ كلّ ممكن فهو زوجٌ تركيبيٌّ . ولذلك لما سئل نبيّنا صلى الله عليه وآله : «بمَ عرفتَ الله» ؟ فقال : «بالله عرفت الأشياء» .

---

١) إقبال الأعمال : دعائه عليه السلام في يوم عرفة : ٣٤٩. عنه البحار :٢٢٥/٩٨-٢٢٦.

٢) إقبال الأعمال : من الدعاء المذكور :٣٥٠. عنه البحار : ٢٢٧/٩٨.

٣) هامش مل :

هرچه جز معشوق باشد پردهٔ بیگانگی است
بوی یوسف را زپیراهن شنیدن مشکل است

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[1] : « اعرفوا الله بالله » ـ رواه في الكافي .

ومثله عن مولانا الصادق عليه السلام رواه في التوحيد[2] وفي هذه الطريقة السالك والمَسلك والمسلوك منه والمسلوك إليه كلّه واحد، وهو البرهان على ذاته، ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [١٨/٣] ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [١٩/٦] .

[من عرف نفسه عرف ربه]

وبعد هذه الطريقة في الإحكام والشرف طريقة معرفة النفس، كما أُشير إليه بقوله عليه السلام[3] : « من عرف نفسه فقد عرف ربّه ». « أعرَفُكم بنفسه أعرَفكم بربّه »[4] .

وفي هذه الطريقة يكون المسافر عين الطريق، فيمتاز عن سائر الطرق

---

١) لم أعثر على ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ورد في الكافي : ٨٥/١ ، كتاب التوحيد، باب أنه لا يعرف إلا به، ح١. التوحيد: ٢٨٦ .

٢) التوحيد (٢٨٥، باب أنه لايعرف الله عز وجل إلا به، ح١) « عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إني ناظرت قوما فقلت لهم: إن الله عز وجل أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل العباد يعرفون بالله ؟ فقال: رحمك الله».

وكتب في هامش مل: وفي التوحيد [٢٨٧، الباب المذكور، ح٤] بإسناده عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه سئل: «أعرفتَ الله بمحمّد، أم عرفتَ محمّدا بالله» ؟ فقال عليه السلام: «لوعرفت الله بمحمّد لكان محمّد أوثق من الله، ولو عرفت محمّدا بالله ما احتجت إلى رسول الله؛ ولكن عرّفني اللهُ نفسه بلاكيف، وأرسل محمّدا لبيان الحقّ وتوضيح الدين».

وفي رواية أُخرى: ماعرفت الله بمحمّد، ولكن عرفتُ محمّدا بالله عزّ وجلّ، حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض، فعرفت أنّه مصنوع مدبَّر باستدلال وإلهام منه وإرادة، كما ألهم لملائكته طاعته وعرّفهم نفسه بلا شبه ولا كيف». - منه سلمه الله -.

٣) مصباح الشريعة، الباب الثاني والستّون (ص٤١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله. عنه البحار: ٣٢/٢، ح٢٢. ونسبه الآمدي إلى أميرالمؤمنين عليه السلام: الغرر والدرر: الرقم ٧٩٤٦. وكذا ابن أبي الحديد: الحكم التي أوردها في آخر شرحه و التقطها من كلماته عليه السلام الغير الموجودة في نهج البلاغة ، رقم ٣٣٩: ٢٩٢/٢٠. وأما في كتب أهل العرفان فقد اشتهر نسبته إلى النبي صلى الله عليه وآله : جامع الأسرار: ٢٧٠ و٣٠٨ و٣١٥.

٤) جامع الأخبار: الفصل الأول: ٣٥. روضة الواعظين: ٢٥/١.

بهذا الوجه، وبعدها سائر الطرق الآفاقيّة على تفاوت مراتبها. وإلى الثلاث الإشارة بقوله عزّ وجلّ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٤١/٥٣].

ولك أن تقول: إنّ معرفته ـ عزّ وجلّ ـ على أيّ التقادير، ليست إلا به سبحانه، كما أشار إليه الشيخ الفقيه محمّد بن علي بن بابويه ـ رحمه الله ـ بقوله[1]:

«الصواب في هذا الباب هو أن يقال: «عرفنا الله بالله»، لأنّا إن عرفناه بعقولنا فهو ـ عزّ وجلّ ـ واهبها، وإن عرفناه ـ عزّ وجلّ ـ بأنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام، فهو ـ عزّ وجلّ ـ باعثهم ومرسلهم ومتّخذهم حُججا، وإن عرفناه بأنفسنا فهو ـ عزّ وجلّ ـ مُحْدِثها؛ فبه عرفناه. وقد قال الصادق عليه السلام: «لولا الله ماعرفناه، ولولا نحن ماعُرف الله». ومعناه: لولا الحجج ماعُرف الله حقّ معرفته، ولولا الله ماعَرف الحجج» ـ انتهى كلامه ـ

ويشهدله قول اونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَاتَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٤٩/١٧] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [٢٤/٢١].

تنبيه

[لايُعرف الله تعالى حقّ معرفته]

وليعلم أنّه لايعرف الله حقّ معرفته إلا الله لأنّ الخلق كلهم لايعرفون إلا احتياج هذا العالم المنظوم المحكم إلى صانع مدبّر، حيّ، عالم، سميع، بصير، قادر؛ وهذه المعرفة لها طرفان: أحدهما يتعلّق بالعالم؛ ومعلومه احتياجه إلى مدبّر. والآخر يتعلّق بالله؛ ومعلومه أسام مشتقّة من صفات غير داخلة في حقيقة الذات وماهيّته؛ وقد ثبت أنّه إذا أشارالمشير إلى شيء وقال: «ماهو؟»

---

١) التوحيد: ٢٩٠، آخر باب أنه عز وجل لايعرف الا به.

لم يكن ذكر الأسماء المشتقَّة جوابا أصلا ؛ فلوأشار إلى شخص حيوان[١] فقال : « ماهو ؟ » ، فقال : « طويل » أو « أبيض » أو « بصير » ؛ أو أشار إلى ماء فقال : « ماهو ؟ » ، فأجاب بأنّه « بارد » ؛ أو إلى نار ، فقال : « حارٌّ » : فكلّ ذلك ليس بجواب عن الماهيّة ألبتّة .

والمعرفة بالشيء هي معرفة حقيقته وماهيّته ، لامعرفة الاسامي المشتقّة ؛ فإنّ قولنا : « حارّ » ، معناه : شيء مبهم له وصف الحرارة ؛ وكذلك قولنا : « قادر » و « عالم » ، معناه : شيء مبهم له وصف العلم والقدرة .

وأمّا قولنا : « إنّه واجب الوجود » ، فهو عبارة عن استغنائه عن الفاعل ، وهذا يرجع إلى سلب السلب عنه ؛ وقولنا : « إنّه يوجد عنه كلّ موجود » ، يرجع إلى إضافة الأفعال إليه ؛ و إذا قيل لنا : « ماهذا الشيء ؟ » ، فقلنا : « هوالفاعل » ؛ لم يكن جوابا . و إذا قلنا : « هو الذي له مسبَّب » لم يكن جوابا فكيف قولنا : « هوالذي لاسبب له » ؛ لأنّ كلّ ذلك إخبار عن غير ذاته ، إمّا بنفي أو إثبات ؛ وكلّ ذلك في أسماء وصفات وإضافات .

فنهاية معرفة العارفين عجزُهم عن المعرفة ، ومعرفتهم بالحقيقة أنّهم
لايعرفونه ، و أنّه لايمكنهم - ألبتّة - معرفته ، وأنّه يستحيل أن يَعرف الله
- المعرفة الحقيقية المحيطة بكُنه صفات الربوبيّة - إلا الله تعالى .
فإذا انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيّا فقد عرفوه ، أي
بلغوا المنتهى الذي يمكن في حقّ الخلق من معرفته .
ومن هنا قال مولانا زين العابدين عليه السلام في
بعض أدعيته[٢] : « سبحان من
لم يجعل للخلق سبيلا إلى
معرفته إلّا بالعجز
عن معرفته » .

١) كذا في النسخ ، ولعل الصحيح : ولو أشار شخص إلى حيوان.
٢) لم أعثر على الرواية.

في توحيده عزّ وجلّ

﴿ اللهُ لا إلٰهَ إلَّا هُوَ ﴾ [٢/٢٥٥]

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلَّا وَجْهَهُ ﴾ [٢٨/٨٨]

نور سريّ

[كيف تقول أنّ الله واحد]

روي في كتاب التوحيد[1] بإسناده عن شريح بن هاني قال: إنّ أعرابيّا قام يوم الجَمل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: «يا أميرالمؤمنين أتقول أنّ الله واحدٌ»؟

- قال:- فحمل الناسُ عليه، وقالوا: «يا أعرابي، أما ترى ما فيه أميرُالمؤمنين من تقسّم القلب»؟ فقال أميرُالمؤمنين عليه السلام: «دعوه، فإنّ الذي يريده الأعرابيّ هو الذي نريده من القوم».

- ثمّ قال:- «يا أعرابيّ، إنّ القولَ في أنّ الله واحدٌ، على أربعة أقسام: فوَجهان منها لايجوزان على الله - عزّ وجلّ - و وجهان يثبتان فيه.

فأمّا اللذان لايجوزان عليه، فقول القائل: «واحدٌ» يقصد به بابَ الأعداد؛ فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثانيَ له لا يدخل في باب الأعداد؛ أما ترى أنّه كَفَر مَن قال: «[إنّه] ثالث ثلاثة»؟ وقول القائل: «هو واحدٌ من الناس» يريد به النوع من الجنس؛ فهذا ما لايجوز عليه، لأنّه تشبيهٌ، وجلّ ربُّنا وتعالى عن ذلك.

---

١) التوحيد: باب معنى الواحد: ٨٣. الخصال: باب الواحد: ٢/١. عنهما البحار: ٢٠٦/٣.

وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل: «هو واحد ليس له في الأشياء شِبهٌ» ـ كذلك ربُّنا ـ و قولُ القائل: «إنَّه ربُّنا ـ عزَّ وجلَّ ـ أحديُّ المعنى» يعني به أنَّه لاينقسم في وجود ولاعقل ولاوهم، كذلك ربُّنا عزَّ وجلَّ».

نور

[الدليل على أن الله واحد]

الدليل على أنَّ الله - سبحانه - واحدٌ بالمعنيين من جهة النقل معلوم.

ومن جهة العقل[١]: أنَّه - عزَّ وجلَّ - لو كان منقسما في وجودٍ أو عقلٍ أو وهمٍ لكان محتاجا؛ لأنَّ كلّ ذي جزءٍ فإنَّما هو بجزئه يتقوَّم، وبتحقُّقه يتحقَّق و إليه يفتقر.

وأيضا: لوكان ذاجزءٍ لكان جزؤه متقدِّما عليه وأوّلا له، فيكون الجزء أولى بأن يكون إلٰها منه - سبحانه.

و من هنا يظهر أنَّ وجوده - عزَّ وجلَّ - ليس معنى وراء ذاته، زائدا عليها؛ بل هو عين الوجود البحت الغير المنقسم - لاوهما ولاعقلا ولاعينا-.

و إذا كان كذلك كان واحدا بالمعنى الآخر أيضا، ولاشريك له ولانظير، إذ لاتعدُّد في صِرْف شيءٍ.

و نِعم ما قيل[٢]: «صِرف الوجود - الذي لا أتمَّ منه - كلّ مافرضتَه ثانيا، فإذا نظرتَ فهو هو، إذ لامَيز في صِرف شيءٍ». فإذن: ﴿شَهِدَ اللّهُ انَّه لا إله إلّا هُو﴾ [١٨/٣].

قال بعض أهل المعرفة[٣]:

«المتفرِّد بالوجود هوالله - سبحانه - إذ ليس موجود معه سواه، فإنَّ

---

١) راجع المبدء والمعاد: ٤١.

٢) مجموعة آثار شيخ اشراق: التلويحات، المورد الأول، التلويح الأول: ٣٥/١.

٣) إحياء علوم الدين: كتاب ذم الجاه والرياء، سبب كون الجاه محبوبا...: ٤١٢/٣.

ما سواه أثرٌ من آثار قدرته لاقوام له بذاته، بل هو قائمٌ به، فلم يكن موجودا معه، لأنَّ المعيَّة توجِب المساواة في الرتبة، والمساواة في الرتبة نقصانٌ في الكمال، بل الكمال لمن لا نظير له في رتبته.

وكما أنَّ إشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصا في الشمس - بل هو من جلة كماله[ـا] - و إنَّما نقصان الشمس بوجود شمس أُخرى تُساويها في الرتبة...، فكذلك وجود كلِّ ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ...

فإذن معنى الربوبيَّة التفرُّد بالوجود - وهو كمال»[١].

نورٌ

ومن الدلائل التي قيلت[٢] : أنّه لو اقتضى ذاتُه - من حيث هو ولأنَّه غنيٌّ بذاته - أن يكون هذا بعينه، فلايصحُّ أن يكون غيره؛ و إن كان بسبب مّا صار هذا، فيكون هذا فقيرا.

وأيضا لو تعدَّدَ فلا يمتاز أحدهما عن الآخر بنفس ما اشتركا فيه، ولابلازمه ـ وهوظاهر ـ ولابعارض غريب، إذ ليس وراءهما مخصِّص؛ و إن خصَّص أحدُهما نفسَه أو صاحبَه ، فيكونان قبل التخصُّص متعيِّنين لابالمخصِّص؛ هذا محال.

وأيضا إمَّا أن يقتضي ذاتُه الوحدةَ، فلا يكون إلّا واحدا؛ أو التعدُّدَ، فلايوجد في واحدٍ، وإذ لا واحد، فلا متعدِّد؛ أو لاذا ولاذاك، فيتساوى نسبةُ مراتب الأعداد إليه، فالتعيُّن إمَّا لمرجِّح: فيفتقر إليه؛ أو لا لمرجِّح: فيلزم الترجّح بلامرجِّح.

وأيضا[٣] لو تعدَّد، فإمَّا أن يفتقر كلٌّ منهما أو أحدهما إلى الآخر، فلايكون

---

١) الإحياء: وهو الكمال.

٢) راجع المبدء والمعاد: ٤٤ و٥٢.

٣) هنا أول الموجود من نسخة «ر».

غنيًّا مطلقا ولا وجودا تامًّا ؛ أو يستغني عنه ، فيكون المستغنى عنه عادما لكمال ما هو فقرُ كلِّ شيء إليه ، ومفتقرا في تحصيله إلى غيره ، ولزم المحذور .

وأيضا يلزم أن يكون أثرُ أحدهما بعينه ممكنا أن يكون أثرَ الآخر ، لاتّفاقهما في الحقيقة - أعني الوجود الأتمّ - فاستناده إلى أحدهما دون الآخر يوجب ترجُّحا بلامرجِّح ، وصدوره عنهما جميعا يوجِب صدورَ أمرٍ واحد بالشخص عن متعدِّد - وكلاهما محال .

سُئل مولانا الصادق عليه السلام[1] : «ما الدليلُ على أنَّ الله واحدٌ» ؟ قال : «اتِّصالُ التدبير وكمالُ الصُّنع[2] ؛ كما قال - عزَّ وجلَّ - : ﴿لَو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [٢١/٢٢] » .

كأنه أشار إلى أنّ ارتباط الموجودات بعضها ببعض على النظم الحكميّ دليل على أنّ مُبدعها ومدبّرها وممسك رباطها أن ينفصم واحدٌ حقيقيٌّ ؛ إذ لوكان معه إله لتميّز صُنع بعضهم عن بعض ، فينقطع الارتباط ويختلّ النظام ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [٢٣/٩١] .

تنبيه
[مراتب التوحيد والشرك]

ما ذكرناه هوالتوحيد الأُلوهي وتوحيد الظاهر ، وهوتوحيد الأنبياء عليهم السلام ، المشار إليه بقوله عزّ وجلّ : ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّانَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَانُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَايَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [٣/٦٤] .

وبقول نبيّنا صلى الله عليه وآله[3] : «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلا الله»

---

١) التوحيد : باب الرد على الثنوية : ٢٥٠ . عنه البحار : ٣/٢٢٩ .
٢) مل ن خ : تمام الصنع .
٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة : ٢/٦٤ ح٢٨٠ .

والشرك المقابل لهذا التوحيد هو الشرك الجليّ، المشار إليه بقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [٢٥/٣].

وهاهنا توحيد آخر هو أعلى وأجلّ وأشرف وأكمل، وهو التوحيد الوجوديّ وتوحيد الباطن، وهو **توحيد الأولياء** ، المنبّه عليه بقوله جلّ وعزّ: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [٢٨/٨٨] وقوله: ﴿ وَ أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [٢/١١٥]. وبقول نبيّنا ﷺ: «لو أدليتُم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله»[1] ؛ والشرك المقابل له هو الشرك الخفيّ، المنبّه عليه بقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [١٢/١٠٦].

قال **بعض السالكين**: «كنّا ما رأينا شيئا إلّا ورأينا الله بعده، فلمّا ترقّينا عن ذلك فما رأينا شيئا إلّا ورأينا الله فيه، فلمّا ترقّينا فما رأينا شيئا إلّا ورأينا الله قبله، فلمّا ترقّينا فما رأينا شيئا سوى الله».

فالأولى مرتبة الفكر والاستدلال عليه، والثانية مرتبة الحدس، والثالثة مرتبة الاستدلال به - لا عليه - والرابعة مرتبة الفناء في ساحل عزّته واعتبار الوحدة المطلقة.

سِرٌّ

وإذ ليست وحدته سبحانه عدديّة فليست معيّته للأشياء بممازَجة، ولامداخَلة، ولاحلول، ولا اتّحاد، ولامعيّةٍ في درجة الوجود، ولافي الزمان، ولافي الوضع- تعالى الله عن ذلك كلّه علوّا كبيرا.

---

١) الترمذي: كتاب التفسير، السورة ٥٨، ٥/٤٠٤، ح٣٢٩٨، وفيه: «دليتم بحبل».

وكتب في هامش نسخة (ر):

دوست نزديكتر از من به من است	اين عجب تر كه من از وى دورم
چه كنم با كه توان گفت كه يار	در كنار من و من مهجورم

جهان را بلندى وپستى توئى	ندانم چه‌اى هرچه هستى توئى

بخطه - ره.

فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وكلّ ظاهر غيره غير باطن، وكلّ باطن غيره غير ظاهر، لم يحلل في الأشياء فيقال: «هو فيها كائن» ولم ينأ منها، فيقال: «هو منها بائن» الظاهر، لايقال: «ممّا»؟، والباطن، لايقال: «فيما»؟

وتمام الكلام في بيان توحيد الوجود يأتي في مباحث الأفعال إن شاء الله.

أنوار سرية

[الله تعالى محيط على كل شيء]

روينا في كتابي[1] الكافي[2] والتوحيد[3] بإسنادهما، عن مولانا الصادق عليه السلام: أنّه قال رجل عنده: «الله أكبر». فقال عليه السلام: «الله أكبرُ من أيِّ شيءٍ»؟

فقال: «من كلّ شيءٍ». فقال الصادق عليه السلام: «حدَّدتَه».

فقال الرجل: «كيف أقول»؟ قال: «قل: اللهُ أكبر، أكبر مِن أن يوصَف»[4].

وفي رواية أُخرى[5] أنّه عليه السلام قال: «وكان ثمّة شيءٌ، فيكون أكبر منه»؟ فقيل: «فما هو»؟ قال: «الله أكبر من أن يوصف».

---

١) مل: كتاب الكافي.

٢) مل: كتاب الكافي. الكافي: باب معاني الأسماء: ١١٧/١، ح٨.

٣) التوحيد: باب معنى الله أكبر: ٣١٢، ح١. و رواه أيضا في معاني الأخبار: نفس الباب: ١١. البحار: ٢١٩/٩٣، ح٢.

٤) قال المؤلف في شرح الرواية (الوافي: ٤٧٦/١): «حدَّدته - بالتشديد - من التحديد؛ أي جعلتَ له حدا محدودا. و ذلك لأنه جعله في مقابلة الأشياء و وضعه في حد، والأشياء في حدٍ آخر، و وازن بينهما؛ مع أنّه محيطٌ بكل شيءٍ، لايخرج عن معيّته وقيُوميَّته شيءٌ. كما أشار إليه بقوله عليه السلام: «وكان ثم شيء» يعني مع ملاحظة ذاته الواسعة و إحاطته بكلِّ شيءٍ ومعيَّته للكلِّ لم يبق شيء تنسبه إليه بالأكبريّة؛ بل كلّ شيءٍ هالكٌ عند وجهه الكريم، وكلّ وجود وكمال وجود مضمحلٌ في مرتبة ذاته ووجوده القديم».

٥) التوحيد: الباب السابق: ٣١٣. الكافي: الباب السابق: ١١٨.

وفي كتاب التوحيد[١] ، بإسناده عن أميرالمؤمنين عليه السلام : أنَّهُ سُئِل عن وجه الربّ - تبارك وتعالى، فدعا بنار وحطب، فَأضرمَهُ، فلمّا اشتعلتْ، قال : «أين وجهُ النّار» ؟ قال السائل : «هي وجهٌ من جميع حدودها».

قال : «هذه النار مدبَّرةٌ مَصنوعَةٌ، لايُعرف وجُهها ؛ وخالقُها لايُشبهها ﴿ وَللهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللهِ ﴾ [٢/١١٥] ؛ لايخفىٰ علىٰ رَبّنا خافية».

تنبيه وسرّ

[توحيده إيّاه توحيده]

كلّ ما قيل أو يقال في تقسيم التوحيد ومراتبه - ثنائيّا وثلاثيّا ورباعيّا وخماسيّا - فلا يخرج عن هذين القسمين - الألوهيّ والوجوديّ - إلّا توحيد الحقّ سبحانه ذاته بذاته، فإنّه خارج عنهما.

وذلك لأنّ كلامنا إنّما هو في التوحيد المتعلّق بالسالك أو العباد ؛ و إلّا فالتوحيد الحقيقيّ ليس إلّا ذاك، كما أشار إليه الشيخ الهرويّ - قدّس الله سرّه[٢] - بقوله[٣] :

ما وحّد الواحدَ من واحد إذ كلُّ من وحّده جاحِدُ
توحيدُ مَن ينطق عن نَعتِه عاريةٌ، أبطلها الواحدُ
توحيدُه إيّاه توحيدُه ونعتُ من ينعتُه لاحدُ

ولا شرك في مقابلة هذا التوحيد، إذ لاضدّ لله سبحانه.

---

١) التوحيد: باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ١٨٢، ح١٦. والسائل الجاثليق. عنه البحار: ٣/٣٢٨، ح٢٨.

٢) ر: قدس سره.

٣) منازل السائرين : آخر أبواب الكتاب.

في تنزيهه سبحانه

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [١١٢/٣-٤]
﴿ سُبحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [١٧/٤٣]

أنوار شرعيّة

[الله تعالى خارج عن الحدّين: حد الإبطال وحدّ التشبيه]

روَيا في كتابَي[١] الكافي والتوحيد بإسنادهما[٢] عن مولانا الصادق عليه السلام - قال :- « إنَّ الله عظيمٌ رفيعٌ لايقدر العباد على صفتِه، ولايبلغون كُنهَ عظمته، لاتُدركه الأبصارُ و هو يدركُ الأبصارَ، و هو اللطيفُ الخبير، ولايوصف بكيف ولا أين و حيث. وكيف أصِفه بالكيف ؟ وهوالذي كيَّفَ الكَيف حتَّى صار كَيفًا[٣] فعُرفت الكيفُ بما كيَّف لنا من الكَيف. أم كيف أصفه بأين ؟ وهو الذي أيّنَ الأينَ حتَّى صار أين، فعُرفت الأينُ بما أيّنَ لنا من الأيْن. أم كيف أصفه بحيث ؟ وهوالذي حَيَّثَ الحَيثَ حتَّى صارحَيث، فعُرفت الحيثُ بما حيَّث لنا من الحَيث.

فالله تعالى داخل في كلِّ مكان وخارجٌ من كلِّ شيءٍ[٤] ﴿ لاتُدرِكُه ٱلأَبصَارُ

---

١) مل: كتاب الكافي.

٢) الكافي: كتاب التوحيد، باب النهي عن الصفة بغير ماوصف به نفسه تعالى، ١٠٣/١، ح١٢. التوحيد: باب ماجاء في الرؤية: ١١٥، ح١٤. عنه البحار: ٢٩٧/٤، ح٢٦.

٣) ر: كيف.

٤) في هامش النسختين:

خود (ر: با) مكان آفرين مكان چه كند آسمان گر خود آسمان چه كنند

(ر: بخطه ره)

وَ هُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ﴾ [١٠٣/٦]، لاإله إلاّ ﴿هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [٢٥٥/٢]، ﴿وَ هُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾» [١٠٣/٦]».

وبـإسنادهما الصحيح[١] عنه عليه السلام - قال :- «إنّ الله - تعالى- خِلو من خَلقه، وخَلقه خِلو منه، وكلُّ ما وقع عليه اسمُ شيءٍ - ماخلا الله- فهو مخلوقٌ، والله خالقُ كلِّ شيءٍ»[٢].

وبـإسنادهما[٣] عن أبيه الباقر عليهما السلام أنّه سُئل : «أيجوز[٤] أن يقال : إنّ الله[٥] شيءٌ» ؟ قال : «نعَم ؛ تُخرجه من الحدَّين : حدّ التعطيل، وحدّ التشبيه». و يصدِّق هذا الحديث قوله - سبحانه - : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [١٩/٦].

وبإسنادهما[٦] عنه عليه السلام أنّه سُئل عمّا يروون : «إنّ الله -عزّوجلّ - خلق آدمَ على صورته» ؟ فقال : «هي صورةٌ محدَثةٌ مخلوقةٌ، اصطفاها اللهُ واختارها على سائر الصوَر المختلفة، فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبةَ إلى نفسه، والروحَ إلى نفسه فقال : ﴿بَيْتِيَ﴾ [١٢٥/٢]، وقال : ﴿وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [٢٩/١٥].

---

١) الكافي: باب إطلاق القول بأنه شيءٌ، ٨٣/١، ح٥. التوحيد: باب أنه تبارك وتعالى شيءٌ: ١٠٥، ح٣. ورويا الحديث عن الباقر عليه السلام أيضا بلفظه: نفس الصفحتين. البحار: ٢٦٣/٣، ح٢٠. و٣٢٢/٣، ح١٨. و١٤٩/٤، ح٣. راجع أيضا ماجاء في التوحيد: ٥٨، ح١٦.

٢) كتب في هامش ر وفي آخره رمز «بخطه ره»:
شى ام ازروى حقيقت نه ازآن روى مجازى   آفريننده اشياء وخداوند جهانم

٣) الكافي: الباب السابق: ٨٥/١، ح٧. أيضا٨٢/١، ح٢ عن أبي جعفرالثاني عليه السلام بلفظه. التوحيد: الباب السابق: ١٠٤، ح١. معاني الأخبار: ٨. عنهما البحار:٢٦٠/٣ و٢٦٢، ح٩ و١٨. وفي المحاسن (مصابيح الظلم، ٢٤٠/١، ح٢٢٠): «سئل أبوجعفر عليه السلام: أيجوز أن يقال لله: إنه موجود؟...». عنه البحار: ٢٦٥/٣، ح٢٩.

٤) مل: يجوز (بدون حرف الاستفهام).

٥) ر: إن الله تعالى.

٦) الكافي: كتاب التوحيد، باب الروح، ١٣٤/١، ح٤. التوحيد: باب أنه عزّ وجلّ ليس بجسم ولاصورة: ١٠٣، ح١٨. البحار: ١٣/٤، ح١٥.

وبإسنادهما[١] عن يعقوب السرّاج، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام «إنَّ بعض أصحابنا يزعم أنَّ لله صورةً مثل صورة الإنسان، وقال آخر «إنَّه في صورة أمرد جعد قطط[٢]». فخرَّ أبوعبدالله عليه السلام ساجداً، ثمَّ رفع رأسه فقال: «سبحان الله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [٤٢/١١]، و ﴿لاتُدْرِكه الْأَبصَارُ﴾ [٦/١٠٣] ولايُحيط به علمٌ؛ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ـ لأنَّ الولدَ يُشبه أباه ـ ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ـ فيُشبه من كان قبلَه ـ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ﴾ ـ من خَلقه ـ ﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾ تعالى عن صفة مَن سواه عُلوّا كبيرا».

[لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار]

وبإسنادهما[٣] الصحيح عن مولانا الصادق عليه السلام أنَّه سُئل عمّا يروون من الرؤية. فقال: «الشمسُ جزءٌ من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزءٌ من سبعين جزء من نورالعرش، والعرشُ جزءٌ من سبعين جزء من نورالحجاب، والحجابُ جزءٌ من سبعين جزء من نورالستر، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهَم من الشمس، ليس دونها سحاب».

وبإسنادهما[٤] عن أحمدبن إسحاق قال: كتبتُ إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس؟ فكتب: «لايجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواءٌ ينفذه البصرُ، فإذا انقطع الهواءُ عن الرائي والمرئي لمتصحّ الرؤيةُ، وكان في ذلك الاشتباهُ[٥]، لأنَّ الرائي متى ساوى المرئي في

---

١) التوحيد: الصفحة السابقة. عنه البحار: ٣/٣٠٤. والرواية غير موجودة في الكافي.

٢) وكتب في هامش النسختين: «جعد قطط: أي كثير الجعودة - ص» (ص رمز صحاح اللغة).

٣) الكافي: باب في إبطال الرؤية: ١/٩٨، ح٧. التوحيد: باب ماجاء في الرؤية: ١٠٨، ح٣. عنه البحار: ٤/٤٤، ح٢٢ و٥٨/٢٨ ح٤٥ و٥٨/٤٣، ح٥ و٥٨/١٦١، ح١٥.

٤) الكافي، الباب السابق: ٩٧، ح٤. التوحيد، الباب السابق: ١٠٩، ح٧. عنه البحار: ٤/٣٤، ح١٣. وجاء في الاحتجاج (٢/٤٨٦): «فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لمتصح الرؤية، وفي وجوب اتصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه...». عنه البحار: ٤/٣٤.

٥) أي متى كان كذلك، كان الله مشتبها بخلقه، تعالى عن ذلك علوا كبيرا (الوافي: ١/٣٨١).

السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه، وكان ذلك الاشتباه، لأنَّ الأسباب لابدَّ له من اتِّصالها بالمسبّبات».

أقول: الرؤيةُ الممتنعةُ على الله - جلَّ جلاله - إنَّما هي رؤيةُ العين والبصر، وأمّا رؤيةُ القلب والفؤاد، فليست بممتنعة عليه - جلَّ وعزَّ.

يدلُّ عليه ما رواه في كتاب التوحيد[1] بسند حسن، عن مُرازِم، عن مولانا الصادق عليه السلام - قال:- سمعته يقول: «رأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله ربَّه - عزّ وجلَّ بقلبه[2]».

وفي رواية أُخرى[3]: «أما سمعتَ الله - عزَّ وجلَّ - يقول: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [١١/٥٣]؟ لم يرَه بالبصر، ولكن رآه بالفؤاد».

وبإسناده[4] عن أبي بصير، عنه عليه السلام - قال:- قلتُ له: «أخبرني عن الله - عزَّ وجلَّ - هل يراه المؤمنون يومَ القيامة»؟ قال: «نعَم، و قد رأوه قبل يوم القيامة». فقلتِ: «متى»؟ قال: «حين قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [١٧٢/٧] - ثمَّ سكتَ ساعةً، ثمَّ قال:- «و إنَّ المؤمنين ليرونه في الدُّنيا قبلَ يوم القيامة؛ ألستَ تراه في وقتك هذا»؟

قال أبوبصير: «فقلتُ له: ـ جُعلت فداك ـ فأُحدِّثُ بهذا عنك»؟

فقال: «لا؛ فإنَّك إذا حدَّثتَ به فأنكره منكِرٌ جاهلٌ بمعنى ما تقول ثمَّ قدَّرَ أنَّ ذلك تشبيهٌ كفر، وليست الرؤيةُ بالقلب كالرؤيةِ بالعين - تعالى الله عمّا يصفُه المشبِّهون والملحِدون».

---

١) التوحيد: الباب السابق، ١١٦، ح١٦. عنه البحار: ٤٣/٤، ح١٩.

٢) في المصدر وكذا المنقول عنه في البحار (٤٣/٤): «رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه عزَّ وجلَّ - يعني بقلبه». والجملة «يعني بقلبه» من كلام الصدوق - ره - على ماهو ظاهر.

٣) التوحيد: الباب السابق: ١١٦، ح١٧. والراوي محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام وليست عن الصادق عليه السلام. عنه البحار: ٤٣/٤، ح١٩.

٤) التوحيد: باب ماجاء في الرؤية: ١١٧، ح٢٠. عنه البحار: ٤٤/٤-٤٥، ح٢٤.

[كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام في التوحيد وتنزيهه سبحانه]

وسئل أميرالمؤمنين عليه السلام هل رأيتَ ربَّك ؟ فقال : أفأعبد ما لا أرى ؟ قيل : وكيف تراه ؟ فقال : لاتدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه الإبصار[١] بحقائق الإيمان » .

وفي رواية أخرى[٢] : « رأيتُه فعرفتُه فعبدتُه ؛ لم أعبدْ ربًّا لم أره » .

وعنه عليه السلام : « مارأيتُ شيئاً إلّا ورأيتُ اللهَ قبلَه » .

وقال عليه السلام[٣] : « ما وحَّده من كيَّفه ، ولا حقيقتَه أصاب من مثَّله ، ولا إيَّاه عنَى مَن شبَّهه ، ولا صمَّده[٤] من أشار إليه وتوهَّمه ؛ كلُّ معروفٍ بنفسه مصنوعٌ ، وكلُّ قائم في سواه معلولٌ ؛ فاعلٌ لاباضطراب آلةٍ ، مقدِّر لابجَولِ فكرَةٍ ، غنيٌّ لاباستفادة ؛ لاتصحبه الأوقاتُ ، ولا ترفده[٥] الأدواتُ .

وقال عليه السلام[٦] مَن شبَّه ربَّنا الجليل بتباين أعضاء خَلقه ، وبتلاحُم[٧] أحقاق مفاصلهم المحتجبة بتدبير حكمته : إنَّه لم يعقد غيبُ ضميره على معرفته ، ولم‌يشاهد قلبُه اليقينَ بأنّه لاندَّ له ؛ وكأنَّه لم يسمع[٨] بتبرِّئ[٩] التابعين من

---

١) في هامش مل : الإبصار بمعنى البصيرة ، لا جمع بصر . في بعض الروايات : ولكن تدركه القلوب...

٢) في التوحيد (١٠٩ ، ح٦) عن الصادق عليه السلام : « جاء حبرٌ إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ، فقال : يا أميرالمؤمنين ، هل رأيتَ ربَّك حين عبدته ؟ فقال : ويلك ، ماكنتُ أعبد ربًّا لم أره . قال : كيف رأيته ؟ قال : ويلك - لاتدركه العيون في مشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان » . البحار : ٤/٤٤ ، ح٢٣ .

٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٦ . عنه البحار : ٧٧/٣١٠-٣١٤ ، ح١٤ .

٤) صمده : قصده .

٥) ترفده : تعينه . وكتب في هامش مل : « الإرفاد : الإعانة - ق » .

٦) التوحيد : باب التوحيد ونفي التشبيه ، ٥٤-٥٦ ، ١٣ . عنه البحار : ٤/٢٧٤-٢٧٦ ، ح١٦ . راجع أيضا نهج البلاغة : الخطبة ٩١ (خطبة الأشباح) .

٧) هامش ر : حقاق جمع حق . يقال لكل عظم مستدير بين عظمين .

٨) في النسختين : لايسمع .

٩) مل : تبرئ .

المتبوعين وهم يقولون: ﴿ تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢٦/٩٧-٩٨].

فمَن ساوى ربَّنا بشيءٍ فقد عدَل به[١]، والعادلُ به كافرٌ بما تنزَّلت[٢] به محكماتُ آياته، و نطقت به[٣] شواهدُ حجج بيّناته؛ لأنّه الله الذي لم يتناه في العقول فيكون في مهبّ فكرها مكيَّفا، وفي حواصل رويّات هِمم النفوس محدودا مصرّفا[٤]؛ المنشيءُ أصنافَ الأشياءِ بلارويَّة احتاج إليها، ولاقريحة غريزة أضمرَ عليها، ولا تجربة أفادها من مرِّ حوادث الدهور، ولاشريك أعانه على ابتداع عجائب الأُمور.

الذي لمّا شبَّهه العادلون بالخَلق المنغصّ[٥] المحدود في صفاته، ذي الأقطار والنواحي المختلفة في طبقاته - وكان عزَّوجلَّ الموجود بنفسه لابآياته - انتفى أن يكون قدَّروه حقَّ قدْرِه، فقال تنزيها لنفسه عن مشاركة الأنداد، وارتفاعا عن قياس المقدِّرين له بالحدود من كَفَرة العباد: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٣٩/٦٧].

فَما دلَّكَ القرآنُ عليه من صفتِه فاتَّبِعه ليوصل بينك وبين معرفته، فأْتَمَّ به واستضئ بنور هدايته، فإنَّها نعمةٌ وحكمةٌ أُوتيتَها، فخذْ ما أُوتيتَ وكنْ من الشاكرين؛ وما دلَّك الشيطانُ عليه - ممَّا ليس في القرآن عليك فرضُه، ولا في سُنَّة الرسول وأئمّةِ الهدى أثرُه - فكِلْ علمَه إلى الله عزَّوجلَّ؛ فإنَّ ذلك منتهى حقِّ الله عليك.

---

١) هامش ر: العادل بالله: الجاعل لله عديلا.
٢) المصدر: نزلت به. وتحتمله قراءة النسخة أيضا.
٣) مل ن خ: عنه.
٤) ر:- مصرفا.
٥) غصّ بالطعام: اعترض في حلقه. وغص المكان به: ضاق عليه. والذي يظهر أن الصحيح مافي المصدر: المبعّض. وكتب في هامش ر: «انغص الله عليه ونغصه عليه: كدره - ق» (ق رمز للقاموس المحيط).

واعلم أنَّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم اللهُ عن الاقتحام[١] في السدُد المضروبة دون الغيوب، فلزموا الإقرارَ بجملة ماجهلوا تفسيرَه من الغيب المحجوب، فقالوا : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [٧/٣] ؛ فمدحَ اللهُ اعترافَهم بالعجز - عن تناول مالم يحيطوا به - علما، وسمّى تركَهم التعمُّقَ - فيما لم يكلِّفهم البحثَ عنه - : رُسوخا ؛ فاقتصِرْ على ذلك، ولا تقدِّر عظمةَ اللهِ على قدْر عقلِك، فتكون من الهالكين. . . ».

وكلماته ﷺ في تنزيه الله عزّ وجلّ وتقديسه وتوحيده وتمجيده كثيرة، وقد أوردنا قدرا صالحا منها في كتابنا المسمّى بعلم اليقين، وأما هنا فلنقتصر منها على ما ذكر، وسنشير إلى نبذ آخر فيما بعد، إن شاء الله.

تنبيه فيه نور[٢]
[التنزيه والتشبيه]

قد دلَّت العقولُ السليمةُ والأفهامُ المستقيمةُ على تنزيهه - سبحانه - عمّا لايليقُ بجنابه المقدَّس ؛ مثل الجسميَّة والصورة والحركة والانتقال والحلول والاتّحاد، وكونه محلاّ للحوادث، أو في جهة أو مكان أو زمان، وكونه مرئيًا، أو مدرَكا بشيء من الحواسّ، أو مكتنها[٣] بشيء من العقول - وغيرذلك من النقائص التي هي من صفات الممكنات والمعلولات.

بل نقول : إنّه سبحانه منزّه عن كلّ وصف من أوصاف الكمال، الذي يظنّه أكثرالخلق، لأنّ الخلق إنّما يصفونه بماهو كمال في حقّهم، والله تعالى منزّه عن أوصاف كمالهم، كما أنّه عزّ وجلّ منزّه عن أوصاف نقصهم، وكلّ صفة يصفه به الخلق ممّا يدركه حسّ أو يتصوّره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يفضي به فكر : فهو مقدّس عنها وعمّا يشبهها ويماثلها، ولولا ورود

---

١) في هامش النسخة : الاقتحام : الدخول في الشيء بشدة وصعوبة. والسدد : الحجب.
٢) ر : فيه رموز.
٣) مل : مكنها.

الرخصة والإذن بإطلاقها لم يجز إطلاق أكثرها[١] .

قال باقر العلوم – صلوات الله عليه –[٢] «هل سمّي عالما وقادرا إلّا[٣] لأنّه وَهَب العِلمَ للعلماء والقدرةَ للقادرين ؟ وكلُّ ما مَيَّزتموه بأوهامكم في أدقِّ معانيه مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم ، مردودٌ إليكم ، والباري تعالى واهبُ الحياة ومقدِّر الموت ؛ ولعلَّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله تعالى زُبانيّين – فإنّهما كمالها – وتتصوَّر أنَّ عدمهما نقصان لمن لايكونان له ؛ هكذا[٤] حال العقلاء فيما به يصفون[٥] الله تعالى فيما أحسب ، و إلى الله المفزع »[٦] .

---

١) هامش ر :

هرچه در خاطرت آيد كه چنانم نه چنانم — هرچه درفهم توگنجد كه من آنم نه من آنم
هرچه درفهم تو گنجد همه مخلوق بود آن — بحقيقت تو بدان بنده كه من خالق آنم

ای برتر از خيال و قياس و گمان و وهم — وز هرچه گفته ايم وشنيديم و ديده ايم
مجلس تمام گشت و به آخر رسيد عمر — ما همچنان در اول وصف تو مانده ايم

اين مدعيان در طلبش بی خبرانند — آنرا كه خبر شد خبری باز نيامد

بخطه ره.

٢) لم أعثر على الرواية في الجوامع الروائية – وإن كان مضمونها يشهد بصدورها عن معادن الحكمة وأهل بيت الوحي – ولعل أقدم من استشهد بها الخواجة نصيرالدين الطوسي قده في رسالة شرح مسألة العلم (المسألة الخامسة عشرة، ٤٣) حيث قال : «... ونعم ماقال عالم من أهل بيت النبوة ﷺ: هل يسمى قادرا...». ونقل منه المحقق السيد الداماد في القبسات : أواخر القبس الثامن : ٣٤٣. والرواشح السماوية : ١٩. وقد نسبه الشيخ البهائي في شرح الأربعين (شرح الحديث الثاني : ٨١) إلى الباقر عليه السلام.

٣) مل :– الا. ٤) مل : وهكذا. ٥) مل : فيما يصفون.

٦) في هامش ر : «مراده ع أنّ الله عزّ وجلّ منزّه عن كلّ وصف من أوصاف الكمال، الذي يظنّه أكثرالخلق، لأنّ الخلق إنّما يصفونه بماهو كمال في حقّهم، والله تعالى منزّه عن أوصاف كمالهم، كما أنّه عزّ وجلّ منزّه عن أوصاف نقصهم، وكلّ صفة نصفه به الخلق ممّا يدركه حسّ أو يتصوّره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يفضي به فكر؛ فهو مقدّس عنها وعمّا يشبهها، ولولا ورود الرخصة والإذن بإطلاقها لم يجز إطلاق أكثرها؛ فـ﴿ سُبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَ سَلامٌ عَلَى ٱلمُرسَلِينَ * وَ ٱلحَمدُ لله رَبِّ ٱلعالَمِينَ ﴾ [٣٧/١٨٠-١٨٢] – منه».

تنوير

[اتّصافه تعالى بما يوهم التشبيه]

وأمّا اتّصافه - عزّ وجلّ - بما يوهم التشبيه ممّا ورد في الكتاب والسنّة، فإنّما ذلك من حيث أسمائه وصفاته ومعيّته للأشياء، لا من حيث ذاته بما هي هي؛ فهو جلّ جلاله من حيث ذاته منزّه عن التنزيه، كما أنّه منزّه عن التشبيه؛ وأمّا من حيث مراتب أسمائه وصفاته ومعيّته للأشياء وقربه منها، فيتّصف بالأمرين من غير فرق، لأنّ له في كلّ عالم من العوالم مظاهر ومرائي ومنازل ومعالم يعرف بها، كما قال - عزّ اسمه - في الحديث القدسيّ[1] : «لايزال العبدُ يتقرّب إليّ بالنوافل، حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي[2] يبطش بها... » - الحديث.

وقال - عزّ وجلّ - في حديث آخر[3] : «يا موسى، مرضتُ فلم تعدني، واستطعمتُ فلم تطعمني[4] ».

وفي كتاب التوحيد[5] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام في قوله - سبحانه - : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [٤٣/٥٥] :

---

١) البخاري: الرقاق، باب التواضع، ١٣١/٨. وجاء في التوحيد (باب أنّ الله لايفعل بعباده إلا الأصلح: ٤٠٠): «...ولايزال عبدي يتنفّل لي حتّى أُحبّه، ومتى أحببتُه كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا...». راجع ألفاظه المختلفة في كنز العمال: ٢٢٩/١-٢٣١، ح١١٥٥-١١٦١.

٢) مل: الذى.

٣) لم أعثرعلى الحديث خطابا لموسى. ولكنه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله عزوجل يقول: ابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال مرض فلان عبدي ولو عدتّه لوجدتني عنده؛ واستسقيتك فلم تسقني... واستطعمتك فلم تطعمني...». أمالي الطوسي: ٦٣٠، المجلس ٣٠، ح٩. عنه وسائل الشيعة: ٤١٧/٢، ح٢٥١٩. ومثله في مسلم: ١٩٩٠/٤، كتاب البر والصلة، ح٤٣. كنز العمال: ٨٢٤/١٥، ح٤٣٢٧٧.

٤) مل: فلاتطعمني.

٥) التوحيد: باب معنى رضاه عزّ وجلّ وسخطه: ١٦٨، ح٢. مع فروق يسيرة. معاني الأخبار: باب معنى رضى الله عزّ وجلّ وسخطه، ١٩، ح٢. عنهما البحار: ٦٥/٤، ح٦.

« إنَّ الله - سبحانه - لا يأسف كأسفنا، ولكنَّه خَلَقَ أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مربوبون[١] ، فجعل رضاهم رضا نفسِه وسخطَهم سخطَ نفسِه، لأنَّه جعلهم الدُعاة إليه، والأدلَّاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس ذلك[٢] يَصل إلى الله كما يَصِل إلى خلقه، لكن هذا معنى ماقال من ذلك. وقد قال: «من أهانَ لي وليًّا فقد بارَزني بالمحاربة و دعاني إليها». وقال: ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [٤/٨٠] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [٤٨/١٠]. فكلُّ هذا وشِبهه على ما ذكرتُ لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء، مما يُشاكل ذلك.

ولوكان يَصِلُ إلى المكوِّن الأسفُ والضجرُ - وهو الذي أحدثَهما وأنشأهما - لجاز لقائل أن يقول: إنَّ المكوِّنَ يبيدُ يوما، لأنَّه إذا دخله الضجْر والغضب دخله التغيير، و إذا دخله التغيير لم يؤمَن عليه بالإبادة، ولو كان ذلك كذلك، لم يُعرف المكوِّنُ من المكوَّن، ولاالقادرُ من المقدور، ولا الخالقُ من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علوًّا كبيرا.

هو الخالقُ للأشياء لالحاجةٍ، فإذا كان لالحاجةٍ استحال الحدُّ والكيفُ فيه - فافهم ذلك إن شاء الله ».

أقول: قد ذكرنا في كتابنا الموسوم بـ« **عين اليقين** » أصولا مَن أحكَمها عرف أنّ كلّ ما ورد من الآيات والأخبار في التنزيه والتشبيه فهو محمول على ظاهره من غير تأويل ولا تعطيل، مع أنّه سبحانه منزّه عن الأمرين جميعا.

قال صاحب الفتوحات[٣] :

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيّدا	وإن قلت بالتشبيه كنت محدّدا
وإن قلت بالأمرين كنت مسدّدا	وكنت إماما في المعارف سيّدا

---

١) المصدر: مدبرون.

٢) المصدر: ذلك أن.

٣) فصوص الحكم: ٧٠، الفص النوحي.

نورٌ

[الله تعالى قديم]

لايجوز على الله - سبحانه - العدم بوجه من الوجوه، لإنّه لوكان ممكن العدم لكان ممكن الوجود، ولم يترجّح تحقّقه من نفسه - على مادريت في الأصول - بل بمرجّح، فلم يكن غنيّا بالذات - هذا خلف -.

وأيضا: الشيء لايقتضي عدمَ نفسه، و إلاّ [لـ]ماتحقّق.

وهو - سبحانه - وحدانيٍّ لاشرط له في ذاته، وما سواه تابعٌ؛ و إذ لاشرط له ولامضادَّ له[1]، فلامبطل له؛ فهو إذن قيُّومٌ دائمٌ. لايقال له: «متىٰ؟»، ولايضرب له أمد بـ «حتّىٰ».

سئل مولانا الباقر عليه السلام[2] عن الله: «متى كان؟» فقال: «متىٰ لم يكن، حتّىٰ أُخبركَ: متىٰ كان؟ سبحان من لم‌يزل ولايزال فردا، صمدا، لم يتّخذ صاحبة ولاولدا».

وعن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام[3]: «إنّما يقال: «متىٰ كان؟» لِما لم يكن؛ فأمّا

---

١) كتب في هامش ر وفي آخره: «بخطه الشريف»

بـرى ذاتـش از تهمت ضـد وجنـس   غنى ملكش از طاعت جن و انس

٢) السائل: نافع بن الأزرق. كما في الكافي (كتاب التوحيد، باب الكون والمكان: ٨٨/١، ح١). وفي روضة الكافي (١٢٢، ح٩٣) عن نافع مولى عمربن الخطاب. ومثله في الاحتجاج (احتجاج أبي محمد الباقر عليه السلام في شيء مما يتعلق بالأصول والفروع: ١٦٦/٢). ورواه الصدوق - أيضا- في التوحيد (باب نفي المكان: ١٧٣، ح١) و فيه: «... ويلك! أخبرني أنت متى لم يكن...». البحار عنه وعن تفسيرالقمي: ٢٨٤/٣، ح٣. وجاء مايقرب من الرواية عن الرضا عليه السلام أيضا في الكافي: كتاب التوحيد، باب حدوث العالم، ٧٨/١، ح٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: باب ماجاء من الأخبار في التوحيد، ١٣٢/١، ح٢٨. البحار: ٣٧/٣، ح١٢. وعن أميرالمؤمنين عليه السلام في التوحيد: باب التوحيد ونفي التشبيه، ٧٧، ح٣٣.

٣) الكافي: باب الكون والمكان: ٩٠/١، ح٥. ومايقرب منه أيضا في التوحيد: الباب السابق، ١٧٤، ح٣، وأمالي الصدوق - قده -: المجلس السادس والتسعون، ٧٦٩، ح١. والاحتجاج: احتجاجه عليه السلام فيمايتعلق بتوحيد الله وتنزيهه...: ٤٩٦/١. والسائل حبر من الأحبار. البحار: ٢٨٣/٣، ح١.

ماكان، فلايقال: «متى كان؟»؛ كان قبل القبل بلاقبل. و بعد البعد بلابعد، ولامنتهى غاية لتنتهي غايته».

وقال أيضا[١] : «سبقَ الأوقاتَ كونُه، والعدمَ وجودُه، والابتداءَ أزلُه».

أنوارٌ شَرعيّةٌ

[وما قدروا الله حقّ قدره]

قال النبيّ ﷺ[٢] : «تفكّروا في آلاء الله، ولا تفكّروا في الله، فإنّكم لن تقدِّروا قدرَه».

وقال أيضا[٣] : «ما عرفناك حقّ معرفتك».

وفي الكافي عن مولانا الباقر عليه السلام[٤] : «تكلّموا في خلق الله، ولا تتكلّموا في الله، فإنَّ الكلامَ في الله لايزداد صاحبَه إلاّ تحيُّرا».

وفي رواية أُخرى[٥] : «تكلّموا في كلِّ شيءٍ، ولاتتكلّموا في ذات الله».

وبإسناده الصحيح عن مولانا الصادق عليه السلام[٦] :«إنَّ الله [عزّوجلّ] يقول:

---

١) الكافي: كتاب التوحيد، باب جوامع التوحيد: ١٣٩/١، ح٤. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٤. التوحيد: باب حديث ذعلب، ٣٠٨، ح٢. البحار: ٣٠٥/٤، ح٣٤.

٢) أخرج الطبراني في المعجم الأوسط (١٧٢/٧، ح٦٣١٥): «تفكروا في آلاء الله ولاتفكروا في الله». ومثله في الكامل لابن عدي (ذكر وازع بن نافع العقيلي، ٩٥/٧). و كنز العمال: ١٠٦/٣، ح٥٧٠٧.
وحكى السيوطي في الجامع الصغير (باب التاء: ١٣٢/١) عن أبي الشيخ: «تفكّروا في الخلق ولا تفكّروا في الخالق، فإنّكم لاتقدِّرون قدره». الجامع الكبير: ١١١/٤-١١٢، ح١٠٥٠٣-١٠٥٠٧. كنزالعمال: ح٥٧٠٦.

٣) عوالي اللئالي: ١٣٢/٤، ح٢٢٧.

٤) الكافي: باب النهي عن الكلام في الكيفية: ٩٢/١، ح١.

٥) الكافي: الصفحة السابقة، ح١.

٦) الكافي: الصفحة السابقة، ح٢. تفسير القمي: في تفسيرالآية ٤٢/٥٣: ٣٤٨/٢. عنه البحار: ٢٥٩/٣، ح٦. المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، باب جوامع من التوحيد: ٢٣٧/١، ح٢٠٦. عنه البحار: ٢٦٤/٣، ح٢٢. وعن تفسيرالنعماني: ٩٠/٩٣.

﴿ وَ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنْتَهَىٰ ﴾ [٤٢/٥٣] فإذا انتهى الكلام إلى الله تعالى فامسكوا».

وبإسناده عنه ﷺ[١] : «ابن آدم - لو أكل قلبَك طائرٌ لم يُشبعه، وبصرُك، لو وُضع عليه خرق إبرةٍ لغطّاه؛ تريدُ أن تعرفَ بها ملكوتَ السماوات والأرض ؟! إن كنتَ صادقا، فهذه الشمسُ - خَلقٌ من خَلق الله - فإن قَدَرتَ أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول».

تمثيل

قال **صاحب الفتوحات**[٢] : «إذا أدرك الإنسانُ صورتَه في المرآة يعلم قطعا أنَّه أدرك صورتَه بوجهٍ، وأنَّه ما أدركَ صورتَه بوجهٍ، لِما يراه في غاية الصِغر - لصِغَر جرم المرآة - أو الكبر - لعِظَمه - ولايقدر أن ينكِر أنَّه رأى صورتَه، ويعلم أنَّه ليس في المرآة صورتُه، ولا هي بينه وبين المرآة؛ فليس بصادقٍ ولاكاذب في قوله: «رأى صورتَه»، و: «مارأى صورتَه». فما تلك الصورةُ المرئيَّةُ ؟ ومن محلُّها[٣] ؟ وماشأنُها؟ فهي منفيَّةٌ ثابتة، موجودةٌ معدومةٌ، معلومةٌ مجهولةٌ؛ أظهرَ سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضربَ المثال، ليعلم ويتحقَّق أنَّه إذا عجَز وحارَ في درك حقيقة هذا - وهو من العالَم - ولم يحصِّل علما بحقيقته: فهو بخالقها إذن أعجز وأجهل، وأشد حيرة». - انتهى كلامه -

وفي هذا قيل:

قد تحيّرتُ فيكَ خذ بيَدى	يا دليلا لمن تحيَّر فيك

وأنشد بعضُ العلماء:

اعتصامُ الوَرىٰ بمغفرتك	عجزَ الواصفونَ عن صفتِك
تُبْ علينا فإنَّنا بشرٌ	ما عرفناكَ حقَّ معرفتك

---

١) الكافي: الباب المذكور: ٩٣/١، ح٨.
٢) الفتوحات المكية: الباب الثالث والستون: ٣٠٤/١ ملخصا.
٣) المصدر: وما محلها.

في صفاته العليا سبحانه وتعالى

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

[١٨٠/٣٧]

نور

[إنه تعالى كامل بالذات ومصدر كل كمال]

قد ثبت في محلّه أنّ كلّ كمال للموجود بماهو موجود[١] فلابدّ وأن ينتهي إلى كامل بالذّات في ذلك الكمال، وكلّ كامل بالذات - في كمال مّا - يجب أن يكون غنيّا بالذات في ذاته، إذ لوافتقر في ذاته إلى الغير لافتقر في كماله أيضا إلى ذلك الغير - وهو ظاهر -.

وقد دريت أنّ الغنيّ بالذّات في ذاته واحد، فجميع الكمالات ينتهي إليه. فله - سبحانه - من كلّ متقابلين للموجود - بما هو موجود - أشرفهما - على وجه يليق بجلاله - وكلّ متقابلين يكونان كلاهما صفة كمال للموجود - بما هو موجود - فكلاهما ثابتان له - سبحانه - على الوجه الأكمل، كالنعوت الجلاليّة والجماليّة، المعبّر عنهما في القرآن المجيد بقوله - سبحانه -: ﴿ ذُوٱلجَلالِ وَٱلإِكْرَام ﴾ [٢٧/٥٥]؛ مثل اللطف والقهر، والرحمة والغضب، والرضا والسخط - وغير ذلك - ولا يكاد أن يخلوان عن اشتراك مّا؛ فإنّ

---

١) في هامش النسختين:
«إنما قيّدنا الكمال بالموجود (ر: للموجود) بكونه «كمالا له بماهو موجود» لأنه يثبت بعض الكمالات لبعض الموجودات لا من هذه الحيثية، بل من حيثيات أخرى كالصلابة للجسم، و الكرويّة للشكل - إلى غير ذلك - و لايلزم فيها الانتهاء إلى كامل بالذات، و لايصحّ أيضا اتّصاف الله تعالى بشيء منها - فافهم - منه (ر: ره/ مل: سلمه الله).

تحت كلّ جمالٍ جلالا ـ كالهيمان الحاصل من الجمال الإلهيّ من انقهارالعقل منه وتحيّره فيه ـ وتحت كلّ جلالٍ جمال كاللطف المستور في القهر الإلهيّ ؛ كما قال - تعالى - ﴿ وَ لَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾ [١٧٩/٢].

و قال مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام[١] : « سبحان من اتّسعت رحمتُه لأوليائه ، في شدّة نقمته ، واشتدّت نقمته لأعدائه في سعة رحمته ».

ومن هنا يُعلم سرُّ قول نبيّنا صلّى الله عليه وآله[٢] : « حُفَّت الجنّةُ بالمكاره وحُفّت النارُ بالشهوات ».

تنوير

[اتّصافه - سبحانه - بصفات الجلال والجمال]

ليس اتّصافه - سبحانه - بكلتي المتقابلتين بالذّات ؛ كيف وهما متباينتان ، وهو سبحانه أحديُّ الذات ، بسيطُ الحقيقة .

بل اتّصافه بالذات ليس إلا بالصفات الجماليّة ؛ وأمّا الجلاليّة فإنّما يتّصف بها بالإضافة ، فإنَّ للوجود درجات بعضها فوق بعض ؛ فكلّ ما هو أقرب إليه سبحانه فآثار صفات الجمال عليه أغلب ، وظهورها فيه أكثر ؛ وكلّ ما هو أبعد منه فهو بخلاف ذلك[٣] .

فالمغضوبُ عليه إنّما هو مغضوبٌ عليه بالإضافة إلى ما درجته أعلى منه ، وليس بمغضوب عليه على الإطلاق ، كيف - ورحمتُه - سبحانه - وسعتْ كلَّ شيءٍ ، فإنَّ أصل الوجود رحمة . وكذلك القهر والبُغض والكراهة - ونظائرها -

---

١) في نهج البلاغة (الخطبة : ٩٠):«الحمد لله المعروف من غير روية... هو الذي اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته، واتّسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته».

٢) في نهج البلاغة (الخطبة : ١٧٦): «فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يقول: إنّ الجنة حفّت بالمكاره و إنّ النار حفّت بالشهوات». عنه البحار: ٧٨/٧٠.

مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، الحديث الأول: ٢١٧٤/٤.

٣) في هامش (ر) معلما عليه بعلامة «بخطه ره»

هرچه هست ازقامت ناساز بی اندام ماست ورنه تشريف تو بربالای کس کوتاه نيست

فإنّها ليست بالنسبة إلى موجود مّا على الإطلاق لأن الوجود كلّه محبوب ومراد، وهو خيرٌ كلّه كما دريت. وأمّا سرّ هذا الاختلاف والتفاوت فينكشف[١] فيما بعد - إن شاء الله -.

ومن هنا يظهر معنى قوله ﷺ[٢] : «سَبَقَت رَحمتُه غضبَه» - فافهم.

أنوارٌ

[كمالاته تعالى عين ذاته]

و لمّا كانت كمالاته - سبحانه - ذاتيّة، فهي جميعا حاصلة له بالفعل دائما، وإلا لافتقر إلى مخرج لها من القوّة إلى الفعل - فلم تكن ذاتيّة - وللزم التركُّب[٣] في ذاته - تعالى - من جهتي قوّة وفعلٍ - هذا خلف.

و يجب أن يكون جميعا عين ذاته وجودا و عينا و فعلا و تأثيرا ؛ بمعنىٰ أنّ ذاته يترتَّب عليه آثار جميع الكمالات، ويكون مبدءا لانتزاعها عنه، ومصداقا لحملها عليه، و إن كانت هي غيره بحسب المعنى والمفهوم ؛ وذلك لجواز أن توجد الأشياء المختلفة والحقائق المتبائنة بوجود واحد[٤] .

و إنَّما قلنا بوجوب كونها عينه - تعالىٰ - بهذا المعنى لأنّها لوكانت زائدة على ذاته - تعالى - وجودا لافتقر إليها في حدّ ذاته، فلا يكون غنيّا بالذات من جميع الجهات - هذا خلف.

وأيضا : لو كانت زائدة على ذاته، لزم أن يكون في حدّ ذاته ناقصا، فلايكون غير متناهٍ في التماميَّة - هذا خلف.

---

١) ر: فسينكشف.

٢) أخرج البخاري (كتاب التوحيد، باب لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، ١٦٥/٩): «إنَّ رسول الله ﷺ قال: لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه: إنَّ رحمتي سبقت غضبي» راجع مايقرب منه أيضا في مسلم كتاب التوبة: باب سعة رحمة الله تعالى، ٢١٠٧/٤ - ٢١٠٨، ح١٤-١٦.

٣) ر: التركيب.

٤) في هامش مل: «هذا بناء على أنّ الوجود هوالأصل والماهيّات تابعة - منه سلمه الله».

وأيضا : لوكانت زائدة على ذاته، فلا تخلو إمّا أن تكون مستندة إلى غيره - كيف، وليس وراءه شيء ؟ ! - أو إلى ذاته - كيف، ومفيضُ الكمال لايكون قاصرا عنه ؟ !-.

وأيضا : فيضانها من ذاته على ذاته تستدعي جهة أشرف ممّا عليه ذاته، فيكون ذاتُه أشرف من ذاته - وهذا محال -... كذا قيل[1] .

أقول : ويلزم أن يكون ذاته من حيث هو بلا كمال أشرف منه من حيث هو كامل، لأنّه بالاعتبار الأوّل مفيضٌ وبالاعتبار الثاني مستفيضٌ - وهذا أشنع ! ونزيد في الإيضاح :

نورٌ

[الواجب تعالى واجد كل كمال ومفيضه]

وكما أنّ[2] مفيض الوجود ليس مسلوب الوجود في مرتبة، فكذلك واهب الكمال لايجوز أن يكون ممنوًّا في حدِّ ذاته، إذ المُفيض لامحالة أكرم وأعلى وأمجد من المُفاض عليه.

فكما أنَّ في الوجود وجودا قائما بالذات، غير متناهٍ في التأكُّد - و إلّا لم يتحقَّق وجودٌ بالغير - فكذلك يجب أن يكون في العلم علمٌ متأكّد قائمٌ بذاته، وفي الاختيار اختيارٌ قائمٌ بذاته، وفي القدرة قدرة قائمة بذاتها، وفي الإرادة إرادة قائمة بذاتها، وفي الحياة حياةٌ قائمة بذاتها ؛ حتّىٰ يصحَّ أن يكون هذه الأشياء في شيءٍ لابذواتها - بل بغيرها -[3]

فإذن : فوق كلّ ذي علم عليمٌ، وفوق كلّ ذي قدرةٍ قديرٌ، و فوق كلِّ ذي سمعٍ سميعٌ، وفوق كلّ ذي بُصرٍ بصيرٌ- إلىٰ غيرذلك من صفات الكمال.

---

١) مقتبس من الأسفار الأربعة : الفصل الرابع من الموقف الثاني من السفر الثالث، ١٣٤/٦. والمبدء والمعاد : ٧٢.

٢) راجع المبدء والمعاد : ٧٢.

٣) راجع التعليقات لابن سينا : ٥٢.

ويجب أن يكون جميع ذلك واحدا حقيقيّا، لامتناع تعدّد الغنيّ بالذات؛ فهو الله سبحانه كما قيل[١] : « وجودٌ كلّه، وجوبٌ كلُّه، علمٌ كلّه، قدرةٌ كلّه، حياةٌ كلُّه ؛ لا أنّ شيئا منه علمٌ، وشيئا آخر قدرةٌ - ليلزم التركيب في ذاته - ولا أنّ شيئا منه علمٌ وشيئا آخر منه قدرة[٢] ، ليلزم التكثّر في صفاته الحقيقيّة - ».

يعني أنّ ذاته بذاته - من حيث هو هو، مع كمال فرديّته - منشأ لهذه الصفات، ومستحقٌّ لهذه الأسماء؛ لابحيثيّة أُخرى وراء حيثيّة ذاته. وليس هو لأجل اتّصافه بها ذامعانٍ متميّزة، متخصّصة بأسماء متعدّدة؛ بل كما أنّا نقول لكلّ واحد من موجودات العالم: «إنّه معلومه، ومقدوره، ومراده» من غيرأن نثبت فيه معانٍ شتّىٰ: فكذلك نَصِفُ موجِدَه بالعلم والجود والإرادة، مع كونه أحديّا فردا، بل كلّ صفة من صفاته عين صفته الأُخرىٰ وجودا، وما ندركه بصفةٍ، يدركه بجميع الصفات، إذ لااختلاف هناك. ونعم ما قيل:

عباراتُنا شتّىٰ وحسنُك واحد و كلٌّ إلى ذاك الجمال يُشير[٣]

---

١) نسبه صدرالمتألهين - قده - في الأسفار (١٢١/٦) إلى الفارابي، ولم أعثر على النص فيما عندي من كتبه، والأظهر أن المؤلف حكاه عنه اعتمادا على ما أورده استاده - قدس سرهما - ولعل ما أورده صدرا أيضا نقل بالمعنى.

٢) ر: ولا أن شيئا فيه علم وشيئا آخر فيه قدرة.

٣) في هامش النسختين: في نهج البلاغة [الخطبة الأُولى] عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمالُ الإخلاصِ له نفيُ الصفاتِ عنه؛ لشهادة كلّ صفةٍ أنّها غير الموصوف، و شهادةِ كلّ موصوفٍ أنّه غيرالصفة؛ فمن وصفَ اللهَ - سبحانه - فقد قرَنَه، ومن قرَنَه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله [ومن جهله فقد أشار إليه] ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه؛ ومن قال: «فيمَ» فقد ضمّنه، ومن قال: «علامَ» فقد أخلى منه.

كائنٌ لاعن حدَث، موجودٌ لاعن عدم؛ مع كلّ شيءٍ لابمقارنةٍ وغير كلّ شيءٍ لابمزايلةٍ؛ فاعلٌ لا بمعنى الحركات و الآلة، بصيرٌ إذ لامنظور إليه من خلقه، متوحّد إذ لاسكن يستأنس به ولايستوحش لفقده.

أنشأ الخَلْق إنشاءً، وابتدء (ر: وابتدأها) ابتداءً، بلارويّة أجالها، ولاتجربة استفادها،←

أنوار شرعية

[كيف تنعت الله تعالى]

روي في كتاب التوحيد[١] : بإسناده الصحيح، عن هشام بن سالم، قال : «دخلتُ على أبي عبدالله ﷺ، فقال لي : «أتنعت اللهَ» ؟ قلت : «نعم». قال : «هات». فقلت : « هوالسميع البصير».

قال : «هذه صفةٌ يشترك فيها المخلوقون». قلت : «فكيف تنعته [٢] »؟

فقال : «هو نورٌ لاظلمة فيه، وحياةٌ لاموت فيه، وعلمٌ لاجهل فيه، وحقٌ لاباطل فيه». فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد».

وبإسناده عن مولانا الصادق ﷺ[٣] - قال : - «هو نورٌ ليس فيه ظلمةٌ، وصدقٌ ليس فيه كذبٌ، وعدلٌ ليس فيه جورٌ، وحقٌ ليس فيه باطلٌ».

وقال أبوه الباقر ﷺ[٤] : «سميعٌ بصيرٌ يسمع بمايبصر ويبصربمايسمع». و إنّه «واحد [أحد صمد][٥] أحديّ المعنى، ليس بمعانٍ كثيرة مختلفة».

نور

[رجوع الإضافات والسلوب فيه تعالى إلى إضافة وسلب واحد]

وكذلك لايجوز أن يلحقه سبحانه إضافاتٌ مختلفةٌ توجب اختلاف

ولاحركة أحدثها، ولاهمامة نفس اضطرب فيها؛ أحال الأشياء لأوقاتها، ولاءَمَ بين مختلفاتها، وغرَّز غرائزَها، وألزمها أشباحَها؛ عالما بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها وانتهائها؛ عارفا بقرائنها وأحنائها». وسيأتي ذكرهذا الحديث في هذا الكتاب (مل: منه أدام الله فيضه).

١) التوحيد: باب صفات الذات و صفات الأفعال، ١٤٦، ح١٤. البحار: ٧٠/٤، ح١٦ .

٢) مل: ننعته.

٣) التوحيد: باب القدرة: ١٢٨، ح٨. البحار: ٣٠٦/٣، ح٤٤.

٤) التوحيد: باب صفات الذات و صفات الأفعال: ١٤٤ ، ح٩. عنه البحار: ٦٩/٤، ح١٤. ورواه أيضا صاحب الكافي: باب صفات الذات، ١٠٨/١، ح١.

٥) إضافة من الكافي والتوحيد.

حيثيّات فيه، بل له إضافةٌ واحدةٌ - هي المبدئيّة - تُصحّح جميعَ الإضافات، كالرزاقيّة والمصوّريّة ونحوهما.

ولاسلوب كذلك، بل له سلبٌ واحدٌ يتبعه جميعُها، وهو سلب الفقر؛ فإنّه يدخل تحته سلبُ الجسميَّة والعرَضيّة وغيرهما؛ كما يدخل تحتَ سلب الجماديَّة من الإنسان سلبُ الحجَريّة والمدرَيَّة عنه.

نورٌ

[نسبته تعالى إلى جميع ماسواه نسبة واحدة]

ثمّ إنّ نسبةَ ذاته - سبحانه - إلى ما سواه من الفاقرات، تمتنع أن تختلف بالمَعيّة واللامَعيّة، والإفاضة واللا إفاضة؛ و إلّا فيكون بالفعل مع بعضٍ، وبالقوّة مع آخرين؛ فتتركّب ذاتُه من جهتَي فعلٍ وقوّةٍ، وتتغيّر صفاتُه حسب تغيُّر المتجدِّدات المتعاقبات - تعالى عن ذلك.

بل نسبةُ ذاته - التي هي فعليّةٌ صرفةٌ وغناءٌ محض من جميع الوجوه - إلى الجميع - و إن كان من الحوادث الزمانيَّة - نسبةٌ واحدةٌ إيجابيّةٌ، ومعيَّةٌ قيُّوميّةٌ ثابتةٌ غيرُ زمانيَّة ولامتغيّرة أصلاً.

والكلُّ عنده واجباتٌ، وبغنائه بقدر استعداداتها مستغنياتٌ، كلٌّ في وقته ومحلّه وعلى حسب طاقته؛ و إنّما إمكانها وفقرها بالقياس إلىٰ ذواتها وقوابل ذواتها، وليس هناك إمكانٌ وقوّةٌ ألبتة.

فالمكان والمكانيّات بأسرها - بالنسبة إليه سبحانه - كنقطة واحدة في معيَّة الوجود ﴿وَٱلسَّمٰوٰتُ مَطوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [٦٧/٣٩].

والزمان والزمانيّات بآزالها وآبادها كآنٍ واحدٍ عنده في ذلك[1].

---

١) هامش ر: «ربمايمثّل ذلك بما أذا أخذت امتدادا مختلف الأجزاء في اللون - كخشب مثلا اختلف اللون في أجزائه - ثمّ أمررته في محاذاة ذرّة أو غيرها - مما يضيق حدقته عن الإحاطة بجميع ذلك الامتداد - فإنّ تلك الألوان المختلفة متعاقبة في الحضور لديها -لضيق نظرها - متساوية في الحضور لديك لقوة إحاطتك - بخطه ره».

«جفَّ القَلمُ بما هو كائنٌ»[1] .

«ما من نسمةٍ كائنةٍ إلى يوم القيامة إلّا وهي كائنةٌ»[2] .

والموجودات كلّها - بشهاديّاتها وغيبيّاتها - كموجود واحد في الفيضان عنه ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [٢٨/٣١] ؛ و إنّما التقدّم والتأخّر، والتجدّد والتصرّم، والحضور والغيبة، في هذه كلّها بقياس بعضها إلى بعض وفي مدارك المحبوسين في مطمورة الزمان، المسجونين في سجن المكان، لاغير ؛ و إن كان هذا لمّا يستغربه الأوهامُ.

وأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٢٩/٥٥] فهو - كما قاله بعض العلماء - : «إنّها شؤون يُبديها، لاشؤون يبتديها» - فافهم.

نور

[نسبة علمه تعالى إلى الحاضر والغائب سواء]

قد ظهر ممّا ذُكر أنّ إلهيّته تعالى ثابتةٌ له في الأزل، وهو تامُّ الفاعليّة فيه ؛ وكذلك عالميّته وسمعه وبصره وغير ذلك من الصفات. فإنّه سبحانه أدرك الأشياء جميعا إدراكا تامّا، وأحاط بها إحاطةً كاملةً، فهو عالمٌ بأنّ أيّ حادث يوجد في أيّ زمانٍ منَ الأزمنة، وكم يكون بينه وبين الحادث الذي بعده أو قبله من المدّة، ولايحكم على شيء من ذلك بالعدم ؛ بل بدل ما نحكم بأنّ الماضي ليس موجودا في الحال، يحكم هو بأنّ كلّ موجود في زمان معيّن لايكون موجودا في غير ذلك الزمان من الأزمنة التي تكون قبله أوبعده.

---

١) في المعجم الكبير (١٧٨/١١، ح١١٥٦٠): «... فقد جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة...». أمالي الطوسي (المجلس التاسع عشر: ٥٣٦، ح١) عن أبي ذر، عن النبي ﷺ: « ... فقد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة... ». راجع أيضا التوحيد: ٣٤٣ ، باب المشيّة والإرادة، ح١٣.

٢) البخاري (في العتق وفضله، باب من ملك من العرب رقيقا...، ١٩٤/٣) عن رسول الله ﷺ: «ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة». أبوداود (كتاب النكاح، باب ماجاء في العزل: ٢٥٢/٢، ح٢١٧٢) مثله.

وهو عالمٌ بأنَّ كلّ شخص في أيّ جزء يوجد من المكان، وأيّ نسبة تكون بينه وبين ما عداه، ممّا يقع في جميع جهاته، وكم الأبعاد بينهما على الوجه المطابق للحكم.

ولايحكم على شيء بأنّه موجودٌ الآن أو معدومٌ، أو موجود هناك أو معدومٌ، أو حاضرٌ أوغائبٌ؛ لأنَّه سبحانه ليس بزمانيّ ولامكانيّ، بل هو بكلّ شيءٍ محيطٌ أزلا وأبدا ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَايُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ اِلَّا بِمَاشَاءَ ﴾ [٢/٢٥٥].

و[1] قال أميرالمؤمنين عليه السلام[2] : «لم تسبق له حالٌ حالاً، فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخرا، ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا».

وقال عليه السلام[3] : «عِلمه بالأموات الماضين، كعِلمه بالأحياء الباقين، وعِلمه بما في السماوات العُلى كعِلمه بما في الأرضين السُفلى»[4] .

وعن مولانا الباقر عليه السلام[5] : «كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل عالما بما يكون، فعِلمُه به قبل كونه، كعِلمه به بعد كونه».

وقال الصادق عليه السلام[6] : «استوى من كلّ شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء؛ لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب».

---

١) ر:- و.

٢) نهج البلاغة: الخطبة ٦٥. عنه البحار: ٣٠٨/٤-٣٠٩، ح٣٧. ٣٠٤/٧٧، ح٩.

٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٣. أولها: «الحمد لله خالق العباد...» البحار: ٣٠٧/٤، ح٣٥. ٣٠٧/٧٧، ح١١.

٤) في هامش النسختين: في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام: «الأول لاشيء قبله، والآخر لاغاية له»، قال في الفتوحات: «الأول الذي لامفتتح له، والآخر الذي لانهاية لوجوده، وليس موجود يوصف بالضدين من وجه واحد إلا الحق تعالى» (ر: منه ره. مل: منه سلمه الله).

٥) الكافي: ١٠٧/١، باب صفات الذات، ح٢. وجاء في التوحيد (١٤٥، باب صفات الذات ح١٢) بلفظ: «... ولم يزل عالما بما كوّن... بعد ما كوّنه».
البحار: ٨٦/٤، ح٢٣. ٨٢/٥٧، ح٦١. ١٦١/٥٧-١٦٢، ح٩٧.

٦) التوحيد: ٣١٥، باب معنى قوله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾، ح١.

وقال الرضا عليه السلام[1] : «له معنى الربوبيّة إذ لامربوب، وحقيقة الإلهيّة إذ لامألوه، و معنى العالم ولامعلوم، ومعنى الخالق ولامخلوق، وتأويل السمع ولامسموع؛ ليس منذ خَلَقَ استحقَّ معنى الخالِق، ولاباحداثه البرايا استفاد معنى البرائيّة؛ كيف ولاتعيّنه[2] «منذ» ولا تدنيه «قدْ»، ولا تحجبه «لعلَّ»، ولاتوقّته «متىٰ» ولاتشمله «حين» ولا تقارنه «مع»...».

وقال الهادى عليه السلام[3] : «الأشياء كلها له سواء علماوقدرة وملكا و إحاطة».

نور

[صفاته تعالى ذاتيّة]

فظهر أنّ مجده وعلوّه تعالىٰ في الفاعليّة والعالِميّة والقادِريّة - ونحوها من صفات الكمال - ليس بالمعنى الإضافيّ الذي هو متأخّر عن ذاته وعن وجود ما أُضيفت هي إليه؛ على أنّ وجود الفعل عنه موقوف على كونه فاعلا، فلوكانت فاعليّته موقوفة على وجود الفعل لزم الدور. بل علوّه ومجده في هذه الصفات إنّما هو بمبادئ تلك الإضافات، المتقدّمة على وجود ما تعلّقت هي به - وهي كونه في ذاته بحيث تنشأ منه هذه الصفات - وهو سبحانه إنّما هو كذلك بنفس ذاته.

فإذن: علوّه ومجدُه في صفاته العليا ليس إلّا بذاته - لاغير.

نور

[علمه تعالى بذاته]

و إذ هو سبحانه بسيط الحقيقة منزّه عن الموضوع والمادّة والعوارض

---

١) التوحيد: ٣٨، باب التوحيد ونفي التشبيه، ح٢. العيون: ١/١٥٢، خطبة الرضا عليه السلام في التوحيد، ح٥١. أمالي المفيد ٢٥٦-٢٥٧، ٢٥٦-٢٥٧، ح٤. أمالي الطوسي: ٢٣، المجلس الأول، ح٢٨، مع فروق. البحار: ٤/٢٢٩. ٥٧/٤٣، ح١٧.

٢) في المصادر: ولاتغيبه.

٣) الكافي: ١/١٢٦، كتاب التوحيد، باب الحركة والانتقال، ح٤. ومثله عن الصادق عليه السلام في التوحيد: ١٣٣، باب القدرة، ح١٥. عنه البحار: ٣/٣٢٣، ح٢١.

وسائر ما يجعل الذاتَ بحال زائدة ويُريها على غيرما هي عليه : فلا لبس له ، فهو صُراح وذاته غير محتجبة عن ذاته . فهو ظاهر بذاته على ذاته ، فهو يدرك ذاتَه أشدّ إدراك ، ويعلمها أتمّ عِلم ، لظهورها له أشدّ ظهور .

بل لانسبة لعلمه بذاته إلى علوم ما سواه بذواتهم ، كما لانسبة بين وجوده و وجـودات الأشياء ، حيث هـو وراء ما لايتناهى ، بما لايتناهى .

نور
[علمه تعالى بغيره]

ولمّا كان ذاتُه تعالى فاعلا تامّا لجميع ما عداه ، ومبدأ لفَيَضان كلّ إدراك - حسّيا كان أوعقليّا - ومنشأ لكلّ ظهورٍ - عينيّا كان أو ذهنيّا - إمّا بدون واسطة أو بواسطة هي منه ، وفاعليّته عين ذاته ، إذ هي من الكمالات ، وقد ثبت في محلّه أنّ العلمِ التامّ بالفاعل التامّ للشيء - من حيث حقيقته التي بها فاعلٌ - يستلزم العلمَ بكونه فاعلا لذلك الشيء ، وهو مستلزمٌ للعلم بذلك الشيء : فهو سبحانه عالمٌ بجميع الموجودات قاطبة ، ﴿ لَايَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ [٣/٣٤] في الأرض ولافي السماء ، ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِه ﴾ [٤١/٤٧] ، ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها ﴾ [٦/٥٩] ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِير ﴾ [٦٧/١٤] .

نور
[علمه تعالى بالمحسوسات]

ولمّا ثبت علمُه سبحانه بالجزئيّات على ما هي عليه - ومن جملتها المسموعات ، من الحروف والأصوات ، والمبصَرات ذوات الأضواء والألوان - فهو سبحانه يدركها لامحالة - بلا آلة وجارحة - ولكن إدراكا حقّا بنفس ذاته النوري ، الذي يظهر ويتنوّر به جميع الأشياء ، كما يدرك سائرَ المحسوسات كذلك . فذاته سبحانه - بهذا الاعتبار - سمعه وبصره ﴿ وَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [١٧/١] .

وأمّا عدمُ ورود توصيفه تعالى بالشامّ والذائقِ واللامِس - مع علمه سبحانه بالمشمومات والمذوقات - فلإيهامه التجسُّم - تعالى عنه ربّنا وتقدّس.

نورٌ

[إنه تعالى مختار]

و إذ ثبت أنّ الوجود كلُّه فعلُه سبحانه، لامدخل لغيره فيه، وقد صدر عنه على وِفق علمه، صدورا غير مستكرَه ولامقهور ولامغلوب ولامضرور:

فبانَ أنَّه سبحانه على كلّ شيء قديرٌ وبكلّ شيء بصيرٌ. وأنّه سبحانه مختارٌ في فعله اختيارا أجلَّ وأعلى من اختيارنا، لأنَّ الاختيار فينا ناقصٌ مشوبٌ بنحو من الاضطرار.

وذلك لتجدّد الأغراضِ، واختلاف الدواعي، وتفنُّن الإرادات، وسُنوح الحالات فينا، والمرجِّح إنّما يرد علينا من خارج - كما يأتي تحقيقه - بخلافه جلَّ جلاله، فإنَّ صفاته جميعا نفس ذاته المقدَّسة عن التغيُّر والحدثان.

نورٌ

[إرادته تعالى]

وكذلك إرادته سبحانه ليست كإرادتنا مقدَّمة على الفعل، بل هي هناك نفسُ الفعل والإيجاد، كعلمه عزّ وجلّ.

قال مولانا الكاظم عليه السلام[1] : «الإرادة من المخلوق الضمير ومايبدو له بعد ذلك من الفعل وأمّا من الله عزَّ وجلَّ فإرادته إحداثه لاغيرذلك، لأنّه لايروّي ولايهمّ ولايتفكّر، وهذه الصفات منفيَّةٌ عنه، وهي من صفات الخَلق، فإرادة الله تعالى هي الفعل، لاغير؛ يقول له «كُنْ» فيكون، بلالفظ ولانطق

---

١) كذا، ولكن الرواية مرويّة عن الرضا عليه السلام، ولذلك أورده الصدوق قده في العيون أيضا؛ والأظهر أنّه سهو نشأ مماقاله صفوان بن يحيى - الراوي -: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله ومن المخلوق. قال: فقال: الإرادة من المخلوق...

بلسان ولاهمّة ولاتفكّر، ولاكيف لذلك؛ كما أنّه بلا كيف» رواه في كتاب التوحيد[١].

نور

[قدرته و إرادته تعالى وكيفيّة نسبة الخير والشر إليه]

فقُدرته تعالى عبارةٌ عن كون ذاته بذاته بحيث تصدر عنه الموجودات لأجل علمه بنظام الخير - الذي هو عين ذاته - ولايعتبر في القدرة إلّا تعيُّن الفعل بالمشيئة، سواء كانت المشيئة يصحّ عليها التغيّر، أو لا.

فالقادر مَن إن شاء فعَل، و إن لم يشأ لم يفعل، والشرطيَّة غير معلَّقة الصحَّة بصدق كلٍّ من طرفيها، بل قد يصحُّ أن يكون أحد طرفيها، أو كلاهما ممَّا يكذب - كما حقّق في محلّه[٢] -.

و إرادته تعالى عبارةٌ عن كون ذاته بذاته داعيا لصدور الموجودات عنه على وجه الخير والصلاح، لأجل علمه بالنظام الأوفق.

فإذا نسبت إليه الموجودات من حيث أنّها صادرةٌ عن عِلمه: كان علمُه بهذا الاعتبار «قُدرةً».

و إذا نسبت إليه[٣] من حيث أنّ عِلمَه كافٍ في صدورها: كان علمُه بهذا الاعتبار «إرادة».

وعدم إرادته سبحانه الشرور - مع إحاطة علمه بكلّ شيءٍ - لاتنافي كون إرادته الخيرَ عين علمه - عزَّ وجلَّ - فإنَّ وِزان إرادته بالنسبة إلى صفة العلم، وزان السمع والبصر بعينه؛ فكما أنَّ السمعَ سمعٌ لكلِّ مسموع -

---

١) التوحيد: ١٤٧/١، باب صفات الذات وصفات الأفعال، ح١٧. عيون أخبارالرضا عليه السلام: ١١٩/١، باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد، ح١١. الكافي: ١٠٩/١، باب الإرادة أنها من صفات الفعل: ١٠٩/١، ح٣.

٢) راجع الجوهرالنضيد: ٤٣.

٣) ر:+ الموجودات.

لالكلّ شيءٍ - والبصرَ بصرٌ بالقياس إلى كلِّ مبصَر - لا كلِّ شيءٍ- فكذلك إرادته الحقّة.

فذاته سبحانه علمٌ بكلِّ شيءٍ ممكن، وإرادةٌ لكلّ خيرٍ ممكن، وسمعٌ لكلِّ مسموعٍ، وبصرٌ لكلِّ مبصَر، وقدرةٌ على كلِّ مقدورٍ عليه.

مع أنّ الشرورَ أيضا مرادةٌ ومَقضيَّةٌ بالعرَض، أي بما هي لوازم للخيرات الغالبة عليها - و إن لم تكن مرادةً بالذات، أي بما هي شرورٌ- وهي من حيث تبعيّتها للخيرات خيراتٌ ومرادةٌ، كما أنّها معلومةٌ، فلم تخرج عن إحاطة الإرادة بها، كما أنّها لم تخرج عن إحاطة العلم بها.

[شمول إرادته تعالى]

ولمّا كانت إرادته سبحانه نفس الإيجاد، فكلّما أراد شيئا أوجده، فقُدرته عامّة وسعت كلّ شيءٍ.

وأمّا الممتنع فليس بشيءٍ حتّى يسعه القدرةُ، فعدمُ دخوله تحت الوجود ليس نقضا على ذلك، ولانقصا على الله تعالى.

سئل أميرالمؤمنين عليه السلام[1] : «هل يقدرُ ربُّك أن يُدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا، أو يكبر البيضة» ؟

قال : «إنّ الله تبارك وتعالى لايُنسب إلى العجز، والذي سألتني لايكون».

نور

[حياته تعالى]

الحيّ هو الدرّاك الفعّال، ولمّا كانت الصفتان عين ذاته تعالى، فذاتُه بذاته حياته، وكلُّ حياة غيرها فإنّما هي رشحةٌ من حياته سبحانه، وهو الحيُّ لا إله إلّا هو - أي لاحيّ غيره بالحقيقة -.

---

١) التوحيد: ١٣٠، باب القدرة، ح٩. البحار: ١٤٣/٤، ح١٠.

نورٌ

[تكلّمه سبحانه]

تكلُّمه - سبحانه - عبارةٌ عن كون ذاته تعالى بحيث يقتضي إلقاء الكلام الدالّ على المعنى المراد، لإفاضة ما في قضائه السابق، من مكنوناتِ علمه على من يشاء من عباده، فإنّ المتكلّم عبارة عن موجِد الكلام، والتكلّم فينا مَلكَة قائمة بذواتنا، نمكَّن بها من إفاضة مخزوناتنا العلميَّة على غيرنا، وفيه سبحانه عين ذاته، إلّا أنَّه باعتبار كونه من صفات الفعل متأخّر عن ذاته.

قال **مولانا الصادق** عليه السلام[1]: «إنَّ الكلامَ صفةٌ محدَثة ليست بأزليَّة؛ كان الله - عزَّوجلَّ - ولا متكلِّم». وتمام الكلام في كلامه - عزّ وجلّ - يأتي في مباحث الكتب والرسل - إن شاء الله.

نورٌ

[ابتهاجه سبحانه بذاته]

وهو سبحانه أجلّ مبتهج بذاته، لأنَّه مدرك[2] لذاته على ما هو عليه من الجمال والبهاء، وهو مبدء كلّ جمال وزينة وبهاء، ومنشأ كلّ حسن ونظام؛ فهو من حيث كونه مدرِكا أجلّ الأشياء وأعلاها وأشدها قوّة؛ ومن حيث كونه إدراكا أشرفها وأكملها وأقواها، ومن حيث كونه مدرَكا أحسنها وأرفعها وأبهاها؛ فهو إذا أقوى مدرِك لأجلّ مدرَك، بأتمّ إدراك، بما هو عليه من الخير والكمال.

والابتهاج إنّما يكون على قدر قوّة المدرك وشرفه وتماميّة الإدراك وشدّته وخيريّة المدرَك وملائمته، كما هو معلوم من المراجعة إلى الوجدان في اللذات الحسيّة والعقليّة، على اختلاف مراتبها.

---

١) التوحيد: ١٣٩، باب صفات الذات وصفات الأفعال، ح١.
الكافي: ١/١٠٧، باب صفات الذات، ح١. البحار: ٤/٧٢.

٢) ر، مل: يدرك.

في تمجيده سبحانه

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾
[٤٢/١١]

نور
[القرآن والحديث شارحان لتوحيد الله تعالى]

قد ورد في القرآن المجيد وأخبار أهل البيت عليهم السلام من تمجيد الله سبحانه وتقديسه ونعته كلماتٌ وعباراتٌ تحتوى من الأسرار والمعارف [على] ما لايصل كلُّ أحد إليه، ولايمكن المزيد عليه - سيَّما عن مولانا أميرالمؤمنين وسيّد الموحِّدين - صلوات الله عليه - فإنَّ كلامه في التوحيد والعدل يتضمَّن - مع عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة - من الإشارات والتنبيهات على أسرار العلوم، ما هو بلال كلِّ غُلّة وجلاء كلِّ شبهة[1] .

فأردنا أن نورد نبذا من ذلك تأييدا لِما أسلفناه، وتشييدا لما أصّلناه، وليزداد الطالبُ بصيرة في معرفة الله وآياته.

وليُعلم أنَّ جُلّ ماأدركته العقولُ مقتبَس من أنوار الشرع ومرموزاته، بل لايمكن المزيد على ما جاءَت به الشرايع؛ خصوصا شرعُ نبيّنا صلى الله عليه وآله، فإنّه لاأتمَّ منه ولا أحكم.

روى محمّد بن عليّ بن بابويه في كتاب التوحيد بإسناده عن عاصم بن

---

١) هامش ر: البلة والبلال - بكسرهما -: الندوة. الندوة بالضم: موضع شرب الإبل - ق. الغُلّة: العطش، أو شدته أو حرارة الجوف.

حميد، ورواه في الكافي أيضا عنه[1] - قال -: سُئل عليّ بن الحسين عليهما السلام عن التوحيد، فقال: «إنَّ الله - عزّوجلّ - عَلِم أنّه يكون في آخرالزمان أقوامٌ متعمّقون، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فمن رامَ وراءَ ذلك، فقد هلك».

ونبدء أولاً بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله المرويّ في كتاب التوحيد لابن بابويه رحمه الله، ثمّ كلام أميرالمؤمنين عليه السلام، المرويّ فيه وفي الكافي، ثمّ سائر كلماته - صلوات الله عليه وآله - المنقولة عن نهج البلاغة، إلّا ما نضيفه إلى غيره - وبالله التوفيق -.

أنوارٌ نبويّةٌ[2]

«الحمد لله الذي كان في أوّليّته وحدانيًا، وفي أزليّته متعظّمًا بالإلهيّة، متكبّرا بكبريائه وجبروته.

ابتدءَ ما ابتدعَ، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق لشيء ممّاخلق، ربّنا القديم بلطف ربوبيّته وبعلم خبره فتق، وبإحكام قدرته خلَق جميعَ ماخلق، وبنورالإصباح فلَقَ؛ فلامبدِّل لخَلْقه، ولامغيّرِ لصُنعه، ولامعقِّب لحكمه، ولارادَّ لأمره ولامستراح عن دعوته، ولازوال لملكه، ولا انقطاع لمدّته؛ وهو الكينون أوّلا، والديموم أبدا.

المحتجب بنوره - دون خلقه - في الأفُق الطامح، والعزِّ الشامخ، والملك الباذخ[3]، فوق كلِّ شيءٍ علا ومن كلِّ شيءٍ دنىٰ، فتجلّى لخَلقه من غيرأن يكون يُرى، وهو بالمنظَر الأعلى.

---

١) الكافي: ٩١/١، باب النسبة، ح٣. التوحيد: ٢٨٣، باب أدنى ما يجزى من معرفة التوحيد، ح٢. عنه البحار: ٢٦٣/٣-٢٦٤، ح٢١. واللفظ للكافي.

٢) التوحيد: باب التوحيد ونفي التشبيه مع فروق يسيرة، ٤٤، ح٤. البحار: ٢٨٧/٤، ح١٩.

٣) طمح بصره إليه - كمنع -: ارتفع. وكل مرتفع طامح.

في هامش ر: شمخ الجبل: علا - ق. شرف باذخ: عال. وجبال بواذخ - ق.

فأحبَّ الاختصاص بالتوحيد إذ احتجب بنوره، وسَما في علوّه واستَتر عن خلقه، وبعث إليهم الرسل، ليكون له الحجَّة البالغة على خلقه، ويكون رسله إليهم شهداء عليهم، وبعث فيهم النبيّين مبشِّرين ومنذِرين، ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيَى من حيَّ عن بيِّنة، وليعقل العباد عن ربّهم ماجهلوه، فيعرفوه بربوبيَّته بعد ما أنكروا، ويوحِّدوه بالإلٰهيَّة بعد ما عَندوا».

أنوار علويّة [١]

«الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرِّد، الذي لامن شيءٍ كان ولامن شيءٍ خَلَق ما كان؛ قدرةٌ[٢] بانَ بها من الأشياء و بانت الأشياءُ منه، فليست له صفةٌ تنال، ولا حدٌّ تُضرب له فيه الأمثال؛

كلَّ دون صفاته تحبير[٣] اللغات، وضلَّ هناك تصاريف الصفات، وحار في ملكوته عميقاتُ مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامعُ التفسير، وحالَ دون غيبه المكنون حُجب من الغيوب، تاهت في أدنى أدانيها طامحاتُ العقول في لطيفات الأمور.

فتبارك[٤] الذي لايبلغه بُعدُ الهِمَم ولاينالُه غوصُ الفِطن، وتعالى الذي ليس له وقتٌ معدودٌ ولا أجلٌ ممدود ولا نعتٌ محدودٌ، وسبحان الذي ليس له أوّلٌ مبتدء، ولاغاية منتهى، ولا آخر يفنى؛

سبحانه، هو كما وصَف نفسَه، والواصفون لايبلغون نعتَه.

---

١) الكافي: ١٣٤/١، باب جوامع التوحيد، ح١ واللفظ له. عنه البحار١٦٤/٥٧، ح١٠٣.
التوحيد: ٤١، باب التوحيد ونفي التشبيه مع فروق يسيرة، ح٣. البحار: ٢٦٩/٤، ح١٥.

٢) في التوحيد: قدرته. وقال المؤلف في الوافي: «قدرة منصوب على التميز أوبنزع الخافض، يعني ولكن خلق الأشياء قدرة، أو بقدرة؛ أومرفوع، أي له قدرة، أو هو قدرة، فإن صفته عين ذاته».

٣) هامس ر: تحبير الشيء: تزيينه.

٤) في المصدرين: فتبارك الله الذي.

حدّ الأشياء كلّها عند خَلقه إبانة لها من شِبهه، و إبانَة له من شِبهها؛ فلم يحلل فيها فيقال: «هو فيها كائن»؛ ولم ينأ عنها فيقال: «هو منها بائن»؛ ولم يخل منها فيقال له: «أين»؟ لكنَّه - سبحانه - أحاط بها عِلمُه، و أتقنَها صُنعه، و أحصاها حفظه.

لم يعزب عنه خفيّاتُ غيوب الهواء، ولاغوامض مكنون ظُلم الدُجى، ولامافي السماوات العُلى إلى الأرضين السُفلى؛ لكلِّ شيءٍ منها حافظٌ ورقيبٌ، وكلُّ شيء منها بشيءٍ محيط، و المحيط بما أحاط منها الواحد الأحد الصمد، الذي لايغيّره صروف الأزمان، ولايتكادّه صُنع شيءٍ كان؛ إنّما قال لِما شاء: «كُنْ»، فكان.

ابتدع ماخَلَقَ بلامثال سَبَق، ولاتعب ولانَصب؛

وكلُّ صانع شيءٍ فمِن شيءٍ صَنع، واللهُ لا مِن شيءٍ صنَعَ ما خَلَق؛ وكلُّ عالمٍ فمِن بعد جهل تعلّم، والله لم يجهل ولم يتعلّم.

أحاط بالأشياء عِلما قبل كونها، فلم يزدد بكونها عِلما، عِلمُه بها قبل أن يكوّنَها كعِلمه بعد تكوينها؛

لم يكوّنها لتشديد سلطان، و لاخوفٍ من زوالٍ ولانقصان، ولا استعانة على ضدٍّ مناوٍ[1] ولاندٍّ مكاثرٍ[2] ولاشريكٍ مكابرٍ؛ لكن خلائق مربوبون، وعبادٌ داخرون.

فسبحان الذي لايؤودُه خلْقُ ما ابتدأ ولا تدبيرُ مابرأ، ولامِن عجزٍ ولامِن فترةٍ بما خلَق اكتفى؛ عَلِمَ ماخَلَقَ، وخَلَقَ ماعَلِم؛ لابالتفكير في علم[3] حادثٍ أصاب ماخلَق، ولاشبهةٍ دخلت عليه فيما لم يَخلُق؛ لكن قضاءٌ مبرَمٌ، وعلمٌ محكمٌ، وأمرٌ متقَنٌ.

توحّد بالربوبيّة وخصَّ نفسَه بالوحدانيّة، واستخلص بالمجد والثناء، وتفرّد

---

١) النسختين: المناواة: المعاداة.

٢) هامش ر: كاثروهم فكثروهم: غلبوهم بالكثرة - ق.

٣) في التوحيد: ولابعلم (بدلا من : في علم).

بالتوحيد والمجد والسّناء ؛ وتوحّد بالتحميد، وتمجّد بالتمجيد[١] وعلا عن اتّخاذ الأبناء، وتطهّر وتقدّس عن ملامسة النساء، وعزّ وجلّ عن مجاورة الشركاء ؛

فليس له فيما خلَق ضدٌّ، ولا له فيما ملك ندٌّ ؛ ولم يشركه في ملكه أحدٌ، الواحد الأحد الصمد المبيّد[٢] للأبد، والوارث للأمد، الذي لم يزل ولا يزال وحدانيًا أزليًا قبْل بدء الدهور، وبعد صرف الأمور، الذي لايبيد ولاينفد[٣].

بذلك أصفُ ربّي، فلا إله إلّا الله، من عظيم ما أعظمه ! ومن جليل ما أجلّه ! وعزيزٍ ما أعزّه، وتعالى عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرا».

ومن أنواره عليه السلام[٤] :

«أوّل الدين معرفتُه، وكمالُ معرفتِه التصديقُ به، وكمالُ التصديقِ به توحيدُه، وكمالُ توحيدِه الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاصِ له نفيُ الصفاتِ عنه[٥] ؛ لشهادة كلِّ صفةٍ أنّها غير الموصوف، وشهادةِ كلِّ موصوفٍ أنّه غيرالصفة ؛ فمن وصفَ اللهَ - سبحانه - فقد قَرَنَه، ومن قَرَنَه فقد ثَنّاه، ومن ثَنّاه فقد جَزّأه، ومن جَزّأه فقد جَهله [ومن جهله فقد أشار إليه][٦] ومن أشار إليه فقد حَدَّه، ومن حَدَّه فقد عَدَّه ؛ ومن قال : «فيمَ» فقد ضمّنه، ومن قال : «علامَ» فقد أخلى منه.

كائنٌ لاعن حدَث، موجودٌ لاعن عدمٍ ؛ مع كلِّ شيءٍ لابمقارنةٍ وغير كلِّ

---

١) في التوحيد: واستخلص المجد والثناء، فتحمد بالتحميد، وتمجد بالتمجيد.
٢) في النسخ: المؤبّد - خ ل.
٣) في التوحيد: لايبيد ولايفقد.
٤) نهج البلاغة: الخطبة الأولى. عنه البحار: ٢٤٧/٤، ح٥ و١٧٦/٥٧، ح١٣٦.
٥) كتب في هامش ر: ليس المراد بنفي الصفات نفي معانيها عن ذاته تعالى، كيف، ويلزم التعطيل، بل معناه نفي كونها صفات زائدة على ذاته بحسب الوجود والحقيقة، فعلى هذا صحّ قول من قال: «إن صفاته تعالى عينه». وصح قول من قال: «إنها غيره». وصح قول من قال: «إنها لا عينه ولا غيره». لو علم ماحققناه من اتحادها معه بالوجود ومغايرتها له بالمفهوم والمعنى. منه ره.
٦) إضافة من المصدر.

شيءٍ لابمزايلةٍ ؛ فاعلٌ لابمعنى الحركات والآلة، بصيرٌ إذ لامنظور إليه من خلقه، متوحِّد إذ لاسكن يستأنس به ولايستوحش لفقْده.

أنشأ الخَلْق إنشاءً، وابتدء[1] ابتداءً، بلارويَّة أجالها، ولاتجربة استفادها، ولاحركة أحدثها، ولاهمامة نفس اضطرب فيها ؛

أحال الأشياءَ لأوقاتها، ولاءَمَ بين مختلفاتها، وغرَّز غرائزَها، وألزمها أشباحَها ؛ عالما بها قبل ابتدائِها، محيطا بحدودها وانتهائها ؛ عارفا بقرائنها وأحنائها[2] ».

ومن أنواره - صلوات الله عليه -[3] :

« ما وحَّده من كيَّفه، ولا حقيقتَه أصاب من مثَّله، ولا إيَّاه عنَى مَن شبَّهه، ولا صمَدَه[4] من أشار إليه وتوهَّمه ؛

كلُّ معروفٍ بنفسه مصنوعٌ، وكلُّ قائم في سواه معلولٌ ؛

فاعلٌ لاباضطراب آلةٍ، مقدِّر لابجَولِ فكرَةٍ، غنيٌّ لاباستفادة ؛

لاتصحبه الأوقاتُ، ولاترفده[5] الأدواتُ ؛ سبق الأوقاتَ كونُه، والعدمَ وجودُه، والابتداءَ أزلُه ؛

بتشعيره المشاعرَ عُرف أن لامَشعرَ له، وبمضادَّته بين الأُمور عُرف أن لاضدَّ له، وبمقارنته بين الأشياءِ عُرف أن لاقرينَ له ؛ ضادَّ النورَ بالظُلمةِ، والوضوحَ بالبُهمةِ، والجُمودَ بالبلل، والحَرور بالصرد[6] ؛ مؤلِّف بين متعادياتها، مقارنٌ بين متبايناتها، مقرِّب بينَ متباعداتها، مفرِّقٌ بين متدانياتها ؛

---

١) مل : ابتدأه.

٢) هامش النسختين : أي جوانبها.

٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٦. عنه البحار : ٧٧/٣١٠-٣١٤، ح١٤.

٤) صمده : قصده.

٥) ترفده : تعينه.

٦) الصرد : البرد (فارسي معرب).

لايشمل بحدٍّ، ولايحسب بعدٍّ، و إنّما تحدُّ الأدوات أنفسَها، وتشيرُ الآلةُ إلى نظائرها؛

منعتْها « منذ » القدمة، وحمتها « قد » الأزليّة، وجنّبتها «لولا» التكملة؛

بها تجلّى صانعُها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون.

لايجري عليه السكون والحركة؛ وكيف يجري عليه ماهو أجراه؟ ويعود فيه ماهو أبداهُ؟ ويحدث فيه ما هو أحدثَه؟ إذًا لتفاوتت ذاتُه، ولتجزّأ كنهُه، ولامتنع من الأزل معناه، ولكان له وراءٌ - إذ وُجد له أمامٌ - ولالتمس التمامَ - إذ لزمه النقصانُ - وإذًا لقامت آيةُ المصنوع فيه، ولتحوّل دليلا بعد أن كان مدلولا عليه.

وخرج[1] بسلطان الامتناع من أن يؤثّر فيه مايوثّر في غيره. الذي لايحولُ ولايزولُ، ولايجوز عليه الأفولُ؛ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيكون مولودا، و ﴿لَمْ يُولَدْ﴾ فيصير محدودا؛ جلَّ عن اتّخاذ الأبناءِ، وطهُر عن ملامسة النساء؛ لاتناله الأوهامُ فتقدّره، ولاتتوهّمه الفِطَن فتصوِّره، ولاتدركه الحواسُّ فتحسَّه، ولاتلمسه الأيدي فتمسَّه؛

لايتغيَّر بحالٍ، ولايتبدَّلُ في الأحوالِ، ولاتُبليه الليالي والأيّامُ، ولايغيّره الضياءُ والظلام، ولايوصف بشيءٍ من الأجزاءِ، ولابالجوارح والأعضاءِ، ولابعرَضٍ من الأعراض ولابالغيريّة والأبعاض؛ ولايقال له حدٌّ ولانهاية، ولاانقطاعٌ ولاغايةٌ، ولا أنَّ الأشياءَ تحويه، فتقلّه أو تهويه، أو أنَّ شيئا يحمله فيميله أو يعدله.

ليس في الأشياء بوالج ولاعنها بخارج؛ يخبِرُ لابلسان ولهوات، ويسمع لابخروق وأدوات؛ يقول ولايلفظُ، ويحفظُ ولايتحفَّظ، ويريد ولايُضمر، ويحبُّ ويرضى من غير رقّة، ويُبغض ويغضب من غير مشقّة؛

يقول لما أراد كونَه: «كُنْ» فيكون - لابصوتٍ يقرع ولابنداءٍ يُسمع؛ وإنّما

---

١) عطف على: لايجري عليه السكون والحركة.

كلامه سبحانه فِعلٌ منه أنشأه ومثّله، لم يكن من قبل ذلك كائنا، ولوكان قديما لكان إلٰها ثانيا.

لايقال: «كان بعد أن لم يكن»، فتجري عليه الصفاتُ المحدَثاتُ؛ ولايكون بينه وبينها فصلٌ ولا له عليها فضلٌ، فيستوي[1] الصانعُ والمصنوعُ، ويتكافأ المُبدعُ والبديع.

خَلَقَ الخلائقَ على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقِها بأحد من خلْقه؛ وأنشأ الأرضَ فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعَها بغير دعائم، وحصَّنها من الأوَد[2] والاعوجاج، ومنعَها من التَّهافتِ والانفراج؛ أرسى أوتادَها، وضرب أسدادَها[3]، واستفاض عيونها، وخدَّ أوديتها؛ فلم يهن ما بناه، ولاضعُف ماقوّاه؛

هو الظاهرُ عليها بسلطانه وعظمته، وهو الباطنُ لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزّته؛ لايُعجزه منها شيءٌ فيطلبه، ولايمتنع عليه فيغلبه، ولايفوتُه السريع منها فيسبقه، ولايحتاج إلى ذي مال فيرزقه؛

خضعت الأشياءُ له وذلّت مستكينة لعظمته، لاتستطيع الهربَ من سلطانه إلى غيره، فتمتنع من نفعه وضرِّه؛ ولا كفؤ له فيكافئه، ولانظير له فيساويه؛

هو المفني لها بعد وجودها، حتّى يصير موجودها كمفقودها.

وليس فناءُ الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها؛

وكيف و[4] لو اجتمع جميعُ حيوانها - من طيرها وبهائمها، وما كان من مراحها وسائمها، وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتبلّدة أممها وأكياسها - على إحداث بَعوضةٍ، ما قدرتْ على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيّرت عقولُها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت،

---

١) مل: ويستوي.
٢) هامش ر: أود - كفرح -: اعوج.
٣) هامش ر: اسداد جمع سد - بخطه.
٤) مل: - و.

ورجعت خاسئةً حسيرة، عارفةً بأنّها مقهورة، مقرَّةً بالعجز عن إنشائها، مذعنةً بالضعف عن إفنائها.

و إنَّه - سبحانه - يعود بعد فناءِ الدنيا وحده لاشيءَ معه؛ كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها؛ بلا وقتٍ ولامكانٍ، ولاحينٍ ولازمانٍ، عدمت عند ذلك الآجالُ والأوقاتُ، وزالت السنون والساعاتُ؛ ولاشيءَ إلا الله الواحد القهّار، الذي إليه مصيرُ جميع الأمور، بلاقدرة منها كان ابتداءِ خلقِها، وبغير امتناعٍ منها كان فناؤها، ولوقدرت على الامتناع لدام بقاؤها.

لم يتكأدَه[1] صنعُ شيءٍ منها إذ صنعه، ولم يؤوده منها خلق مابرأه وخلَقه، ولم يكوّنها لتشديد سلطان ولاتخوُّف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ندٍّ مكاثرٍ، ولا للاحتراز بها من ضدٍّ مثاورٍ[2]، ولا للازدياد بها في ملكه، ولا لمكاثرة شريك في شركه، ولا لوحشةٍ كانت منه فأراد أن يستأنس إليها. ثمّ هو يُفنيها بعد تكوينها، لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها، ولا لراحةٍ واصلةٍ إليه، ولا لثقل شيءٍ منها عليه.

لايملُّه طول بقائها ولا لدعوه إلى سرعة إفنائها، لكنَّه سبحانه دبَّرها بلطفه وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته؛ ثمّ يعيدها بعد الفناءِ من غيرحاجة منه إليها ولا لاستعانة بشيءٍ منها عليها، ولا لانصراف من حال وحشةٍ إلى حال استئناسٍ، ولا من حال جهلٍ وعمى إلى علم والتماس، ولا من فقر وحاجة إلى غِنى وكثرةٍ، ولا من ذُلٍّ و ضَعَةٍ إلى عزٍ وقدرةٍ».

ومن كلماته النوريّة[3]

«الذي لم تسبق له حالٌ حالاً، فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخرا، ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا.

---

١) لم يتكأدَه: لم يشق عليه.

٢) المثاور: المواثب المهاجم. في هامش ر: الثور: الهيجان والوثب والطوع. ق.

٣) نهج البلاغة: الخطبة ٦٥. أولها: «الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا ...». عنه البحار: ٤/٣٠٨-٣٠٩، ح٣٧. ٣٠٤/٧٧، ح٩.

كلُّ مسمًّىً بالوحدة غيرُه قليل، وكلُّ عزيز غيرُه ذليلٌ، وكلُّ قويّ غيرُه ضعيفٌ، وكلُّ مالكٍ غيرُه مملوكٌ، وكلُّ عالم غيرُه متعلّمٌ، وكلُّ قادرٍ غيرُه يقدرُ ويعجزُ، وكلُّ سميع غيُره يصمُّ عن لطيف الأصوات ويصمُّه كبيرُها، ويذهب عنه مابعُدَ منها، وكُلُّ بصيرٍ غيرُه يعمى عن خفيّ الألوان ولطيف الأجسام، وكلُّ ظاهرٍ غيرُه غيرُ باطنٍ، وكلُّ باطنٍ غيرُه غيرُ ظاهر».

ومنها[1] :

«لايشغله غضبٌ عن رحمةٍ، ولاتولّهه رحمةٌ عن عقابٍ، ولاتجنُّه البطونُ عن الظهور، ولا يقطعه الظهورُ عن البطونِ، قَرُبَ فنَأىٰ، وعلا فَدنا، وظهرَ فبطَن، وبطَن فعَلَن، ودانَ ولمْ يَدنُ، لم يذرء الخلقَ باحتيال، ولا استعان بهم لكلال».

ومنها[2] :

«لم تحط به الأوهامُ؛ بل تجلّى لها بها، وبها امتنع منها، و إليها حاكَمها؛ ليس بذي كِبَر امتدَّت به النهايات فكبَّرتْه تجسيما، ولا بذي عِظَم تناهت به الغايات فعظَّمته تجسيدا، بل كبُر شأنا وعظُم سلطانا».

ومنها[3] :

«الذي بطن خفيّات الأمور، ودلّت عليه أعلامُ الظهور، وامتنع على عين البصير، فلاعين من لم يره تُنكره، ولاقلب من أثبته يُبصره؛

---

١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٥. أولها: «الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه...».
عنه البحار: ٣١٥/٧٧، ح١٥.

٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥. أولها: «الحمد لله الذي لاتدركه الشواهد...».
البحار: ٢٦١/٤، ح٩، عن الاحتجاج.

٣) نهج البلاغة: الخطبة ٤٩. أولها: «الحمد لله الذي بطن خفيّات الأمور...».
عنه البحار: ٣٠٨/٤، ح٣٦.

سبق في العلوّ فلا شيء أعلى منه، وقرب في الدنوّ فلا شيءَ أقرب منه، فلاستعلاؤه باعَده عن شيءٍ من خَلقه، ولا قُربه ساواهم في المكان به؛

لم يطلع العقول على تحديد صفته، و لم يحجبها عن واجب معرفته، فهوالذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود، تعالى الله عمّا يقول المشبِّهون به والجاحدون له علوًّا كبيرا».

ومنها[1] :

«الدالّ على وجوده بخَلقه وبمحدَث خَلقه على أزليّته وباشتباههم على أن لاشِبه له. لاتستلمه المشاعرُ ولاتحجبه السواترُ؛ لافتراق الصانعِ والمصنوعِ والحادِّ والمحدودِ، والربِّ والمربوبِ؛

الأحد لابتأويلِ عدد، والخالق لابمعنى حركة ونصَب، والسميع لابأداةٍ، والبصير لابتفريق آلةٍ، والشاهد لابمماسّةٍ، والبائن لابتراخي مسافةٍ، والظاهر لابرؤيةٍ، والباطن لابلطافة. بانَ من الأشياءِ بالقهر لها والقدرة عليها، وبانَت الأشياءُ [منه] بالخضوع له والرجوع إليه.

مَن وصَفه فقد حدَّه، ومَن حدَّه فقد عدَّه، ومَن عدَّه فقد أبطلَ أزلَه، ومن قال: «كيف؟» فقد استوصفه، ومن قال: «أين؟» فقد حيَّزه.

عالِمٌ إذ لامعلوم، وربٌّ إذ لامربوب، وقادرٌ إذ لامقدور».

فصل

ومنها[2] قاله لذِعلب اليماني- وقد سأله: هل رأيتَ ربَّك يا أميرالمؤمنين؟ فقال عليه السلام: «أفأعبدُ ما لاأرى؟» قال: «وكيف تراه؟»

فقال: «لاتدركه العيونُ بمشاهَدة العيان، ولكن تدركه الأبصار[3] بحقائق

---

١) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٢. أولها: «الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه».

٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٩. البحار: ٥٢/٤، ح٩. ٢٧٩/٧٢.

٣) كذا، في المصدر: تدركه القلوب.

الإيمان، قريبٌ من الأشياءِ غيرُ ملامِس، بعيدٌ منها غيرُ مبائن، متكلّمٌ بلارويَّةٍ، مريدٌ بلاهمَّة[١] ، صانعٌ لاجارحة، لطيفٌ لا يوصف بالخفاءِ، كبيرٌ لايوصَف بالجفاءِ، بصيرٌ لايوصف بالحاسَّةِ، رحيمٌ لايوصف بالرقَّةِ، تعنو الوجوهُ لعظمته، وتجلُّ القلوبُ من مخافته».

وفي رواية أُخرى رواها في كتاب التوحيد[٢] : «ويلك يا ذعلب! إنَّ ربّي لايوصَف بالبُعد، ولابالحركة ولا السكون[٣] ، ولابالقيام - قيامَ انتصاب - ولابجيئةٍ ولابذهاب؛ لطيف اللطافة لايوصف باللطف، عظيم العظمة لايوصف بالعِظم، كبير الكبرياء لايوصف بالكِبَر، جليل الجلالة لايوصف بالغلظ، رءوف الرحمة لايوصف بالرقَّة؛ مؤمنٌ لابعبادة، مدرِكٌ لابمجسّة، قائلٌ لا بلفظ[٤] .

هو في الأشياءِ على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كلّ شيءٍ ولايقال: «شيءٌ فوقه»؛ وأمام كلّ شيءٍ ولايقال: «له أمام»؛ داخل في الأشياءِ لاكشيءٍ في شيءٍ داخل، وخارج منها، لاكشيءٍ من شيءٍ خارج».

فخَرَّ ذعلبُ مَغشيًّا عليه.

وفي رواية أُخرى في الكتاب المذكور أيضا[٥] - بعد كلام طويل قد مضى أكثره لفظا أو معنى - : «كان ربّا ولامربوب، و إلها إذ لامألوه، وعالما إذ لامعلوم، وسميعا إذ لامسموع» - ثمَّ أنشأ يقول :-

---

١) المصدر: لابهمة.

٢) التوحيد: باب حديث ذعلب: ٣٠٥. أمالي الصدوق: المجلس الخامس والخمسون، ح١، ٤٢٢-٤٢٣. ورواه الكليني مع اختلافات كثيرة في الكافي : كتاب التوحيد، باب جوامع التوحيد، ١/١٣٨-١٣٩، ح٤.

٣) مل: وبالسكون.

٤) المصدر: لا باللفظ.

٥) التوحيد: باب حديث ذعلب: ٣٠٩، ح٢. عنه البحار: ٤/٣٠٥، ح٣٤.

و لم يزل سيّدي بالعلم[1] معروفا
ولم يزل سيّدي بالجود موصوفا
وكنتَ إذ ليس نورٌ يُستضاءُ به
ولا ظلام على الآفاق معكوفا
وربُّنا بخلاف الخَلق كلّهم
و كلّ ما كان في الأوهام موصوفا
ومن يرده على التشبيه ممتثلا
يرجع أخا حصر بالعجزِ مكتوفا
وفي المعارج يلقى موج قدرته
موجا يعارض طرف الروح مكفوفا
فاترك أخا جدل في الدين منعمقا
قد باشرَ الشكُّ فيه الرأيَ مأووفا
واصحب أخا ثقةٍ حُبًّا لسيّده
و بالكرامات مزمولا[2] ومحفوفا
أمسى دليل الهدى في الأرض منتشرا
وفي السماءِ جميل الحال معروفا

ومنها :

«كان حيًّا بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كيف ، ولاكان له أين ، ولاكان في شيءٍ ، ولاكان على شيءٍ ، ولا ابتدع لمكانه مكانا[3] ، ولاقوي بعد ما كوّن الأشياءَ ، ولا كان ضعيفا قبل أن يكوّن شيئا ، ولا كان مستوحشا قبل أن يبتدع شيئا ، ولايشبه شيئا مذكورا ، ولاكان خلوا من الملك قبل إنشائه ، ولايكون منه خلوا بعد ذهابه ؛

كان إلٰها حيًّا بلاحياة ، ومالكا قبل أن ينشيء شيئا ، ومالكا بعد إنشائه

١) المصدر والبحار : بالحمد.
٢) في المصدر والبحار : من مولاه محفوفا.
٣) مل : لكانه مكانا.

للكون ؛ وليس يكون لله كيفٌ ولا أينٌ ولاحدٌّ يعرف ، ولاشيءٌ يشبهه ، ولايهرم لطول بقائه ، ولايصعق لذُعره ، ولايخاف كما يخاف خليقته من شيء ؛ ولكن سميعٌ بغير سمع ، وبصيرٌ بغير بصر ، وقويٌّ بغير قوّة من خلقه ؛ لاتدركه حدَقُ الناظرين ، ولايحيط بسمعه سمعُ السامعين ؛

إذا أراد شيئا كان بلا مشورة ولامظاهرة ولامخابرة ، ولايسأل أحدا عن شيء من خلقه أراده ؛ ﴿ لَاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [٦/١٠٣] » . رواه في الكافي[١] .

ومنها :

« الذي لامن شيءٍ كان ، ولامن شيءٍ كوّن ما قدكان ؛ مستشهِدٌ بحدوث الأشياءِ على أزليّته ، وبما وسَمها به - من العجز - على قدرته ، وبما اضطرّها إليه - من الفناء - على دوامِه ؛ لم يخلُ منه مكانٌ فيدرَك بأينيّته[٢] ، ولا له شبح[٣] مثال فيوصف بكيفيّته ، ولم يغب عن شيء[٤] فيعلم بحينيّته[٥] .

مبائنٌ لجميع ماأحدث في الصفات وممتنعٌ عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات ، وخارجٌ بالكبرياء والعظمة من جميع تصرُّف الحالات ؛ محرّم على بوارع ثاقبات الفِطَن تحديدُه ، وعلى عوامق ناقبات الفِكَر تكييفُه ، وعلى غوائص سابحات الفِطَر تصويرُه .

لاتحويه الأماكنُ لعظمته ، ولا تذرعه المقاديرُ لجلاله ، ولاتقطعه المقائيسُ

---

١) كتاب الروضة : ٣١ ، الخطبة الطالوتيّة ، ح٥ . عنه البحار : ٢٤٠/٢٨ ، ح٢٧ . و١٥٩/٥٧ ، ح٩١ . وجاء مايقرب منه عن الباقر عليه السلام أيضا في الكافي : ٨٨/١-٨٩ ، باب الكون والمكان ، ح٣ . والتوحيد : ١٧٣ ، باب نفي المكان ، ح٢ . وأيضا فيه عن الكاظم عليه السلام : ١٤١ ، باب صفات الذات .... ، ح٦ . عنه البحار : ٢٩٨/٤-٢٩٩ ، ح٢٧ .

٢) كذا في النسخة والعيون والبلد الأمين . ولكن في التوحيد : بابنية .

٣) كذا في النسخة والعيون والبلد الأمين ، ولكن في التوحيد : شبه .

٤) كذا في النسخة والعيون . ولكن في التوحيد : لم يغب عن علمه شيء .

٥) في المصادر : بحيثيته . وفي بعض نسخ التوحيد : بحيثية .

لكبريائه ؛ ممتنعٌ عن الأوهام أن تكتنهه ، و عن الأفهام أن تستغرقَه ، وعن الأوهام أن تُمثِّله ؛ قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامحُ العقول ، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحارُ العلوم ، و رجعت بالصغر عن السموّ إلى وصف قدرته لطائفُ الخصوم ؛

واحدٌ لامن عدد ، ودائمٌ بلا أمد[1] وقائمٌ لابعمَد ، ليس بجنس فتعادله الأجناس ، ولابشبح فتضارعه الأشباح ، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات ؛

قد ضلَّت العقولُ في أمواج تيَّار إدراكه ، وتحيَّرت الأوهام عن إحاطة ذكْر أزليَّته ، وحصرت الأفهامُ عن استشعار وصف قدرته ، وغرقت الأذهان في لُجج أفلاك ملكوته ؛

مقتدرٌ بالآلاءِ وممتنعٌ بالكبرياءِ ، ومتملّك على الأشياءِ ؛ فلادهر يخلقه ، ولاوصف يحيط به ؛ قد خضعت له رواتبُ الصعاب[2] في محلّ تخومِ قرارِها ، وأذعنت له رواصنُ الأسباب في منتهى شواهق أقطارها ؛

مستشهِدٌ بكلّيّة الأجناس على ربوبيّته ، وبعجزها على قدرته ، وبفطورها على قدمته ، وبزوالها على بقائه ؛ فلا لها محيص عن إدراكه إيّاها ، ولاخروج من إحاطته بها ، ولا احتجاب عن إحصائه لها ، ولاامتناع من قدرته عليها ؛ كفى بإتقان الصُنع لها آيةً ، و بمُركَّب الطبع عليها دلالة ، وبحدوث الفِطَر عليها قدمة ، وبإحكام الصنعة لها عبرة ؛ فلا إليه حدٌّ منسوب ، ولا له مثَل مضروبٌ ، فلاشيء عنه بمحجوب[3] - تعالى عن ضربِ الأمثال والصفات المخلوقة علوًّا كبيرا » .

رواه في كتاب التوحيد[4] ، بإسناده عن مولانا الرضا عن آبائه ، عن جدّه عليه السلام.

---

١) في المصادر : لابأمد.

٢) التوحيد : ثوابت الصعاب . العيون : الرقاب الصعاب. البلدالأمين : رقاب الصعاب.

٣) التوحيد والعيون : محجوب .

٤) التوحيد : باب التوحيد ونفي التشبيه ، ٦٩-٧٢ ، ح٢٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام : باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد ، ١٢١/١-١٢٢ ، ح١٥. البلد الأمين : دعاء يوم الجمعة ، ٩٢مع فروق. عنه البحار : ١٣٨/٩٠ ، ح٧.

ومنها[١] :

«كلُّ شيءٍ خاشعٌ له وكلُّ شيءٍ قائمٌ به ؛ غنىٰ كلّ فقير، وعزُّ كلّ ذليل، وقوّة كلّ ضعيف، ومفزع كلّ ملهوف ؛

من تكلَّمَ سمعَ نطقَه، ومن سكت علمَ سرَّه، ومن عاش فعليه رزقُه، ومن مات فإليه منقلَبه.

لم ترَكَ العيونُ فتخبر عنك، بل كنتَ قبل الواصفين من خلْقك ؛ لم تخلق الخلقَ لوحشة، ولا استعملتَهم لمنفعة، ولايسبقك من طلبتَ، ولايفلتكَ من أخذتَ، ولاينقص سلطانكَ من عصاكَ، ولايزيد في ملككَ من أطاعك، ولايردّ أمرَكَ مَن سخَط قضاءك، ولايستغني عنك من تولّٰى عن أمرك ؛ كلُّ سرٍّ عندك علانيةٌ، وكلُّ غيبٍ عندك شهادةٌ ؛

أنت الأبد فلاأمد[٢] لك وأنت المنتهى لامحيص عنك، وأنت الموعد لامنجى منك، [إلاّ إليك][٣] ؛ بيدك ناصيةُ كلّ دابّة، و إليك مصيرُ كلّ نسمة».

ومن أنواره - صلوات الله عليه - :

«الحمد لله الذي لايفره المنع[٤] ولايُكديه الإعطاءُ، إذ كلُّ معطٍ منتقصٌ سواه ؛ المليء بفوائد النعم وعوائد المزيد، وبجوده ضَمنَ عيالةَ الخَلق، فأنهج سبيل الطلب للراغبين إليه ؛ فليس بما سُئل بأجودَ منه بما لم يُسأل.

١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩. «أولها : كل شيءٍ خاشعٌ له وكل...».
عنه البحار : ٤/٣١٧-٣١٨، ح٤٣.

٢) مل : فلا أبد.

٣) زيادة من المصدر.

٤) وفر يفر - كوعد يعد - من الوفور بمعني الكثرة ؛ أي لايزيد المنعُ له شيئا. الإكداء : الإفقار والتقليل.

ما اختلف عليه دهرٌ فيختلف منه الحال ؛ ولو وهبَ ما تنفَّست عنه معادنُ الجبال ، وضحكت عنه أصدافُ البحار - من فلز اللجين[١] وسبائك العقيان ونضائد المرجان - لبعض عبيدِه ، لما أثَّر ذلك في جُوده ، ولا أنفد سعةَ ما عنده ، ولكان عنده من ذخائر الإفضال ما لايُنفده مطالبُ السؤَّال[٢] ولايخطر لكثرته على بال ؛ لأنَّه الجواد الذي لاتُنقصه المواهبُ ، ولايبخّله إلحاح الملحّين ، و ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢/٣٦] .

الذي عجزت الملائكةُ - على قُربهم من كرسيّ كرامته ، وطول وَلهِهم إليه وتعظيم جلال عزِّه ، وقربهم من غيب ملكوته - أن يعلموا من أمره إلاّ ما أعلمهم ؛ وهم - من ملكوت القدس - بحيث هم في معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا : ﴿ سُبحانَكَ لاعِلْمَ لَنا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إنَّـكَ أنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣٢/٢] . فماظنُّك - أيُّها السائل - بمن هوكذا ؟ سبحانه وبحمده ؛ لم يحدث فيمكن فيه التغيُّر والانتقال ، ولم يتصرَّف في ذاته بكرور الأحوال ، ولم يختلف عليه حقب الليالي والأيَّام .

الذي ابتدع الخلقَ على غير مثال امتثله ، ولا مقدارٍ احتذى عليه من معبودٍ كان قبله ؛ ولم تحط به الصفاتُ ، فيكون بإدراكها إيَّاه بالحدود متناهيا ، ومازال -﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾- عن صفة المخلوقين متعاليا ؛ وانحسرت الأبصار عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفا ، وبالذات التي لايعلمها إلاَّ هو عند خَلقه معروفا ؛ وفات - لعلوِّه على أعلى الأشياءِ - مواقع وهمِ المتوهِّمين ، وارتفع عن أن تحوي كنهَ عظمته فهاهة[٣] رويَّات المتفكِّرين .

فليس له مِثلٌ فيكون مايخلق مشبها به ، ومازال - عند أهل المعرفة به -

---

١) الفِلْز - بكسر الفاء وسكون اللام - : كبد البعير . وأفلاذ الأرض كنوزها. أوبكسر الأول وفتح الثاني - جمع الفلذة - بمعنى الذهب والفضة. وفي محكي البحار عن التوحيد : فلزّ - بالزاء المعجمة مشددة - وهو اسم الأجسام الذائبة مثل الذهب والفضة والرصاص. اللجين - مصغرا - : الفضة. العقيان : الذهب الخالص.

٢) السؤَّال جمع السائل ؛ كطلاب جمع طالب.

٣) هامش النسختين : الفهاهة : العيّ - ق.

عن الأشباه والأضداد منزَّها ؛ كذب العادلون بالله إذ شبَّهوه بمثل أصنامهم ، وحلَّوه حليةَ المخلوقين بأوهامهم ، وجزَّءُوه بتقدير منتج من خواطرهم ، وقدَّروه على الخَلق المختلفَة القوى بقرائح عقولهم .

وكيف يكون مَن لايقدَّر قدرُه مقدَّرا في رويَّات الأوهام ؟ وقد ضلَّت في إدراك كنهِ هواجسُ الأحلام ؟ ! لأنَّه أجلُّ مِن أن تحدَّه ألبابُ البشرِ بالتفكيرِ ، أو تحيط به الملائكةُ - على قربهم من ملكوت عزته - بتقدير .

تعالى عن أن يكون له كفؤٌ فيشبه به ؛ لأنَّه اللطيفُ الذي إذا أرادت الأوهامُ أن تقع عليه في عميقات غيوب ملكه ، وحاولت الفكرُ المبرَّأة من خطَر الوسواسِ إدراكَ علم ذاته ، وتولَّهت القلوبُ إليه لتحوي منه مكيّفا في صفاته ، وغمضت[١] مداخلُ العقول في حيث[٢] لاتبلغه الصفاتُ لتنالَ علم إلهيَّته : ردعتْ خاسئةً - وهي تجوبُ مهاويَ[٣] سدفِ[٤] الغيوب متخلِّصةٍ إليه سبحانه . رجعتْ - إذ جبهت[٥] - معترفةً بأنَّه لاينال بجور الاعتساف كُنهَ معرفته ، ولا تخطر ببال أُولي الرويَّات خاطرةٌ من تقدير جلال عزَّته ، لبُعده من أن يكون في قوى المحدودين ، لأنَّه خلاف خَلقه ، فلا شِبه له في المخلوقين ، و إنَّما يُشبَّه الشيء بعَديله ؛ فأمَّا ما لاعديل له فكيف يشبَّه بغير مثاله ؟ !

وهو البديءُ الذي لم يكن شيءٌ قبله ، والآخر الذي ليس شيءٌ بعده ؛

لاتناله الأبصار من مجد جبروته - إذ حجَبها بحُجبٍ لاتنفذ في ثخن كثافته ، ولاتخرق إلى ذي العرش متانة خصائص ستره[٦] ؛ إنَّه الذي صدرت

---

١) أي لطفت ودقّت. هامش ر : غمض في الأرض يغمِض ويغمُض : ذهب وسار - ق.

٢) ر ن خ : من حيث.

٣) هامش ر : الجوب : الخرق. كالاجتياب والقطع. مهاوي : جمع مهواة ، وهي الفرجة بين الجبلين - ق.

٤) هامش ر : السدفة - ويضم - : الظلمة تميمية ، والضوء قيسية ، ضد ، أو سميا باسم ، لأن كلا يأتي على الآخر كالسدف محركة ، أو اختلاط الضوء والظلمة معا ، كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الاسفار والطائفة من الليل - ق.

٥) هامش ر : جبهه - كمنعه - : ضرب جبهته ورده أو لقيه بما يكره - ق.

٦) مل : سره. المصدر : ستراته. (بدلا من : ستره انه).

الأمورُ عن مشيئَته، وتصاغرت عزَّةُ[١] المتجبِّرين دون جلال عظمته، وخضعت له الرقابُ، وعنت الوجوهُ من مخافته، وظهرت في بدائع الذي أحدثها آثارُ حكمته، وصار كلُّ شيءٍ خَلَق حجةً له ومنتسبا إليه؛ و إن كان خَلقا صامتا فحجَّتُه بالتدبير ناطقة فيه.

فقدَّر ما خَلَق، فأحكم تقديرَه و وضع كلَّ شيءٍ بلطف تدبيره موضعَه، ووجَّهه بجهة فلم يبلغ منه شيءٌ حدودَ منزلته، ولم يقصر دون الانتهاءِ إلى مشيئته، ولم يستصعب إذ أمَره بالمضيِّ إلى إرادته - بلامعاناة للغوب مُنَّته[٢] ولامكابَدة[٣] لمخالف له على أمره - فتمَّ خلقُه، وأذعن لطاعته، و وافى الوقتَ الذي أخرجه إليه إجابة؛ لم يعترض دونها المبطيء، ولا أناة المتلكّيء. وأقام من الأشياءِ أودَها وهيّأ[٤] معالمَ حدودها، ولاءَم بقدرته بين متضادَّاتها، و وصل أسبابَ قرائنها، وخالَفَ بين ألوانها، وفرَّقها أجناسا مختلفاتٍ في الأقدار والغرائز والهيآت.

بدايا[٥] خلائق أحكم صُنعَها، وفطرها على ما أراد إذ ابتدعها؛
انتظم علْمُه صنوف درّها، وأدرك[٦] تدبيرُه حُسنَ تقديرها».
- الحديث - وقد مرّ ذكر تمامه في التنزيه؛
رواه في كتاب التوحيد[٧]، وبعضه مذكور في
نهج البلاغة[٨] بأدنى تغيير في اللفظ.
ولنقتصر من كلماتهم عليهم السلام
على ذلك.

---

١) مل: غرة. ٣) ر: ن ح: مسه. ٤) مل: ولا مكايدة. ٥) المصدر: نهّى.

٥) بدايا: جمع بديء. وهوالعجيب البديع. والبدايا خبر مبتدء محذوف، تقديره: هذه الأشياء التي وصفتها بدائع خلائق. ٧) مل: وادراك.

٧) التوحيد: باب التوحيد ونفي التشبيه، ٤٩-٥٦، ١٣. عنه البحار: ٢٧٤/٤-٢٧٦، ح١٦.

٨) نهج البلاغة: الخطبة ٩١ (خطبة الأشباح). مع فروق كثيرة لم نتعرض لها. عنه البحار: ١٠٦/٥٧-١٠٧، ٩٠. و٣١٦/٧٧-٣١٧.

في أسمائه الحسنى تبارك وتعالى

﴿وَ لِلّٰهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [٧/١٨٠]

نور
[الاسم وإطلاقاته]

الاسمُ ما دَلَّ على الذات الموصوفة بصفة معيَّنة، كلفظ «الرحمان»، فإنَّه يدلُّ على ذات متَّصفة بالرحمة، و «القهَّار» فإنَّه يدلُّ على ذات لها القهر - إلى غيرذلك.

وقد يطلق الاسم على نَفسِ الذات باعتبار اتِّصافها بالصفة، وعلى هذا هو عين المسمَّىٰ باعتبارالهويَّة والوجود، و إن كان غيره باعتبار المعنى والمفهوم؛ وهذا كما أنَّ صفاته عزَّ وجلَّ عين ذاته المقدَّسة وغيرها - بالاعتبارين -. والأسماء الملفوظة بالإطلاق الثاني هي أسماءُ الأسماء.

وسُئل مولانا الرضا عليه السلام عن الاسم: ماهو؟ قال[١]: «صفةٌ لموصوف».

وعن الصادق عليه السلام[٢] «مَن عَبَدَ اللهَ بالتوهُّم فقد كفر، ومن عبَد الاسمَ دونَ المعنى فقد كفَر، ومن عبَد الاسم والمعنى فقد أشرَك، ومن عَبَدَ المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصَف بها نفسَه، فعقَدَ عليه قلبه ونطَق به لسانُه في سرِّ أمره وعلانيته، فأُولئك هم المؤمنون حقًّا».

---

١) الكافي: باب حدوث الأسماء، ١/١١٣، ح٣. التوحيد: باب أسماء الله تعالى، ١٩٢، ح٥. البحار: ٤/١٥٩، ح٣.

٢) الكافي: باب المعبود: ١/٨٧، ح١. التوحيد: الباب السابق: ٢٢٠، ح١٢. عنه البحار: ٤/١٦٥-١٦٦، ح٧.

لعلّ مراده ﷺ بـ«الاسم» ما يُفهم من اللفظ، أعني المعنى الذهني؛ و بـ«المعنى» ما يصدق عليه اللفظ، أي المعنى العيني - وهو المسمّى - فالاسم غير المسمّى بهذا الاعتبار.

نور

[الموجودات مظاهر الأسماء الحسنى، بل عينها]

لكلّ اسم من الأسماء الإلهيّة مظهرٌ من الموجودات، باعتبار غلبةِ ظهور الصفة التي اشتمل عليها ذلك الاسم فيه، فإنَّ اللهَ - سبحانه - إنّما يخلق ويدبِّر كلَّ نوع من أنواع الخلائق باسم من أسمائه، وذلك الاسم هو ربُّ ذلك النوع، والله - سبحانه - ربُّ الأرباب.

وأعني بالاسم هنا إطلاقه الثاني من إطلاقيه المشار إليها آنفا.

و إلى هذا أُشير في كلام أهل البيت ﷺ في أدعيتهم بقولهم[1]: «و بالاسم الذي خَلَقْتَ بِه العَرشَ، و بالاسم الذي خَلَقتَ بِه الكُرسيّ، وبالاسم الذي خَلَقتَ بِهِ الأرواح» - إلى غير ذلك من هذا النمط -.

وعن الصادق ﷺ[2]: «نَحنُ واللهِ الأسماءُ الحسنىٰ التي لايقبل الله مِن العباد عَمَلا إلّا بِمَعرفَتنا». وذلك لأنّهم ﷺ وسائل معرفة ذاته ووسائط ظهور صفاته، و أرباب أنواع مخلوقاته.

نور

[يسأله سبحانه من في السماوات والأرض]

كلُّ من الموجودات يطلب من الله - سبحانه - بلسان استعداده الكمالَ

---

١) راجع مانقله المجلسي - قده - عن مصباح السيد علي بن الحسين بن باقي - ره - (البحار: كتاب الصلاة، باب صلاة النبي والأئمة ﷺ، ١٨٢/٩١، ح٨). البلد الأمين: الأسماء الحسنى: ٤١٢. دلائل الإمامة: ذكردعاء علمهارسول الله ﷺ فاطمة ﷺ، ٦.

٢) الكافي: باب النوادر من كتاب التوحيد: ١٤٤/١، ح٤.

الذي يستعدُّ له ؛ واستعدادُه لذلك الكمال - أيضا - من نعمه سبحانه ، و إليه أُشير في الأدعية المأثورة بقولهم[١] : «يا مُبتدئا بالنِعم قبلَ استحقاقها». و إعطاؤه - سبحانه - الاستعدادَ دعاءٌ منه إلى الطلب ، فالطلبُ بهذا الاعتبار إجابة لدعوة الحقّ ﴿ أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللهِ ﴾ [٣١/٤٦]. وهو باعتبار آخر سؤالٌ منه سبحانه : ﴿ يَسْئَلُهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ ٱلْاَرْضِ ﴾ [٢٩/٥٥].

وهذا السؤال إنما هو بلسان الحاجة والافتقار ، وعلى وجه الذُلّ والاضطرار ، و إنما هو باسم منٍ أسمائه - جلَّ جلاله - مناسبٍ لحاجة السائل ، فالفقيرُ - مثلا - إنما يدعوه بالاسم «المغني» ، والمريضُ بالاسم «الشافي» ، والمظلوم بالاسم «المنتقم» - وعلى هذا القياس - فكلُّ ذرَّة من ذرّات العالَم تدعو اللهَ بلسان حالها اضطرارا باسم من أسمائه تعالى ، وهو سبحانه يجيب دعوتها في حضرة ذلك الاسم الذي دعاه به ، كما قال : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [٦٢/٢٧] .

وذلك الاسم هو صورةُ إجابته تعالى لدعوة ذلك المضطرّ من وجهٍ ، وهو ربُّ ذلك المضطرّ بإذن الله من وجهٍ آخر ؛ ومطالبُ الكلّ على حسب مسؤلاتهم مبذولة دائما ، وحوائجهم مَقضيَّة أبدا ، لايخيبُ منه أحدٌ قطُّ ، إلّا من كان على بصيرته غشاوةٌ من استعداده ، فأخذ يدعو الله بلسان المقال ، خلافَ ما يدعوه بلسان الحال ؛ فذلك يخيبُ قولا ، و إن استجيب حالا ؛ وهو قوله سبحانه : ﴿ وَ مَا دُعَاءُ ٱلْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [١٤/١٣]. وسائر أفعاله تعالى يرجع إلى هذه الإجابة لدعوة المضطرّين ، وهي ترجع إلى إفاضة الوجود ، و إنماتختلف أساميها باختلاف الاعتبارات .

روي في كتاب التوحيد[٢] بإسناده ، عن يحي الخزاعي[٣] ، قال : دخلت

---

١) التوحيد : باب أسماء الله تعالى ، ٢٢٢ ، ح١٤. البلد الأمين : ١٨ .

٢) التوحيد : باب أسماء الله تعالى : ٢١٩ ، ح١٠. معاني الأخبار : باب قول المريض آه : ٣٥٤. البحار : ٢٠٢/٨١ ، ح٣. ٣٩٣/٩٣ ، ح٣.

٣) إسناد الصدوق - قده - في التوحيد : «حدثنا غير واحد ، قالوا : حدثنا محمّد بن همام ، عن عليّ بن الحسين (عليّ بن الحسن - ن) ، قال : حدثني جعفر بن يحي الخزاعي ، عن أبيه ، قال دخلت مع أبي عبدالله عليه السلام...».

مع أبي عبدالله ﷺ على بعض مَواليه نَعوده، فَرأيتُ الرجلَ يكثر من قولِ: «آه». فقلت له: «يا أخي - اذكر ربَّك، واستغِث به».

فقال أبو عبدالله ﷺ: «إنَّ «آه» اسم من أسماء الله - تعالى - فَمَن قال: «آه»، فقد استغاث بالله - تبارك وتعالى».

نور

[إحصاء الاسماء]

الأسماء الملفوظة لله سبحانه شائعة ويندرج بعضها في بعض بالمعنى، كاندراج النافع تحت اللطيف، والمانع تحت القهّار - إلى غير ذلك - ويندرج الكلّ تحت «الله» لاشتماله على جميع الصفات الإلهيّة؛ والاسم الأعظم مستور فيها إلّا على[1] أهله.

وعن النبيّ ﷺ[2] بطرق متعددة: «إنَّ لله - تبارك وتعالى - تسعةً وتسعين اسما - مائة إلّا واحدة، من أحصاها دخل الجنَّةَ».

وفي رواية أُخرى[3] «... مَن دَعا الله بها استجاب له، ومن أحصاها دَخَل الجنَّة».

وفي رواية[4]: «إنَّ الله وِترٌ يحبُّ الوِتْرَ»

قال بعض علمائنا - رحمهم الله -[5]: «إحصاؤها هو الإحاطة بها، والوقوف على معانيها؛ وليس معنى الإحصاء عدّها».

---

١) ر: عن أهله.

٢) التوحيد: باب أسماء الله تعالى ١٩٤-١٩٥، ح٨. الخصال: أبواب الثمانين ومافوقه: ٥٩٣/٢-٥٩٤، ح٤. البحار: ١٨٦/٤-١٨٧، ح١. راجع أيضا الأسماء والصفات للبيهقي: باب بيان الأسماء التي من أحصاها دخل الجنَّة: ٢٨/١.

٣) التوحيد: الباب السابق ١٩٥، ح٩. عنه البحار: ١٨٧/٤، ح٢.

٤) مسلم: كتاب الذكر، باب في أسماء الله تعالى، ٢٠٦٢/٤، ح٥.
البخاري: كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد، ١٠٩/٨.

٥) القائل الشيخ الصدوق - قده - في التوحيد: باب أسماء الله تعالى: ١٩٥.

وقال آخر[١] :

« الإحصاءُ بمعنى الإطاقة » ؛ أي من أطاق أن يقتدر بها قدر ما يطيق دخل الجنة ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ عَلِمَ اَن لَّنْ تُحْصُوهُ ﴾ [٢٠/٧٣] أي [لن] تطيقوه. وفي الحديث[٢] : « استقيموا ولن تحصوا ».

وقريب منه ما قاله بعض أهل المعرفة[٣] :

«إحصاؤها أن يجعلها أسماءً[٤] لنفسه بتحصيل معانيها فيها بقدر الإمكان ؛ وهذا كقوله ﷺ[٥] : « تخلّقوا بأخلاق الله » ؛ و إلّا فلوأنّ أحدا أحصى ألفَ ألف اسم مِن أسمائه العظام بمجرّد اللسان، من غير أن ينطبع في طبعه، وينتقش في نفسه تلك المعاني المدلول عليها بتلك الأسامي، فمَثَله ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَايَسْمَعُ اِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً ﴾ [١٧١/٢] ».

أراد بذلك أن يحصل للعبد من معانيها مايناسبها بقدر الإمكان ويشاركها في الاسم، و إن لم يماثلها مماثلةً تامّةً.

وقال بعضُ العلماء[٦] :

«حظوظُ المقرّبين من معاني أسماء الله - تعالى - ثلاثةٌ:

---

١) القائل - كما في علم اليقين - السيد فضل الله الراوندي في شرح الشهاب.

٢) ابن ماجة: كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء: ١٠١/١-١٠٢، ح٢٧٧-٢٧٨. المسند: ٢٨٢/٥. الدارمي: ١٦٨/١، كتاب الصلاة، باب ماجاء في الطهور. كنزالعمال: ٥٧/٣، ح٥٤٧٤.

٣) لم أعثر على القائل.

٤) مل: اسما لنفسه.

٥) لم أعثر عليه في الجوامع الروائية. استشهد به السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار: القاعدة الأولى من الأصل الثالث، ٣٦٣. وعبدالرزاق القاساني في شرح منازل السائرين: باب الخلق، ٢٣٥. و الغزالي في المقصد الأسنى: خاتمة الفصل الأول من الفن الثاني: ١٦٢. والفخر الرازي في المقاصد العالية: ٣٠٠/٧.

٦) الغزالي في المقصد الأسنى: الفصل الرابع من الفن الأول: ٤٢-٤٤.

الأوّل : مَعرفةُ هذه المعاني على سبيل المكاشَفة والمشاهَدة، حتَّى تتَّضح لهم حقائقُها بالبرهان الذي لايجوز فيه الخطاء، وينكشف لهم اتِّصافُ الله تعالى بها انكشافا يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين، الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنة، لابـإحساس ظاهر.

الثاني : استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجهٍ ينبعث من الاستعظام شوقُهم إلى الاتِّصاف بما يمكنهم من تلك الصفات، ليقرّبوا بها من الحقِّ قُربا بالصفة - لا بالمكان - فيأخذوا من الاتِّصاف بها شبها بالملائكة المقرَّبين عندالله، ولن يتصوَّر أن يمتلأ القلب باستعظام صفةٍ واستشرافها عليه، إلاَّ ويتبعه شوقٌ إلى تلك الصفة، وعشقٌ لذلك الكمال والجمال، وحرصٌ على التَحلِّي بذلك الوصف، إن كان ذلك ممكنا للمستعظم بكماله؛ و إن لم يمكن بكماله فينبعث الشوقُ إلى القدْر الممكن منه لامحالة.

الثالث : السعي في اكتساب التمكن من تلك الصفات والتخلُّق بها، والتَحلِّي بمحاسِنها، وبه يصيرالعبدُ ربَّانيًا - أي قريبا من الربِّ - تعالى - وبه يصير رفيقا للملإ الأعلى من الملائكة، فإنَّهم على بساط القُرب فَمَن صَرَفَ [همَّته] إلى شبه من صفاتهم نال شيئا من قربهم بقدر مانال من أوصافهم المقرّبة لهم إلى الحقِّ - تعالى -».

ثم ذكر شرح معاني أسماء الله التسعة والتسعين وبيان حظّ العبد منها واحدا واحدا؛ وقد أوردنا ملخّصه في كتاب علم اليقين؛ ونقتصر هاهنا على تعدادها.

وهو على ما ورد في طريق الخاصّة بإسناد الصدوق[1] عن مولانا الصادق عن أبيه الباقر عن السجّاد عن الشهيد عن أميرالمؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله :

---

١) التوحيد: باب أسماء الله تعالى ١٩٤-١٩٥، ح٨. الخصال: أبواب الثمانين ومافوقه: ٥٩٣/٢-٥٩٤، ح٤. البحار: ١٨٦/٤-١٨٧، ح١.

«إنَّ لله تبارك وتعالى تسعةً وتسعين اسما، مائة إلّا واحدة، من أحصاها دخل الجنَّةَ، وهي: الله[1]، الواحدُ، الأحدُ، الصمدُ، الأوَّلُ، الآخرُ، السميعُ، البصيرُ، القديرُ، القاهرُ، العليُّ، الأعلى، الباقيُ، البديعُ، البارئ، الأكرمُ، الظاهرُ، الباطنُ، الحيُّ، الحكيمُ، العليمُ، الحليمُ، الحفيظُ، الحقُّ، الحسيبُ، الحميدُ، الحفيُّ، الربُّ، الرحمنُ، الرحيمُ، الذاريُّ الرزَّاقُ، الرقيبُ، الرءوفُ، الرائيُ، السلامُ، المؤمنُ، المهَيمنُ، العزيزُ، الجبَّارُ، المتكبِّرُ، السيِّدُ، السُّبُّوحُ، الشهيدُ، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفوُّ، الغفورُ، الغنيُّ، الغياثُ، الفاطرُ، الفردُ، الفتَّاحُ، الفالقُ، القديمُ، الملِكُ، القدُّوسُ، القويُّ، القريبُ، القيُّومُ، القابضُ، الباسط، قاضي الحاجات، المَجيدُ، المولى، المنَّانُ، المحيطُ، المبينُ، المُقيتُ، المصوِّرُ، الكريمُ، الكبيرُ، الكافي، كاشفُ الضرِّ، الوِترُ، النورُ، الوهَّابُ، الناصرُ، الواسعُ، الودودُ، الهاديُ، الوفيُّ، الوكيلُ، الوارثُ، البرُّ، الباعثُ، التوَّابُ، الجليلُ، الجوادُ، الخبيرُ، الخالقُ، خيرُ الناصرين، الدَّيانُ، الشكورُ، العظيمُ، اللطيفُ، الشافي».

وفي طريق العامة استبدل بعضها ببعض آخر[2] -.

ولعلّ تخصيص هذا العدد بالذكر - مع أنَّ أسماء الله - سبحانه - أزيَد من ذلك، بما لايدخل تحت الضبط - كما يستفاد من التتبُّع - لاختصاص هذه بمارُتِّب عليه من دخول الجنَّة بإحصائها واستجابة الدعوة، أو لامتيازها من سائر الأسماء بمزيد فضل، لجمعها أنواعا من المعاني المنبِئة عن الجلال ما لايجمع غيرها.

ولها خواصٌّ وآثارٌ ومناسباتٌ للنفوس، وتأثيراتٌ فيها، ذكرا وكتابةً واستصحابا ووِفقا بشرائط مخصوصة ذكرها أهل هذا الفنِّ في مصنَّفاتهم.

---

١) أُضيف هنا في التوحيد والخصال وكذا فيما نقله المجلسي - ره - عنهما في البحار: «الإله». والأظهر أن الصحيح مانقله المؤلف - قده - إذ به يصير عدد الاسماء مائة.

٢) راجع الأسماء والصفات للبيهقي: باب بيان الأسماء التي من أحصاها دخل الجنَّة: ٢٨/١. المستدرك للحاكم: كتاب الإيمان، ١٦/١. الترمذي: كتاب الدعوات، الباب ٨٣، ٥٣٠/٥، ح٣٥٠٧. كنزالعمال: ٤٤٨/١-٤٥٠، ح١٩٣٧-١٩٣٩.

في أفعاله جلّ جلاله وآثاره

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾
[٢٥/٤٥]

نور
[صدور الموجودات الكثيرة عن الواحد الحق تعالى]

فعله سبحانه إفاضة الوجود مطلقا، وأثره لوازم الوجودات من الماهيّات، وسائر الصفات الفعليّة راجعة إلى إبداع الوجود، لأنّه سبحانه بسيط الحقيقة لا كثرة له بوجه من الوجوه، ففعله واحد كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ ﴾ [٥٤/٥٠] فإنّ ما يوجد منه إنّما يوجد بما هو هو - لا بماهو غيرذاته - وما يفيض منه فإنّما ينبعث عن صريح ذاته وحاقّ حقيقته من غير صفة زائدة، لتعاليه عنها وتقدّسه.

فأول ما خَلَق الله سبحانه من الآثار وكساه خلعة الوجود من عالم الأمر والأرواح جوهرة شريفة روحانيَّة نورانيّة فعّالة وحدانيَّة بسيطة، لها وجوهٌ وجهات؛ ثم خلق سائرالأشياء من وجوهها وجهاتها؛ وتسمّى بـ«العقل».

قال النبي ﷺ: «أوّل ما خَلَق اللهُ العَقل»[1].

وقال مولانا الصادق عليه السلام: «الله خلق العقل، وهو أول خلق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره ...» - الحديث، ويأتي تمامه -

---

١) أبو نعيم في الحلية: ترجمة سفيان بن عيينة، ٣١٨/٧. وجاء في الفقيه: (باب النوادر: ٤/ ٣٦٩): «...يا علي، إنّ أول خلْقٍ خلقه الله عزَّ وجلَّ العقل...».

وأول ما خلق الله عالم الخلق والأشباح، جوهرة قابلة لطيفة منها خلق سائر الأجسام؛ وتسمّى بالماء.

قال باقر علوم الأولين والآخرين - صلوات الله عليه -[١] : «أوّلُ شيءٍ خلقَه الله مِن خلقه الشيءُ الذي جميعُ الأشياء منه؛ وهو الماء».

تعبيره عليه السلام عن ذلك بالماء للطافته وقبوله التصرّفات بسهولة؛ وقد وقع التعبير عن العقل في كلماتهم عليهم السلام بعبارات أُخر، وسنذكرها في كتاب العلم بالملائكة.

و إلى وجوهه وجهاته أشير فيما رواه شيخنا الصدوق - طاب ثراه - في العلل عن النبي صلى الله عليه وآله[٢] : إنّه سئل: «مما خلق الله العقل»؟ قال: «خلقه مَلَك له رؤوس بعدد الخلائق - مَن خَلق ومَن لم يخلق[٣] - إلى يوم القيامة، ولكلّ رأس وجه، ولكلّ آدميّ رأس من رؤوس العقل. واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب، وعلى كلّ وجه ستر ملقى لايكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتّى يولد هذا المولود ويبلغ حدّ الرجال أو حدّ النساء؛ و إذا بلغ كشف ذلك الستر، فيقع في قلب هذا الإنسان نورٌ، فيفهم[٤] الفريضة والسنّة، والجيّد والرديء؛ ألا ومَثل العقل في القلب كمثل السراج في وسط البيت».

و في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله[٥] : «أوّل ما خلَق الله جوهرةً، فنظر إليها بعين الهيبة، فذابت أجزاؤه فصارت ماءً؛ فتحرّك الماء وطفى فوقه زبدٌ، وارتفع منه دخانٌ، فخلَق السماوات من ذلك الدخان والأرضين من ذلك الزبد».

---

١) التوحيد: باب التوحيد: ٦٧، ح٢٠.
الكافي: الروضة، حديث أهل الشام: ٩٤/٨، ح٦٧، وفيه فروق يسيرة.
٢) علل الشرائع: ٩٨/١، باب (٨٦) العلة التي من أجلها صار العقل واحدا ...
٣) المصدر: من خلق ومن يخلق.
٤) مل: ففهم.
٥) لم أعثر عليه بلفظه. وقد ورد مايقرب منه في البحار (٣٠/١٥، ح٤٨. و٢٠١/٥٧، ح١٤٥) عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وقيل في قوله سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [٢١/٣٠] : «إنّ الرتق هوالشيء الواحد، والفتق تفصيله سماءً وأرضًا، وعقلا ونفسا، ونوعا وجنسا، وفلكا ومَلكا».

نور

[مراتب الوجود نزولا وصعودا]

الموجودات مترتّبة في الصدور عن الوجود الحقّ، والمصير إليه والبدو منه والعود إليه : فيبتدئ من الأشرف فالأشرف، إلى أن ينتهي إلى ما لا أخسّ منه في الإمكان ولا أضعف، فينقطع عنده السلسلة النزوليّة.

ثمّ يأخذ في الصعود، فلايزال يترقّي من الأرذل إلى الأفضل، إلى أن ينتهي إلى الذي لا أفضل منه في هذه السلسلة الصعوديّة، فيكون هو بإزاء ما بدئ منه في النزول ؛ كما أُشير إليه بقوله سبحانه : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [٣٢/٥].

وكلّ ما كان إلى مبدئه أقرب، فهو إلى البساطة والوحدة والشرافة والغناء أقرب، ومن الاختلاف والتركّب والافتقار أبعد.

ففي المرتبة الأُولى لايفتقر في تقوّمه ولاشيء في صفاته إلى شيء سوى مُبدِعه القيّوم - جلّ اسمه - ويسمّى أهل تلك المرتبة - على اختلاف درجاتهم - **بالعقول والأرواح والملائكة المقرّبين**.

وفي المرتبة الثانية، و إن لم يفتقر في تقوّمه إلى غير مافوقه، ولكنّه يفتقر في أفعاله وصفاته إلى مادونه من المراتب، ويسمّى أهلها - على تفاوت أقدارهم - **بالنفوس والأرواح والملائكة المدبّرين**.

وفي المرتبة الثالثة يفتقر في تقوّمه أيضا إلى مادونه من المراتب، ويسمّى أهلها **بالصور والطبائع**.

وفي المرتبة الرابعة ليس له حيثيّة سوى حيثيّة الإمكان والقوّة، ولاشيئيّة له في ذاته متحصّلة إلّا قبول الأشياء، ويسمّى **بالمادّة والماء والهباء**.

وهي نهاية تدبير الأمر، ثمّ يأخذ في العود، فأول ما يحصل فيه مركّب من مادّة وصورة، ويسمّى بالجسم، ثمّ يتخصّص الجسم بصورة أعلى وأشرف، فيصير بها ذا اغتذاء ونموّ، ويسمّى بالنبات، ثمّ يزيد تخصّصه بصورة أخرى أعلى ممّا قبلها، يصير بها ذا حسّ وحركة، ويسمّى بالحيوان، ثمّ يزيد تخصّصه بصورة أعلى وأفضل، يصير بها ذا نطق، ويسمّى بالإنسان، وللإنسان مراتب كثيرة إلى أن يصير ذا عقل مستفاد، فحينئذ تتمّ دائرة الوجود وتنتهي سلسلة الخير والجود. فالوجودات ابتدأت فكانت عقلا، ثمّ نفسا، ثمّ صورة، ثمّ مادّة؛ فعادت متعاكسة كأنّها دارت على نفسها جسما مصوّرا، ثمّ نباتا، ثمّ حيوانا، ثمّ إنسانا ذا عقل؛ فابتدأ[1] الوجود من العقل، وانتهى إلى العقل.

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [٢٩/٧] ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ [١٠٤/٢١].

والشرف والكمال إنّما هو بالدنوّ من الحقّ المتعال، ففي البدو كلّما تقدّم كان أوفر اختصاصا، وفي العود كلّما تأخّر كان أعلى مكانا؛ و إلى البدو أُشير بليلة القدر و إنزال الكتب والرسل المعنويّين ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ * فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾[٩٧/٤-٥]

و إلى العود بيوم القيامة والمعراج المعنوي: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [٤/٧٠]. وعنهما عُبّر بالإقبال والإدبار:

قال الصادق عليه السلام[2]: «إنّ الله خَلق العقل وهو أوّل خلْق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبِرْ. فأدبَر، ثمّ قال له: أقبِلْ. فأقبل؛ فقال الله - تعالى-: خلقتُكَ خلقًا عظيمًا، و كرّمتك على جميع خلقي».

- قال-: «ثمّ خلَق الجهلَ من البحر الأُجاج ظلمانيًّا، فقال له: أدبِرْ. فأدبَر، ثمّ قال له: أقبِل، فلم يُقبِلْ، فقال له: استكبرتَ. فلعنه».

---

١) مل: فابتداء.

٢) الكافي: كتاب العقل والجهل: ٢١/١، ح١٤. المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، باب العقل: ١٩٦/١، ح٢٢. الخصال: ابواب السبعين ومافوقه، الحديث ١٣: ٥٨٩/٢. بفروق يسيرة. و رواه صاحب تحف العقول (ص٤٠٠) عن الكاظم عليه السلام وفي الروايتين اختلافات يسيرة.

- ثمّ ذكر ﷺ جنود العقل من الخيرات، وجنود الجهل من الشرور.

والمراد بالجهل مايقابل العقل، وهو تابع له، متميّز به، فوجوده بالعرض من غير صُنع، و إدباره تابع لإدبار العقل، و إنّما لم يقبل لأنّه بالإدبار بلغ أقصى مراتب الكمال المتصوَّر في حقّه، ولهذا استكبر.

نور

[الوجود العالي شامل على جميع كمالات الوجود السافل]

هذه المراتب كلّها - على تفاوت درجاتها - متواصلة على نعت الاتّصال بدءا وعودا، بحيث لاثلمة في الوجود أصلا، فيتقوّم السافل بالعالي دائما، فلايوجد السافل إلا وقد وجد العالي قبله.

هكذا جرت سنّة الله كما قال - عزّ وجلّ -: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاّ بِالْحَقِّ﴾ [٨/١٥] فآخر كلّ مرتبة متّصل بأول المرتبة التي هي أسفل منه، وأوله بآخر الأعلى، بل آخر كلّ درجة من درجات مرتبة واحدة متّصل بأول درجة أُخرى هي أسفل منه، وأوله بآخر الأعلى؛ وكلّ كامل في مرتبة من المراتب يحوي جميع الكمالات التي دونه؛ فالحقّ - سبحانه - يحوي جميع ما في الوجود ويحيط بكلّ شيء: والعقل الأول يحوي جميع ما هو دونه، وهكذا.

و نزول الوجود في كلّ مرتبة من المراتب وتنزّله إلى كلّ شأن من الشؤن يوجب ظهور ماهيّة من الماهيّات ومرتبة من مراتب الممكنات، وكلّما كان مراتب النزول أكثر وعن منبع الوجود أبعد، كان ظهورالأعدام والظلمات بصفة الوجود ونعت الظهور واحتجاب الوجود بأعيان المظاهر واختفاؤه بصور المجالي وانصباغه بصبغ الأكوان أكثر. فكلّ نزول يوجب تواضعا عن غاية الرفعة والعظمة وشدة النوريّة وقوّة الوجود، و ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [٢/١١٦].

نور

[القضاء والقدر والعناية]

كلّ مايوجد في هذا العالم فإنّمايوجد بعناية من الله سبحانه وقضاء منه وقدَر.

والعناية عبارة عن إحاطة علمه سبحانه بما عليه الوجود من الأشياء الكليّة والجزئية الواقعة في النظام الكلي، على الوجه الكلي المقتضي للخير والكمال، المؤدّي لوجود النظام على أفضل ما في الإمكان، أتمّ تأدية، مرضيًا بها عنده تعالى.

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّ يَعْلَمُهَا ﴾ [٥٩/٦] ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاّ بِعِلْمِهِ ﴾ [٤٧/٤١].

والقضاء عبارة عن وجود الصور العقلية لجميع الموجودات بإبداعه سبحانه إيّاها في العالم العقلي على الوجه الكلي بلازمان، على ترتيبها الطولي الذي هو باعتبار سلسلة العلل والمعلولات، والعرضي الذي هو باعتبار سلسلة الزمانيّات والمعدّات، بحسب مقارنة جزئيّات الطبيعة المنتشرة الأفراد لأجزاء الزمان، كما قال - عزّ وجلّ - : ﴿ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [٢١/١٥].

والقدَر عبارة عن ثبوت جميع الموجودات في العالم النفسيّ الفلكيّ على الوجه الجزئي، مطابقة لما في موادّها الخارجيّة الشخصيّة، مستندة إلى أسبابها الجزئيّة واجبة بها، لازمة لأوقاتها المعيّنة، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [٢١/١٥]

ويشملها العناية شمول القضاء للقدَر، والقدَر لما في الخارج، إلاّ أنّ العناية لا محلّ لها، بل هو علم بسيط قائم بذاته تعالى، مقدّس عن شائبة كثرة وتفصيل، خلاّق للعلوم التفصيليّة التي هي بعده ؛ وهي ذوات الأشياء الصادرة عنه.

ولكلّ من القضاء والقدَر محلّ : أمّا القضاء، فالعالم العقلي، وأمّا القدَر فالعالم النفسي.

ثمّ الجواهر العقليّة وما معها موجودة في القضاء والقدر مرّة واحدة باعتبارين، والجواهر الجسمانيّة وما معها موجودة فيهما مرّتين.

أنوار شرعية

[بعض المأثور في مراتب صدور الفعل عنه تعالى]

روى في كتاب التوحيد بإسناده[١] عن مولانا الرضا عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام - قال :- «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنَّ آلله - عزَّ وجلَّ - قَدَّرَ المَقاديرَ و دَبَّرَ التدابيرَ قبل أن يخلق آدم بألفي عام»- ».

وفي رواية أُخرى[٢] : «قدّر اللهُ المقاديرَ قبل أن يخلق السماواتِ و الأرضَ بخمسين ألف سنة».

وبإسناده[٣] عن النبي صلى الله عليه وآله - قال- : «لايؤمن أحدُكم حتَّى يؤمن بالقدَر، خيرِه وشرِّه، وحُلوِه ومُرِّه».

وبإسناده[٤] عن العالم عليه السلام قال[٥] : «عَلِمَ، وشاءَ، وأرادَ، وقدَّرَ، وقضىٰ، وأبدا[٦] فأمضىٰ ما قضىٰ، وقضىٰ ما قدَّر، وقدَّر ما أراد؛ فَبعِلمِه كانت المشيئَةُ، وبمشيئَته كانت الإرادةُ، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاءُ، وبقضائِه كان الإمضاءُ.

فالعِلم متقدّم المشيئَة[٧] ، والمشيئَةُ ثانية، والإرادة ثالثة، والتقديرُ واقعٌ على

---

١) التوحيد: باب القضاء والقدَر: ٣٧٦، ح٢٢. العيون: باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد: ١٤٠/١، ح١٤٠. البحار: ٩٣/٥.

٢) التوحيد: الباب السابق: ٣٦٨، ح٧. عنه البحار: ١١٤/٥، ح٤٣. رواه أيضا الترمذي: كتاب القدر، الباب ١٨ : ٤٥٨/٤، ح٢١٥٦. المسند: ١٦٩/٢.

٣) التوحيد: الباب السابق: ٣٨٠، ح٢٧.

٤) التوحيد: باب البداء: ٣٣٤، ح٩. عنه البحار: ١٠٢/٥، ح٢٧.
الكافي: باب البداء: ١٤٨/١، ح١٦.

٥) المصدر: لماسئل: «كيف علم الله»؟ قال:...

٦) الكافي: وأمضى. ولعله الصحيح، بقرينة قوله: «فأمضى ماقضى...» و «بقضائه كان الإمضاء..».

٧) الكافي: متقدم على المشيَّة. الوافي (٥١٧/١): والعلم يتقدم المشيئة...

القضاء بالإمضاء. فللّه - تبارك وتعالى - البداءُ فيما علِم متى شاءَ، وفيما أراد لتقدير الأشياء؛ فإذا وقع القضاءُ بالإمضاء فلابداء.

فالعِلمُ بالمعلوم قبل كونه، والمشيئةُ في المُنشاء[١] قبل عينه، والإرادةُ في المراد قبل قيامه، والتقديرُ لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها - عيانا وقياما[٢] - والقضاءُ بالإمضاء هو المبرَم من المفعولات ذوات الأجسام المدرَكات بالحواسّ، من ذي لونٍ وريحٍ، و وزنٍ وكيلٍ، ومادبَّ ودرَج - من إنس وجنٍّ وطيرٍ وسباعٍ - وغيرذلك ممّا يُدرَك بالحواسّ؛ فللّه - تبارك وتعالى - فيه البداءُ، ممّا لاعينَ له، فإذا وقع العينُ المفهوم المدرَك فلابداء؛ والله يفعل ما يشاء.

و بالعِلم عَلِم الأشياءَ قبل كونها، و بالمشيئة عرف صفاتها وحدودَها، وأنشأها قبل إظهارها، وبالإرادة ميّزَ أنفسَها في ألوانها وصفاتها[٣]، وبالتقدير قدَّر أقواتها وعرَّف أوَّلَها وآخرَها، وبالقضاء أبان للناس أماكنَها، ودلَّهم عليها، وبالإمضاء شرَح عللَها وأبان أمرَها، و ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [٦/٩٦]».

أقول: سنذكر معنى البداء مع تمام الكلام في هذا المقام
في مباحث العلم بالكتب والرسل
إن شاء الله.

---

١) التوحيد: المنشأ.
٢) الكافي: و وقتا.
٣) التوحيد: + وحدودها.

في القَدَر

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾
[١٠/٢٢]

أسرارٌ شرعيّةٌ

[سرّ القدر]

سرّ القدَر في الأفعال من الأسرار والغوامض التي تحيَّرت فيها الأفهام، واضطربت فيها آراء الأنام، ولم يرخَّص في إفشائه للعوام؛ فلا يدوَّن إلّا مرموزا، ولا يعلم إلّا مكنونا، لِما في إظهاره من إفساد العامَّة وهلاكهم.

فقد رُوي عن النبيّ ﷺ[١] : «القَدَر سرُّ اللهِ، فلا تُظهروا سرَّ اللهِ».

وعنه ﷺ[٢] : «إذا ذُكر القَدَرُ فامسكوا».

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام عنه، فقال: «إنَّه طريقٌ عِزّ[٣]، فلا تسلكه» - ثمّ قال:- «إنَّه صعود عَسِرٌ، فلا تتكلّفه».

وفي رواية أُخرى رواها في كتاب التوحيد[٤] بإسناده عن عبد الملك بن عنترة الشيباني عن أبيه، عن جدِّه، قال: «جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «ياأمير المؤمنين، أخبرني عن القدَر»؟

---

١) الجامع الصغير (باب القاف: ٨٨/٢): «القدر سرُّ الله، فلاتفشوا سرَّ الله». كنزالعمال (١٠٧/١، ح٤٨٥): «القدر سرالله، من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فأنا بريء منه».

٢) المعجم الكبير: ٩٦/٢، ح١٤٢٧. و ١٩٨/١٠، ح١٠٤٤٨. الجامع الصغير (باب الالف: ٢٦/١).

٣) علم اليقين: طريق وعر. مل: طريق فيه عز.

٤) التوحيد: باب القضاء والقدر: ٣٦٥، ح٣. عنه البحار: ١١٠/٥، ح٣٥.

قال : « بحرٌ عميـقٌ فلاتَلجْه ». قال : « ياأمير المؤمنين ، أخبرني عن القدَر ».

فـقال : « طـريـقٌ مظلم فلاتسلكْه ». قـال : « يـاأمير المؤمنـين أخـبرني عـن القدَر ».

قال : « سرُّ الله فلاتكلّفه ». قال : « ياأمير المؤمنين أخبرني عن القدَر ».

فقال : له أمير المؤمنين عليه السلام : « أمّا إذا أبيت ، فإنّي سائلك : أخبرني أكانت رحمةُ الله للعباد قبل أعمال العباد ؟ أم كانت أعمالُ العباد قبلَ رحمة الله » ؟

- قـال :- فـقال لـه الـرجـل : « بل كـانـت رحمةُ الله للعبـاد قبلَ أعمال العباد ».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : « قوموا فسلّموا على أخيكم ، فقد أسلم ، وقد كان كافرا ».

قـال : فـانـطلق الـرجـلُ غير بعيـدٍ ، ثمّ انـصرف إليـه فـقـال لـه : « يـا أمير المؤمنين ، أبالمشيئة الأُولى نقومُ ونقعُد ، ونقبض ونبسط » ؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : « و إنّك لَبَعدُ في المشيئة ؛ أمّا إنّي سائلُك عن ثلاث - لايجعل الله لك في شيءٍ منها مَخرجا - : أخبرني أخَلق الله العبادَ كما شاء ، أو كما شاءوا » ؟ فقال : « كما شاء ».

قال : « فخلق اللهُ العبادَ لما شاء ، أو لما شاءوا » ؟ فقال : « لما شاء ».

قال : « يأتونه يوم القيامة كما شاء ، أو كما شاءوا » ؟

قال : « يأتونه كما شاء ». قال : « قم ؛ فليس إليك من المشيئة شيءٌ ».

وبإسناده[1] عن الأصبغ بن نباتة ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في القدَر :

« ألا إنَّ القَدَرَ سرٌّ من سرِّ الله ، وسترٌ من ستر الله ، وحِرزٌ من حرز الله ؛ مرفوعٌ في حجاب الله ، مطويٌّ عن خَلق الله ، مختومٌ بخاتم الله ، سابقٌ في علم الله ؛ وَضَع الله العبادَ عن علمه ، ورفعه فوقَ شهاداتهم ومبلغ عقولهم ، لأنّهم

١) التوحيد : باب القضاء والقدر : ٣٨٣ ، ح٣٢.

لاينالونه بحقيقة الربانيَّة، ولابقدرة الصمدانيَّة، ولابعظمة النورانيَّة، ولابعزَّة الوحدانيَّة، لأنَّه بحرٌ زاخرٌ خالصٌ لله تعالى؛ عُمقُه مابين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، أسودُ كالليل الدامِس، كثيرُ الحيّات والحيتان؛ تعلو مرَّةً وتسفل أُخرى، في قعرها شمس تضيء.

لاينبغي أن يطَّلع إليها إلَّا الله الواحد الفرد؛ فمن يطَّلع عليها فقد ضادَّ الله عزَّ وجلَّ في حكمه، ونازعَه في سلطانه، وكشف عن ستره وسرِّه، وباء بغضبٍ من الله، ومأواه جهنّم وبئس المصير».

[أبقدر يصيب الناس أم بعمل]

وبإسناده[1] عن الزهري ـ قال :ـ قال رجل لعليّ بن الحسين عليهما السلام :

«جعلني الله فداك - أبقدَرٍ يُصيب الناسَ ما أصابهم، أم بعمل» ؟

فقال عليه السلام : «إنّ القدَر والعملَ بمنزلة الروح والجسَد، فالروحُ بغير جسدٍ لاتُحسُّ، والجسدُ بغير روحٍ صورة لاحراك لها؛ فإذا اجتمعا قويا وصلحا؛ كذلك العملُ والقدَرُ، فلولَم يكن القدَرُ واقعا على العمل لم يُعرف الخالقُ من المخلوق، وكان القدَرُ شيئا لايحسّ؛ ولو لم يكن العملُ بموافقة من القدَر لم يمضِ ولم يتمّ؛ ولكنّهما باجتماعهما قوَيا، ولله فيه العون لعباده الصالحين».

ثمّ قال عليه السلام : «ألا، [إنَّ][2] من أجوَر الناس مَن رأىٰ جورَه عدلا، وعدلَ المهتدي جورا؛ ألا - إنَّ للعبد أربعة أعيُن: عينان يُبصر بهما أمرَ دنياه، وعينان يُبصر بهما أمرَ آخرته، فإذا أراد اللهُ - عزَّ وجلَّ - للعبد خيرا، فتَحَ له العينين اللتين في قلبِه، فأبصرَ بهما الغيب؛ و إذا أراد غيرِ ذلك تركَ القلب بمافيه».

ثمَّ التفت إلى السائل عن القدَر، فقال: «هذا منه، هذا منه».

---

١) التوحيد: باب القضاء والقدر: ٣٦٦، ح٤. عنه البحار: ١١٢/٥، ح٣٩.

٢) إضافة من المصدر.

و بإسناده[1] عن مهزم، عن مولانا الصادق عليه السلام - قال :- قلت له : «أجبَرَ اللهُ العباد على المعاصي» ؟ قال : «اللهُ أقهرُ لهم من ذاك».

- قال :- قلت : «ففوَّض إليهم» ؟ قال : «اللهُ أقدر عليهم من ذاك»

- قال :- قلت : «فأيُّ شيءٍ هذا - أصلحك الله -» ؟

- قال :- «فقلّب يدَه - مرّتين أوثلاثا - ثمّ قال : لوأجبتُكَ فيه لكفرتَ».

وبإسناده[2] عن معاذ بن جبل - قال :- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «سبق العلمُ وجَفَّ القلمُ، و مضى القَدَرُ بتحقيقِ الكتاب و تصديقِ الرسل، وبالسعادة من الله - عزَّ وجلَّ- لمَن آمن واتّقى، وبالشقاء لمن كذّب وكفر، وبولاية الله المؤمنين وبراءته من المشركين».

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «عن الله أروي حديثي : إنَّ الله - تبارك وتعالى - يقول : يابن آدم، بمشيئَتي كنتَ أنتَ الّذي تشاءُ لنفسك ماتشاءُ، وبإرادتي كنتَ أنتَ الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبعصمتي وعوني وعافيتي أدّيتَ إليَّ فرائضي، فأنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيِّئاتك منّي، فالخير منّي إليك بما أوليت بداء، والشرُّ منّي إليك بما جنيتَ جزاءً ؛ وبإحساني إليك قويتَ على طاعتي، وبسوء ظنّك بي قنطتَ من رحمتي ؛ فلي الحمدُ والحجَّةُ عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك جزاءُ الخير عندي بالإحسان، لم أدع تحذيرك، ولم آخذك عند عزتك، ولم أُكلِّفك فوق طاقتك، ولم أُحمِّلك من الأمانة إلاّ بما قدَّرت به على نفسك، رضيتُ لنفسي منك مارضيتَ لنفسك منّي».

وبإسناده عن ابن عمر[3] ما يقرب منه، وعن أهل البيت عليهم السلام ما يقرب منها[4] .

١) التوحيد: باب نفي الجبر والتفويض، ٣٦٣، ح١١. البحار عنه: ٥/٥٣، ح٨٩.
٢) التوحيد: باب المشيئة والإرادة، ٣٤٣، ح١٣.
٣) التوحيد: باب المشيئة والإرادة: ٣٤٠، ح١٠.
٤) التوحيد: باب المشيئة والإرادة: ٣٣٨، ح٦.

وفي الكافي[١] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام - قال :- «أمَر اللهُ ولم يشأ وشاء ولم يأمر ؛ أمَر إبليسَ أن يسجدَ لآدم وشاء أن لايسجد ، ولوشاء لَسَجَد ؛ ونهى آدمَ عن أكل الشجرةِ ، وشاء أن يأكلَ منها ، ولو لم يشأ لم يأكل».

وبإسناده[٢] عن مولانا أبي الحسن عليه السلام - قال :- «إنّ للهِ إرادتين ومشيّتين : إرادة حتم و إرادة عزم ، نهى وهو يشاء ، ويأمر وهو لايشاء ؛ أوَ مارأيتَ أنّه نهىٰ آدمَ وزوجتَه أن يأكلا من الشجرة ، وشاء ذلك ، ولو لم يشأ أن يأكلا لماغلبتْ مشيئتُهما مشيئةَ الله ، وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاقَ ، ولم يشأ أن يذبحه ؛ ولوشاء لما غلبت مشيئةُ ابراهيم مشيئةَ الله تعالى».

وبإسناده[٣] عن مولانا الصادق عليه السلام - قال :- «شاءَ و أرادَ ، ولم يحبّ ولم يرضَ ؛ شاءَ أن لايكون شيءٌ إلّا بعلمه ، وأراد مثلَ ذلك ؛ ولم يحبّ أن يقال : ثالث ثلاثة ، ولم يرضَ لعباده الكفرَ».

وبإسناده[٤] عن أبي بصير ، عنه عليه السلام - قال :- «قلت له : شاءَ وأرادَ وقدَّرَ وقضى» ؟ قال : «نعم». قلت : «وأحبَّ»؟ قال : «لا».

قلت : «وكيف شاء وأراد وقَدَّر وقضى ، ولم يحبّ»؟ !

قال : «هكذا خرج إلينا».

وبإسناده[٥] عنه عليه السلام - قال :- «لايكون شيءٌ في الأرض ولا في السماء إلاَّ

---

١) الكافي : باب المشيئة والإرادة : ١٥١/١ ، ح٣.

٢) الكافي : كتاب التوحيد ، باب المشيئة والإرادة : ١٥١/١ ، ح٤.

٣) الكافي : الصفحة السابقة ، ح٥. والتوحيد : باب المشيئة والإرادة ، ٣٤٣ ، ح١٢. عنه البحار : ٥١/٥ ، ح٨١. ١٠٦/٥ ، ح٣٤.

٤) الكافي : كتاب التوحيد ، باب المشيئة والإرادة ، ١٥٠/١ ، ح١. ورواه البرقي في المحاسن بلفظ آخر : كتاب مصابيح الظلم ، باب الإرادة والمشيئة ، ٢٤٥/١ ، ح١٣٩. وعنه البحار : ١٢١/٥ ، ح٦٦.

٥) الكافي : كتاب التوحيد ، باب في أنه لايكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة ، ١٤٩/١ ، ح١. وروى مثله البرقي في المحاسن (كتاب مصابيح الظلم ، باب الإرادة والمشيئة ، ٢٤٤/١ ، ح٢٣٦) عن الباقر عليه السلام.

بهذه الخصال السبع : بمشيئةٍ ، و إرادةٍ ، وقَدَرٍ ، وَقضاءٍ ، و إذنٍ ، و كتابٍ ، وأجلٍ ؛ فمن زعم أنَّه يقدر على نقض واحدة ، فقد كفرَ » .

وفي لفظ آخر[١] : « فمن زعم غير هذا فقد كذبَ على الله ، أو ردَّ على الله [عزَّ وجلَّ] » .

وبإسناده[٢] عنه عليه السلام - قال :- « ما من قبضٍ ولا بسطٍ ، إلّا ولله فيه مشيئة وقضاء وابتلاء » .

أنوارُ شرعيّةٌ

[روايات حول الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين]

و رُوي في الكافي بإسناده[٣] مرفوعا إلى مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام أنَّه كانَ جالسا بالكوفة بعد منصرَفه من صفِّين، إذ أقبل شيخٌ فجثا بين يديه[٤] ، ثم قال : « ياأميرالمؤمنين - أخبِرنا عن مسيرِنا إلى أهل الشام، أبقضاءٍ من الله وقدَر » ؟

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : « أجل - ياشيخ - ماعلَوتُم تلعة[٥] ولا هبتّم بطنَ وادٍ إلّا بقضاء من الله و قدَر » .

فقال له الشيخ : « عندالله أحتسبُ عنائي - يا أميرالمؤمنين » .

فقال له : « مه - يا شيخ - فوالله لقد عظَّم اللهُ لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي مقامكم وأنتم مقيمون ، وفي منصرَفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيءٍ من حالاتكم مكرَهين ، ولا إليه مضطرِّين » .

---

١) الكافي: الصفحة السابقة، ح٢. الخصال: باب السبعة، ٣٥٩، ح٤٦. وهذه الرواية عن الكاظم عليه السلام .

٢) الكافي: كتاب التوحيد ، باب الابتلاء و الاختبار، ١٥٢/١، ح١. التوحيد: باب الابتلاء والاختبار، ٣٥٤، ح٢.

٣) الكافي: كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر، ١٥٥/١، ح١.

٤) جثا يجثو: جلس على ركبتيه وأقام على أطراف أصابعه.

٥) التلعة: ما ارتفع من الأرض.

فقال له الشيخ: «وكيف لم نكن في شيءٍ من حالاتنا مكرَهين ولا إليه مضطرّين، وكان بالقضاء والقدَر مسيرُنا ومنقلَبُنا ومنصرَفُنا»؟

فقال له: «وتظنّ أنّه كان قضاءً حتما وقدرا لازما؟ إنّه لو كان كذلك لبطل الثوابُ والعقابُ والأمرُ والنهيُ والزجرُ من الله، وسقَط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمةٌ للمذنب ولا مَحمدة للمحسِن، ولكان المذنبُ أولىٰ بالإحسان من المحسن وكان المحسن أولىٰ بالعقوبة من المذنب؛ تلك مقالةُ إخوان عبدَة الأوثان وخُصماء الرحمان وحزب الشيطان وقدريَّةُ هذه الأُمَّة ومجوسُها؛ إنَّ اللهَ - تعالى - كلَّفَ تخييرا، ونهى تحذيرا، وأعطى على القليل كثيرا، ولم يُعصَ مغلوبا، ولم يُطَع مكرَها، ولم يملّك مفوّضا، ولم يخلق السماوات والأرضَ وما بينهما باطلا، ولم يبعث النبيّين - مبشّرين ومنذرين - عبثا، ﴿ذٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [٢٧/٣٨]».

فأنشأ الشيخُ يقول:

أنتَ الإمامُ الذي نرجوا بطاعتِه ... يومَ النجاةِ من الرحمان غفرانا
أوضحتَ من أمرِنا ماكان ملتبِسا ... جزاكَ ربُّكَ بالإحسانِ إحسانا[1]

وفي رواية أُخرى رواها الصدوق[2] في كتاب التوحيد[3] مسنَدا ما يقرب منه، وزاد في الشعر:

فليس معذرة في كلّ فاحشة ... قدكنت راكبها فسقا وعصيانا
لا، لا؛ ولاقائلا: ناهيه أوقعَه ... فيها؛ عبدتُ إذا يَا قومِ شيطانا
ولا أحبَّ ولا شاءَ الفُسوقَ ولا ... قتلَ الوليّ له ظلما و عدوانا
أنّى يحبُّ و قد صحّتْ عزيمتُه ... ذوالعرش أعلن ذاك اللهُ إعلانا

---

١) في التوحيد:
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا ... جزاك ربُّك عنّا فيه إحسانا

٢) مل:- الصدوق.

٣) التوحيد: باب القضاء والقدر، ٣٨٠، ح٢٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام: باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد، ١٣٩/١، ح٣٨. الاحتجاج: احتجاجه عليه السلام فيما يتعلق بتوحيدالله...: ٤٩١/١، مع فروق. البحار: ٩٥/٥، ح١٩.

وفي رواية أُخرى فيه[١] مسنَدا عن ابن عباس - رضى الله عنه - : فقال الشيخ : « ياأمير المؤمنين - فما القضاءُ والقَدرُ الذان ساقانا، وماهبطنا واديا، ولاعلونا تلعةً إلّا بهما » ؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : « الأمرُ من الله والحكم ». - ثمّ تلا هذه الآيةَ :- ﴿ وَ قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [٢٣/١٧] أي أمَر ربُّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه، وبالوالدين إحسانا[٢] ».

وبإسناده الصحيح[٣] عن مولانا الصادق عليه السلام - قال :- « إنَّ الله - عزَّ وجلَّ - خلَقَ الخلْقَ فعلِم ماهم صائرون إليه، وأمرَهم ونهاهم، فما أمرَهم به من شيءٍ، فقد جعل لهم السبيلَ إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيءٍ، فقد جعل لهم السبيلَ إلى تركه، ولايكونوا آخذين ولاتاركين إلّا بإذن الله ».

وبإسنادهما[٤] عنه عليه السلام، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من زعم أنَّ الله - تبارك وتعالى - أمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أنَّ الخيرَ والشرَّ بغير مشيئَة الله، فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أنَّ المعاصي بغير قوّة الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله أدخله[٥] النارَ ».

يعني[٦] بالخير والشرِ الصحةَ والمرضَ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَ نَبْلُوكُمْ بِٱلشَّرِّ وَ ٱلْخَيْرِ فِتْنَةً[٧] ﴾ [٣٥/٢١].

---

١) التوحيد : الباب السابق، ٣٨٢، ح٢٨.
٢) الأظهر أنّ قوله «أي أمر ربك...» من كلام الصدوق - قده -.
٣) التوحيد : باب نفي الجبر والتفويض، ٣٥٩، ح١. ورواه بسند آخر في باب الاستطاعة : ٣٤٩، ح٨. وعنه البحار : ٣٧/٥، ح٥٥. ٥١/٥، ح٨٤. الكافي : كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر، ١٥٨/١، ح٥، مع فروق.
٤) التوحيد : الباب السابق، ٣٥٩، ح٢. عنه البحار : ٥١/٥، ح٨٥. الكافي : ١٥٨/١، ح٦.
٥) مل : + الله.
٦) هذا من كلام الصدوق في التوحيد وليس من تتمة الحديث على ماهو ظاهر؛ ويؤيده عدم وجوده في الكافي. وأنّ المراد في الحديث أعمّ من الصحّة والمرض.
٧) في النسخة : «بالخير والشر فتنة» والصحيح ما أثبتناه.

وبإسنادهما[١] عنه وعن أبيه الباقر عليهما السلام - قالا - : «إنَّ الله - عزّ وجلّ - أرحمُ بخلْقه من أن يجبر خلقَه على الذنوب، ثمَّ يعذّبهم عليها، والله أعزُّ من أن يريد أمرا فلايكون».

- قال[٢] :- فسُئلا عليهما السلام : «هل بين الجبر والقَدَر منزلةٌ ثالثة» ؟

قالا : «نعم، أوسع ممّا بين السماء والأرض».

وبإسنادهما[٣] عنه عليه السلام - قال :- «لاجَبر ولا تَفويض، ولكن أمرٌ بين أمرين». قيل : «وما أمرٌ بين أمرين» ؟

قال[٤] : «مَثَلُ ذلك، مَثَل رجلٍ رأيتَه على معصيةٍ، فَنَهيتَه، فلم يَنتَهِ، فتركتَه، ففعَل تلك المعصية؛ فليس حيث لم يقبل منك فتركتَه كنتَ أنت الذي أمرتَه بالمعصية».

و في كتاب التوحيد[٥] بإسناده الصحيح، عن مولانا الصادق عليه السلام، قال : «إنَّ الناس في القَدَر على ثلاثة أوجه : رجلٌ يزعم أنَّ الله عز وجلّ أجبرَ الناس على المعاصي، فهذا قد أظلَم اللهَ في حُكمه، فهو كافر؛ ورجلٌ يزعم أنَّ الأمرَ مفوَّضٌ إليهم، فهذا قد وهَّن اللهَ في سلطانه فهو كافر؛ ورجلٌ يقول : إنَّ اللهَ كلَّفَ العباد ما يُطيقون، ولم يكلّفهم ما لايطيقون، و إذا أحسنَ حَمد اللهَ، و إذا أساءَ استغفر اللهَ، فهو مسلمٌ بالغٌ».

---

١) التوحيد: الباب السابق، ٣٦٠، ح٣. عنه البحار: ٥١/٥، ح٨٢.
الكافي: الباب المذكور، ١٥٩/١، ح٩.

٢) أي الراوي.

٣) التوحيد: الباب السابق: ٣٦٢، ح٨. عنه البحار: ١٧/٥، ح٢٧.
الكافي: الباب المذكور، ١٦٠/١، ح١٣.

٤) قال المؤلف - قده - في الوافي (باب الجبر والقدر... : ٥٤٥/١) في شرح الرواية: «هذا مثال حسنٌ لمخاطبة العامي الضعيف، الذي قصر فهمُه عن درك كيفيّة الأمر بين الأمرين، تقريبا لفهمه وحفظا لاعتقاده في أفعال العباد، حتّى لايعتقد كون العبد مجبورا في فعله ولامفوّضا إليه اختياره».

٥) التوحيد: الباب السابق: ٣٦٠، ح٥. الخصال: باب الثلاثة، ١٩٥/١، ح٢٧١.
عنهما البحار: ٩/٥، ح١٤.

وبإسناده عنه ﷺ قال[١] : «إنَّ القَدَريَّةَ مجوسُ هذه الأُمَّة، وهم الذين أرادوا أن يصفوا اللهَ بعَدله، فأخرجوه من سلطانه، وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٥٤/٤٧-٤٨].

وبإسناده[٢] عن مولانا الرضا ﷺ أنَّه ذُكر عنده الجبر والتفويض، فقال : «ألا أُعطيكم في هذا أصلا لاتختلفون فيه، ولاتخاصمون عليه أحدا إلاّ كسرتموه»؟ قيل : «إن رأيتَ ذلك».

فقال : - «إنَّ الله - عزَّ وجلَّ - لم يُطَع بالإكراه، ولم يُعصَ بغلبةٍ، ولم يُهمِل العباد في ملكه، وهو المالكُ لما ملَّكهم، والقادرُ على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العبادُ بطاعته لم يكن اللهُ عنها صادّا، ولا منها مانعا، و إن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينه[٣] وبين ذلك لفعَلَ، و إن لم يَحُلْ[٤] وفعلوه، فليس هو الذي أدخلهم فيه».

ثمَّ قال ﷺ : «من يضبط حدود هذا الكلام، فقد خصمَ من خالفه».

و في كتاب الاحتجاج[٥] للشيخ أبي منصور أحمد بن [على بن][٦] أبي طالب الطبرسي - رحمه الله - عن مولانا الزكيّ العسكري ﷺ - فيما أجاب به في رسالته إلى الأهواز، حين سألوه عن الجبر والتفويض - ما هو وافٍ في هذا المعنى، فمن أراده فليرجع إليه، وفي آخره قال الإمام :

«بذلك أخبر أميرُالمؤمنين ﷺ لمّا سأله عيابة بن ربعي الأسدي[٧] عن

---

١) التوحيد : باب القضاء والقدر، ٣٨٢، ح٢٩.

٢) التوحيد : باب نفي الجبر والتفويض، ٣٦١، ح٧. العيون : باب ماجاء عن الرضا ﷺ من الاخبار في التوحيد، ١٤٤/١، ح٤٨. البحار عنهما : ١٦/٥، ح٢٢.

٣) المصدر : بينهم.

٤) مل : الفعل وان يحل.

٥) الاحتجاج : ٤٩٤/٢. تحف العقول : ٤٦٨ مع فروق يسيرة. البحار : ٢٤/٥، ح٣٠. ٧٥/٥.

٦) النسخة : - علي بن.

٧) كذا في النسختين. وفي علم اليقين : عبابة. ولكن المضبوط في ترجمته «عباية» وهو من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ راجع معجم الرجال : ٢٥٣/٩. قاموس الرجال : ٤٧/٦، رقم٣٩٢٦.

الاستطاعة ، فقال أميرالمؤمنين ﷺ : « تملكها من دون الله ، أو مع الله » ؟ فسكت عبايةُ بن ربعي .

فقال له : « يا عباية - قل » .

قال : « ما أقول يا أميرالمؤمنين » ؟

قال[1] : « تقول : تملكها بالله الذي يملكها من دونك ؛ فإن تملّكَكَها ، كان ذلك من عطائه ، و إن سلَبَكَها ، كان ذلك من بلائه ؛ هو المالك لِما ملّكَكَ ، والمالكُ لما عليه أقدرك ؛ أما سمعت الناسَ يسألون الحولَ والقوّةَ ، حيث يقولون : لاحول ولاقوّة إلاّ بالله » ؟

فقال الرجل : « وما تأويلها - يا أميرالمؤمنين » ؟

قال : « لاحول بنا عن معاصي الله إلاّ بعصمة الله ، ولاقوّةَ لنا على طاعة الله ، إلاّ بعون الله » .

- قال :- فوثب الرجلُ وقبّل يديه ورِجليه » .

* * *

هذا ماورد من الأخبار في هذا المقام ، بعد كلام الله سبحانه ، وفيه بعدُ إجمالٌ ، إذ الغور فيه ممنوعٌ منه ، إلاّ أنّه يمكن الإشارة إلى لمعة منه لمن كان أهله ، بنقل المذاهب وبيانها ؛ فإنّ الآراء أربعة :

إثنان فاسدان - وهما الجبر والتفويض اللذان هلك بهما كثيرٌ من الناس - و إثنان دائران حولَ التحقيق ، ومرجعهما[2] إلى الأمر بين الأمرين :

أحدهما أقرب إلى الأفهام وأبعد من الحقّ - وهوطريق أهل العقل والنظر ، والآخربالعكس - وهوطريق أهل الكشف والشهود - .

ولنذكرهما في فصلين مترقيًا من الأدنى إلى الأعلى - ومن الله التأييد :

---

١) زاد في المصدر : « إن قلتَ : « تملكها مع الله » قتلتك . و إن قلتَ : « تملكها من دون الله » قتلتك . قال : وما أقول يا أميرالمؤمنين . قال » .

٢) مل : اللذان مرجعهما .

سِرٌّ

[الإنسان مجبور على الاختيار]

قد دريتَ أنَّ كلّ ما يوجد في هذا العالَم، فقد قُدِّر بهيأته وزمانه في عالَم آخر قبل وجوده، وقد ثبت أنَّ الله - سبحانه - قادر على جميع الممكنات، ولم يخرج شيءٌ من الأشياء عن مصلحته وعلمه وقدرته و إيجاده - بواسطة أو بغير واسطة - و إلاّ لم يصلح لمبدئيّة الكلّ.

فالهدايةُ والضلالة، والإيمانُ والكفر، والخيرُ والشرُّ، والنفعُ والضرُّ، وسائرُ المتقابلات كلّها منتهيةٌ إلى قدرته وتأثيره وعلمه و إرادته ومشيئته؛ إمّا بالذات أو بالعرَض.

فأعمالنا - كسائر الموجودات وأفاعيلها - بقضائه وقَدَره، وهي واجبةُ الصدور منّا بذلك، ولكن بتوسط أسباب وعلل من إدراكاتنا و إراداتنا وحركاتنا وسكناتنا، وغيرذلك من الأسباب العالية الغائبة عن علمنا وتدبيرنا، الخارجة عن قدرتنا وتأثيرنا.

فاجتماع تلك الأُمور - التي هي الأسباب والشرائط - مع ارتفاع الموانع، علّةٌ تامّةٌ يجب عندها وجودُ ذلك الأمر المدبَّر، والمقضيّ المقدَّر؛ وعند تخلّف شيءٍ منها أو حصول مانع، بقي وجودُه في حيّز الامتناع، ويكون ممكنا وقوعيًّا بالقياس إلى كلّ واحد من الأسباب الكونيّة.

ولمّا كان من جملة الأسباب - وخصوصا القريبةِ منّا[1] - إرادتُنا وتفكُّرنا وتخيُّلنا، وبالجملة ما نختار به أحدَ طرفي الفعل والترك، فالفعلُ اختياريٌّ لنا[2] فإنَّ الله أعطانا القوّة والقدرةَ والاستطاعةَ، ليبلونا أيُّنا أحسنُ عملا، مع إحاطة علمه.

فوجوبُه لاينافي إمكانه، واضطراريّتُه لاتدافع كونه اختياريًا.

---

١) مل: منها. ٢) مل: - لنا.

كيف ، و إنَّه ما وجب إلاّ بالاختيار ، ولا شكّ أنّ القدرة والاختيار كسائر الأسباب - من الإدراك والعلم ، والإرادة ، والتفكُّر ، والتخيُّل ، وقواها وآلاتها - كلّها بفعل الله - تعالى - لا بفعلنا واختيارنا - و إلاّ لتسلسلت القُدَر والإرادات إلى غيرالنهاية .

وذلك لأنَّا و إن كنُّا بحيث إن شئنا فَعَلنا ، و إن لم نشأ لم نفعل ؛ لكنَّا لسنا بحيث إن شئنا شئنا ، و إن لم نشأ لم نشأ ؛ بل إذا شئنا[1] فلم يتعلّق مشيئَتُنا بمشيئتِنا ، بل بمشيئة غيرنا ، فليست المشيئةُ إلينا ، إذ لوكانت إلينا لاحتجنا إلى مشيئة أُخرى سابقةٍ ، وتسلسل الأمرُ إلى غير النهاية .

ومع قطع النظر عن استحالة التسلسل ، نقول : جملة مشيئاتنا الغير المتناهية - بحيث لا يشذّ عنها مشيئةٌ - لا تخلو : إمّا أن يكون وقوعها بسبب أمرٍ خارجٍ عن مشيئتنا ، أو بسبب مشيئتنا ؛ والثاني باطلٌ ، لعدم إمكان مشيئة أُخرى خارجة عن تلك الجملة . والأوّل هو المطلوب .

فقد ظهر أنّ مشيئتنا ليست تحت قدرتنا ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللهُ ﴾ [٧٦/٣٠] . فإذن نحن في مشيئتنا مضطرُّون ، و إنما تحدث المشيئةُ عقيب الداعي ؛ وهو تصوُّرُ الشيء الملائم - تصوُّرا ظنّيّا أو تخيُّليّا أو علميّا - فإنّا إذا أدركنا شيئا ، فإن وجدنا ملائمتَه أو منافرتَه لنا دفعةً بالوهم أو ببديهة العقل ، إنبعث منّا شوقٌ إلى جذبه أو دفعه ، وتأكُّدُ هذا الشوق هو العزمُ الجازم المسمّى بـ« الإرادة » . و إذا انضمّت إلى القدرة التى هي مهيّئة للقوّة الفاعلة ، انبعثت تلك القوّة لتحريك الأعضاء الأدويّة - من العضلات وغيرها - فيحصل الفعلُ .

فإذن إذا تحقّق الداعي للفعل الذي تنبعث منه المشيئةُ ، تحقّقت المشيئةُ ؛ و إذا تحقّقت المشيئةُ التي تصرف القدرةَ إلى مقدورها ، انصرفت القدرةُ لامحالة ولم‌يكن لها سبيل إلى المخالفة .

فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة ، والقدرةُ محرّكة ضرورة عند انجزام المشيئة ،

---

١) مل : بل إن شئنا.

والمشيئةُ تحدث ضرورة في القلب عقيب الداعي. فهذه ضروريّات ترتّب بعضُها على بعض، وليس لنا أن ندفع وجودَ شيءٍ منها عند تحقُّق سابقه، فليس يمكن لنا أن ندفع المشيئة عند تحقُّق الداعي للفعل، ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها؛ فنحن مضطرّون في الجميع، فنحن في عين الاختيار مجبورون؛ فنحن إذن مجبورون على الاختيار.

[كيف يستند الحوادث إليه تعالى]

قال بعض العلماء[1] :

الحوادثُ كلُّها مستندةٌ إلى القدرة الأزليّة، ولكن بعضها مرتَّب على البعض في الحدوث ـ ترتُّب المشروط على الشرط ـ فلا تصدر من القدرة الأزليّة والقضاء الإلٰهي إرادةٌ حادثة، إلّا بعد علم، ولاعلم إلّا بعد حياة، ولاحياة إلّا بعد محلِّها؛ ولكنَّ بعض الشروط ممّا ظهر للعامّة وبعضُها ممّا لم يظهر إلّا للخواصِّ المكاشفين بنورالحقِّ.

فكلُّ ما في عالم الإمكان حادثٌ على ترتيبٍ واجبٍ وحقٍّ لازم، لايتصوَّر أن لايكون كما يكون، و على الوجه الذي يكون، فلا يسبقُ سابقٌ إلّا بحقٍّ ولا يلحق لاحقٌ إلّا بحقٍّ، كما أُشير إليه بقوله سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [٣٩/٤٤].

فما تأخَّر متأخِّرٌ إلّا لانتظار شرطه، إذ وقوع المشروط قبل وقوع الشرط ممتنعٌ، والمحالُ لايوصَف بكونه مقدورا؛ فلا يتخلَّف العلمُ عن النطفة[2] إلّا لفقْد شرطه - وهو الحياة - ولا الإرادة عن العلم إلّا لفقْد شرطها - وهو القدرة - ولا الفعل عن القدرة إلّا لفقْد شرطه - وهو الإرادة؛ وكلّ ذلك على المنهاج الواجب ، و الترتيب الواجب ، ليس شيءٌ منها ببَخْت واتّفاق؛ بل كله بحكمةٍ وتدبير.

---

١) مقتبس من إحياء علوم الدين: كتاب التوحيد والتوكل، بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل: ٣٧٢/٤.

٢) مل: النظر.

[التوحيد الأفعالي ينفي الجبر والتفويض]

و إذا كان هذا هكذا، فمن نظر إلى الأسباب القريبة للفعل ورآها مستقلّة، قال بالقدَر والتفويض؛ أي بكون أفاعيلنا واقعة بقدرتنا، مفوَّضة إلينا - والله سبحانه أحكم من أن يُهمل عبدَه، ويَكله إلى نفسِه، وأعزُّ من أن يكون في سلطانه ما لايريد.

ومن نظر إلى السبب الأوّل - وقطَع النظرَ عن الأسباب القريبة مطلقا - قال بالجبر والاضطرار، ولم يفرِّق بين أعمال الإنسان وأعمال الجمادات؛ واللهُ سبحانه أعدلُ من أن يجبر خلقَه ثمّ يعذِّبهم، وأكرم من أن يكلِّف الناسَ ما لايطيقون؛ فكلاهما أعورُ لايُبصر بإحدىٰ عينيه:

أمّا القدَريَّةُ فبالعين اليُمنىٰ، أي النظر الأقوىٰ، الذي به يُدرك الحقائق والأسباب القصوى للأشياء - كالدجّال حيث يقول[١]: «أنا ربُّكم الأعلى».

وأمّا الجبريَّة فباليُسرى، أي الأضعف، الذي به يُدرك الظواهر والأسباب القريبة - كإبليس، حيث قال: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [١٥/٣٩].

وأمّا من نظَر حقَّ النظَر، فقلبُه ذو عينين، كآدم حيث قال: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ [٧/٢٣] يُبصر الحقَّ باليُمنىٰ، فيضيف الأعمال كلّها إليه [سبحانه]: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ ﴾ [٤/٧٨]؛ ويُبصر الخلْقَ باليُسرى فيثبت تأثيرَهم في الأعمال؛ ﴿ ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾[٢] [٢٢/١٠]، لكن بالله سبحانه، لابالاستقلال: «لاحولَ ولاقوّة إلّا بالله».

فيتحقَّق بمعنى قول مولانا الصادق عليه السلام[٣]: «لاجبر ولاتفويض، بل أمرٌ بين أمرين» فيتذهّب به - وذلك الفوز هو الكبير.

---

١) راجع كمال الدين: باب حديث الدجال، ٥٢٧. عنه البحار: ٥٢/١٩٤، ح٢٦.

٢) في النسخة: «ذلك بما كسبت يداك». والصحيح ما أثبتناه.

٣) مضى في ص ١٠٧. راجع أيضا: عيون أخبار الرضا عليه السلام: الباب (١١)، ١/١٢٤، ح١١. معاني الأخبار: باب معنى قول الصادق عليه السلام: التر تر حمران: ٢١٢. البحار: ٤/٦٩، ح٤.

سرٌّ مستسرٌّ
[نسبة الأفعال إلى الله تعالى والعبد]

قد دريت أنّ الموجودات - على تفاوتها وترتّبها في الشرف الوجوديّ وتخالفها في الذوات والأفعال وتباينها في الصفات، تجمعها حقيقة واحدة إلهيّة جامعة لجميع حقائقها ودرجاتها وطبقاتها، مع أنّ تلك الحقيقة في غاية البساطة والأحديّة، ينفذ نوره في أقطار الجميع، فكما أنّه ليس شأن إلا وهو شأنه، فكذلك ليس فعل إلا وهو فعله، ولاحُكم إلا له، ولاحول ولاقوّة إلا بالله العليّ العظيم.

يعني كلّ حول وكلّ قُوّة قوّته مع علوّه وعظمته، فهو مع علوّه وعظمته يتنزّل منازل الأشياء ويفعل فعلها، كما أنّه مع تجرّده وتقدّسه عن الأكوان لايخلو منه أرض ولاسماء. كما قال إمام الموحّدين: «مع كلّ شيء لابمقارنة[1] وغير كل شيء لابمزايلة».

فنسبة الفعل والإيجاد إلى العبد صحيح، كنسبة الوجود والتشخّص إليه من الوجه الذي ينسب إليه تعالى؛ كما أنّ وجود زيد بعينه أمر متحقّق في الواقع، وهو شأنٌ من شؤن الحقّ الأول ولمعة من لمعات وجهه.

فكذلك هو فاعلٍ لما يصدر عنه بالحقيقة - لا بالمجاز - ومع ذلك ففعله أحد أفاعيل الحقّ الأول بلاشوب قصور وتشبيه؛ تعالى الواحد القيّوم عن نسبة النقص والشين إليه.

فالتنزيه والتقديس لله سبحانه بحاله، لأنّه راجع إلى مقام الأحديّة التي يستهلك فيه كلّ شيء، وهو الواحد القهّار الذي ليس أحدٌ غيره في الدار.

والتشبيه راجع إلى مقامات الكثرة والمعلوميّة، والمحامد كلّها راجعة إلى وجهه الأحديّ، وله عواقب الثناء والتقاديس.

---

١) مل: لابمقايرة.

كذا أفاد أُستادنا - سلّمه الله تعالى - وقال: «فأخمد ضرام أوهامك أيّها الجبريّ، فالفعل ثابت لك بمباشرتك إيّاه وقيامه بك، وسكّن جأشك أيّها القدريّ، فإنّ الفعل مسلوبٌ منك من حيث أنت أنت، لأنّ وجودك إذا قطع النظر عن ارتباطه بوجود الحقّ باطلٌ، فكذا فعلُك؛ إذ كلّ فعل متقوّمٌ بوجود فاعله؛ وانظرا جميعا بعين الاعتبار في فعل الحواسّ، كيف انمحت وانطوت في فعل النفس، وتصوّرها في تصوّر النفس.

واتلو جميعا قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [٩/١٤]، وتصالحا بقول الإمام بالحقّ[1] : «لاجبر ولاتفويض، بل أمر بين الأمرين».

تنبيه سرّيّ [2]

[سرّ نسبة الفعل إلى الفواعل المختلفة]

ولأجل هذا التطابق بين الجبر والتفويض، والتوافق بين الوجوب والإمكان، نسب الله الأفعال في القرآن مرّةً إلى نفسه ومرّةً إلى العباد. فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [٣٩/٤٢]. وقال: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّيكُمْ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [٣٢/١١]. وقال سبحانه في نفخ الروح في مريم - على نبيّنا وعليها السلام - : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [٦٦/١٢]؛ وقال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [١٩/١٧]- وفي الحديث [3] : «إنّ النافخ فيه[4] جبرئيل»

وقال - عزّ وجلّ - في القتل: ﴿ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [٩/١٤]، فأضافَ القتلَ إلى العباد والتعذيبَ إلى نفسه، والتعذيب عين القتل هنا؛ وقال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [٨/١٧]. وقال في الرمي: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [٨/١٧]، وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهرا، ولكنّ

---

١) مضى آنفا

٢) مقتبس من إحياء علوم الدين: كتاب التوحيد والتوكل: ٣٧٤/٤.

٣) راجع تفسيرالقمي: سورة مريم، ٤٨/٢. قصص الأنبياء: الباب الثامن عشر، ٢٦٤.

٤) مل:- فيه.

معناه : « وما رميتَ بالمعنى الذي يكون العبدُ به راميا ، إذ رميتَ بالمعنى الذي يكون الربُّ به راميا » ، إذ هما معنيان مختلفان.

تنبيهٌ نوريٌّ

[سرّ تأثير الدعاء]

و كما أنَّ الأشياء الداخلة في وجود الإنسان - كالعلم والقدرة و الإرادة - من جملة أسباب الفعل ، فكذلك الأمور الخارجة - من الدعوات والطاعات والسعي والجدِّ والتدبير والحذر والالتماس والتكليف والوعد والوعيد والإرشاد والتهذيب والترغيب والترهيب وأمثال ذلك -

فإنَّ ذلك كلّه أسبابٌ ووسائطُ ووسائلُ وروابطُ لوجود الأفعال ، ودواع إلى الخير ، ومهيّجاتٌ للأشواق ، ومهيِّئة للمطالب ، موصلة إلى الأرزاق ، مخرجةً من القوّة إلى الفعل ؛ وكلّ ذلك ممَّا يقاوم القضاء لامن حيث أنّه فِعل العبد -فإنَّه من هذه الحيثيَّة ممَّا يتحكَّم به القضاء ، لأنَّه لو لم يُقض لم يوجد - بل من حيث أنَّ الله - سبحانه - جعله من الأسباب ، على حسب ما قدَّر وقضى ، لربط وموافاة بينه وبين الفعل ؛ كما جعل شُرب الدواء سببا لحصول الصحَّة في هذا المريض.

فالسبب والمسبَّب كلاهما ينبعثان من القضاء ، ويستندان إلى الله سبحانه و إلى أمره ، أمرا ذاتيًا عقليًا . وقد يكون بالأمرالقوليِّ السمعيِّ -أيضا - كما فيما[1] كلَّفنا به من ذلك ، كالدعاء - مثلا - فإنَّه - سبحانه - أمرنا [به] وحثّنا عليه ؛ فقال[2] : ﴿ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٦٠/٤٠] ، وقال : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [١٨٦/٢].

فالدعاءُ والاستجابةُ كلاهما من أمرالله ، أمرا تكليفيًا ، كما أنَّه من أمره الذاتي ؛ ولسانُ العبد ترجمان الدعاء ، وكلُّ من فعَل شيئا بأمر أحدٍ فيدُه يدُ

---

١) مل : كما فينا.

٢) مل : قال تعالى.

الآمر في الحقيقة ، إلّا أنَّ بعض هذه الأمور علل و موجباتٌ ، وبعضها علامات ومعرِّفات ، وبعضها ينقسم إلى القسمين .

ولعلَّ الدعاءُ من القسم الثالث ؛ ولهذا اشتهر بين الداعين « إنَّ الدعاء كالدواء ، بعضها يؤثّر بالطبع ، وبعضها بالخاصيَّة » . فالأوّل إشارة إلى الأوّل ، والثاني إلى الثانى .

وأمّا الابتلاء من الله - سبحانه - فهو إظهار ما كتب - لنا أو علينا - في القَدَر ، و إبرازُ ما أودع فينا وغرّز في طباعنا بالقوّة ، بحيث يترتّب عليه الثواب والعقاب ، فإنّه ما لم يخرج من القوّة إلى الفعل لم يوجد بعد - و إن كان معلوما لله سبحانه - فلاتحصل ثمرتُه وتبعتُه اللازمتان .

ولهذا قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَ ٱلصَّابِرِينَ وَ نَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ ﴾ [٣١/٤٧] - وأمثال ذلك من الآيات - أي نعلمُهم موصوفين بهذه الصفة ، بحيث يترتّب عليها الجزاءُ ؛ وأمّا قبل ذلك الابتلاء فإنّه عَلِمَهم مستعدِّين للمجاهدة والصبر ، صائرين إليها بعد حين .

نور

وأمّا الثواب والعقاب : فهما من لوازم الأفاعيل الواقعة منّا وثمراتها ، ولواحق الأُمور الموجودة فينا وتبعاتها ، ليسا يردان علينا من خارج .

فالمجازاة أيضا هو إظهارُ ما كتب لنا أو علينا في القَدَر ، وابرازُ ما أُودع فينا وغُرّز في طباعنا بالقوّة ، كما قال سبحانه : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ [١٣٩/٦] وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ ﴾ [٥٤/٢٩] .

فمن أساء عمله أوأخطأ في اعتقاده ، فإنّما ظلمَ نفسَه بظلمة جوهره وسوء استعداده ، فكان أهلا للشقاوة في معاده ؛ وليس ذلك لأنَّ الله سبحانه يستولى عليه الغضب ، ويحدث له الانتقام - تعالى عن ذلك - .

و إنّما ورد أمثال ذلك في الشرع على نحوٍ من التجوُّز .

[لمية تفاوت النفوس]

وأمّا تفاوتُ النفوس في ذلك وعدم تساويها في الخيرات والشرور واختلافها في السعادة والشقاوة فلاختلاف الاستعدادات وتنوُّع الحقائق ؛ فإنّ الموادّ السفليّة بحسب الخلقة والماهيّة، متبائنةٌ في اللطافة والكثافة، ومزاجاتها مختلفةٌ في القرب والبُعد من الاعتدال الحقيقي ؛ والأرواح الإنسيّة التي بإزائها مختلفة بحسب الفطرة الأُولى في الصفاء والكُدورة، والقوّة والضعف، مترتِّبة في درجات القرب والبُعد من الله - تعالى - لِما تقرّر وتحقّق أنّ بإزاء كلِّ مادّة ماتناسبه من الصُور ؛ فأجودُ الكمالات لأتمّ الاستعدادات، وأخسُّها لأنقصها، كما أُشير إليه بقوله ﷺ[1] : «الناسُ معادن كمعادن الذهب والفضّة، خيارُهم في الجاهليّة خيارُهم في الإسلام».

[الموجودات آثار تجلّي أسماء الله الحسنى]

وأيضا قد دريت أنّ للهِ - تعالى - صفات واسماء متقابلة لها مظاهر في غيب غيوبه، هي المسمّاة **بالأعيان الثابتة والماهيّات** ؛ وهي غير مجعولة، والمجعول وجودها في الخارج وظهورها في الأعيان ؛ فالفائض من الحقّ وجودات الأشياء واستنارتها. ومن الواجب أن يكون من جملة صفات المَلِك - و خصوصا مَلك المُلوك - صفتا لطف وقهر، لأنّهما من أوصاف الكمال ونعوت الجلال.

ولابدّ لكلّ من الوصفين من مظهر، ولكلّ منها فروع وشعب غير متناهية حاصلة من تراكيب الاسماء - ثنائيّا وثلاثيّا - وكلّ من الاسماء يستدعي مظاهر متبائنة، بها يظهر أثر ذلك الاسم، فكلّ منها يوجب تعلّق إرادته

---

١) المسند: من حديث أبي هريرة، ٥٣٩/٢. كنزالعمال: ١٤٩/١٠، ح٢٨٧٦١. وروى الكليني - قده - في الكافي (الروضة، ١٧٧، ح١٩٧) عن الصادق ؑ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة، فمن كان له في الجاهليّة أصلٌ، فله في الإسلام أصلٌ».

سبحانه وقدرته إلى إيجاد مخلوق يدلُّ عليه على الذات الموصوفة بالصفة المتعيّنة والمتجليّة بالتجلّي الخاصّ ؛ فإنّها المراد بالاسم كما عرفت -.

فكلّ من الموجودات مظهر لاسم خاصّ إلهيّ، فلذلك اقتضت رحمةُ الباري إيجادَ المخلوقات كلِّها، ليكون مظاهرَ لأسمائه الحسنى، ومجاليَ لصفاته العليا.

- مثلاً - لمّا كان قهّارا، أوجد المظاهرَ القهريّة التي لايترتّب عليها إلاّ أثر القهر - من الجحيم وساكنيه، والزقّوم ومتناوليه - ولمّا كان عفوًّا غفورا، أوجد مجاليَ للعفو والغفران يظهر فيها آثارُ رحمته، وقس على هذا.

فالملائكةُ و مَن ضاهاهم - من الأخيار و أهل الجنّة - **مظاهرُ اللطف**، والشياطينُ ومن والاهم - من الأشرار وأهل النار - مظاهرُ القهر.

و منها يظهر **السعادة و الشقاوة** : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ ﴾ [١١/١٠٥].

قال بعض العلماء : «الأعيان ليست مجعولة بجعل الجاعل ليتوجّه الإيراد بأن يقال : لَمِ جعل عين المهتدي مقتضية للاهتداء، وعين الضالّ مقتضية للضلال ؟ كما لايتوجّه الإيراد بأن يقال: لَمِ جعل عين الكلب كلبا نجس العين، وعين الإنسان إنسانا طاهرا ؟

بل الأعيان صور الاسماء الإلهيّة ومظاهرها في العين، بل عين الاسماء والصفات القائمة بالذات القديمة، بل هي عين الذات من حيث الحقيقة ؛ فهي باقية أزلا وأبدا، لايتعلّق الجعل والإيجاد عليها، كما لايتطرّق الفناء والعدم إليها.

قال في فصوص الحكم[1] : «ما كنتَ في ثبوتك، ظهرتَ به في وجودك، فليس للحقِ إلاّ إفاضةُ الوجود عليك، والحكمُ لك عليك ؛ فلا تحمد إلاّ نفسك، ولا تذمَّ إلاّ نفسك، و لايبقى للحقِ إلاّ [حمد] إفاضة الوجود، لأنَّ ذلك له لا لك» - انتهى كلامه -.

---

١) فصوص الحكم: الفصّ الإبراهيمي: ٨٣

وفي الحديث النبوي[1] : «من وجد خيرا فليحمد اللهَ، ومن وجدَ غير ذلك فلايلومنَّ إلّا نفسه».

وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام[2] : «ولايحمد حامدٌ إلّا ربَّه، ولايلُمْ لائمٌ إلّا نفسَه».

وقد تبيّن ممّا ذكرنا أن لاوجه لإسناد الظلم والقبائح إليه تعالى لأنَّ هذا الترتيب والتميز - من وقوع فريقٍ في طريق اللطف، وآخر في طريق القهر - من ضروريّات الوجود والإيجاد، ومن مقتضيات الحكمة والعدالة.

ومن هنا قال بعضُ العلماء: «ليت شعري لِمَ لايُنسب الظلمُ إلى المَلِك المَجازي - حيث يجعل بعض مَن تحت تصرُّفه وزيرا قريبا، وبعضَهم كنّاسا بعيدا؛ لأنَّ كلاّ منهما من ضرورات مملكته - وينسب الظلم إليه تعالى في تخصيص كلّ من عبيده بما خصَّص، مع أنَّ كلاًّ منهما ضروريٌّ في مقامه.

أنوارٌ شرعيّةٌ

[ماورد من الأخبار في السعادة والشقادة]

رُوي في الكافي[3] بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام - قال :- «لو عَلِم الناسُ كيف خَلَقَ اللهُ [تبارك وتعالى][4] هذا الخَلق، لم يَلُم أحدٌ أحدا».

وبإسناده[5] عن مولانا الصادق عليه السلام أنَّه سُئل: «من أين لحق الشقاءُ أهلَ المعصية حتّى حكَم لهم في علمه بالعذاب على عملهم»؟ فقال: «أيُّها السائل، حكَم اللهُ أن لايقوم[6] له أحدٌ من خَلقه بحقِّه، فلمّا حكَم بذلك

---

١) مسلم: كتاب البرّ والصلة، باب تحريم الظلم، ١٩٩٥/٤، ح٥٥.
٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٦ - أولها: «ذمّتي بما أقول رهينة...».
٣) الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب درجات الإيمان: ٤٤/٢.
٤) الإضافة من المصدر.
٥) الكافي: كتاب التوحيد، باب السعادة والشقاوة: ١٥٣/١، ح٢. التوحيد: نفس الباب: ٣٥٤، ح١. البحار: ١٥٦/٥، ح٨. راجع شرح الرواية في الوافي: ٥٢٩/١.
٦) الكافي: حكم الله عزوجل لايقوم... التوحيد: علم الله عز وجل ألايقوم... فلما علم.

وهب لأهل محبّته القوّة على معرفته، و وضع عنهم ثِقلَ العمل بحقيقة ماهم أهله، ووهب لأهل المعصية القوّةَ على معصيتهم - لسبق علمه فيهم - ومنعَهم[١] طاقة القبول منه ؛ فوافقوا[٢] ما سبق لهم في علمه ولم يقدروا[٣] أن يأتوا حالاً يُنجيهم من عذابه، لأنَّ علمَه أولى بحقيقة التصديق ؛ وهو معنى «شاء ماشاء»، وهو سرُّه».

وبإسناده[٤] عنه عليه السلام - قال :- «إنَّ الله خَلَقَ السَعادةَ والشقاء قبل أن يخلق خلقَه، فمن خَلقه اللهُ سعيدا[٥] لم يُبغضه أبدا، و إن عمل شرّا أبغضَ عملَه ولم يُبغضه ؛ و إن كان شقيّا[٦] لم يُحبّه أبدا، و إن عملَ صالحا أحبّ عملَه، وأبغضه لما يصير إليه. فإذا أحبّ اللهُ شيئا لم يبغضه أبدا، و إذا أبغض شيئا لم يحبّه أبدا».

وبإسناده[٧] الصحيح عنه عليه السلام - قال :- «إنَّ ممّا أوحى اللهُ إلى موسى عليه السلام وأنزل عليه في التوراة : إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، خلقتُ الخلقَ و خلقتُ الخير، وأجريتُه على يديَ من أحبُّ، فطوبىٰ لمن أجريتُه على يديه ؛ وأنا الله لا إله إلاّ أنا، خلقتُ الخَلقَ وخلقتُ الشرَّ، وأجريتُه على يديَ من أُريده، فويلٌ لِمَن أجريتُه على يديه».

وفي رواية أُخرى[٨] : «وويلٌ لمن يقول : كيف ذا، وكيف ذا»؟

---

١) التوحيد : ولم يمنعهم.
٢) الكافي نسخة : فوافقوا.
٣) في التوحيد بدلا من «ولم يقدروا أن يأتوا ...»: و إن قدروا أن يأتوا خلالا (نسخة : ولم يقدروا أن يأتوا حالا) تنجيهم عن معصيته وهو معنى شاء ماشاء وهو سر.
٤) الكافي : الباب السابق، ١٥٢/١، ح١. التوحيد : الباب السابق، ٣٥٧، ح٥.
المحاسن : كتاب مصابيح الظلم، باب السعادة والشقاء، ٢٧٩/١، ح٤٠٥.
البحار عنها : ١٥٧/٥، ح١١.
٥) التوحيد : فمن علمه الله سعيدا...
٦) التوحيد : وإن كان علمه شقيّا...
٧) الكافي : كتاب التوحيد، باب الخير والشرّ، ١٥٤/١، ح١. المحاسن : ٢٨٣، ح٤١٤.
٨) الكافي : الصفحة السابقة. المحاسن : الصفحة السابقة.

وعن النبيّ ﷺ[1] - قال :- « الشقيُّ مَن شقي في بطن أُمّه ، والسعيدُ من سعد في بطن أُمّه » .

والأخبارُ في هذا المعنى كثيرةٌ .

نورٌ سِرِّيٌّ

[القضاء والقَدر في المأثور]

لمّا كانت الحكمة الإلٰهيَّة تقتضي أن يكون العبدُ معلّقا بين الرجاء والخوف ، الذين بهما تتمُّ العبوديَّة ، جعل اللهُ كيفيَّة علمه وقضائه وقَدَره وسائر الأسباب غائبةً عن العقول ، وجعل الدعوات والطاعات - وما يجري مجرى ذلك - مناطَ التكليف وملاكَ العبوديَّة ليتمَّ المقصودُ .

وهذا أحد الطرق في تصحيح القول بالتكاليف مطلقا ، مع الاعتراف بإحاطة علم الله ، وكون الأقدار جارية والأقضية سابقة في الكلّ .

نُقل أنَّه جاء سُراقة بن مالك إلى النبيّ ﷺ فقال[2] : « يارسول الله ، بيّن لنا دينَنا كأنَّا خُلقنا الآن ، ففيمَ العَمَل اليوم ؟ فيما جفَّتْ به الأقلامُ وجرتْ به المقاديرُ ، أم فيما يُستقبل » ؟

قال : « بل فيما جفَّتْ به الأقلامُ ، وجرتْ به المقاديرُ » .

قال : « ففيمَ العملُ » ؟

قال : « إعملوا ، فكلٌّ ميسّر لما خُلق له ، وكلٌّ عاملٌ بعمله » .

فعلَّقنا بين الأمرين : رهَّبَنا بسابق القَدَر ، ثمَّ رغَّبَنا في العمل ، ولم يترك أحد الأمرين للآخر ، فقال : « كلٌّ ميسّر لما خُلق له » ، يريد أنَّه ميسّر في أيّام حياته للعمل الذي سبق إليه القَدَرُ قبل وجوده ؛ ولم يقل « مسخَّر » لكيلا يغرق في لجَّة القضاء والقدَر .

---

١) التوحيد : باب السعادة والشقاوة : ٣٥٦ ، ح٣.

٢) مسلم : كتاب القدر : باب (١) كيفية خلق الآدمي... ، ٤/٢٠٤٠ ، ح٨.

وسُئل ﷺ[١] : «أنحن في أمرٍ فُرغ منه أو أمرٍ مستأنفٍ» ؟ قال : «في أمرٍ فُرغ منه ، وفي أمرٍ مستأنفٍ» .

وسُئل[٢] : «وهل يغني الدواءُ والرُّقْية[٣] من قَدَر الله» ؟ قال : «والدواءُ والرُّقية من قدَر الله» .

ومثله عن مولانا الصادق عليه السلام رواه في التوحيد[٤] .

وبإسناده[٥] عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه سُئل عند انحرافه عن جدارٍ يريد أن ينقضَّ : «أتفرُّ من قضاء الله» ؟ قال : «أفرُّ من قضائه إلى قدَره» .

وبإسناده[٦] عنه عليه السلام - قال : «أوحى الله - عزَّ وجلَّ - إلى داود : «يا داود[٧] ، تريدُ وأُريدُ ، ولايكون إلاَّ ما أُريد ؛ [فإن أسلمتَ لِما أُريد أعطيتكَ ما تريد][٨] و إن لم تسلم لما أُريد أتعبتكَ فيما تُريد ، ثمَّ لايكون إلاّ ما أُريد» .

وفي الكافي[٩] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام قال : «كان أمير المؤمنين عليه السلام

---

١) ورد الحديث بألفاظ مختلفة، وفي الجواب عن سؤال عدة من الصحابة - منهم عمر وأبوبكر وسراقة بن مالك وأبو الدرداء وغيرهم - ولم أعثر على قوله ﷺ «وفي أمر مستأنف» راجع المسند: ٦/١ و ٢٩. ٥٢/٢ و٧٧. ٣٠٤/٣. ٤٤١/٦. الترمذي: كتاب التفسير، سورة هود، ٢٨٩/٥، ح٣.

٢) جاء في ابن ماجة (كتاب الطب، باب (١) ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ١١٣٧/٢، ح٣٤٣٧): « سئل رسول الله ﷺ : أرأيت أدوية نتداوي بها ورُقى نسترقي بها وتُقى نتقيها، هل تردُّ من قدَر الله شيئا؟ قال: هي من قدَر الله».
ومثله في الترمذي: كتاب القدَر، الباب (١٢): ٤٥٣/٤، ح٢١٤٨.

٣) الرقية: مايقرء من الدعاء والعزائم ويعوّذ به.

٤) التوحيد: باب القضاء والقدَر: ٣٨٢، ح٢٩، عن عليّ بن سالم: سألته عليه السلام عن الرُّقى: أتدفع من القدَر شيئا ؟ فقال: «هي من القدَر».

٥) التوحيد: الباب السابق: ٣٦٩، ح٨. عنه البحار: ١١٤/٥، ح٤١. و٢/٤١، ح٢.

٦) التوحيد: باب المشيئة والإرادة، ٣٣٧، ح٤. عنه البحار: ١٠٤/٥، ح٢٨.

٧) مل :- يا داود.

٨) زيادة من المصدر.

٩) الكافي: كتاب المعيشة، باب الإجمال في الطلب، ٨١/٥، ح٩. وأورده الحراني أيضا مع فروق يسيرة ضمن حِكَمه عليه السلام في تحف العقول: ١٥٥. عنه البحار: ٤٠٨/٧٧، ح٣٨.

كثيرا مّا يقول: اعلموا علما يقينيًا أنّ الله - تعالى - لم يجعل للعبد - و إن اشتدّ جهدُه، وعظمتْ حيلتُه، وكثرت مكابدتُه[١] - أن يسبق ما سمّي له في الذكر الحكيم، ولم يحُلْ[٢] بين العبد - في ضعفه وقلّة حيلته - أن يبلغ ما سمّي له في الذكر الحكيم.

أيّها الناس - إنّه لن يزداد امرؤٌ نقيرا بحذقه، ولم ينقص امرؤٌ نقيرا بحُمقه؛ فالعالم بهذا، العامل به، أعظمُ الناس راحة في منفعة؛ والعالم بهذا، التارك له، أعظم الناس شغلاً في مضرّة، فربَّ منعَم عليه مستدرج بالإحسان إليه، وربّ مغرور في الناس مصنوع له.

فأفِقْ أيّها الساعي من سعيك، واقصر من عجلتك، وانتبه من سِنة غفلتك، وتفكّر فيما جاء عن الله - جلّ جلاله - على لسان نبيّه - صلوات الله عليه - ... » - الحديث.

وبإسناده[٣] عن ثابت بن سعيد[٤] - قال :- قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا ثابت - ما لكم والناس؟ كفّوا عن الناس، لاتدعوا أحدا إلى أمركم، فوالله لو أنّ أهل السماوات و أهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبدا يريدُ الله ضلالتَه مااستطاعوا على أن يهدوه، ولو أنّ أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلّوا عبدا يريد الله هُداه، مااستطاعوا أن يضلّوه؛

كفّوا عن الناس ولا يقول أحدٌ: عمّي وأخي وابن عمّي وجاري؛ فإنّ الله إذا أراد بعبد خيرا طيّب روحَه، فلايسمع معروفا إلّا عرفه، ولامنكرا إلّا أنكرَه، ثمّ يقذف الله في قلبه كلمةً يجمع بها أمرَه».

---

١) مل: مكايدته.

٢) مل: ولم يجعل.

٣) الكافي: كتاب التوحيد، باب الهداية، ١٦٥/١، ح١. وكتاب الإيمان والكفر، باب في ترك دعاء الناس، ٢١٣/٢، ح٢. عنه البحار: ٢٠٨/٦٨، ح١٢.

٤) كذا ورد في الكافي: ١٦٥/١. ولكن في ٢١٣/٢ منه وكذا في المحاسن: «ثابت أبي سعيد» ولعلهما صحيحان، أو أحدهما محرف، وكذا ما في البحار (٢٠٨/٦٨): «ثابت بن أبي سعيدة». ولم يذكروا عنه شيئا غير روايته هذا عن الصادق عليه السلام.

وعن النبي ﷺ[1] : «اعلم أنّ الأُمّة لواجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلّا بشيء كتبه الله لك، ولواجتمعوا على أن يضرُّوكَ، لم يضرُّوك إلّا بشيءٍ كتبه اللهُ عليك ؛ رُفعت الأقلامُ وجفَّت الصُّحف».

وفي القرآن المجيد : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [٩/١٥].

[القضاء لاتتخلف]

فإذا ظهر أن لارادَّ لقضاء الله، ولا معقّب لحكمه، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا ملجأ لعباده فيما قضى، ولا حجّة لهم فيما ارتضى، لم يقدروا على عمل ولا معالجة ممّا أحدث في أبدانهم المخلوقة، إلّا بربّهم، فمن زعم أنّه يقوى على عمل لم يُرده الله عزّ وجلّ فقد زعم أنّ إرادته تغلب إرادة الله، تبارك الله ربّ العالمين.

سِرٌّ

إذا[2] تحقّق هذا وقد تبيّن في محلّه أنّ الموادّ تحت قهر الطبائع، والطبائع تحت قهر النفوس، والنفوس تحت قهر العقول، والعقول تحت قهر كبرياء الأوّل، وهو الله الواحد القهّار.

ومن وجه آخر : إنّ الأرضيّات تحت تأثير السماوات - بإذن الله - والسماوات في ذلّ تسخير الملكوت، والملكوت في قيد أسر الجبروت، والجبروت مقهورٌ بأمر الجبّار، وهو الغالبُ على أمره، و ﴿ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [٦/١٨]- :

---

١) الترمذي: كتاب صفة القيامة: الباب (٥٩)، ٦٦٧/٤، ح٢٥١٦. كنزالعمال: ١٠٢/٣، ح٥٦٩١. و٨٦٣/١٥ ح٤٣٤٣٥.
وجاء مايقرب منه في شعب الإيمان: باب ٥، ٢١٧/١، ح١٩٥. و ٢٨/٢، باب ١٢، ح١٠٧٤. مستدرك الحاكم: كتاب معرفة الصحابة، ٥٤٢/٣. الجامع الكبير: ١٩٨/٩ و١٩٩، ح٢٨٠٠٦ و٢٨٠١١.

٢) جواب الشرط قوله: فلامؤثر في الوجود سواه.

فلا مؤثّر[1] في الوجود سواه، ولا فاعل غيره؛ ﴿وَ ٱلأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ [يَومَ ٱلقِيٰمَةِ] وَ ٱلسَّمٰوٰتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [٦٧/٣٩]، ﴿وَ ٱلشَّمْسَ وَ ٱلْقَمَرَ وَ ٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [٥٤/٧] و ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [٥٦/١١]؛ أيدي الكلّ مغلولةٌ بيد قدرته ﴿وَ ٱللهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [٩٦/٣٧]، وأرجلهم معقولةٌ بعقال مشيئته ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَ ٱلْبَحْرِ﴾ [٢٢/١٠]، وآمالُهم منقطعةٌ إلّا بحوله وقوّته ﴿وَ إِنْ يَمْسَسْكَ ٱللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [١٠٧/١٠]، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ ٱللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [١٦٠/٣]؛ ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [٨٣/٣٦] و ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [١/٦٧].

هذا آخر الكلام
في كتاب العلم بالله من أنوار الحكمة
ويتلوه كتاب العلم بالملائكة
والحمد لله أولاً وآخرا
وظاهرا وباطنا.

---

١) جواب قوله: «إذا تحقق هذا».



كتاب العلم بالملائكة

﴿ عِبَادٌ مُكرَمُونَ * لايَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَولِ وَ هُمْ بِاَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾

[٢١/٢٦-٢٧]

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ ﴾

[١٦/٥٠]

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ لَايَفْتُرُونَ ﴾

[٢١/٢٠]

في الملائكة المقرّبين

﴿لَن يَستَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله وَ لَا ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [١٧٢/٤]

نور

[الملائكة الكرّوبيّون]

قد دريت أنّ للوجود مراتب ودرجات متفاوتة بعضها فوق بعض، وأنّها متواصلة متّصلة لاثلمة فيها؛ فالدرجة الأُولى من المرتبة الأولى هي الأرواح المهيّمة والملائكة الكرُوبيُّون[١] وهم المستغرقون في بحار الأحديَّة، المتحيّرون في عظمة ربِّ العالمين، المتواجِدون في جلال أوّل الأوّلين، المستهتِرون[٢] بذكر آلائه، المتواضعون لجبروته و كبريائه؛ لاالتفات لهم إلى ذواتهم المنوَّرة بنور الحقّ - فضلاً عن غيرهم - لِوَلَهِهم وهَيَمانهم في جمال الحقِّ - أبدا سرمدا.

وكأنَّه إليهم أُشير في الحديث حيث قيل[٣] : «إنَّ للهِ ملائكةً لايعلمون أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ وذريَّته».

وروى محمَّد بن الحسن الصفَّار بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال:[٤] «إنَّ الكرُوبيّين قومٌ من شيعتنا من الخَلق الأوَّل، جعلَهم اللهُ خلفَ

---

١) في القاموس: الكروبيون - مخففة الراء -: سادة الملائكة.

٢) هامش ر: المستهتر بالشيء - بالفتح -: المولع به لايبالي بما فعل فيه وشتم له - ق.

٣) لم أعثر عليه. وجاء في شرح القاساني لمنازل السائرين (باب السر: ٤٧٧): «الملائكة الذين قيل فيهم: إنهم لايعلمون أنَّ الله خلق آدم».

٤) بصائر الدرجات: الجزء الثاني، باب نادر من الباب (٦)، ما خصَّ به الأئمّة من ولاية الملائكة: ٦٩. عنه البحار: ٢٢٤/١٣، ح١٨. ٣٤٢/٢٦، ح١٢. ١٨٤/٥٩، ح٢٦.

العرش لو قسّم نور أحدهم على أهل الأرض لكفاهم». - ثمّ قال :- «إنّ موسى ﷺ لمّا أنْ سأل ربّه ما سأل، أمَرَ واحدا [١] من الكرُوبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكًّا».

أقول : لامنافاة بين الحديثين عند أُولى الألباب العارفين بمعنى الشيعة.

نور

[الملائكة العقليّة]

ثمّ بعد هذه الطبقة طبقة الملائكةُ العقليَّة الذين أبدعهم اللهُ وسائطَ جودِه ورحمتِه، وحُجبَ جلاله وعظمته، وهم مبادئ سلسلة الموجودات وغاياتها، ومنتهى أشواق النفوس ونهاياتها.

وهؤلاء قد برهنّا على وجودهم في عين اليقين، بطرق متعدّدة في مواضع شتّى، ودلّلنا على كثرتهم وأنّه لايجوز أن يكون عددهم أقلّ من عدد أنواع الموجودات المختلفة؛ كما ظهر من قاعدة إمكان الأشرف في إثبات النشآت العقليّة.

وقد تبيّن هناك وفي مباحث تجدّد الطبيعة منه أنّهم أرباب الأنواع، وأنّ لكلّ نوع من الأنواع الجسمانيّة فردا كاملا في عالم الإبداع، هو الأصل والمبدء لسائر أفراد ذلك النوع، وهم فروعُه وآثارُه، وذلك الفرد لتمامه وكماله ثابت باقٍ، قائما بذاته ومبدئه، لايفتقر إلى مادّة ولا إلى محلّ يتعلّق به، بخلاف هذه، فإنّها لضعفها ونقصها متجدّدة سيّالة غير باقية، مفتقرة إلى المادّة السيّالة وعوارضها المتقضّية المتصرّمة في ذاتها أوفعلها.

نور

[كثرة الملائكة]

وممّا يدلّ على أنّ عددها ليس أقلّ من عدد الأنواع الجسمانيّة أنّ اختلاف

---

١) مل: رجلا (بدل واحدا).

القوابل لايمكن أن يكون سببا لكون الفاعل في نفسه بحيث يمكن أن يصدر منه أفعال متكثّرة، بل إنّما هو سبب لتعيّن كلّ فعلٍ من الأفعال الممكنة الصدور لكلّ مادّة وتخصّص كلّ مادّة به دون غيره، فإنما هو منشأ اختلاف الأشخاص من نوع واحد - لا غير.

وأيضا اختلاف استعدادات القوابل متأخّرة بحسب الزمان عن الجواهر الابداعيّة، لحدوثها بسبب أوضاع وحركات جسمانيّة متأخّرة عن أجسام متحرّكة، والعناصر لايجوز أن تكون حادثة بعد الأفلاك زمانا لامتناع الخلإ، واستحالة خلوّ المادة مدّة مديدة.

وكذا الطبائع الحيوانيّة والنباتيّة من حيث نوعيّاتها ليست ممّا يتخلّف إفاضتها عن إفاضة العناصر، لكونها غاية وجود العنصريّات، وخصوصا نوع الإنسان الذي جاء زبدة العناصر وثمرة الأركان؛ فلايمكن أن يهمل وجوده مدّة عن وجود الأفلاك والعناصر.

فوجود نوعيّة الإنسان ليس من جهة استعداده القابل، بل من جهة إبداع المبدِع الأول بواسطة بعض الوسائط العقليّة، من الملائكة المقرّبين.

فجنود الله العقلية كثيرة، كثرة لايعلم عددها إلا هو، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/٣١].

نور

[الملائكة المقربون]

و إذ ليس للملائكة المقرَّبين حجابٌ - لبراءتهم من الغواشي - فذواتهم ظاهرة لأنفسهم، معقولة لهم؛ وكذا ذواتُ بعضهم لبعض؛ وبهم ظهور سائر الموجودات. فهم إذن أنوارٌ مجرّدةٌ وأشعّةٌ إلهيّة وأضواءٌ قاهرةٌ؛ وكلّهم أحياءٌ ناطقون، عالِمون، وعالَمهم عالَم القدرة؛ وللعالي منهم قهرٌ على السافل و إشراق و إحاطةٌ، وللسافل عشقٌ إلى العالي ومحبّةٌ له ومشاهدة من دون إحاطة، لانقهاره عنه، ﴿وَ ٱللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [٨٥/٢٠] وهو القاهر فوقهم.

نور

[فناء المقربون في الله تعالى]

والكلُّ مبتهجون بالله - تعالى - وبذواتهم، لامن حيث هم هم، بل من حيث كونهم مبتهجين به، لأنّهم يعرفون أنفسَهم به تعالى، فلذّتهم -أيضا- بذاته سبحانه. و أمّا لذّتهم بأنفسهم فهي من حيث رأوا أنفسَهم عبيدا وخدَما له مسخّرين، فهي ترجع إلى لذّتهم به، فهم على الدوام في مطالعة ذلك الجمال، لايرتدّ إلى أنفسهم طرْفُهم طرفةَ عين، لاستهلاكهم في ذات الحبيب الأوّل، لافرق بينهم وبين حبيبهم.

نور

[العالم السفلي تنزلات العالم العلوي]

ثمّ إنّ اللهُ سبحانه خلَقَ من هؤلاء بسبب تراكيب الجهات ومشاركتها ومناسبتها وهيآتها النوريّة وأشعّتها العقليّة - من المحبّة واللذّة، والعزّ والذلّ، والقهر و الانقهار، و الاستغناء والافتقار، وغير ذلك من المعاني والهيآت - أُمورا في هذا العالم تُناسبها من عجائب الترتيبات ولطائف النسب وبدائع النظم في السماوات والأرضين، وما فيها من الأجسام وتوابعها، وفي عالم النفوس - من العجائب الروحانيّة والغرائب الجسمانيّة من أحوال قواها وكيفيّة تعلقها بالأبدان وغيرذلك -

وكأنّه إليه أُشير في كلام الصادق عليه السلام في حديث المعراج[1] : في صفة المحمل الذي هو من نور، حيث قال: «وفيه أربعون نوعا من أنواع النور وهي محدقة حول العرش، فمنه أصفر، ولأجله اصفرّت الصُفرة؛ ومنه أحمر، ولأجله احمرّت الحُمرة؛ ومنه أبيض، ومن أجله ابيضّ البياضُ، والباقي على قدر سائر ما خلَق الله من الأنواع والألوان» - الحديث -.

---

١) الكافي: ٤٨٢/٣، كتاب الصلاة، باب النوادر، ح١.

نورٌ

[التعبيرات المختلفة عن الملائكة في الروايات]

قد ثبت في محلّه أنّ العقول كلّها لفرط الفعليّة والكمال كأنّها شيء واحدَ والعقل الأول مشتمل على الكلّ، بل هو عين الكلّ.

فهذه الطبقة من طبقات الملائكة كأنّها ملك واحدَ وقد عبّر عنه في الكتاب والسنّة بعبارات مختلفة وألفاظ شتّى، نظرا إلى وجوهه المختلفة وحيثيّاته المتكثّرة فسُمِّي بـ «العقل» في قول النبي ﷺ: «إنَّ أوَّل ما خَلَق اللهُ العَقل»[1] لأنّه محلّ عِلم الله - سبحانه - كما قال: ﴿وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُه﴾ [١٥/٢١].

و بـ «القلم» في قوله ﷺ[2]: «أوَّل ما خَلَقَ اللهُ القَلم». لإفاضة الله الصورَ العلميَّة على الألواح النفسيّة بتوسُّطه، وسيَّما على النفس الكليَّة التي هي اللوح الأعظم، كما قال - تعالى -: ﴿اِقْرَءْ وَ رَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٩٦/٣-٥].

وسُئِل مولانا الصادق عليه السلام عن اللوح والقلم؟ فقال[3]: «هُما مَلَكان».

و بـ «الروح» في قوله ﷺ[4]: «أوَّلُ ما خلَق اللهُ روحي»؛ لإفاضة الله - سبحانه - الحياةَ على كلِّ حيٍّ بتوسُّطه، وإنّما أضافَه إلى نفسه، لأنّه

---

١) أبو نعيم في الحلية: ترجمة سفيان بن عيينة، ٣١٨/٧. وجاء في الفقيه: (باب النوادر: ٤/ ٣٦٩): «...يا علي، إنَّ أوّل خلْقٍ خلقه الله عزَّ وجلَّ العقل...».

٢) الترمذي: كتاب القدَر، الباب ١٧: ٤٥٨/٤، ح٢١٥٥. كتاب التفسير، سورة ن، ٤٢٤/٥، ح٣٣١٩. المسند: ٣١٧/٥. تفسيرالقمي: في قوله تعالى ﴿قال الذين كفروا لاتأتينا الساعة﴾: ١٩٩/٢.

٣) معاني الأخبار: باب معنى اللوح والقلم: ٣٠. عنه البحار: ٣٦٩/٥٧، ح٦.

٤) تأويل الآيات الظاهرة (المطففين/١٨، ٧٧٣/٢) نقلا عن الصدوق في كتاب المعراج، عن النبي ﷺ: «ياعلي، إنّ الله تبارك و تعالى كان ولاشيء معه، فخلقني وخلقك، روحين من نور جلاله...». البحار عنه وعن المختصر: ٣/٢٥-٤، ح٥-٦.

المبعوث إلى مقام الروح الأوّل، كما قال عزَّ اسمه: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَ ٱلْمَلَائِكَةُ ﴾ [٧٨/٣٨].

وسُئِل مولانا الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ وَ كَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [٤٢/٥٢] قال[1]: «خَلْقٌ من خَلق الله، أعظم من جبرئيلَ وميكائيلَ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدّده؛ وهو مع الأئمّة من بعده».

وزاد في رواية أُخرى[2]: «وهو من الملكوت».

وفي أُخرى[3]: «إنّه لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمّد صلى الله عليه وآله، وهو مع الأئمّة عليهم السلام يوفّقهم ويسدّدهم».

وفي أُخرى[4]: «ليس كلّما طلب وجد».

وفي أُخرى[5]: «منذ أنزل اللهُ ذلك الروح على محمّد صلى الله عليه وآله ماصعد إلى السماء، و إنّه لفينا».

وفي أُخرى[6]: قيل له «أليس الروحُ جبرئيل»؟ فقال: «جبرئيلُ من الملائكة، والروحُ خَلقٌ أعظم من الملائكة؛ أليس الله يقول: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَ ٱلرُّوحُ ﴾ [٩٧/٤]»؟

كلُّها مرويّة في **بصائرالدرجات** بالأسانيد المتّصلة.

---

١) مع فرق يسير في الكافي: كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله به الأئمة عليهم السلام: ٢٧٣/١، ح١. بصائرالدرجات: باب الروح التي قال الله تعالى: وكذلك..: ٤٥٥، ح٢.

٢) الكافي: نفس الصفحة، ح٣.

٣) بصائرالدرجات: ٤٦١، ح١. البحار: ٦٧/٢٥، ٤٧.

٤) الكافي: نفس الصفحة، ح٤. بصائرالدرجات: ٤٦١، ح١-٤.

٥) الكافي: نفس الصفحة، ح٢. البحار: ٢٦٥/١٨. ٦١/٢٥.

٦) بصائرالدرجات: باب الروح التي قال الله تعالى: تنزل الملائكة...: ٤٦٤، ح٤.
وجاء مايشبهه عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضا فيه: ح٣ والكافي، الباب السابق، ٢٧٤/١، ح٦. البحار: ٦٤/٢٥، ح٤٥-٤٦.

ومن جهة كثرته قال ﷺ[(١)] :

«أوّل ماخَلق اللهُ أرواحُنا، ثمّ خَلق الملائكةَ».

وقال ﷺ[(٢)] : «خَلق اللهُ الأرواحَ قبل الأجساد».

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[(٣)] : «إنَّ الروحَ مَلكٌ من الملائكة، له سبعون ألف وجه، في كلِّ وجهٍ سبعون ألف لسان، في كلِّ لسانٍ سبعون ألف لغة، يسَبح الله بتلك اللغات كلِّها، ويخلق بكلِّ تسبيحة ملكٌ يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة».

وسمّي بـ«النور» في قوله ﷺ[(٤)] : «أوّلُ ماخَلق اللهُ نوري»، إذ به تنوّرت السماوات والأرض. و وجه الإضافة ما سبق.

و بـ«الإسم» في قوله - سبحانه - : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [٨٧/١]، وقوله - عزّ وجلّ - : ﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [٥٥/٧٨]. لأنّه مظهر أسمائه الحسنى.

و بـ «اليمين» في قوله - جلّ جلاله - : ﴿ وَٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [٣٩/٦٧] لشرفه وقوّته بالنسبة إلى الجسمانيّات.

و بـ«اليد» في قوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [٤٨/١٠] لكونه بمنزلة اليد في خلق العالم؛ وباعتبار كثرته قال : ﴿ وَٱلسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ ﴾ [٥١/٤٧].

---

١) كمال الدين: باب نصّ الله عزّ وجلّ على القائم: ٢٥٥، ح٤. عيون الأخبار: الباب ٢٦، ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتّى، ١/٢٦٢، ح٢٢.
البحار: ١٨/٣٤٥، ح٥٦. ٥٧/٥٨، ح٢٩.

٢) اختيار معرفة الرجال (ذكر سفيان الثوري: ٣٩٦): عن الصادق عليه السلام، عن رسول الله ﷺ. ورواه الصدوق - قده - في معاني الأخبار (باب معنى الأمانة التي...: ١٠٨، ح١) عن الصادق عليه السلام أيضا.

٣) الاسماء والصفات للبيهقي: باب ماجاء في تفسير الروح: ٢/١٠٤. تفسير الطبري: في تفسير الآية: ﴿ يسئلونك عن الروح... ﴾ : ١٥/١٠٥.

٤) عوالي اللئالي: الجملة الثانية من الخاتمة، ٤/٩٩، ح١٤٠. راجع أيضا الكافي: كتاب الحجة، باب مولد النبي ﷺ: ١/٤٤٠، ح٣ والبحار: باب بدء خلقهم عليهم السلام: ٢٥/٢٢.

وقال : ﴿ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾ [٧١/٣٦] . فله سبحانه أيدٍ ليست بجوارح جسمانيّة ، بل ذوات عاقلة روحانيّة فعّالة بأمره .

و بـ «الحجب» في قوله ﷺ[1] : «إنّ لله سبعا و سبعين حجابا من نور ، لو كشَفَها لأحرقتْ سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصرُه» . إذ التعيّن حجاب ، وهذا بالنظر إلى كثرته .

وفي رواية[2] : «من نور وظلمة» ؛ ولعلّ المراد بالظلمة أظلالها الجسمانيّة .

---

١) ورد الحديث بألفاظ مختلفة ، سيما في عدد الحجب : أخرج الطبراني (المعجم الكبير ، روايات سهل بن سعد : ١٤٨/٦ ، ٥٨٠٢) : «الله عزّ وجلّ دون سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، ومايسمع من نفسٍ شيئا من حسّ تلك الحجب إلّا زهقت» .
و أورد الغزالي في الإحياء (قواعد العقائد ، الفصل الثاني من كتاب الاعتقاد : ١٤٩/١) : «انّ لله سبحانه وتعالى سبعين حجابا من نور ؛ لوكشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره» . وأخرج مسلم (كتاب الإيمان ، الباب ٧٩ : ١٦٢/١ ، ح٢٩٤) : «... حجابه النور ؛ لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره» . واضيف في حديث آخر (ح٢٩٣) : «من خلقه» . وأما بعدد «سبعا وسبعين» فلم أعثر عليه .

٢) راجع ما أوردنا في التعليقة السابقة عن الطبراني .

في الملائكة المدبّرين

﴿ فَٱلْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [٧٩/٥]

نور

الملائكـةُ المدبِّرون هم الروحانيَّات المتعلِّقة بعالم الأجسام، على كثرة أجناسها وأنواعها، وطبقاتها المتخالفة المتفاوتة حسب تخالف الأجسام السماويَّة والأرضيَّة وتفاوتها.

ونسبتهم إلى النفس الكليَّة - المسمّاة بـ«اللوح» - كنسبة سائرالعقول والأرواح إلى العقل الأوَّل المسمَّى بـ«القلم»؛ وقد يقال لمن في السماوات منهم بالملكوت الأعلى، ولمن في الأرضين بالملكوت الأسفل؛ وإليهم أشير في كلمات الأنبياء الماضين عليهم السلام[١] «إنَّ لكلِّ شيءٍ ملكا».

وعن نبيّنا صلى الله عليه وآله أنَّه قال في كثرة ملائكة السماء[٢]: «أطَّت السماءُ و حقٌّ لها أن تئِطَّ[٣] مافيها موضع قدم إلاّ وفيه مَلَك ساجد أو راكع».

و قال في كثرة ملائكة الأرض[٤]: «ما من قطرةٍ تنزل من السماء إلاّ ومعها مَلَك».

---

١) لم أعثر عليه.

٢) بلفظ: «... موضع أربع أصابع... » في المسند: ١٧٣/٥. الترمذي: كتاب الزهد، باب (٩)، ٥٥٦/٤، ح٢٣١٢. كنزالعمال: ٣٦٧/١٠، ح٢٩٨٣٨.

٣) قال ابن الأثير (النهاية: أطط: ٥٤/١): «الأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها؛ أي إن كثرة مافيها من الملائكة قد أثقلها حتّى أطّت؛ وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثَمَّ أطيطٌ؛ وإنما هو كلامٌ تقريب أريد به تقريرعظمة الله تعالى».

٤) في علل الشرايع (٤٦٣/٢، باب ٢٢٢ النوادر، ح٨): «... فليس من قطرة تقطر إلاّ ومعها ملك يضعها موضعها...».

وقد يكون الواحد منهم ذاقوىً متعدِّدة يفعل بكل قوّة فِعلا من الأفاعيل، وتلك القوىٰ ملائكةٌ أخرىٰ مسخَّرة تحت سلطانه - كأنَّها أجزاؤه وجوارحه وأجنحته - وهو جهة وحدتها والمشتملُ عليها كلّها.

وذلك لأنَّ الملائكةَ كلُّهم وحدانيَّة الصفات، ليس فيهم خلطٌ وتركيبٌ - ألبتّة - فلايكون لكلِّ واحد منهم بجهة واحدة وقوّة واحدة - إلاّ فعلٌ واحدٌ - كما أشير إلى ذلك بقوله سبحانه حكايةً عنهم: ﴿ وَ مَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ [١٦٤/٣٧].

فلذلك ليس لهم تنافسٌ وتقابلٌ، بل مثال كلٌّ واحد في مرتبته وفعله مثال الحواسِّ، فإنَّ البصرَ لايزاحم السمعَ في إدراك الأصوات، ولاالشمّ يزاحمهما، ولا هما يزاحمان الشمّ.

وهذا بخلاف اليد والرِجل، فإنَّك قد تبطش بأصابع الرِجل - بطشا ضعيفا - وقد تضرب غيرَك برأسك[1]، فتزاحم بذينك اليدَ التي هي آلةُ البطش و الضرب؛ وكذلك الإنسان الذي يتولّى بنفسه الأفاعيل المختلفة، فإنَّ هذا نوعٌ من العدول والاعوجاج عن العدل، سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه، فإنَّه ليس وحدانيُّ الصفة، فلم يكن وحدانيَّ الفعل؛ فلذلك تراه يطيع اللهَ تارةً، ويعصيه أُخرىٰ، لاختلاف دواعيه وصفاته.

وذلك غير ممكن في طبايع الملائكة، بل هم مجبولون على الطاعة لامجال للمعصية في حقِّهم، فلاجرم ﴿ لَايَعْصُونَ ٱللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٦/٦٦] ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ لَايَفْتُرُونَ ﴾ [٢٠/٢١]، والراكعُ منهم راكعٌ أبدا، والساجدُ ساجدٌ أبدا، والقائمُ قائمٌ أبدا.

تمثيل
[طاعة الملائكة]

إنَّ طاعتَهم لله - عزَّ وجلَّ - من حيث لامجال للمخالفة فيهم يمكن أن

---

١) مل: برأسه.

يُشبه بطاعة أطرافِك لك، فإنَّك مهما جزمتَ الإرادةَ بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردُّدٌ ولا اختلاف في طاعتك مرَّةً ومعصيتك أُخرىٰ، بل كأنَّه منتظرٌ لأمرك و نهيك، ينفتح و ينطبق متّصلاً بإشارتك، فهذا يُشبهه من وجه، ولكن يخالفه من وجه، إذ الجفن لاعلم له بما يصدر عنه من الحركة فتحا و إطباقا، والملائكة أحياءٌ عالِمون بمايفعلون.

تنبيه

[الملائكة الموكلة بالإنسان]

لمّا كان الإنسان جامعا لجميع مراتب الوجود والنشآت كانت الملائكة المدبّرة له، الحافظة لبنيته، أنواعا كثيرة مختلفة حسب تفاوت النشآت والمراتب، فنها ما تعلّق به من حيث جسميّته ونموّه ويسمّى بـ«**القوىٰ**».

ومنها ماتعلّق به من جهة حيوانيّته، ويسمّى بـ«**الحواسّ**».

ومنها ماتعلّق به من حيث إنسانيّته ويسمّى بـ«**الأرواح البشريّة**»

ومنها ماتعلّق به من حيث أعماله وأخلاقه وخواطره ويسمّى بـ«**الكرام الكاتبين**» و «**الملكات**» و «**مبادئ اللمم**».

ومنها ماتعلّق به من جهة حفظه عن الشرور والآفات، ويسمّى بـ«**المعقّبات**».

إلى غير ذلك من الأنواع وأساميها؛
وقد بسطنا الكلام في ذلك كلّه وأشبعناه في
كتابي «علم اليقين» و «عين اليقين» بما لامزيد عليه،
فلا وجه لإعادته هنا.

في الإشارة إلى أصناف الملائكة

﴿ وَ ٱلصَّـافَّـاتِ صَفًّـا * فَٱلزَّاجِـرَاتِ زَجْـرًا * فَـٱلتَّـالِيَـاتِ ذِكْـرًا ﴾ [٣٧/١-٣]

﴿ وَ ٱلنَّـازِعَـاتِ غَـرْقًـا * وَٱلنَّـاشِـطَاتِ نَشْـطًا * وَ ٱلسَّابِحَـاتِ سَبْحًا * فَـٱلسَّابِقَـاتِ سَبْقًا * فَـٱلْمُـدَبِّـرَاتِ أَمْـرًا ﴾ [٧٩/١-٥]

﴿ وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَ ٱلأَرْضِ ﴾ [٤٨/٤]

تمهيد
[أكابر الملائكة]

إنَّ للملائكة - على كثرة شعوبها وقبائلها وضروبها وطبقاتها - أنواعا شتَّى وأجناسا مختلفة[١]، حتَّى أنَّه لايتفاوت مايطلق عليه اسم من الأسماء مايتفاوت ما يطلق عليه إسم «المَلَك»، وهو مشتقّ من الألوكة، بمعنى الرسالة، لأنّها مرسلة من الله سبحانه إلى عباده لهدايتهم.

---

١) في هامش ر:

قال شارح النهج [البحراني: ١/١٥٦]: «اتّفق الكل على أنّ الملائكة، ليس عبارة عن أشخاص جسمانيّة كثيفة تجيء وتذهب كالناس والبهائم، بل القول المحصّل فيه قولان: الأول هو قول المتكلّمين: أنّها أجسام نورانيّة إلهيّة خيّرة سعيده قادرة على التصرُّفات السريعة والأفعال الشاقّة، ذوات عقول وأفهام، وبعضها عند الله أقرب من البعض وأكمل درجة؛ كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ [٣٧/١٦٤].

والقول الثاني قول غيرهم، وهي أنّها ليست بأجسام، لكنَّ منها ماهو مجرَّدٌ عن الجسميَّة وعن تدبير الأجسام، ومنها من له الأمر الأول دون الثاني، ومنها من ليس بمجرّد، بل جسمانيّ حالٌ في الأجسام و قائم بها. ولهم في تنزيل المراتب المذكورة على قولهم تفصيل». (منه ره).

ولعلّك فهمت ذلك ممّا أسلفناه قديما وآنفا، والآن نشير إلى ما ورد في الكتاب والسنّة من أصنافهم وبعض صفاتهم - على سبيل الإجمال - و إن تداخل بعضُها في بعض من وجه - فاستمع - :

نور

فمن أصناف الملائكة **الأكابر الأربعة المشهورون**، و هم : **جبرئيل و ميكائيل** اللذان - تكرّر ذكرهما في القرآن المجيد - و **إسرافيل وعزرائيل** اللذان تكرّر ذكرهما في الحديث.

أمّا جبرئيل : فهو صاحبُ الوحي، وروح القدس، وروح الأمين؛ ينصر أولياءَ الله ويقهر أعداءَه، قال الله - عزّ وجلّ - في شأنه : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [٨١/١٩-٢١]. فرسالتُه أنّه رسول الله إلى جميع أنبيائه، فكلّهم أُمّته؛ وكرمُه على ربّه أنّه جعله واسطة بينه وبين أشرف عباده؛ وقوّتُه أنّه رفع مدائنَ قوم لوط إلى السماء وقلّبها؛ ومكانتُه عندالله أن جعله ثاني نفسه في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ ﴾ [٦٦/٤]؛ و كونه مُطاعا أنّه إمامُ الملائكة ومقتداهم، وأمّا كونه أمينا فلأنّه ائتمنه الله على الرسالة وائتمنه الأنبياء على ما نزل به إليهم[١].

وفعلُه الخاصّ بالذات الوحي والتعليم وتأدية الكلام من الله سبحانه إلى عباده؛ وسائر أفعاله إنّما يصدر عنه بالعرَض، وله ارتباط مع القوّة النطقيّة، ولو لم يكن هو لم يستفد أحدٌ معنى من المعاني بالبيان والقول، ولم يقبل قلبُ أحدٍ إلهامَ الحقّ و إلقاءه في الروع.

وأمّا ميكائيل : فهو صاحب الأرزاق والأغذية.

وفعلُه الخاصّ بالذات إعطاء الرزق بالتغذية والتنمية على قدر لائق وميزان معلوم؛ وله ارتباط مع الحفظ والإمساك؛ ولو لم يكن هو لم يحصل

---

١) مل (بدلا من قوله: فلأنه ائتمنه الله على الرسالة وائتمنه الأنبياء على ما نزل اليهم): فهو قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [٢٦/١٩٣].

النشوء والنماء في الأبدان، والتطوُّر في أطوار الملكوت في الأرواح ولا الأرزاق الحسّية للخلقة، ولا العلوم الجمَّة الغفيرة للفطرة.

وأمّا إسرافيل: فهو صاحب الصُور، قال تعالى ﴿ وَ نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [٩٩/١٨]. ففي الخبر: «إنّ إسرافيل صاحب القرن» ويأتي تمام الحديث[1].

وفعلُه الخاصّ بالذات نفخ الأرواح في قوالب الأجساد، وإعطاء الحياة وقوَّة الحسّ والحركة لانبعاث الشوق والطلب؛ وله ارتباط مع المفكِّرة، ولولم يكن هو لم ينبعث الشوق والحركة لتحصيل الكمال.

وأمّا عزرائيل: فهو مَلَك الموت، قال الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ ٱلْمَوتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [١١/٣٢].

وفعلُه الخاصّ بالذات نزعُ الصوَر من الموادِّ، وتجريد الأرواح عن الأجساد، و إخراجُ النفوس الناطقة من الأبدان، ونقلها من الدنيا إلى الآخرة. وله ارتباط مع المصوِّرة، ولو لم يكن هو لم يمكن الاستحالات والانقلابات في الأجسام ولا الاستكمالات والانتقالات الفكريَّة في النفوس والخروج من الدنيا والقيام عندالله للأرواح؛ بل كانت الأشياء كلّها واقفة في منزل واحد ومقام أوّل.

ولكلّ من هؤلاء الأربعة جنودٌ وأتباع لايعلم عددَها إلّا الله كما قال: ﴿ وَ مَايَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلَّا هُوَ ﴾ [٣١/٧٤].

نور

[حمَلة العرش]

ومن أصناف الملائكة **حمَلة العرش** والحافّون حوله؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوقَهُمْ يَومَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [١٧/٦٩] وقال سبحانه: ﴿ وَ تَرَىٰ ٱلْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَولِ ٱلْعَرْشِ ﴾ [٧٥/٣٩].

---

١) راجع ما يجيء في كتاب العلم باليوم الآخر: في نفخ الصور.

والحَمَلَةُ في الدنيا أربعة، لأنّهم مبادئ لأربع حمل[١] من السماويّات لها مدخل في تنويع العناصر بالأنواع الأربعة، بهم قامت جملة الخلائق المعبّر عنها بالعرش؛ كما ورد في الحديث[٢] :

«إن العرش في وجه هو جملة الخلق...». فيصيرون يوم القيامة ثمانية.

ولعلّ ذلك لإضافة غاياتهم إليهم، فإنّ كلّ ما ينزل[٣] في سلسلة البدو له نظير في سلسلة العود، ينتهي إليه بالحركة الصعوديّة الرجوعيّة كما مضى بيانه.

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[٤] : «إنَّ الذين يحملون العرشَ هم العلماء الذين حمَّلهم الله عِلمَه، وليس يخرج عن هذه الأربعة[٥] شيء ممّا خلق الله في ملكوته، وهو الملكوت الذى أراه الله أصفياءه وأراه خليله - صلوات الله عليه».

وعن مولانا الصادق عليه السلام[٦] : «حَمَلةُ العرش - والعرشُ العلم - ثمانية: أربعة منّا، وأربعة ممَّن شاء الله».

وعنهم عليهم السلام[٧] : «إذا كان يوم القيامة كان حملةُ العرش ثمانية: أربعة من الأوّلين: نوح و إبراهيم وموسى وعيسى. وأربعة من الآخرين: محمَّد وعليٌّ والحسن والحسين».

وقريب منه مارويناه[٨] عن مولانا الكاظم عليه السلام.

---

١) ر: لأربع جمل.
٢) معاني الأخبار: ٢٩، باب معنى العرش والكرسي.
٣) ر: كل ما نزل.
٤) الكافي: كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي: ١٣٠/١، ح١، وفيه فروق يسيرة. عنه البحار: ٩/٥٨، ح٨.
٥) إشارة إلى ماسبق ذكرها في الحديث: السماوات والأرض والعرش والكرسي. راجع بيان المؤلف لهذه الأحاديث في الوافي أيضا: ٥٠٤/١.
٦) الكافي: الباب السابق: ١٣٢/١، ح٦.
٧) في تفسير القمي، ٤٠٣/٢، قوله تعالى: ﴿ ويحمل عرش ربك... ﴾.
٨) مل:+ في الكافي.

وعن مولانا الصادق عليه السلام[١] : «إنّ حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم، يسترزق الله لولد آدم، والثاني: على صورة الديك، يسترزق الله للطير، والثالث: على صورة الأسد، يسترزق الله للسباع، والرابع على صورة الثور، يسترزق الله للبهائم - ونكس الثورُ رأسَه منذ عبد بنو إسرائيل العجلَ - فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية».

وروي من طريق العامّة[٢] :

«إنّهم ثمانيةُ صفوف لايعلم عددهم إلّا الله، لكلِّ مَلَك منهم أربعةُ وجوه، لهم قرونٌ كقرون الوعلة، من أُصول القرون إلى منتهاها مسيرةُ خمسمأة عام، والعرش على قرونهم وأقدامهم في الأرض السفلى ورءُوسهم في السماء العليا، ودون العرش سبعون حجابا من نور».

أنوار سجّاديّة
[توصيف الإمام السجّاد عليه السلام للملائكة]

قال مولانا سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام في بعض أدعية الصحيفة الكاملة[٣] بعد تحميدالله - عزَّ وجلَّ - والثناء عليه بما هو أهله ومستحقّه والصلاة على سيد المرسلين وآله مصلّيا على حمَلة العرش وأصناف من الملائكة ما هذا لفظه:

«الّلهمَ، وَحمَلةُ عرشِك الذينَ لايفتُرون من تسبيحِكَ، ولايسئَمونَ من تقديسكَ، ولايستحسِرونَ من عبادَتكَ، ولايؤثِرونَ التقصيرَ على الجِدِّ في أمركَ، ولايغفلون عن الوَلَهِ إليكَ -

وإسرافيلُ صاحب الصُّور الشاخص الذي ينتظر منك الإذنَ، وحلولَ الأمرِ، فينبّه بالنفخةِ صرعىٰ رهائن القبورِ -

---

١) الخصال: باب الثمانية: ٤٠٧، ح٥. عنه البحار: ٧/١٣٠-١٣١، ح٥.

٢) جاء مايقرب منه في الدرالمنثور: ٧/٢٧٤.

٣) الدعاء الثالث من أدعية الصحيفة السجادية على منشئها آلاف التحيّة والسلام.

وميكائيلُ ذوالجاه عندك، والمكانِ الرفيع من طاعتك[١] -

وجبرئيلُ الأمينُ على وحيِك، المطاعُ في أهلِ سماواتِك، المكينُ لديك المقرَّبُ عندك -

والروحُ الذي هو على ملائكة الحُجبِ، والروحُ الذي هو من أمرِك.

فصلِّ عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكّان سماواتِك، وأهلِ الأمانة على رسالاتك، والذين لاتدخلهم سآمةٌ من دءُوب، ولا إعياءٌ من لُغوب ولافتور، ولاتشغلهم عن تسبيحك الشهواتُ، ولايقطعهم عن تعظيمك سهوُ الغفلات؛ الخُشَّعِ الأبصار، فلايرومون النظرَ إليك، النواكسِ الأذقان الذين قد طالت رغبتُهم فيما لديكَ، المستهترون بذكر آلائك، المتواضعون دونَ عظمتك وجلال كبريائك، والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنّم تزفرُ على أهل معصيتك: «سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك»؛

فصلِّ عليهم وعلى الروحانيّين من ملائكتك وأهلِ الزُلفة عندك، وحمّالِ الغيب إلى رسلك، والمؤتمنين على وحيِك، وقبائلِ الملائكة الذين اختصصتَهم لنفسك، وأغنيتَهم عن الطعام والشرابِ بتقديسك، وأسكنتَهم بطونَ أطباقِ سماواتِك، والذين هم على أرجائِها إذا نزل الأمرُ بتمام وعدِك، وخُزّانِ المطر وزواجرِ السحاب، والذي بصوت زَجره يسمع زجل الرعود، و إذا سبّحت به حفيفةُ السحاب التمعت صواعقُ البروق، ومشيِّعي الثلج والبَرد، والهابطين مع قَطر المطر إذا نزل، والقوّام على خزائن الرياح، والموكّلين بالجبال فلا تزول، والذين عرّفتَهم مثاقيلَ المياه، وكيلَ ما تحويه لواعجُ الأمطار وعوالجُها، ورسلِك من الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحبوب الرخاء، والسفرةِ الكرام البرَرة، والحفَظةِ الكرام الكاتبين، وملكِ الموت و أعوانه ومنكَر ونكيرٍ ومبشِّرٍ وبشيرٍ، ورومان فتّانِ القبور، والطائفين بالبيتِ

---

١) مل: عن طاعتك.

المعمور، ومالك والخزنة، ورضوان وسدنة الجنان، والذين ﴿ لا يَعصُونَ اللهَ مَا أمرَهمْ وَ يَفعَلونَ مَا يُؤمَرُون ﴾ [٦/٦٦]، والذين يقولون: ﴿ سلامٌ عَلَيكُم بِمَا صَبَرتُم فَنِعمَ عُقبَى ٱلدَّار ﴾ [١٣/٢٤]، والزبانيةِ الذين إذا قيل لهم ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [٦٩/٣٠-٣١]، ابتدروه سراعا ولم يُنظِروه، ومَن أوهمنا ذِكرَه، ولم نعلم مكانَه منك، وبأيِّ أمر وكَّلته، وسكّان الهواء والأرض والماء، ومَن منهم على الخَلق.

فصلِّ عليهم يَوم يأتي كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ»

تنوير

[شرح دعاء الإمام السجاد عليه السلام]

قال أستاذنا - دام ظله -:

«قوله عليه السلام: «اللهمّ وحملة عرشك - إلى قوله: - والمطاع في أهل سماواتك» إشارة إلى الملائكة المقرّبين والجواهر المقدّسين، الواقعين في سلسلة العقول المفارقة. لكن قوله: «والروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح الذي هو من أمرك» إشارة إلى الأرواح المهيّمة الذين يستغرقون في شهود جمال الأزليّة، وليس لهم رسالة من الله إلى خلقه، ولهذا سمّاهم بالروح، ولم يطلق عليهم اسم الملك، لأنّه مشتقّ من الأُلوكة بمعنى الرسالة، فكلّ روح مفارق لا رسالة له فهو ليس بملك، وإنّما هو روح فقط.

وقوله: «وعلى الملائكة الذين مَن دونهم من سكّان سماواتك - إلى قوله: - سبحانك ماعبدناك حقّ عبادتك» إشارة إلى الملائكة الموكّلين بالأجرام السماويّة والنفوس المدبّرة للجواهر الفلكيّة والكوكبيّة وذواتهم، لكونها متعلقّة الوجود بالأجرام والموادّ المستصحبة للقوى والانفعالات الجرميّة، ودرجتهم دون درجة أُولئك المقرّبين، فهي غير خالية من شوب بُعد عن الجناب الإلهي ونقصان وتجدّد وتغيّر حال وعدم كمال، ولو في بعض الصفات، فلذلك اعترفوا بالقصور فى حقّ العبوديّة

المطلقة لله تعالى ؛ وإنّما العبوديّة التامّة هي مايكون للمقرّبين الغائبين عن ذواتهم ، الواقفين عند بارئهم ؛ وهم الضرب الأعلى من أهل الملكوت .

وقوله عليه السلام : « وعلى الروحانيّين من ملائكتك[1] - إلى قوله :- بتمام وعدك » إشارة إلى الملائكة العقليّة الواسطة في سلسلة أسباب الوجود بينه وبين ملائكة السماء ، ولهذا قال : « وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك » فإنّ بطون أطباق السماوات هي نفوسها المحرّكة لها ، إذ لكلّ نفس فلكيّ جوهر عقليّ مفارق مسكنه قلب ذلك الفلك ونفسه الناطقة ، كما أنّ قلب المؤمن بيت الله ، أي نفسه الناطقة مكان معرفة الله .

وقوله عليه السلام : « وخزّان المطر »- إلى آخره - إشارة إلى الملائكة الأرضيّين ، وهم مبادئ الصور النوعيّة للأنواع الطبيعيّة العنصريّة ، وكلّ ملك من جنس مايدبّره ويحرّكه بإذن الله وأمره .

في كثرة الملائكة

﴿وَ مَايَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾
[٣١/٧٤]

نور

[كثرة الملائكة]

هؤلاء الذين ذكرناهم وأثبتناهم من الملائكة العقليّة والنفسيّة أُنموذج من عالمي الغيب، وهو ممّا أدّانا إليه الدليل وأدركناه بعقولنا القاصرة، ولسنا ندّعي أنّ جميع النسب والجهات المكثّرة للوجود محصورة فيما ذكرناه.

هيهات؛ بل في العالم الأعلى عجائب لايحيط بها عقول البشر ماداموا متصرّفين في الظلمات، وكيف نحيط بها، وكوننا في الظلمات مانع عن المشاهدة ورؤية العجائب، فكلّ ما فرض من العجائب، فإنّ هناك ألطف وأعجب من ذلك.

و إنّما عرفنا هذا القدر بمشاهدة المحسوسات، وليس يجب أن يكون كلّ ما في ذينك العالمين له أثر في هذا العالم، وإن وجب العكس؛ بل العالم العقلي أوسع من العالم النفسيّ، والعالم النفسيّ أوسع من الحسّي بما لايعلم قدره إلا الله.

وقد ورد في الخبر[1]: «إنّ بني آدم عُشر الجنّ، والجنّ وبني آدم عُشرُ حيوانات البرّ، وهؤلاء كلّهم عشر الطيور، وهؤلآء كلّهم عُشر حيوانات البحرِ، وكلّهم عُشر ملائكةِ البحر، وكلّهم عُشرُ ملائكة الأرض الموكّلين بها، وكلّ هؤلاء عُشرُ ملائكةِ السماء الدنيا، وكلّ هؤلآء عُشر ملائكة السماء الثانية

١) أورده الفخر الرازي في تفسير الآية البقرة/٣١، ٢/١٦١-١٦٢.

- وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة - ثمَّ الكلُّ في مقابلة ملائكة الكرسي نزرٌ قليلٌ[١] .

ثمَّ كلّ هؤلاء عُشر ملائكة السُرادق الواحد من سُرادقات العرش - التي [عددها][٢] ستمائة ألف، طولُ كلّ سُرادق وعَرْضه وسَمكه إذا قوبلت بها السماوات والأرضون وما فيها وما بينهما، فإنَّها كلّها تكون شيئا يسيرا وقدْرا صغيرا ؛ وما من مقدار موضع قدَم إلاّ وفيها ملكٌ ساجدٌ أو راكعٌ أو قائمٌ، لهم زجلٌ بالتسبيح والتقديس .

ثمَّ كلُّ هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حولَ العرش كالقطرة في البحر، ولا يعرف عددَهم إلاّ الله تعالى، ثمّ هؤلاء مع ملائكة اللوح الذين هم أشياعُ إسرافيل و الملائكة الذين هم جنودُ جبرئيل عليه السلام - كلّهم - سامعون مطيعون لأمْرالله لايفترون، مشتغلون بعبادة الله، مطابوا الألسنة بذكره[٣] وتعظيمه، يتسابقون بذلك مذ خلَقهم لايستكبرون عن عبادته آناء الليل و النهار لايسأمون، لاتحصى أجناسهم ولامدَّة أعمارهم وكيفيَّة عباداتهم».

وعن مولانا الصادق عليه السلام[٤] : «ليس خَلْق أكثر من الملائكة، إنَّه لينزل كلَّ ليلة من السماء سبعون ألف مَلَك، فيطوفون بالبيت الحرام ليلتهم، وكذلك في كلِّ يوم».

وسأله رجلٌ - فقال- : «الملائكةُ أكثر، أم بنوآدم» ؟

فقال عليه السلام : «والذي نفسي بيده - لملائكةُ الله في السماوات أكثرُ من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضعُ قَدَم إلاّ وفيه ملكٌ يسبِّح له ويقدِّسه، ولافي الأرض شجرةٌ ولاعُودةٌ إلاّ وفيها مَلَك موكِّل يأتي اللهَ كلّ يوم

---

١) هامش ر: النزر: القليل. كالنزير - ق.

٢) إضافة من تفسير الفخر الرازي.

٣) مل: بذكر الله.

٤) الكافي: الروضة، ٢٧٢، ح٤٠٢. عنه البحار: ١٩١/٥٩، ح٤٧.

بعلمها، الله أعلم بها؛ ومامنهم أحدٌ إلّا ويتقرّبُ[١] بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبّينا، ويلعن أعدائنا[٢]، ويسأل اللهَ أن يُرسل عليهم من العذاب إرسالا». رواه في بصائرالدرجات[٣].

وبإسناده[٤] عن من مولانا الباقر عليه السلام - قال -: «والله - إنّ في السماء لسبعين صنفا[٥] من الملائكة، لواجتمع أهلُ الأرض كلُّهم يحصون عددَ كلّ صنف منهم ما أحصوهم، وإنّهم ليدينون بولايتنا».

وعنه عليه السلام[٦] قال: «إنّ في الجنّة نهرا يغتمس فيه جبرئيل عليه السلام كلّ غداة، ثمّ يخرج منه فينتفض، فيخلق الله تعالى من كلّ قطرة تقطر منه ملكا».

ورُوي[٧] «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله - حين عرج به - رأى ملائكةً في موضع بمنزلة سوق، بعضهم يمشي تجاه بعض. فسأل رسول الله عليه السلام: «إلى أين يذهبون»؟ قال جبرئيل: «لا أدري؛ إلّا أنّي أراهم منذ خلقتُ، ولاأرى واحدا منهم قد رأيتُ قبلَ ذلك». ثمّ سألوا واحدا وقيل له: «منذكم خُلقتَ»؟ قال: «لا أدري، غير أنّ الله يخلق كوكبا في كلّ أربعمائة ألف سنة، فخلق مثلَ ذلك الكوكب منذ خلقني أربعمائة ألف كوكب.

---

١) اضيف في هامش ر: إلى الله في كل يوم.
٢) مل: أعدائهم.
٣) بصائرالدرجات: باب ماخصَّ الله به الأئمة من ولاية الملائكة، ٦٩، ح٩.
البحار: ٢١٠/٢٤، ح٧. ٣٣٩/٢٦، ح٥. ١٧٦/٥٩، ح٧.
٤) بصائرالدرجات: الباب السابق، ٦٧، ح١. عنه البحار: ٣٤٠/٢٦، ح٦.
الكافي: كتاب الحجة، باب جوامع الرواية في الولاية: ٤٣٧/١، ح٥.
٥) ن ر: صفا. (وكذا فيما يأتي: صف منهم).
٦) الكافي: الروضة، ٢٧٢، ح ٤٠٤. وجاء مايقرب منه في أمالي الصدوق: المجلس السادس والخمسون، ٤٣٥، ح١٠. عنه البحار: ٢٤٨/٥٩، ح١.
٧) حكاه الفخر الرازي (في تفسير قوله تعالى ﴿وإذ قال ربُّك للملائكة...﴾: ١٦٢/٢) قائلا: «رأيت في بعض كتب التذكير أنه عليه السلام...» ولايخفى للمتدبّر ضعف الرواية متنا، فإنها أشبه شيء بموضوعات القاص، على أنها غير واردة في الجوامع الروائية؛ وأما بيان كثرة الملائكة فلايحتاج فيها إلى ذكر هذه القصص.

في أوصاف الملائكة وبدائع خلقهم

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَايَشَاءُ ﴾

[١/٣٥]

تمهيدٌ

[صفات الملائكة]

إنَّ للملائكة صفات عجيبةً ونعوتا غريبةً في لسان الشرع، تدلُّ على شيءٍ من عظمة الله - جلَّ جلاله - وبديع خلقه، وقد وقعت منّا الإشارة إلى نبذ من ذلك فيما قدّمناه، والآن نريد أن نذكر الآيات والأخبار الواردة في صفاتهم جملة ونكل شرحها إلى أفهام أُولي الألباب، و إن كان أكثرها ممّا خفي عليّ بعدُ. رزقنا الله فهم أسراره بمنّه، فاستمع بمسامع قلبك، وسل الله أن يؤيّدك بروح منه تفهم به الأسرار والرموز.

أنوارٌ

[توصيف الملائكة في الأحاديث]

فمن صفاتهم الواردة في الشرع كونهم رسل الله أُولي أجنحة ـ كما في الآية المذكورة. وعن النبي صلى الله عليه وآله[١] : «الملائكة على ثلاثة أجزاء: جزء له جناحان، وجزء له ثلاثة أجنحة، وجزء له أربعةأجنحة». رواه في الكافي.

---

١) الكافي: كتاب الروضة: ٢٧٢، ح٤٠٣. الخصال: ١٥٣/١، باب الثلاثة، ح١٩١. عنها البحار: ١٧٧/٥٩، ح١٢.

وكأنّ الأجنحة إشارة إلى جهات المكثّرة للوجود، وذلك في عالم الأمر، و ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ [١/٣٥].

و منها: قربهم من الله بالشرف و الكرامة : ﴿ وَ مَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٩/٢١] ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [٢٦/٢١].

و منها: عصمتُهم عن الذنوب و المعاصي : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٦/٦٦]، وذلك لأنّ المعصية في الحقيقة عبارةٌ عن مخالفة القوّة السافلة للقوّة العالية فيما لها أن يفعل للغرض الأعلى عند تخالف الأغراض والدواعي، وذلك إنّما يتصوّر فيما يتقوّم ذاتُه و وجوده من تركيب قُوى وطبائع متضادَّة، والملائكةُ سيّما العِليّون منزَّهون عن ذلك.

ومنها: مواظبتُهم على العبادة ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ [٢٠/٢١]، ﴿ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [٣٠/٢]، ﴿ وَ إِنَّا لَنَحنُ الصَّافُّونَ * وَ إِنَّا لَنَحنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ [١٦٦/٣٧].

ومنها: مبادرتهم إلى امتثال أمرالله - تعظيما له -: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [٣٠/١٥].

ومنها: أنّهم لايفعلون إلّا بوحيه وأمره: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَولِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [٢٧/٢١].

ومنها: كونهم مع كثرة عباداتهم و عدم إقدامهم على المعاصي و الزلّات ألبتّة خائفين وَجِلين، كأنّ عباداتهم معاصي - تذلّلا لعظمته، وحياءً من قهّاريّته ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ ﴾ [٥٠/١٦] ﴿ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [٢٨/٢١] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ ﴾ [٢٣/٣٤].

رُوي في بعض التفاسير[١] : «إنّ الله - سبحانه - إذا تكلّمَ بالوحي سمعه أهلُ السماوات مثلَ صوت الصلصلة على الصفوان ففزعوا، فاذا انقضى الوحيُ

---

١) الفخر الرازي: تفسير قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة... ﴾ : ١٦٤/٢.
وفي الدرالمنثور، ٦٩٧/٦-٦٩٨، تفسير الآية سبأ/٢٣، مايقرب منه. وكذا تفسيرالقمي: ٢٠٣/٢.

قال بعضُهم لبعضهم : ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا : الحقَّ وهو العليُّ الكبير »

وروي البيهقي في شعب الإيمان[١] ، عن ابن عبَّاس - رضى الله عنه- قال : « بينما رسول الله ﷺ يناجيه ومعه جبرئيل عليه السلام[٢] ، إذا انشقَّ أُفقُ السماء فأقبل جبرئيل يتضاءل ويدخل بعضُه في بعض ويدنو من الأرض ؛ فإذا المَلَك مُثّل بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال : « يا محمّد - إنَّ ربَّك يقرئك السلام ، ويخيِّرك بين أن تكون نبيًّا مَلَكا ، وبين أن تكون نبيًّا عبدا » ؟

- قال النبيّ ﷺ :- فأشار جبرئيل عليه السلام بيده أن تواضَع ؛ فعرفتُ أنَّه لي ناصحٌ ، فقلت : « عبدا نبيّا » . فعرج ذلك المَلَك إلى السماء . فقلت : « يا جبرئيل قد كنت أردتُ أن أسألكَ عَن هذا ؟ فرأيتُ مِن حالك ماشغلني عن المسألة ، فَمن هذا يا جبرئيل » ؟

فقال : « هذا إسرافيل ، خلَقه الله يومَ خلقه بين يديه صافًّا قدميه لايرفع طرفَه ، وبين الربِّ وبينه سبعون نورا ، ما منها نورٌ يدنو منه إلّا احترق ؛ بين يديه اللوح المحفوظ ، فاذا أذن الله في شيء من السماء والأرض ارتقم ما فى ذلك إلى جبينه فيه[٣] ، فإن كان من عملي أمرني به ، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به ، وإن كان من عمل عزرائيل أمره به » . قلت : « يا جبرئيل - على أي شيء أنت » ؟ قال : « على الرياح والحياة » .

قلت : « وعلى أي شيء ميكائيل » ؟ فقال : « على النبات » .

قلت : « على أي شيء ملك الموت » ؟ قال : « على قبض الأنفس . وماظننتُ أنَّه هبطَ إلّا لقيام الساعة ، و ماذلك الذي رأيتَ منّي إلّا خوفا من قيام الساعة » .

* * *

١) شعب الإيمان : ١/١٧٧ ، الباب ٣ ، في الإيمان بالملائكة ، فصل في معرفة الملائكة ، ح١٥٧ . وجاء في البحار (٥٩/٢٥٠ ، ح٨) مايقرب منه عن تفسير القمي.

٢) المصدر : بينما رسول الله ﷺ ومعه جبرئيل يناجيه.

٣) المصدر : «ارتفع ذلك اللوح يضرب جبهته...». الدر المنثور : «ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته ، فينظر فيه...». وفي تفسير الفخر : «ارتفع ذلك اللوح بقرب جبينه فينظر فيه...».

ومنها : شدَّة قوَّتهم وقدرتهم ؛ فإنَّ ثمانية منهم يحملون العرشَ ، المشتمل على الكرسي - الذي وسع السماوات والأرض - وينزلون من العرش في لحظة واحدة ، مع أنَّ علوّ العرش لايُحيط به الفهمُ ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [٤/٧٠]. وجبرئيل بلغ من قوّته : إلى أن قلعَ جبالَ آل لوط وبلادَهم دفعة واحدة ، وصاحبُ الصور بلغ في القوّة إلى حيث أنَّ بنفخةٍ واحدة منه يصعق من في السماوات ومن في الأرض ، وبالنفخة الثانية منه يعودون أحياء .

وفي الخبر[١] : إنّ إسرافيل صاحب القَرن ، وخَلَق الله - تعالى - اللوحَ المحفوظ من درَّة بيضاء ما بين السماء والأرض سبع مرَّات ، وعلَّقه بالعرش ، مكتوب فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة .

و لإسرافيل أربعة أجنحة : جناح بالمشرق و جناح بالمغرب وجناح ليستر عليه ويغطِّي به رأسَه و وجهه من خشية الله الجبَّار ، وناكسٌ رأسَه نحو العرش ، وأحدُ قوائم العرش على كاهله ، ولايحمل العرش إلّا بقدرة الله ، فإنَّه يصغر من خشية الله مثل العصفور .

وإذا قضى اللهُ بشيٍّ في اللوح فيكشف الغطاء عن وجهه[٢] وينظر إلى ماقضى الله من حكم وأمر . وليس من الملائكة أقرب مكانا من العرش من إسرافيل ، بينه وبين العرش سبعة حجب[٣] ، من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام . وبين جبرئيل و إسرافيل سبعون حجابا وأنَّه قائم قد وضع الصُورَ على فخذه الأيمن ورأس الصُورِ على فِيه ، فينتظر متى يؤمَر فينفخ فيه ، فاذا قضت مدّة الدنيا يدنو الصور إلى جهة إسرافيل ، فيضمّ إسرافيلُ أجنحتَه الأربعة ، ثمَّ ينفخ في الصور ، ويجعل ملكُ الموت إحدى كفَّيه تحتَ الأرض السابعة ، فيأخذ أرواحَ أهل السماوات والأرض ، و لايبقى في الأرض إلّا

---

١) لم أعثر عليه ، ولعله مقتطف من أخبار متفرقة ، فإن محتواه يوجد في مجموعة من الأخبار.
٢) مل : من وجهه.
٣) مل سبعة حجاب.

إبليس، وفي السماء فيبقى جبرئيلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ وعزرائيلُ، وهم الذين استثنى الله - تعالى - في قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ ٱللَّهُ ﴾ [٢٧/٨٧].

وعن مولانا سيّد العابدين عليه السلام[1]: «إنّ لله مَلَكا يقال له خرقائيل، له ثمانية عشر ألف جناح، مابين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، فخطر له خاطرٌ: «هل فوق العرش شيءٌ»؟ فزاده الله - تعالى - مثلها أجنحة أُخرىٰ، فكان له ستٌّ وثلاثون ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام؛ ثم أوحى الله إليه: «أيُّها المَلَك طِرْ»؛ فطار مقدار عشرين ألف عام، لم ينل رأسَ قائمة من قوائم العرش؛ ثمّ ضاعف اللهُ له في الجناح والقوّة، وأمرَه أن يطيرَ، فطار مقدارثلاثين ألف عام، لم ينل - أيضا- فأوحى اللهُ:

«أيُّها المَلَك - لو طِرتَ إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوّتك لم تبلغ إلى ساق عرشي». فقال المَلَك: «سُبحانَ رَبِّيَ الأعلىٰ».

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله[2]: «اجعلوها في سجودكم».

أنوار وأسرار علوية
[أميرالمؤمنين عليه السلام يوصف الملائكة]

روي في كتاب نهج البلاغة عن مولانا أميرالمؤمنين - عليه الصلاة والسلام - أنَّه قال في بعض خطبه[3] في وصف الملائكة ما هذا لفظه:

« ثمَّ خلق سبحانه لإسكانِ سماواتِه وعمارةِ الصفيح الأعلىٰ من ملكوتِه خلْقا بديعا من ملائكتِه، و[4] ملأ بهم فروجَ فجاجِها[5]، وحشا بهم فتوقَ

١) روضة الواعظين: ٥٩/١. عنه البحار: ٣٤/٥٨، ح٥٤. والرواية مرفوعة وغير موجودة في الجوامع المعتبرة، ولايخفى على الناظر فيها أمارات الوضع، ولعل المؤلف - قده - لوأعرض عن ذكر أمثال هذه الأخبار الضعاف - مما لوصحّ صدورها لاحتاج تصديق معناها إلى تكلفات في التأويل - لكان أحسن.

٢) أضيف في روضة الواعظين: فأنزل الله عزوجل: سبح اسم ربك الأعلى، فقال النبي...

٣) نهج البلاغة: الخطبة ٩١. وهي المعروفة بخطبة الأشباح.

٤) ر:- و. ٥) الفجاج: جمع فجّ. وهوالطريق الواسع بين جبلين وحائطين.

أجوائِها ، وبينَ فجَواتِ تلك الفُروجِ زَجَل[١] المسبِّحين منهم في حظائر القدس ، وسُتَرات الحُجُب ، وسُرادقات المجد ، و وراء ذلك الزجيج[٢] الذي تستكّ منه الأسماع ؛ سُبُحات نور تَردعُ الأبصار عن بلوغها ، فتقفُ خاسئة على حدودها . أنشأهم على صوَر مختلفات ، وأقدار متفاوتات ، أُولي أجنحةٍ تُسبِّحُ جلالَ عزَّته ، لاينتحلون ماظهرَ في الخلق من صُنعه ، ولا يدَّعون أنَّهم يخلقون شيئا معه ممّا انفرد به ؛ ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَايَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [٢١/٢٦-٢٧] .

جعلهم الله فيما هنالك أهلَ الأمانة على وحيِه ، وحمَّلهم إلى المرسلين ودائع أمرِه ونهيِه ، وعصمَهم من ريب الشبهات ، فما منهم زائغٌ عن سبيل مرضاتِه ، وأمدَّهم بفوائدِ المعونة ، وأشعرَ قلوبَهم تواضعَ إخباتِ السكينة ، وفَتَحَ لهم أبوابا ذُلُلاً إلى تماجيده ، ونصَب لهم مَنارا واضحة على أعلام توحيدِه .

لم تثقلهم موصرات الآثام[٣] ولم ترتحلهم عُقَب[٤] الليالي والأيّام ، ولم تَرْمِ الشكوكُ بنوازِغها[٥] عزيمةَ إيمانِهم ، ولم تعترك الظنونُ على معاقدِ يقينِهم ، ولاقدَحتْ قادحةُ الإحنِ [٦] فيما بينهم ، ولاسلبَتهم الحيرةُ مالاق من معرفته بضمائرهم ، وسكن من عظمته وهيبة جلاله في أثناء صدورهم ، ولم تطمع فيهم الوساوسُ فتقترعَ برَيْنها على فكرهم .

منهم مَن هو في خَلق الغَمام الدُّلَّح[٧] ، وفي عِظَم الجبال الشُّمَّخ ، وفي قترَة الظلام الأيهَم ، ومنهم من قد خرَقت أقدامُهم تخومَ الأرضِ السُفلى ، فهي

---

١) الزجل : رفع الصوت.

٢) في هامش النسختين : «الزجيج : الصوت الهائل مع الحركة (بخطه مل+ : مد ظله)». وفي النهج : «الرجيج» والرجيج : الزلزلة والاضطراب. ومافي المتن أنسب مع مابعده.

٣) هامش ر : «موصرات الآثام : أي مثقلاتها».

٤) هامش ر : «العقب : جمع العقبة ، وهي المرة من التعاقب - بخطه».

٥) هامش ر : «النوازغ - بالغين المعجمة - : الخواطر المفسدة. وبالمهملة : القسي. وكلاهما مرويان هاهنا - بخطه».

٦) هامش النسختين : الاحن : جمع الاحنة ، وهي الحقد (مل : بخطه دام فيضه).

٧) هامش ر : «الدُلَّح : جمع دالحة ، وهي الثقال. الشمخ : أي العالية». مل : الدلج.

كَراياتٍ بيضٍ قدنفذَت في مجاري [١] الهواءِ، وتحتها ريحٌ هفَّافةٌ [٢]، تحبسُها على حيثُ انتهت من الحدود المتناهيَةِ، قد استفرغتْهم أشغالُ عبادتِه، و وسلت [٣] حقائقُ الإيمان بينهم وبينَ معرفتِه، وقطعَهم الإيقان به إلى الوَلَه إليه، ولم تجاوِز رَغباتُهم ماعندَه إلى ماعند غيرِه.

قد ذاقوا حلاوةَ معرفتِه، وشربوا بالكأس الرويَّة مِن محبَّتِه، وتمكّنتْ من سويداء قلوبهم وشيجةُ خيفتِه [٤]، فحَنَوا بطول الطاعة اعتدالَ ظُهورهم، ولمينْفِد طولُ الرغبةِ إليه مادَّةَ تضرُّعهم، ولا أطلق عنهم عظيمُ الزلفةِ رِبَقَ [٥] خشوعهم، ولم يتولَّهم الإعجابُ فيستكثروا ما سلفَ منهم، ولاتركتْ لهم استكانةُ الإجلال نصيبا في تعظيم حسَناتهم، ولم تجْرِ الفتراتُ [٦] فيهم على طول دُؤوبِهم، ولم تَغِضْ رغباتُهم فتخالفوا [٧] عن رجاء ربِّهم، ولم تجفَّ لطول المناجاة أسَلاتُ ألسنتهم [٨] ولاملكتهم الأشغالُ فتنقطعَ بهَمْسِ الحنين [٩] إليه أصواتُهم، ولم تختلف في مقاومِ الطاعةِ مناكبُهم، ولم يثنَوا إلى راحةِ التقصيرِ في أمرِه رقابَهم، ولا تعدوا على عزيمةٍ [١٠] جِدِّهم بلادةُ الغفَلات، ولاتنتضل [١١] في هِممهم خدائعُ الشهوات، قد اتخذوا ذا العرشِ ذخيرةً ليوم فاقتِهم، ويمَّموه [١٢] عند انقطاع الخَلق إلى المخلوقين برغبتهم؛ لايقطعون أمدَ غايةِ عبادته، ولايرجع بهم الاستهتارُ [١٣] بلزوم طاعته، إلّا إلى موادَّ مِن قلوبهم غير منقطعةٍ من رجائه ومخافتِه.

---

١) مل ن، ر ن: مخارق.

٢) هامش ر: «الريح الهفافة: الساكنة الطيبة - بخطه».

٣) ر ن، مل ن: وصلت. «وسلت أي وصلت». وفي النهج بدلا منها: وصلت.

٤) سويداء القلب: حبته. في هامش ر: «الوشيجة: عرق الشجرة» استعير هنا لبواعث الخوف.

٥) هامش ر: «الربق - جمع ربقة -: وهي الحلقة من الحبل - بخطه».

٦) مل: العثرات.

٧) هامش ر: «أي تعدلوا. الدؤب الجد في العمل - بخطه».

٨) هامش النسختين: الأسلة: طرف اللسان طرَفه (مل: بخطه).

٩) هامش النسختين: «خ ل: الخبر».

١٠) مل: عظيمة.

١١) هامش ر: «الانتضال: الرمي بالسهام - بخطه».

١٢) يمموه: قصدوه.

١٣) هامش ر: «استهتر بالأمر: أعجبه وتظاهر به - بخطه».

لم تنقطع أسبابُ الشفقةِ منهم، فيَنُوا في جِدِّهم[١] ، ولم تأسرهم الأطماعُ فيؤثروا وشيكَ السعي على اجتهادهم[٢] ، ولم يستعظموا مامضى من أعمالهم؛ ولو استعظموا ذلك لنَسخَ الرجاءَ منهم شفقاتُ وجَلِهم[٣] ، ولم يختلفوا في ربّهم باستحواذ الشيطان عليهم، ولم يفرّقهم سوءُ التقاطع، ولا تولّاهم غِلُّ التحاسُد، ولا أشعبتهم[٤] مصارفُ الريب، ولا اقتسمتهم أخيافُ الهمم[٥] ، فهم أُسراء إيمان لم يفكّهم من ربقته زيغٌ، ولاعدولٌ ولا ونىً ولافتورٌ، وليس في أطباق السماء موضع إهاب[٦] إلّا وعليه ملك ساجد، أو ساع حافد؛ يزدادون على طول الطاعة بربّهم علما، وتزداد عزّةُ ربّهم في قلوبهم عِظَما.

أنوار علوية

[خطبة أخرى منه عليه السلام في وصف الملائكة]

وروي في الكتاب المذكور[٧] عنه عليه السلام أيضا أنّه قال في خطبة أُخرى في صفاتهم:

«ثمَّ فتَقَ مابين السماوات العُلى، فملأهنَّ أطوارا من ملائكتِه، منهم سجودٌ لايركعون، ومنهم ركوعٌ لاينتصِبون، وصافّون لايتزايلون، ومسبّحون لايسأمون، لايغشاهم نومُ العيون ولاسهوُ العقول ولافترةُ الأبدان ولاغفلةُ النسيان.

ومنهم أُمناءُ على وحيِه، وألسِنة إلى رسُله، ومختلفون بقضائِه وأمره، ومنهم الحَفَظةُ لعباده، والسدَنَة لأبواب جنانِه.

---

١) ونى، يني: تأنى. فيَنوا: فيضعفوا.

٢) وشيك السعي: مقاربه وهينه. وكتب في هامش ر: «أي يؤثروا ماقرب السعي في تحصيله على مايستعدونه من تحصيل السعادة الأُخرويّة».

٣) أي ولو استعظموا أعمالهم لأذهب خوفُهم رجاءَهم بها.

٤) مل: تشعبتهم.

٥) الأخياف: جمع خيف؛ وهو ماانحدر من سفح الجبل. والمراد هنا سواقط الهمم. وفي هامش ر: «أخياف الهمم مختلفاتها. واحده: أخيف - بخطه».

٦) الإهاب: جلد الحيوان. ٧) نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

ومنهم الثابتةُ في الأرضين السُفلى أقدامُهم، والمارقةُ من السماء العُليـ أعناقُهم، والخارجةُ من الأقطار أركانُهم، والمناسبةُ لقوائم العرشِ أكتافُهم، ناكسة دونَه أبصارُهم، متلفِّعون[١] تحتَه بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين مَن دونهم حُجبُ العزَّة وأستارُ القدرة؛ لايتوهَّمون ربَّهم بالتصوير، ولايُجرون عليه صفات المصنوعين، ولايَحُدُّونه بالأماكن، ولايُشيرون إليه بالنظائر».

أسرارٌ علوية

وروي في كتاب التوحيد[٢] عنه عليه السلام إنَّه قال في بعض خطبه - بعد أن سُئل عن قدرة الله - جلَّت عظمته -:

«إنَّ لله - تبارك وتعالى - ملائكةً لو أنَّ مَلَكا منهم هَبَطَ إلى الأرض ما وسعتْه - لعِظم خَلْقه وكثرة أجنِحته.

ومنهم من لوكُلِّفت الجنُّ والإنسُ أن يصفوه ماوصَفوه - لِبُعد ما بين مفاصِله وحسْن تركيب صورته - وكيف يوصَف مِن ملائكته مَن سبعمائة عام ما بين منكبيه وشحمة أُذُنيه.

ومنهم مَن يسدُّ الأُفقَ بجناح من أجنحته، دون عِظَم بدَنه.

ومنهم مَن السماواتُ إلى حِجزته[٣].

ومنهم مَن قدمُه على غيرقرار في جوِّ الهواء الأسفل، والأرضون إلى ركبته.

ومنهم مَن لو أُلقي في نقرة إبهامه جميعُ المياه لوسعتْها.

ومنهم مَن لو أُلقيت السفُن في دموع عينيه لجرتْ دهرَ الداهرين - فتبارك الله أحسن الخالقين».

---

١) في هامش النسختين: تلفعَ بثوبه أي تغطى به وتستر وذلك الثوب هو اللفاع (مل: بخطه دام فيضه).

٢) التوحيد: باب ذكر عظمة الله - جلّ جلاله -، ٢٧٨، ح٣. الخصال: ٤٠٠، باب السبعة، ح١٠٩. عنهما البحار: ١٧٨/٥٩، ح١٣.

٣) الحجزة - بالضم -: مقعد الإزار. ومن السراويل: موضع التكة. وفي هامش النسختين: الحجزة مشد الوسط.

أنوار نبويّة

[ملك بشكل الديك وملك من الثلج والنار]

وروي في الكتاب المذكور[1] بإسناده عن ابن عبّاسٍ عن النبيّ ﷺ - أنّه قال :- «إنّ لله - تبارك وتعالى - ديكا رِجْلاه في تخوم الأرض السابعة، ورأسه عند العرش، ثانيَ عنقِه تحتَ العرش.

ومَلَك من ملائكة الله - عزّ وجلّ - خَلَقه الله - تبارك وتعالى - ورِجلاه في تخوم الأرض السابعةِ السُفلى، مضى مُصعِدا فيها مدَّ الأرضين، حتّى خرج منها إلى أُفق السماء، ثمّ مضى فيها مُصعدا حتّى انتهى قرَنُه إلى العرشِ؛ وهو يقول : «سبحانك ربّي».

و إنّ لذلك الديك جناحين إذا نشرَهما جاوزَ المشرقَ والمغربَ؛ فاذا كان في آخر الليل نشرَ جناحَيه وخفقَ بها وصرخَ بالتسبيح يقول : «سبحان الملِك القدُّوس، سبحان الكبيرِ المتعال القدُّوس، لاإله إلّا الله الحيُّ القيُّوم»؛ فإذا فعَل ذلك سبَّحت ديكةُ الأرض كلّها، وخفقت بأجنحتها، وأخذت في الصراخ؛ فاذا سكن ذلك الديكُ في السماء سكنَت الديكةُ في الأرض؛ فإذا كان في بعض السحر [نشرجناحَيه][2] فجاوز[ا] المشرقَ والمغربَ وخفق بها، وصرخَ بالتسبيح : «سبحان الله العظيم، سبحان الله العزيز القهّار، سبحان الله ذي العرشِ المجيد، سبحان الله ربِّ العرشِ الرفيع»، فإذا فعَل ذلك سبّحت ديكةُ الأرض فاذا هاجَ هاجت الديكةُ في الأرض تجاوبه بالتسبيح و التقديس لله - عزّ وجلّ -.

ولذلك الديك ريشٌ أبيض - كأشدّ بياض رأيته قطّ - وله زغبٌ أخضر[3]

---

١) التوحيد: الباب السابق، ٢٧٩، ح٤ .عنه البحار: ١٨١/٥٩، ح٢٠. ١٧٩/٩٣. وجاء مايقرب منه فيما نقله القمي في رواية المعراج (١٠/٢، الإسراء/١). عنه البحار: ٣٢٧/١٨، ح٣٤. و١٧٣/٥٩، ح٣.

٢) إضافة من المصدر.

٣) هامش النسختين: الزغب: صغار الشعر - بخطه (مل+: دام فيضه).

تحت ريشه الأبيض - كأشدّ خضرة رأيتها قطّ - فما زلتُ مشتاقا إلى أن أنظر إلى خضرة ريش ذلك الديك».

وبهذا الإسناد[١] عن النبيّ ﷺ - قال :- «إنَّ لله - تبارك وتعالى - مَلَكا من الملائكة نصف جسده الأعلى نار، ونصفه الأسفل ثلج؛ فلا النارُ تذيب الثلجَ، ولا الثلجُ يطفىء النارَ؛ وهو قائم ينادي بصوت له رفيع : «سبحان الذي كفَّ حرَّ هذه النار فلايذيب هذا الثلج، وكفَّ برد هذا الثلج فلايطفئ حرّ النار، اللّهمّ مؤلّف بين الثلج والنار، ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك».

وبهذا الإسناد[٢] عن النبيّ ﷺ : «إنَّ لله - تبارك وتعالى - ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلّا وهو يسبّح لله - عزَّ وجلَّ - ويحمده من ناحية بأصوات مختلفة، لايرفعون رؤوسهم إلى السماء ولايخفضونها[٣] إلى أقدامهم من البكاء والخشية لله - عزَّ وجلَّ».

أسرار علويّة
[ملك بصورة الديك]

وفي الكتاب المذكور[٤] بإسناده إلى أصبغ بن نباتة، قال : جاء ابن الكوّاء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال : «يا أميرالمؤمنين - والله إنَّ في كتاب الله - عزَّ وجلَّ - لآية قد أفسدت عليَّ قلبي وشكّكتني في ديني[٥] ».

فقال له عليٌّ عليه السلام «ثكلتكَ أمُّك وعدمتكَ، وما تلك الآية» ؟

١) التوحيد : الباب السابق : ٢٨٠، ح٥. عنه البحار : ١٨٢/٥٩، ح٢١. تفسيرالقمي، ضمن الحديث المذكور : ٦/٢. عنه البحار : ٣٢٣/١٨، ح٣٤. ١٧٢/٥٩، ح٢.
٢) التوحيد : الباب السابق : ٢٨٠، ح٦. تفسير القمي، ضمن الحديث المذكور : ٧/٢.
٣) مل : ولايحفظونها.
٤) التوحيد : الباب السابق : ٢٨٢، ح١٠. عنه البحار : ١٨٣/٥٩، ح٢٤ و ١٨٢/٨٧، ح٣. ١٨٠/٩٣، . تفسيرالقمي : ١٠٧/٢، الآية النور/٤١.
٥) مل : على ديني.

قال: «قول الله - عزّ وجلّ - ﴿ وَ ٱلطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ ﴾ [٤١/٢٤]».

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «يابن الكوّاء - إنّ الله - تبارك وتعالى - خَلَقَ المَلائكةَ في صوَر شتّى، إلا أنّ لله مَلَكا في صورة ديك أبحّ أشهب[1] براثنُه في الأرض السابعة السفلى، وعرفه مثنًّى تحت العرش؛ له جناحان: جناح في المشرق، وجناح في المغرب؛ واحدٌ من نار، والآخر من ثلج؛ فاذا حضر وقتُ الصلاة قام على براثنه، ثمّ رفعَ عنقَه من تحت العرش، ثمّ صفّق بجناحيه، ثمّ تصفّق الديوك في منازلكم؛ فلا الذي من النار تذيبُ الثلج، ولا الذى من الثلج يطفئ النارَ؛ فينادي: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا سيّد النبيّين، وأنّ وصيّه سيّد الوصيّين، وأنّ الله سُبُّوح قدُّوس ربُّ الملائكة والروح».

- قال :- فقال: «فتخفق الديكةُ بأجنحتها في منازلكم فتجيبه عن قوله؛ وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَ ٱلطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ ﴾ [٤١/٢٤] - من الديكة في الأرض».

- انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه.
فسبحان من يسبّح الرعدُ بحمده، والملائكةُ من خيفته،
قدُّوسٌ سبُّوح، ربُّ الملائكة والروح.

هذا آخر الكلام في كتاب العلم بالملائكة
من كتاب أنوار الحكمة ويتلوه - إن شاء الله -
كتاب العلم بالكتب والرسل
والحمد لله أولا وآخرا
وظاهرا وباطنا.

---

١) الأبح: السمين. هامش ر: براثن: مخالب بخطه ره.



كتاب العلم بالكتب والرسل

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾

[٢٥/٥٧]

الإضطرار إلى الرسل والشرايع

وأسرار التكاليف

﴿وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾

[٣٥/٢٤]

نور

[الاضطرار إلى الشرع والشارع][١]

الدنيا مَنزلٌ مِن مَنازِل السائِرين إلى الله - عزّ و جلّ - و البدن مَركَب، ومن ذهَل عن تدبيرِ المنزِل والمركَب لم يتمّ سفرُه، وما لم‌ينتظم أمرُ المعاش في الدنيا لايتمُّ أمرُ التبتُّل والانقطاع إلى الله، الذي هو السلوك، ولا يتمُّ ذلك حتّى يبقى بدنُه سالما، ونسلُه دائما، و إنّما يتمُّ كلاهما بأسباب الحفظ لوجودهما، وأسباب الدفع لمُفسداتها ومُهلكاتها.

أمّا أسباب الحفظ لوجودهما: فالأكل والشُرب - وذلك لبقاء البدن - والمناكحةُ - وذلك لبقاء النسل - وقد خلق اللهُ الغذاءَ سببا للحياة، والأُناثَ محلا للحراثة؛ إلّا أنّه ليس يختصُّ المأكول والمنكوح ببعض الآكلين والناكحين بحكم الفطرة، مع أنّهم محتاجون إلى تمدُّن واجتماع وتعاون، إذ لايمكن لكلٍّ منهم أن يعيشَ وحده، يتولّي بتدبيراتِه المتكثِّرة المختلفة من غير شريك يعاونه على ضروريّات حاجاته؛ بل لابدَّ - مثلا - لأن ينقل هذا لهذا، ويطحن هذا لهذا، ويخبز هذا لهذا - وعلى هذا القياس.

---

١) راجع الشفاء: الإلهيات. المقالة العاشرة، الفصل الثاني: ٤٤١. الشواهد الربوبيّة: المشهد الخامس، الشاهد الثاني، الإشراق الأول: ٣٥٩. المبدء والمعاد: ٤٨٨.

فافترقت أعدادٌ، واختلفت أحزابٌ، وانعقدت ضياعٌ وبلادٌ، فاضطرُّوا في معاملاتهم ومناكحاتهم وجناياتهم إلى قانون مرجوع إليه بين كافّتهم، يحكمون به بالعدل، و إلّا لتهارشوا وتقاتلوا، بل شغَلهم ذلكَ عن السلوك للطريق، بل أفضي بهم إلى الهلاك، وانقطع النسل، واختلَّ النظامُ، لما جُبِّل عليه كلُّ أحد من أنّه يشتهي لما يحتاج إليه ويغضب على من يزاحمه فيه.

وذلك القانون هو الشرع.

ولابدَّ من شارعٍ يُعيِّن لهم ذلك القانون والمنهج، لينتظم به معيشتُهم في الدنيا، ويسنَّ لهم طريقا يصلون به إلى الله - عزَّ وجلَّ - بأن يفرض عليهم ما يذكِّرهم أمرَ الآخرة والرحيل إلى ربّهم، ويُنذِرهم يوم ينادون فيه ﴿ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [٥٠/٤١]،

و ينشقُّ ﴿ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ [٥٠/٤٤]،

﴿ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٥/١٦]،

لئلّا ينسوا ذكرَ ربّهم ويذهلوا بدنياهم عن عُقباهم التي هي الغاية القصوى والمقصد الأقصى.

نور

وبوجه آخر: لمّا كان الإنسان في أوّل أمره ومبدء نشوئه خاليا عن كماله الذي خُلق له، قاصرا عن الغاية التي ندب إليها - كما قال تعالى: ﴿ وَ ٱللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [١٦/٧٨]- قابلا إيّاه بفطرته التي فطر عليها، يمكن له الوصول إليه بما أُوتي من أسبابه، وهيِّءَ له من شرائطه، كما قال عز وجلّ: ﴿ وَ جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَ ٱلْأَبْصَارَ وَ ٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرون ﴾ [١٦/٧٨] وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [٣/١٠٣].

لكنَّه ممنوٌ بمقتضيات نشأته التي جبّل عليها - لو خلّي وشأنه - لتشاكله على مايقتضيه مزاجُه وطبيعتُه بحسب الغالب من قواه، وموجب طينته وهواه،

- كما قال: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْـمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ [٨٤/١٧] - إذ كلُّ مزاج يناسب قوّة دون أُخرى، ويسهل له فعل بعضها ممّا يلائم حالها دون بعض؛ على ما عبّر عنه في القرآن مرّة بقوله: ﴿ خُلِقَ ٱلإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [٣٧/٢١] وأُخرى: ﴿ كَانَ ٱلإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ [١٠٠/١٧] ﴿ إِنَّ ٱلإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [١٩/٧٠] ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [٧٢/٣٣].

فمن الواجب أن يكون له سياسةٌ تسوسه وتربّيه لصلاحيّته الكمال، وتُدبّره وتُجريه في طريق الخير والسعادة؛ و إلاّ لبقي في مرتبة البهائم، وحيل بينه وبين النعيم الدائم.

نور

[وجوب بعث الأنبياء وعدم خلو الأرض من الحجة][1]

و كما لابدَّ في العناية الإلٰهيّة لنظام العالم من المطَر ، ورحمة الله لم‌تقصر عن إرسال السماء مدرارا لحاجة الخلْق؛ فنظام العالم لايستغني عمّن يعرّفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة.

نعم، من لم يُهمل إنبات الشَعر على الحاجبين للزينة لا للضرورة، وكذا تقعير الأخمص في القدمين، كيف أهملَ وجودَ رحمة للعالمين؟ مع ما في ذلك - مع النفع العاجل - السلامة في العقبي، والخير الآجل؟ أم من لم يترك الجوارحَ والحواسَّ حتّى جعل لها رئيسا يصحّح لها الصحيح، ويتيقّن به ماشكّت فيه - وهو الروح - كيف يترك الخلائقَ كلّهم في حيرتهم وشكّهم وضلالتهم، لايقيم لهم مايردّون إليه شكّهم وحيرتهم؟!

رُوي في الكافي[2] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال للزنديق الذى سأله: «من اين أثبتَّ الأنبياءَ والرسلَ؟»:

---

١) راجع المبدء والمعاد: ٤٤٨. الشفاء: الفصل السابق: ٤٤٢.

٢) الكافي: كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة، ١٦٨/١، ح١. التوحيد: باب الرد على الثنوية والزنادقة، ٢٤٩، ح١. عنه البحار: ٢٩/١١، ح٢٠.

«إنَّا لمَّا أثبتنا أنَّ لنا خالقا صانعا متعاليا عنَّا وعن جميع ما خلَق، وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا، لم يجز أن يشاهده خلقُه ولايلامسوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجُّوه: ثبت أنَّ له سفراء[1] في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم؛ فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبّرون عنه جلّ وعزّ؛ وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم، مؤيَّدين[2] عند الحكيم العليم بالحكمة. ثم ثبت ذلك في كلّ دهر و زمان ممَّا أتت به الرسلُ والأنبياءُ من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلوا أرضُ الله من حجّةٍ يكون معه علمٌ يدلُّ على صدق مقالته وجواز عدالته».

نور

[النبي إنسان صاحب معجزة][3]

ولابدّ أن يكون ذلك السائس السانّ إنسانا، لأنَّ مباشرة المَلَك لتعليم الإنسان على هذا الوجه مستحيل كماقال الله عزّوجلّ ﴿وَ لَوجَعَلنَاهُ مَلَكا لَجَعَلنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَاعَلَيْهِمْ مَايَلْبِسُونَ﴾[٩/٦] ودرجةُ باقي الحيوانات أنزل.

ولابدّ من تخصُّصه بآيات من الله سبحانه دالَّةٍ على أنَّ شريعتَه من عند ربّهم القادرِ الغافرِ المنتقِم - كما أُشير إليه في الحديث المذكورآنفا - ليخضعوا له، ويلزم لمن وقف لها أن يقرَّ بتقدُّمه ورياسته؛ وهي الحكمة والمعجزة.

وأيضا لو افتقر كلّ أحد من الناس إلى معلّم بشريّ لتسلسل الأمر إلى ما لايقف، فلايحصل علم؛ فلابدّ إذن من شخص يستبدّ بفهم الإشارات ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[٣٥/٢٤] وهو النبيّ.

---

١) هامش ر: السفير: الرسول والمصلح بين القوم، والجمع سفراء، مثل فقيه وفقهاء - ص.

٢) المصدر: مؤيدين من عند. /المصدر نسخة: مؤيدون عند.

٣) راجع الشواهد الربوبية: ٣٦٠. الشفاء: الصفحة السابقة.

نور

[ما يجب على النبي أن يقرره ويأتي به]

يجب على النبيّ أن يستنّ للناس في أُمورهم سُننا بإذن الله وأمره ووَحيه، و إنزاله الروح القدس عليه؛ ويكون الأصل الأوّل فيما يسنُّه تعريفه إيَّاه أنَّ لنا صانعا واحدا قادرا، وأنَّه عالمٌ بالسرِّ والعلانية، وأنَّه من حقِّه أن يطاع بأمره -فإنَّه يجب أن يكون الأمر لمن له الخَلْق - وأنَّه قد أعدَّ لمن أطاعه النعيمَ، ولمن عصاه الجحيمَ، حتَّى يتلقَّوا رسمه المُنزَل على لسانه من الله والملائكة بالسمع والطاعة.

ولاينبغي له أن يُشغلهم بشيء من معرفة الله فوق معرفة أنَّه واحد، حقٌّ، لاشبيه له؛ لئلاّ يعظم عليهم الشغل ويشوّش فيما بين أيديهم الدين، ويوقعهم فيما لامخلص عنه ـ من الشكوك والشُبَه ـ إلاّ لمن كان المُعان الموفَّق، الذي يشذّ وجودُه ويندر كونُه؛ فإنَّهم لايمكنهم تصوُّر ذلك على وجهه إلاّ بكَدٍّ، فيقعوا في تنازع وآراء مختلفة مخالفة لصلاح المدينة.

بل يجب أن يعرفهم جلالةَ الله وعظمته برموز وأمثلة من الأشياء التى هي عندهم جليلة وعظيمة، ويلقي إليهم مع هذا أنَّه لانظير له ولاشريك ولاشبيه.

وكذلك يقرر لهم أمرَ المعاد على وجه يتصوَّرون كيفيَّته ويسكن إليه نفوسُهم، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا ممّا يفهمونه ويتصوَّرونه، و إن اشتمل مع ذلك على رموز و إشارات يستدعي المستدعين بالجبلَّة للنظر إلى البحث الحكميِّ فلابأس.

كذا قاله بعض العلماء[1] .

١) راجع الشفاء الصفحة السابقة.

نُورٌ

[يلزم على النبي إيجاب العبادات][1]

ويجب أن يُلزمهم الطاعات والعبادات ليسوقهم بالتعويد عن مقام الحيوانيَّة إلى مقام المَلَكيَّة :

إمّا أمورا وجوديَّة يخصُّهم نفعُها - كالصلوات والأذكار على هيأة الخشوع والخضوع ليحرِّكهم بالشوق إلى الله - أو يعمَّ نفعُها لهم ولغيرهم - كالصدقات والقرابين في هيكل العبادات -

و إمَّا أمورا عدميَّة تُزكِّيهم ؛ إمَّا تخصُّهم كالصيام ؛ أوتعمُّهم وغيرَهم كالكفِّ عن الكذب و إيلام النوع والجنس ، والصمت .

وأن يسنَّ عليهم أسفارا ينزعجون فيها عن بيوتهم طالبين رضاءَ ربِّهم ، ويتذكَّرون يوما ﴿ مِنَ ٱلأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [٥١/٣٦] ، فيزورون الهياكلَ الإلٰهيَّة ، والمَشاهد النبويَّة ونحوها .

ويشرع لهم عبادات يجتمعون عليها - كالجمعة والجماعات - فيكسبون مع المَثوبة التودُّدَ والائتلاف والمصافاة ؛ ويكرِّرعليهم العبادات والأذكار في كل يوم لئلاّينسوا ذِكرَ ربِّهم فيهملون .

نُورٌ

[يلزم على النبي إيجاب قواعد مدنية][2]

ويجب أيضا : أن يقنِّن للناس قوانينَ الاختصاصات في الأموال وعلاماتها ، من عقود المعاوضات و المداينات ، وقسمةِ المواريث والغنائم والصدقات ؛ ويعرِّف كيفيَّةَ التخصيص عند الاستبهام بالأقارير والأيمان والشهادات .

ويقنِّن قوانينَ الاختصاص بالأُناث وعلاماتها ، من أحكام النكاح والفرقة

---

١) راجع المبدء والمعاد : ٤٨٨. الشفاء : الإلهيات ، المقالة العاشرة ، الفصل الثالث : ٤٤٣.

٢) راجع الشفاء : المقالة السابقة ، الفصل الرابع : ٤٤٧.

وغيرهما ؛ وأن يفرض في المعاملات المؤدّية إلى الأخذ والإعطاء سُننا تمنع وقوعَ الغَرر والحيف ، وأن يحرّمَ المعاملات التي فيها غَرر .

وأن يسنَّ على الناس معاونة الناس والذبَّ عنهم ، ووقاية أموالهم وأنفسهم من غير أن يغرم متبرّع فيما يلحق بتبرُّعه .

وأن يُحرّم البطالةَ والتعطُّل والصناعات التي تقع فيها انتقالات الأملاك والمنافع من غير مصالح تكون بإزائها ، ولو منفعة أو ذكر جميل كالقمار ، وكذا الذي تدعوا إلى أضداد المصالح والمنافع ، كالسرقة والقيادة والحرَف التي تغني الناسَ عن تعلّم الصناعات الداخلة في الشركة كالربا ، والأفعال التي تؤدّي إلى ضدِّ ما عليه بناءُ التمدُّن كالزنا واللواطة المؤدّيين إلى الاستغناء عن التزويج ، الذي به يحصل التناسلُ الضروري لحفظ النوع .

وأن يدعو إلى التزويج ويحرّض عليه ، لأنَّ في بقاء الأنواع دليل وجود الله - سبحانه - وعبادته المطلوبة من الخَلق .

وأن يؤكّد الأمورَ في ثبوت هذه الوصلة ، حتّى لايقع بأدنى سببٍ فُرقةٌ ، فتؤدّي إلى تشتُّت الشمل الجامع للأولاد و والديهم ، و إلى تجدُّد احتياج كل إنسان إلى المزاوجة - وفي ذلك أنواعٌ من الضرر .

وأن يكون إلى الفُرقة سبيل مّا ، لأنَّ من الطبايع ما لايتؤالف ، فكلّما اجتمع إلى الجمع زاد الشرُّ والنبوّ وتنغّصت المعايش ، وربّما كان الزوج غير كفؤ ولا حسَن المذاهب في العِشرة ، فتدعوا الرغبة في غيره ، إذ الشهوةُ طبيعيّةٌ فيؤدّى ذلك إلى وجوه من الفساد ؛ وربّما كان المتزاوجان لايتعاونان على النسل ، فاذا بُدّلا بآخرين تعاونا .

ويجب أن تكون الفُرقة مشدَّدا فيها ، ولاتكون في يدي المرأة ، لأنّها واهبة العقد[1] ، مبادرة إلى متابعة الهوى والغضب .

وأن يسنّ فيها التستُّر والتخدُّر ، لأنَّ من حقِّها أن تصان ، لكثرة شهوتها

---

١) علم اليقين: واهية العقل.

وانخداعها وقلّة عقلها، وكون الاشتراك فيها ممّا يوقِع أنفةً وعارا عظيما - وهي من المضارّ المشهورة - بخلاف الاشتراك في الرجل، فإنّه لايوقع عارا، بل حسدا، والحسدُ غير ملتفَت إليه لأنّه طاعةٌ للشيطان، ولذلك يجب أن يسنّ لها أن تُكفى من جهة الرجل، فيُلزم الرجلَ نفقتَها، لكن الرجل يجب أن يعوّض من ذلك عوضا، وهو أنّه يملكها ولاتملكه، فلايكون لها أن تنكح غيرَه، وأمّا الرجل فلايحجر عليه في هذا الباب، و إن حرّم عليه تجاوزَ عددٍ لايفي بإرضاء ماوراءه وعوله.

ويسنّ في الولد أن يتولّاه كلٌّ واحد من الأبوين في التربية، أمّا الوالدة فبما تحضنه، وأمّا الوالد فبالنفقة.

وكذلك الولدُ - أيضا - يسنُّ عليه خدمتَهما وطاعتهما و إكبارهما و إجلالهما، فهما سببا وجوده، ومع ذلك فقد احتملا مؤنتَه.

وأن يسنَّ في الأخلاق والعادات سُننا تدعو إلى العدالة التي هي الوساطة لتزكية النفوس ولمصالح دنيويّة، فإنَّ الرذائل الإفراطية، تضرُّ في المصالح الإنسانيّة، والتفريطيّة تضرُّ في التمدُّن.

وأن يسنَّ مقاتلةَ الكفّار و أهل البغي - بعد أن يدعوهم إلى الحقِّ - دفعا لما يعرض من الجاحدين للحق من تشويش أسباب الديانة والمعيشة، اللتين بهما الوصول إلى الله .

وأن يباحَ أموالَهم وفروجَهم، لأنّها ليست عائدة بالمصلحة التي تُطلب الأموالُ والفروجُ لها، بل معِينة على الفساد والشرِّ.

و إذ لابدَّ للناس من الخدم فيجب أن يكون أمثال هؤلاء يُجبَرون على خدمة أهل الحقّ، وكذا كلّ من كان بعيدا عن تلقُّن الفضيلة ممّن لم تكن له قريحةٌ صحيحة - مثل الترك والزنج -

و إذا كانت لقوم سنّةٌ حميدةٌ لم يتعرَّض لهم، إلّا أن يكون الوقتُ يوجِب التصريح بأن لاسنَّة غير السنَّة النازلة، فحينئذ يؤدَّب هؤلاء - أيضا - ويجاهَدوا - لكن مجاهدة دون مجاهدة أهل الضلال الصِرف - أو يُلزَموا غرامةً

على ما يؤثرونه، فيسالموا على فداء أو جزية. وبالجملة يصحّح عليهم أنّهم مبطلون، وكيف لايكونون مبطلين، وقد امتنعوا من طاعة الشريعة التي أنزلها الله تعالى ؟ !

ويجب عليه أن ينصب خليفةً يكون إماما للناس بعده، يحفظ سنّته وشرعه إلى بعثة نبيّ آخر، لأنَّ النبيَّ ليس ممّا يتكرّر وجودُ مثله في كلّ وقت، ولاالناس يحتاجون إلى شريعة متجدّدة في كلّ حين وآن. وأن لايكون الاستخلاف إلا من جهته بوحي من الله - عز وجلّ - إليه ونصٍّ منه، لئلاّيؤدّي إلى التشعّب والتشاغب والاختلاف.

وأن يفرض على الناس جميعا طاعةَ من يخلفه، ويحكم في سنّته أنَّ من خرج وادّعىٰ خلافتَه بفضل قوّة أومالٍ فعلى كافّتهم قتالُه وقتلُه، فإن قدروا ولميفعلوا فقد عصوا الله وكفروا به، ويُحلّ دمَ من قعَد عن ذلك وهو متمكّنٌ بعد أن يصحّح على رأس الملأ ذلك منه.

ويجب أن يسنَّ أن لاقُربة عندالله بعد الإيمان بالنبيّ أعظم من إتلاف هذا المتغلّب، لينضبط السياسةُ الدينيّة التي يتولاّها حارسُ السالكين وكافلُ المحقّين نائبا عن رسول ربّ العالمين.

هذا ملخّص ما ذكره بعض أهل العلم والحكمة في هذا الباب[1] .

سِرٌّ

[لايخلو الأرض من خليفة الله تعالى]

وممّا يدلّ على وجوب وجود خليفة من الله في أرضه - نبيّ أو وصيّ - ما تبيّن من تضاعيف ما مضى أنّ الغاية القصوى والفائدة العظمى من خلق المركّبات في سلسلة العود، بل المقصود الأصلي من إيجاد الموجودات مطلقا إنّما هو وجودُ الإنسان الكامل، الذي هو خليفةُ الله في أرضه ؛ كما أُشير إليه في

---

١) ماذكره - قده - كما أشرنا إليه اقتباس و تلخيص مما أورده ابن سينا في الشفاء: الإلهيات، المقالة العاشرة، الفصل الرابع والخامس، ٤٤٧-٤٥٥.

الحديث القدسي[١] : «خَلَقتُ الأشياءَ لأجلك، وَخَلَقتُكَ لأجلي».

وفي حديث آخر[٢] : «لولاك لما خلقتُ الأفلاك».

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله[٣] : «ياعليّ - لولا نحن ماخلَق اللهُ - تعالى - آدمَ ولاحوّاءَ، ولا الجنّةَ ولا النارَ، ولا السماءَ ولا الأرضَ».

فإذا كان كذلك فلابدَّ أن يكون في كلِّ زمان من وجود خليفة يقومُ به الأمر ويدومُ به النوع ويُحفظ به البلاد ويهتدي به العباد ويُمسك به السماوات والأرضون؛ و إلّا فيكون الكلُّ هباءً و عبَثا، إذ لاترجع إلى غاية، ولا تؤول إلى عاقبة، ففنيَتْ إذن وخربتْ، كما أشار إليه مولانا الصادق عليه السلام بقوله[٤] : «لو بقيت الأرضُ بغير إمام ساعةً لساختْ».

وعن أبيه عليه السلام[٥] : «لَو أنَّ الإمام رُفع من الأرض لماجت[٦] بأهلها كمايموجُ البحرُ لأهله».

وعن مولانا الرضا عليه السلام[٧] : «لوخلت الأرض طرفة عين من حجّة لساخت بأهلها».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام[٨] : «... اللهم بلى، لاتخلو الأرض من قائم لله

---

١) لم أعثر عليه في الجوامع الروائية ، و ورد كثيرا في مكتوبات العرفاء؛ جاء في الفتوحات المكية (٢٩٥/١، الباب الستون) : «وأنزل الله في التوراة: يابن آدم، خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي».

٢) أورده المجلسي - ره - في البحار (٢٨/١٥ و١٩٩/٥٧) عن كتاب الأنوار المنسوب إلى الشيخ أبي الحسن البكري؛ وورد مضمونه في روايات أُخر، منها مايذكر بعد الرواية التالية.

٣) كمال الدين: باب نصّ الله عزَّ وجلَّ على القائم عليه السلام، ح٤، ٢٥٤.

٤) كمال الدين: باب العلة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام: ٢٠١، ح١. عنه البحار: ٢١/٢٣، ح٢٠. و ٢٦/٢٣، ح٣٤. و٢٨/٢٣، ح٤٠. الكافي: كتاب الحجة، باب أن الأرض لاتخلو من الحجة، ١٧٩/١، ح١٠. الغيبة للطوسي: ٢٢٠، ح١٨٢.

٥) كمال الدين: الباب المذكور، ٢٠٢، ح٣. الكافي: الصفحة السابقة، ح١٢.

٦) ماج البحرُ، موجا: اضطرب (مصباح).

٧) كمال الدين: الباب المذكور، ٢٠٤، ح١٥: «لوخلت من حجة طرفة عين لساخت بأهلها».

٨) كمال الدين: ما أخبر به عليّ عليه السلام من وقوع الغيبة: ٢٩٠-٢٩٤، ح٢ بألفاظه و أسانيده المختلفة. عنه البحار: ٤٦/٢٣-٤٩، ح٩١.

بحُجَّة : إمَّا ظاهر مشهور ، و إمَّا خائف[١] مغمور » .

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله[٢] : « في كلّ خَلَف من أُمّتي عدْلٌ من أهل بيتي ، ينفون عن الدين تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين » .

وفي الحديث المشهور المتَّفَق عليه بين الخاصَّة والعامَّة[٣] : « مَن مات ولم يَعرف إمامَ زمانِه فقد مات ميتة الجاهليَّة » .

تنبيهٌ

[اهتمام الشرع بتقوية الجنبة العالية في الإنسان]

وليُعلم أنَّ الغرض الأصلي من إرسال الرسل و وضع الشرايع إنَّما هو استخدامُ الغيب للشهادة ، وخدمةُ الشهوات للعقول ، و إرجاع الأجزاء إلى الكلّ وسياقة الدنيا إلى الآخرة ، وتصيير المحسوس معقولا والحثّ عليه والزجر على عكس هذه الأُمور ، لكي ينجو الخلائقُ من عذاب الآخرة والوبال ، ووخامة العاقبة وسوء المآل ، ويفوزوا بالسعادة القصوى على قدر استعداداتهم ؛ و إلّا فيكفي الإنسانَ - في أن يعيش - نوعٌ من السياسة يحفظ اجتماعَهم الضروريَ ، و إن كان ذلك منوطا بتغلُّب أو مايجري مجراه - كما ترى من تعيُّش سكّان أطراف العمارة بالسياسات الضروريَّة -

ولهذا إذا تدبّرت في الأحكام الشرعيّة لم تجد شيئا منها خاليا عن تقوية الجنبة العالية .

تنبيهٌ

الفرق بين الشريعة والسياسة المحضة أنّ السياسة المحضة تحرّك الأشخاص البشريّة لتجمعهم على نظام مصلح لجماعتهم ، و إنّما تصدر عن النفوس

---

١) في المصدر : إما خاف.

٢) كمال الدين : باب أن الأرض لاتخلو من حجة ، ٢٢١ ، ح٧.

٣) كمال الدين : باب (٢٨) ما روي عن العسكري عليه السلام من وقوع الغيبة ، ٤٠٩ ، ح٩.
عنه البحار : ١٦٠/٥١ ، ح٧.

الجزئيّة، والشريعة تحرّك النفوس وقواها إلى ما وكلت به في عالم التركيب من مواصلة نظام الكلّ، وتذكّرها معادها إلى العالم الأعلى الإلهيّ، وتزجرها الانحطاط إلى الشهوة والغضب وما يتركّب منهما ويتفرّع عليهما؛ و إنّما تصدر عن العقول الكليّة الكاملة.

فأفعال السياسة جزئيّة ناقصة مستبقاة بالشريعة، مستكملة بها؛ وأفعال الشريعة كليّة تامّة غير محوجة إلى السياسة.

وأيضا فإنّ أمر السياسة مفارق عن ذات المأمور، وأمر الشريعة لازم لها؛ مثاله أنّ السياسة تأمر بالتجمّل - وهو لأجل الناظرين - والشريعة تأمر بالصلاة والصوم ونحوهما ممّا يعود نفعه إلى نفس المكلّف.

وبالجملة فالسياسة للشريعة بمنزلة الجسد للروح، والعبد للمولى، تطيعها مرّة وتعصيها أخرى، فإذا أطاعتها انقاد ظاهر العالم باطنه، وقامت المحسوسات في ظلّ المعقولات، وتحرّكت الأجزاء نحو الكلّ، وكانت الرغبة في الباقيات الصالحات، والزهادة في الفانيات البائدات، ويكون حال الإنسان عند ذلك الراحة من المؤذيات، والفضيلة المؤدّية به إلى الخيرات المكتسبة بالعادات المحمودة، وكان كلّ يوم يمضي عليه أفضل من أمسه.

و إذا عصت السياسة للشريعة تآمرت الإحساس على الآراء، وزال الخشوع للأسباب البعيدة العالية، ووقع الإخلاص للعلل القريبة، ورأى الملوك أنّ بهم وبأفعالهم نظام ماملكوه، وبقاء ملكهم؛ ولم يعلموا أنّهم إذا أهملوا إقامة الشرائع وبذلوا جهدهم للمحسوس ومنعوا نصيب الجزء الأشرف، يتحرّك عليهم قيّم العالم ليردّ ما أفسدوا من نظامهم، ويُعيد ما حرّفوا وبدّلوا إلى مقامه.

في معنى الكتاب والكلام

والفرق بينهما

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ [٥٢/٤٢]

نور

[وحدة الكتابة والتكلّم واختلافهما باعتبارين]

قال أُستاذنا - دام ظلّه - ما حاصله[١] :

إنَّ صور الألفاظ إن نُسبت إلى اللافظ سُمّيت «كلاما» واللافظ «متكلِّما»، و إن نُسبت إلى ماينتقش فيه - كاللوح الهوائي بالإضافة إلى الإنسان - سمّيت «كتابة» واللافظ «كاتبا».

فاللوح الهوائي بالنسبة إلى النفْس الناطقة الإنسانيّة كلامٌ وكتابٌ باعتبارين.

وكذا النفْس الناطقة المرتسمة فيها الصورالعقليّة والعلوم النفسانيّة لوح كتابي بأحد الاعتبارين، وبهذا الاعتبار لها وجهٌ إلى مصوِّر عقليّ وقلم علويّ يصوِّرها بتلك العلوم والصوَر؛ وبالاعتبار الآخر جوهرٌ متكلِّمٌ ناطق، ولها وجه إلى قابل يقبل منها الصوَر ويسمع عنها الكلام.

و كذا وجود الموجودات كلّها الصادر بأمر «كنْ»- بلا لفظ ولاصوت- كلام الله وكتابه باعتبارين، وكذلك القرآن الذي بين أظهرنا والكتب التي أُنزلت من قبل كلّها كلام الله وكتابه جميعا باعتبارين.

---

١) ملخص مما جاء في مفاتيح الغيب: المفتاح الأول، الفاتحة الخامسة والسادسة: ٢٤-٣٠. والأسفار الأربعة: ٧/١٠-١٩.

فكلٌّ منها بما هو كلام الله نورٌ من أنواره المعنويَّة نازلٌ من لدنه، ومنزله الأوَّل قلب من يشاء من عباده المحبوبين، كما قال: ﴿ وَ لٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [٤٢/٥٢]، وقال: ﴿ بِٱلْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [١٧/١٠٥].

وبما هو كتاب نقوشٌ وأرقامٌ فيها آياتٌ وأحكامٌ نازلة مِن السماء نجوما على صحائف قلوب المحبّين وألواح نفوس السالكين وغيرهم، يكتبونها في صحائفهم وألواحهم بحيث يقرؤها كلُّ قارٍ، ويعمل بأحكامها كلُّ عامل موفَّق، وبه يهتدون.

ويتساوي في هداها الأنبياء والأُمم، كما قال: ﴿ وَ أَنْزَلَ ٱلتَّوراةَ [وَ ٱلإِنْجِيلَ] * مِنْ قَبْلُ هُدَىً لِلنَّاسِ ﴾ [٣/٣-٤]. وقال: ﴿ وَ عِندَهُمُ ٱلتوراةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللهِ ﴾ [٥/٤٣].

وكما أنَّ الكلام يشتمل على الآيات -﴿ تِلْكَ آيَاتُ ٱللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٢/٢٥٢]- فكذا الكتاب يشتمل عليها أيضا: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [١٢/١].

والكلام إذا تشخَّص وتنزَّل صاركتابا، كما أنَّ الأمر إذا تنزَّل صار فعلا، كقوله: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٣٦/٨٢].

ومن هنا قيل: الكلام بسيط أمريٌّ دفعيٌّ، والكتاب مركَّبٌ خلقيٌّ تدريجيٌّ؛ وعالمَ الأمر خالٍ عن التضادِّ والتكثُّر والتجدُّد والتغيُّر، كماقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَ مَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [٥٤/٥٠] وقال: ﴿ إِنَّمَا قَولُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[1] [١٦/٤٠].

وأمَّا عالَم الخَلق فمشتمل على التضادِّ والتكثُّر: ﴿ وَ لَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٦/٥٩].

---

١) في النسختين: ﴿ انما أمرنا... ﴾ والتصحيح من القرآن الكريم.

نورٌ

[أقسام الكلام باعتبار الغاية]

قال بعض أهل التحقيق[1] : الكلام على ثلاثة أقسام :

أعلاها مايكون عين الكلام مقصودا أوّليًا ولايكون بعده مقصود آخر لشرف وجوده وتماميَّة كونه ولكونه غايةً لمادونه و هذا مِثْل إبداعه عزَّ وجلَّ عالمَ الأمر بأمر «كنْ» - لاغير - و هي كلمات الله التامّات التي لاتنفد ولاتبيد، إذ ليس الغرض من إنشائها منه - تعالى - بأمر «كنْ» سوى أمر الله.

وأوسطها مايكون لعين الكلام مقصودٌ آخر إلاّ أنَّه يترتَّب عليه ترتُّبا لزوميًا من غير تخلُّف وانفكاك، كأمره - تعالى - للملائكة المدبّرين في طبقات الأفلاك بما عليهم أن يفعلوا، فلاجرم ﴿لَا يَعْصُونَ آللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦/٦٦]؛ وكذلك الملائكة الأرضيَّة الموكّلة على الجبال والبحار وغيرهما.

و أدناها ما يكون لعين الكلام مقصودٌ آخر - قد يتخلَّف عنه وقد لايتخلَّف - وفيما لايتخلَّف أيضا إمكان التخلُّف والعصيان إن لم يكن حافظ عاصم من الخطإ، وهذا كأوامر الله وخطاباته للمكلّفين من الجنّ والإنس بواسطة إنزال الكتب و إرسال الرسل، فنهم من أطاع ومنهم من عصى.

---

١) مفاتيح الغيب: المفتاح الأول، الفاتحة الثالثة: ١٨.
الأسفار الأربعة: ٥/٧. المبدء والمعاد: ١٢٧ ملخصا.

في تفاصيل كتب الله عزّ وجلّ

﴿ الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [١/١١]

[أمّ الكتاب والكتاب المبين]

قد تبيّن فيما مضى أنَّ صور جميع ما أوجده الله من ابتداء العالم إلى انتهائه منتقشة في العالم العقليّ، نقشا لايُشاهَد بهذه العين، بل حاصلةٌ فيه على وجه بسيط عقلي، مقدَّسٍ عن شائبة كثرة وتفصيل، وهو صورةُ القضاء الإلٰهي، و إليه الإشارة بقوله عزّوجلّ: ﴿ وَ اِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [٢١/١٥].

فهو بهذا الاعتبار، يسمَّى بـ«أمِّ الكتاب»، كما قال تعالى: ﴿ وَ اِنَّهُ فِي أُمِّ اَلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [٤/٤٣].

وتبيّن أيضا أنّه يُنتقشُ منه في لوح النفوس الكليَّة الفلكيَّة ـ كماينتسخ بالقلم في اللوح – صورٌ معلومةٌ مضبوطةٌ، منوطة بعللها وأسبابها – على وجه كلّيٍ – وهي قدَرُه تعالى، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ وَ مَا نُنَزِّلُهُ اِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [٢١/١٥].

وتبيّن أيضا أنّه ينتقشٍ من هذه النفوس الكلّية في قواها المنطبعة الخياليَّة، نقوشٌ جزئيَّةٌ، متشخّصةٌ بأشكال وهيآت معيَّنة من لواحق المادّة، على طبق مايظهر في الخارج.

فهذا العالَم هو لوحُ القدَر، كما أنَّ ذلك العالم الذي هو عالَم النفوس الناطقة الكليَّة هو لوحُ القضاء؛ وكلٌّ منهما – بهذا الاعتبار «كتابٌ مبينٌ»: كما قال سبحانه: ﴿ وَ لَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ اَلْاَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ اِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٥٩/٦]. وقال: ﴿ وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي اَلْاَرْضِ اِلَّا عَلَى اَللّٰهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ

مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٦/١١]. وقال: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [٢٢/٥٧]. وقال: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [٣٨/١٣].

إلّا أنَّ الأوّل محفوظٌ من المحو والإثبات كما قال: ﴿ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٩/١٥]. وقال: ﴿ فِي لَوحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [٢٢/٨٥]

والثاني كتاب المحو والإثبات كما قال عزّ وجلّ: ﴿ يَمْحُو ٱللهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ ٱلْكِتَابِ ﴾ [٣٩/١٣]؛ وهو السماء الدنيا، التي تنزل إليها الكائنات أوّلاً مِن غيب الغيوب ثمّ تظهر في عالم الشهادة؛ كما ورد في الخبر وهو عالَم الملكوت العمّالة بإذن الله، المسخّرة بأمره، المدبّرة لأمور العالَم بإعداد الموادِّ، وتهيئة الأسباب، ومنه ينزل الشيءُ المعيَّن الخارجيّ الضروريّ الوجود عند تحقُّق وقته المشار إليه بقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [٢١/١٥].

[البداء]

فمنه تنزّل الشرايعُ والصُحف والكتب على الأنبياء والرسل عليهم السلام نجوما. و لِما فيه من المحو والإثبات يصحُّ البداء من الله سبحانه، والتردُّد في الأمر - كما ورد به الأخبار الصحيحة من أهل البيت عليهم السلام.

[النسخ]

أمّا النسخ في الأحكام الشرعيّة - فإن كان - عبارة عن رفع الحكم السابق و إزالته، بعد ما كان ثابتا، فهو البداء بعينه، و إن كان عبارة عن بيان انتهاء مدّة الحكم، فلامدخل للمحو والإثبات فيه.

أنوار شرعيّة

[المحو والإثبات والبداء]

ورد في الحديث القدسيِّ: «ما تردَّدتُ في شيء أنا فاعلُه كتردُّدي في قبض

روح عبدي المؤمن»[١] مع أنَّه - عزّ وجلّ - قد قضى عليه الموت قضاء حتما، كما قال عزّ وجلّ - : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ [٦/٢] - وقال :- ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [٣٤/٧].

وفي الصحيح عن مولانا الباقر عليه السلام قال[٢] : «العلم علمان : فعلمٌ عند الله مخزونٌ لم يطلع عليه أحدا من خلقه، وعلمٌ علّمه ملائكتَه ورسلَه؛ فما علّمه ملائكتَه ورسلَه فإنَّه سيكون لايكذِّب نفسَه ولاملائكتَه ولا رسلَه؛ وعلمٌ عنده مخزونٌ، يقدِّم منه مايشاء ويؤخِّر مايشاء، ويثبت مايشاء».

وعن مولانا الرضا عليه السلام[٣] في قول الله - عزّ وجلّ - : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ [٥٤/٥١]- قال :- «أراد إهلاكهم، ثمّ بدا لله، فقال : ﴿ وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥٥/٥١] ».

ثمّ قال عليه السلام : «لقد أخبرني أبي عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله - قال- : «إنَّ الله - عزَّ وجلَّ - أوحى إلى نبيّ من أنبيائه أن أخبِر فلان المَلِك أنّي متوفِّيه إلى كذا وكذا؛ فأتاه ذلك النبيُّ فأخبَره؛ فدعا اللهَ المَلِكُ - وهو على سريره - حتَّى سقط من السرير، فقال : ياربِّ أجِّلني حتَّى يشبَّ طفلي وأقضي أمري؛ فأوحى الله إلى ذلك النبيّ أن ائتِ المَلِكَ فأعلِمه أنّي قدأنسيتُ في أجله، وزدتُ في عمره خمس عشرة سنة. فقال ذلك النبيُّ : «ياربِّ إنَّك

---

١) الحديث متّفق عليه، رواه العامّة والخاصّة مع اختلافات يسيرة لفظية؛ راجع الكافي: كتاب الإيمان و الكفر، باب من آذى المسلمين واحتقرهم: ٣٥٢/٢ ح٧ و٨. و٣٥٤/٢، ح١١. التوحيد: باب أن الله لايفعل بعباده الا الأصلح لهم: ٣٩٩، ح١. البخاري: الرقاق، باب التواضع: ١٣١/٨. المسند: ٢٥٦/٦.

٢) الكافي: باب البداء: ١٤٧/١، ح٦.

٣) التوحيد: باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي: ٤٤٣.
العيون: ١٨١/١. البحار عن الكتابين: ٣٣٠/١٠.
و أورد الراوندي ما يقرب من القصة في قصص الأنبياء (الباب السادس عشر، فصل ٢، ٢٤١) وفيه أن النبي حزقيل. والبحار عنه: ٣٨٢/١٣، ح٣. و٤/ ١١٢، ح٣٣.
ونقل الراوندي مايقرب منه (الباب السابع عشر، ٢٤١) في ذكر شعيا النبي، البحار عنه: ١٦١/١٤، ح٢.

لتعلم أنّي لم اكذب قطّ». فأوحى الله - عزّ وجلّ - : إنّما أنتَ عبدٌ مأمورٌ، فأبلغه ذلك، والله لايُسأل عمّا يفعل».

وليس في هذا تكذيب في الحقيقة، فلاينافي الحديث السابق.

وفي كتابي الكافي والتوحيد[1] بإسناد حسن عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «ما عُبِدَ الله بشيءٍ مثل البداء».

وفي رواية صحيحة عنه عليه السلام[2]: «ماعُظِّم الله بمثل البداء».

والأخبار في مثل هذا المعنى عن أهل البيت عليهم السلام كثيرة، والقول بالبدا من خواصّهم عليهم السلام.

سِرٌّ نوريٌّ

[كيف يكون البداء والمحو والإثبات]

إن قيل: ما الحكمة في المحو والإثبات؟ وكيف تصحُّ نسبةُ البداء والتردُّدِ و إجابةِ الدعاء ونحو ذلك إلى الله - سبحانه - مع إحاطة علمه بكلّ شيءٍ أزلا وأبدا - على ما هو عليه في نفس الأمر - وتقدُّسه عمّا يوجب التغيُّرَ والسُّنوحَ ونحوهما؟

فاعلم: أنَّ القُوىٰ المنطبعة الفلكيَّة التي هي بمنزلة الخيال فينا لم تُحِط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعةً واحدة - لعدم تناهي الأمور - بل إنّما تنتقش فيها الحوادثُ شيئا فشيئا، وجلةً فجملةً، مع أسبابها وعِلِلها، على نهج مستمرّ، ونظام مستقرّ؛ فإنَّ ما يحدث في عالم الكون والفساد إنّما هو من لوازم حركات الأفلاك المسخَّرة للهِ - تعالى - ونتائج بركاتها، فهي تعلم أنّه كلّما كان كذا، كان كذا؛ فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر مّا في هذا

---

١) الكافي: باب البداء، ١٤٦/١، ح١، عن أحدهما عليهما السلام.
التوحيد: باب البداء: ٣٣٢، ح١. عنه البحار: ١٠٧/٤، ح١٩.

٢) الكافي: الصفحة السابقة (ح١).
التوحيد: باب البداء: ٣٣٣، ح٢. عنه البحار: ١٠٧/٤، ح٢٠.

العالم حكَمَت بوقوعه فيه، فينتقش فيها ذلك الحكمُ، وربّما تأخّر بعض الأسباب الموجِب لوقوع الحادث على خلاف ما يوجبه بقيّةُ الأسباب - لولا ذلك السبب - ولم يحصل لها العلمُ بذلك السبب بعدُ، لعدم اطلاعها على سبب ذلك السبب بعد، ثمّ لمّا جاء أوانُه واطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأوّل، فيمحو عنها نقشُ الحكم السابق، ويثبت الحكم الآخر. فإنّ شأن النفوس أن يكون توجّهها إلى بعض المعلومات واستحضارها إيّاها واشتغالها بها يذهلها عن البعض الآخر.

و إذا كانت الأسبابُ لوقوع أمرٍ ولاوقوعها متكافئةً، ولم يحصل لها العِلم برجحان أحدهما بعدُ - لعدم مجيءِ أوان سبب ذلك الرجحان بعدُ - كان له التردُّد في وقوع ذلك الأمر و لاوقوعه، فينتقش فيها الوقوع - تارةً - واللاوقوع أخرىٰ؛ فهذا هو السبب في المحو والإثبات والحِكمة فيهما.

* * *

وأمّا صحّةُ نسبةِ البداء والتردُّد وأمثالها إلى الله عز وجلّ مع إحاطة علمه بالكليّات والجزئيّات جميعا - أزلا وأبدا - على ما هي عليه في نفس الأمر، من غير تطرُّقِ تغيُّرٍ ونقص فيه جلّ وعزّ، فالوجه فيه ما ذكره أُستاذنا - دام ظلّه - قال[1] :

«لمّا كان ما يجري في العالم الملكوتي إنّما يجري بإرادة الله عزّ وجلّ، بل فِعلُهم بعينه فِعلُ الله تعالى، حيث أنّهم ﴿لَايَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦/٦٦]، إذ لاداعي لهم على الفعل إلاّ إرادة الله - جلّ وعزّ - لاستهلاك إرادتهم في إرادته - تعالى - ومَثَلهم كَمَثَل الحواسّ للإنسان: كلّما همّ بأمرٍ محسوس امتثلت الحاسّةُ لِما همّ به وأرادتْهُ دفعةً، فكلُّ كتابةٍ تكون في هذه الألواح والصُحف فهوأيضا مكتوب الله - عزّ وجلّ - بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأوّل.

---

١) صدرالمتألهين راجع شرح الكافي لصدر المتألهين: الحديث الأول من باب البداء (ص ٣٨١) ملخصا. وأيضا: الأسفار الأربعة: ٦/٣٩٥-٣٩٩.

فيصحُّ أن يوصف اللهُ عزَّ وجلَّ نفسَه بالنسخ والبداء والتردُّد و إجابة الدعاء ونحوها بهذا الاعتبار، وإن كان مثلُ هذه الأمور يشعر بالتغيُّر والسُنوح، وهو - سبحانه - منزَّه عنه، فإنَّ كلَّ ماوُجد أو سيوجَد فهو غير خارج عن عالم ربوبيَّته.

سِرٌّ

أثر المحو والإثبات

قال بعض العارفين[1] :

«ومن هذه الحقيقة الإلٰهيّة التي كنّي عنها بالتردُّد انبعث التردُّدات الكونيَّة، والتحيُّر في النفوس، وذلك أنَّا قد نتردَّد في فعل أمر مّا - هل نفعله أم لا ؟ - ومازلنا نتردَّد حتّى يكون أحد الأمور المتردَّد فيها. فذلك الأمر الواقع هو الثابت في اللوح من تلك الأمور؛ وذلك أنَّ القلم الكاتب في اللوح القدريّ، يكتب أمرا مّا، وزمان الخاطر، ثم يمحوه، فيزول ذلك الخاطر؛ لأنَّ من هذا اللوح إلى النفوس رقائق ممتدَّة إليها، تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها، فإذا صار الأمرُ ممحوًّا كتب غيره، فتمتدُّ منه رقيقةٌ إلى نفس هذا الشخص - الذي كُتب هذا من أجْله - فيخطر له خاطر نقيض الخاطر الأوّل؛ وهكذا إلى أن أراد الحقُّ إثباتَه، فلم يُمحه؛ فيفعله الشخص أو يتركه - حسب ماثبت في اللوح، فإذا فعله أوتركه وانقضى محاه الحقُّ من كونه محكوما بفعله، وأثبت صورةَ عملٍ، قبيح أو حسنٍ، على قدر ما يكون؛ ثم إنَّ القلمَ يكتب أمرا آخر - وهكذا إلى غيرالنهاية.

والموكِّل بالمحو ملكٌ كريمٌ والإملاءُ عليه من الصفة الإلٰهيَّة. ولو لميكن الأمر كذلك لكانت الأُمورُ كلُّها حتما مقضيًا - وهذا شأن **الأقلام القدريَّة**.

وأمّا القلم الأعلى فأثبت في اللوح المحفوظ صورةَ كلِّ شيءٍ يجري من

---

١) ملخص مما جاء في الفتوحات المكيّة: الباب السادس عشر وثلاثمأة: ٦١/٣.

هذه الأقلام - من محوٍ و إثباتٍ - ففيه إثباتُ المحو ، [و إثباتُ الإثبات] ، ومحوُ المحو ، ومحوُ الإثبات على وجه أرفع ؛ فصورتُه مقدّسةٌ عن المحو والتغيُّر ، لأنَّ نسبة القلم الأعلى إلى هذه الأقلام كنسبة قوّتنا العقليّة ، إلى مشاعرنا الخياليَّة والحسيَّة ، ونسبة اللوح المحفوظ إلى هذه الألواح كنسبة الإرادة الكليَّة لمطلوبٍ نوعيٍّ ، إلى إرادات جزئيَّةٍ وقعتْ في طريق تحصيله في ضمن واحد منه .

نورٌ

[الكتب والكلمات الإلهيّة]

ثمّ إنّ وجود تلك الصور الجزئيّة في موادّها الخارجيّة - التي هي أخيرة مراتب علمه تعالى - كلمات الله التي هي بمنزلة الحركات البنائيَّة والإعرابيَّة ، والمادّة الكلّيّة المشتملة عليها هي دفتر الوجود والبحر المسجور المملوّ بالصور ؛ كما أُشير إليه في القرآن بقوله - عزّ وجلّ - : ﴿ قُلْ لَو كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَو جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [١٨/١٠٩] .

فلو كان بحر المادّة العنصريّة مدادا لكلمات ربّنا الوجوديّة ، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّنا ، ولو جئنا بمثله مددا من أبحر الموادّ الفلكيّة ، تثنية لقوله عزّ وجلّ : ﴿ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَت كَلِمَاتُ ٱللهِ ﴾ [٣١/٢٧] فهذه العوالم كلّها - كلّيها وجزئيّها - كتبٌ إلٰهيَّة و دفاتر سبحانيَّة لإحاطتها بكلمات الله التامّات .

فعالَم العقول المقدَّسة والنفوس الكلّيَّة كلاهما كتابان إلٰهيّان ، ويقال للعقل الأوّل « أمّ الكتاب » لإحاطته بالأشياء إجمالا ، وللنفس الكلّيّة الفلكيَّة « الكتاب المبين » لظهورها فيها تفصيلا ، وللنفس المنطبعة في الجسم الفلكيّ « كتاب المحو والإثبات » لوقوعها فيها ، وأعيان الموجودات هي آيات تلك الكتب : ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَ ٱلنَّهَارِ وَ مَاخَلَقَ ٱللهُ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَ ٱلأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَتَّقُونَ ﴾ [١٠/٦] .

نور

[من الكتب الإلهية صحائف النفوس][1]

و من جملة كتب الله - سبحانه - المكتوبة بيد قدرته صحائف النفوس الناطقة الإنسانيَّة، المكتوبة فيها اعتقاداتهم الحقَّة أو الباطلة وأعمالهم الحسنة والقبيحة؛ كما قال عزّ وجلّ: ﴿ أُولَـٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾ [٢٢/٥٨]. وقال تعالى: ﴿ وَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ [١٣/١٧]. وقال جلّ جلاله: ﴿ هَـٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٢٩/٤٥].

وهذه الكتب تسمّى بـ« صحائف الأعمال»، وكتّابها هم «الكرام الكاتبون».

فمنها: ﴿ صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [٨٠/١٣-١٦]، ومنها غيرذلك -

وسيأتي بيان ذلك مفصّلاً في كتاب العلم باليوم الآخر إن شاء الله.

نور

[الكتب السماوية]

وأمّا الكتب السماويّة المنزلة على الأنبياء والرسل عليهم السلام، المكتوبة بالقلم العقليّ على ألواح نفوسهم الشريفة، وصحائف قلوبهم المنيرة:

فمن ذلك: كتاب التوراة، النازل باللغة العبرانيَّة على قلب موسى - على نبيّنا وعليه السلام - أوّلا، ثمّ على الألواح الزبرجديَّة؛ ﴿ وَ فِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [١٥٤/٧].

وهي - كما يقال - خمسة أسفار: سِفرٌ لبدء الخَلق، وسِفرٌ لخروج بني إسرائيل من مصر، وسِفرٌ لأمر التوّابين، وسِفرٌ لإحياء موسى بني إسرائيل

---

١) راجع المفاتيح الغيبية: المشهد الثاني عشر من المفتاح التاسع عشر، ٦٤٦.

وماوقع بهم، وسِفرٌ لتكرُّر النواميس؛ واختلاف معانيها موجب لتفاصيلها، فأفضل ما فيها العشر كلمات الوصايا التي خوطب بها موسى عليه السلام - وبها يستحلفون.

ومنها: **الإنجيل** النازل باللغة السريانيَّة على قلب عيسى - على نبيِّنا وعليه السلام - ﴿ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّورِيٰةِ وَ هُدًى وَ مَوعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٥/٤٦].

ويقال: أفضل ما فيه الصُحف الأربعة المنسوبة لتلامذة عيسى الأربعة، وهي المخصوصة بالقراءة في الصلوات والأعياد.

ومنها: **الزبور** النازل على قلب داود - على نبيِّنا وعليه السلام - كتب الله فيه ﴿ مِنْ بَعدِ ٱلذِّكْرِأَنَّ ٱلأَرْضَ ﴾ لله ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ ﴾[1] [٢١/١٠٥].

ويقال: أفضل ما فيه: ما اتَّفق أهلُ الكتابين على اختياره، وهو أدعية وتحاميد وتسابيح ينسب إلى داود بما فيها - وليس كذلك -.

[القرآن الكريم]

ومنها: **الفرقان** النازل على قلب نبيِّنا خاتم الأنبياء وسيِّدهم صلى الله عليه وسلم ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [٢٦/١٩٥] ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَ مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [٥/٤٨]. وفيه عظائم العلوم الربوبيَّة كان يتعلَّم بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [٤/١١٣]. وفيه كرائم أخلاق الله - عزَّ وجلَّ - وكان يتخلَّق بها النبيّ صلى الله عليه وسلم كما قال الله - عزَّ وجلّ - : ﴿ وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٦٨/٤]، وسئل بعض أزواجه عن خُلقه صلى الله عليه وسلم فقالت[2]: «كان خُلقُه القرآن».

وهو مشتمل على العلوم والأسرار، منطوٍ على المعارف والأنوار، متضمّنٌ

---

١) في النسخ: «يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين» التصحيح من القرآن الكريم.

٢) المستدرك للحاكم: ٢/٣٩٢. دلائل النبوة: باب ذكر أخبار رويت في شمائله صلى الله عليه وسلم: ١/٣٠٩.

لجوامع الكلم ولوامع الحكم، الذي يعجز العقول عن إدراكها، بل كلّما تغلغل الإنسان في رياض فنونها، وتعمّق في بحار عيونها انفتحت له مسالك موصلة إلى مقفلاتها، واتّضحت له مدارك تبيّن جمل مشكلاتها، وانكشفت له معالم يدرك بها وجوه صوابها، ولاحت له لوائح تذلّل شديد صعابها، فيستخرج بغوّاص عقله جواهر بحارها، وتقدح بزناد فكره فيقتبس من أضواء أنوارها، وترى العلماء العارفين كلّ وقت في ازدياد لاينتهون إلى غاية في بلوغ المراد: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [٣٨/٥٤]. وقد ملأت علوم الأقدمين الدفاتر، وقد صدق من قال: «كم ترك الأول للآخر».

وقال نبيّنا ﷺ[١]: «... فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن؛ فإنّه شافعٌ مشفَّع وماحِلٌ مصدَّق، ومَن جعله أمامَه قادَه إلى الجنَّة، ومَن جَعله خَلفه ساقَه إلى النار، وهو الدليل يدلُّ على خير سبيل، وهو كتابٌ فيه تفصيلٌ وبيانٌ وتحصيلٌ، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظَهرٌ وبطن؛ فظاهرُه حُكم وباطنه عِلم، ظاهرُه أنيقٌ وباطنه عميقٌ، له تخومٌ وعلى تخومه تخومٌ[٢]، لاتحصى عجائبُه ولاتُبلى غرائبُه، فيه مصابيح الهدى ومَنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة.

فليُجِلْ جالٍ بصرَه وليبلغ الصفة نظره، ينجُ من عطب، ويخلص[٣] من نشب، فإنَّ التفكُّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنيرُ في الظلمات بالنور؛ فعليكم بحُسن التخلّص وقلّة التربُّص[٤]».

وقال ﷺ[٥]: «القرآنُ هدى من الضلالة، وتبيانٌ من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأجداث[٦]، وعصمة من الهلكة،

---

١) الكافي: ٢/٥٩٩، كتاب فضل القرآن، ح١.
٢) في بعض نسخ المصدر: له نجوم وعلى نجومه نجوم.
٣) المصدر: يتخلص.
٤) التربّص: الانتظار. تربّص عن الأمر: توقّف.
٥) الكافي: الباب السابق، ٢/٦٠٠، ح٨.
٦) كذا في مل والوافي. ر: في. بدلا من «من» وفي المصدر: «وضياء من الأحداث».

ورشدٌ من الغواية، وبيانٌ من الفتن وبلاغٌ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمالُ دينكم، وما عدَل أحدٌ من القرآن إلاّ إلى النار».

نورٌ

[أيضا من الكتب السماوية]

ومن الكتب الإلهيّة المنزّلة صُحف إبراهيم - على نبيّنا وعليه السلام - وكانت عشرين صحيفة وصُحف إدريس - على نبيّنا وعليه السلام - و كانت ثلاثين. و صُحف شيث بن آدم - على نبيّنا وعليه السلام - وكانت خمسين - كما روي كلُّه عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام[1].

وعن أبي ذرّ[2] - رضي الله عنه - أنّه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: «ماكانت صحف إبراهيم»؟ قال: «إقرء يا أباذر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ * وَ ذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيَا * وَ ٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقَىٰ * إِنَّ هٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ﴾ [٨٧/١٤-١٩].

[ماعند الأئمة من الكتب والعلوم]

ومنها مصحف فاطمة - على أبيها وبعلها وعليها السلام - وكتاب الجفر والجامعة.

وروي في الكافي[3] - بإسناده - عن حمّاد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «تظهر الزنادقةُ في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أنّي

---

١) ورد في معاني الأخبار(باب معنى تحيّة المسجد و...، ٣٣٤، ح١) والخصال (أبواب العشرين ومافوقه، ح١٣، ٥٢٥/٢) عن رسول الله صلى الله عليه وآله. عنهما البحار: ٧١/١٢، ح١٤. ولم أعثر عليه عن أميرالمؤمنين عليه السلام.

٢) في معاني الأخبار والخصال، الحديث السابق: «... قلت: يارسول الله، هل في أيدينا مما أنزل الله تعالى عليك مما كان في صحف إبراهيم وموسى»؟ قال: «ياأباذر اقرء...»

٣) الكافي: باب فيه ذكر الصحيفة والجفر...: ٢٤٠/١، ح٢. بصائرالدرجات: الباب (١٤) من الجزء الثالث، ١٥٧، ح١٨. عنه البحار: ٤٤/٢٦، ح٧٧. ٨٠/٤٣، ح٦٨.

نظرتُ في مصحف فاطمة عليها السلام». - قال :- قلت : «وما مصحَف فاطمة عليها السلام» ؟

قال : «إنَّ الله لمَّا قبضَ نبيَّه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن مالايعلمه إلاّ الله ، فأرسلَ إليها ملكا يسلِّي غمَّها ويحدِّثها ، فشكت[1] ذلك[2] إلى أميرالمؤمنين عليه السلام؛ فقال لها : «إذا أحسَستِ بذلك وسمعتِ الصوتَ قولي لي». فأعلمتْه بذلك ؛ فجعل أميرالمؤمنين عليه السلام يكتب كلَّ ما سمع حتّى أثبت من ذلك مصحَفا». - قال :- ثمَّ قال : «أمَّا إنَّه ليس فيه شيءٌ من الحلال والحرام ، ولكن فيه علم مايكون».

وبإسناده[3] عن الحسين بن أبي العلا قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إنَّ عندي الجفر الأبيض». - قال :- قلت : «وأيّ شيء فيه ؟» قال : «زبور داود ، وتوراة موسى ، و إنجيل عيسى ، وصُحف إبراهيم ، والحلال والحرام ، ومصحَف فاطمة ؛ ما أزعم أنّ فيه قرآنا ، وفيه مايحتاج الناس إلينا ، ولانحتاج إلى أحد ، حتّى أنّ فيه الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش : وعندي الجفر الأحمر» - قال :- قلت : «وأيّ شيء الجفر الأحمر ؟» قال : « السلاح ، وذلك إنّما يفتح للدم ، يفتحه صاحبُ السيف للقتل».

وفي رواية أبي بصير عنه عليه السلام[4] : «إنّ الجامعة صحيفة طولها سبعون ذراعا

---

١) كذا في النسخة والمصدرين ، وقال المؤلف - قده - في الوافي (٥٨١/٣) «إنما شكت لرعبها عليها السلام من الملك حال وحدتها به وانفرادها بصحبته».
وقال المجلسي : (مرآة العقول: ٥٧/٣): «والمراد بالشكاية مطلق الإخبار ، أو كانت الشكاية لعدم حفظها عليها السلام جميع كلام الملك. وقيل : لرُعبها عليها السلام من الملك حال وحدتها به وانفرادها بصحبته. ولايخفى بُعد ذلك عن جلالتها».
والأظهر أن الكلمة «حكت» ، وقدصحفت الحاء بالشين في الخط.
٢) ر : ذاك.
٣) الكافي: الصفحة السابقة ح٣ . بصائر الدرجات: الباب السابق: ١٥٠. عنه البحار ٣٧/٢٦ ، ح٦٨.
٤) الكافي: باب فيه ذكر الصحيفة والجفر...: ٢٣٩/١ ، ح١.
بصائر الدرجات: الباب السابق: ١٥٢ ، ح٣.

بذراع رسول الله ﷺ و إملائه من فلق فيه وخط عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج إليه الناس، حتّى الأرش في الخدش».

وفي بصائرالدرجات[١] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «لقد خلّف رسولُ الله ﷺ عندنا جِلدا ماهو جلدُ حمار ولاجلد ثور ولاجلد بقرة، إلّا إهاب شاة؛ فيها كلُّ مايُحتاج إليه - حتّى أرش الخدش والظفر - وخلّفت فاطمة عليها السلام مصحَفا، ما هو قرآن، ولكنّه كلام من كلام الله أنزله عليها، إملاء رسول الله وخطّ عليّ عليه السلام».

وبإسناده[٢] عنه عليه السلام قال: «إنَّ جبرئيل أتى رسولَ الله ﷺ بصحيفة مختومةٍ بسبع خواتيم من ذهب[٣]، وأمر إذ حضره أجَلُه أن يدفعَها إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فيعمل بما فيه، ولا يجوز إلى غيره، وأن يأمرَ كلّ وصيٍّ من بعده أن يفكَّ خاتمَه، ويعملَ بما فيه ولايجوز غيره».

---

١) بصائر الدرجات: الباب السابق: ١٥٦، ح١٦. عنه البحار: ٤١/٢٦-٤٢، ح٧٣.

٢) بصائرالدرجات: الجزء الثالث، باب (١٢) في أنّ الأئمةعندهم الصحيفة الجامعة ....، ١٤٦، ح٢٤. عنه البحار: ٣٣/٢٦، ح٥٣.

٣) قال المجلسي - قده -: «لعل السبع من تحريف النسّاخ، أوتحريف الواقفيّة، أو من الأخبار البدائية، مع أنه يحتمل اشتراك بعضهم عليهم السلام مع بعض في بعض الخواتيم».
و جاء مضمون الحديث خاليا عن هذا الإشكال في رواية رواها الصدوق - قده - في كمال الدين (الباب الثاني والعشرون، ح٣٥، ٢٣١-٢٣٢) بإسناده عن جعفربن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:
«نزل جبرئيل عليه السلام على النبيّ ﷺ بصحيفة من السماء، لم ينزل الله تبارك وتعالى من السماء كتابا مثلها قطّ قبلها ولابعدها، مختوما فيه خواتيم من ذهب؛ فقال له: يا محمّد - هذه وصيّتك إلى النجيب من أهلك.
قال: ياجبرئيل - ومن النجيب من أهلي ؟
قال: عليّ بن أبي طالب. مُرهُ إذا توفّيت أن يفكّ خاتما منها ويعمل بمافيه. فلما قبض رسول الله ﷺ فكّ عليٌّ خاتما، ثم عمل بمافيه ماتعدّاه؛ ثمّ دفع الصحيفة إلى الحسن بن عليّ عليهما السلام ففكّ خاتما وعمل بمافيه ماتعدّاه...... فدفعها إلى من بعده ويدفعها من بعده إلى منْ بعده إلى يوم القيامة».

وبإسناده[1] عن مولانا الباقر عليه السلام قال: حدّثني أبي عمّن ذكره، قال: «خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله و في يده اليُمنى كتاب، و في يده اليُسرى كتاب؛ فنشر الكتابَ الذي في يده اليُمنى، فقرء: «بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب لأهل الجنة بأسمائهم وأسماءِ آبائهم وقبائلهم؛ لايزاد فيهم واحد ولاينقص منهم واحد». - قال :- ثمّ نشر الذي بيده اليسرى، فقرء: «كتابٌ من الله الرحمن الرحيم لأهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم؛ لايزاد فيهم واحد ولاينقص منهم واحد».

وفي معناه أخبار كثيرة خاصيّة وعاميّة[2].

وفي بعضها[3]: «ثمّ دفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام».

وفي بعضها: إنّها[4] عند الأئمة عليهم السلام

سِرٌّ

[الفرق بين كتابة الخالق وكتابة المخلوق]

قيل[5]: «الفرق بين كتابة المخلوق وكتابة الخالق، كالفرق بين وجود صورة محسوسة يكون مبدؤها من خارج الحسّ وبين وجود صورة محسوسة يكون مبدؤها من داخل الحسّ، مع أنّ كلاًّ منها محسوسٌ بهذه الحواسّ عند ظهور سلطان الباطن وقوّة بروزه إلى الظاهر.

ولايستلزم ذلك اختصاص مشاهدة كتابة الله بمن غلب عليه

---

١) بصائر الدرجات: الصفحة السابقة، ح٢.
عنه البحار: ٢٦/١٢٥-١٢٦، ح٢١ و١٧/١٤٦-١٤٧، ح٤٠.

٢) المسند: ٢/١٦٧. الترمذي: كتاب القدر، باب (٨) ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار، ٤/٤٤٩، ح٢١٤١.

٣) بصائرالدرجات: الباب السابق، ١٩١-١٩٢، ح١ و٦.

٤) ر: انها.

٥) راجع الأسفار الأربعة: ٧/٣٤. ومفاتيح الغيب: الفاتحة التاسعة من المفتاح الأول: ٣٧. والفتوحات المكية: الباب ٣١٥: ٣/٥٩.

سلطان الآخرة - دون غيره من أهل الحجاب - لجواز أن يكون لغيره ممّن بحضوره بحسب التبعيَّة من جهة سراية الحال منه إليهم، لأسباب خفيَّة لانطلع على تفاصيلها، مثل توجُّه النفوس في تلك الساعة إلى الجنبة الباطنة وذهولهم عن الخارج، وتعطُّل حواسِّهم عن استعمالها في هذه المحسوسات.

وكتابتُه - سبحانه - يسع كثيرَها في أصغرُ ورقه ، كما في الكتابين الذين كانا في يد النبي ﷺ[1] ؛ و لوأخذ المخلوقُ يكتب تلك الأسماء - على ما هي عليه فيها - لَما قام بذلك كلُّ ورق في العالم؛ وكذلك الجفر والجامعة.

ومن خواصِّها أنَّها تُقرء من كل ناحية على السواء، كلَّما قُلّب الورق انقلبت الكتابةُ لانقلابه، وكذلك كلامه - عزَّ وجلَّ - يُسمع من كلِّ جهة - كما حكي في قضيَّة موسى - على نبيِّنا وعليه السلام -».

---

١) راجع مامضى من الحديث في الفصل السابق.

في كيفية تنزيل الكتاب والفرق بين الوحي والالهام

﴿ وَ مَا كَـانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللهُ إِلَّا وَحْـيًا أَو مِن وَّرَاءِ حِجَابٍ أو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّه عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [٥١/٤٢]

تنبيه نوري

[الوحي وكيفية أخذه]

إنّ الروح الإنساني كمرآة، فإذا صقلت بصقالة العقل للعبوديّة التامّة، وزالت عنه غشاوة الطبيعة ورين المعصية، لاح له حينئذ نورُ المعرفة والإيمان، وهو المسمّى عند الحكماء بالعقل المستفاد؛ وبهذا النور العقلي تتراءا فيه حقائق الملكوت وخبايا الجبروت، كما تتراءا بالنور الحسّيّ الأشباح المثاليّة في المرايا الصقيلة إذا لم يفسد صقالتها بطبع، ولم يتكدّر صفاؤها برين، ولم يمنعها حجابٌ عن ذلك؛ وذلك لاتّصاله بذلك العالم واتّحاده بالعقل.

و إليه أُشير بقوله - عزّ وجلّ - : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [١٨/٥٣]

ثمّ إنّ هذا الروح إذا كانت قدسيّة شديدة القوى، قويّة[1] الإنارة لما تحتها، لايشغلها جهةُ فوقها عن جهة تحتها، فيضبط للطرفين ويسع للجانبين، فلغاية

---

١) مل: قوة.

قوّتها وشدّة تمكّنها في الحدّ المشترك بين المعقولات والمحسوسات لايستغرقها حسُّها الباطن عن حسِّها الظاهر ؛ وليست كالأرواح العاميّة الضعيفة - إذا مالت إلى جانب غابت عن الآخر ، و إذا ركنت إلى مشعر ذهلت عن الآخر- بل لايشغلها شأن عن شأن ، ولاتصرفها نشأة عن نشأة ؛ فإذا توجَّهت إلى الأُفق الأعلى ، وتلقّت أنوار المعلومات بلاتعليم بشريّ من الله ، يتعدّى تأثيرُها إلى قواها ، وتتمثَّل صورة ما يشاهده لروحها البشري ، ومنها إلى ظاهر الكون ، فتمثَّل للحواسِّ الظاهرة سيَّما السمع والبصر - لكونهما أشرف الحواسِّ الظاهرة وألطفها - فيرى شخصا محسوسا ، ويسمع كلاما منظوما في غاية الجودة والفصاحة ، أو صحيفة مكتوبة .

فالشخص هو المَلَك النازل الحامل للوحي الإلهيّ ، والكلام هو كلام الله ، والكتاب كتابه ، وقد ينزل كلٌّ منها من عالم الأمر القوليّ القضائي ، وذاتِه الحقيقيّة[1] ، وصورته الأصليَّة ، إلى عالم الخلق الكتابي القدَري ، وذات له مضافة إلى مادونه ، مثل إضافة الروح إلى البدن- لا هذا البدن ، بل البدن الملكوتيّ المحشور في الآخرة ، الذي سيأتي شرحه في مباحث المعاد ، وقد دريت جواز اختلاف الصور للشيء الواحد باختلاف النشآت .

تتمةٌ
[تتمة أقسام الوحي]

وربّما يعاشر النبيُّ الملائكةَ ويسمع صريفَ أقلامهم ؛ كما حكاه نبيُّنا ﷺ أنَّه بلغ ليلة المعراج إلى مقامٍ كان يسمع صريفَ أقلام الملائكة .[2]

وربّما يخاطبه اللهُ - عزَّ وجلَّ - بلا حجاب ، كما وقع له ﷺ في تلك الليلة ، فسمع كلامَ الله - عز وجلّ - بلاحجاب ومن دون واسطة ؛ وكما وقع للكليم عليه السلام .

---

١) النسخ : الحقيقة. (التصحيح من علم اليقين).

٢) البخاري : كتب الصلاة، الحديث الأول، ٩٨/١ : «... ثمَّ عُرج بي حتّى ظهرتُ لمستوىً أسمع فيه صريف الأقلام...».

* * *

ولضبطه الجانبين واستعماله المشاعر الحسيَّة وتشييعها في سبيل معرفة الله وطاعة الحق وانجذاب قوَّة الحسِّ الظاهرِ إلى فوق: ربَّما يقعُ لحواسِّه الظاهرة شِبه دهشة ونوم؛ ولنفسه شبهُ الغشي، ثم يرى ويسمع، وبذلك يقع الإنباءُ.

رُوي في كتاب التوحيد[1] بإسناده عن زرارة: أنَّه سئل مولانا الصادق عليه السلام عن الغشيةِ التي كانت تصيبُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحيُ -قال:-

فقال: «ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلَّى اللهُ له».

- قال:- ثمَّ قال: «تلك النبوَّةُ - يازرارة» - وأقبلَ يتخشَّع -.

ورُوي[2] أنَّه سأل الحارث بن هشام رسولَ الله صلى الله عليه وآله: «كيف يأتيكَ الوحيُ»؟ فقال:

«أحيانا مثل صلصلة الجرَس - وهو أشدُّه عليَّ، فيفصم عنّي وقد وعيتُ عنه ماقال - وأحيانا يتمثَّل لي الملكُ رجلاً، فيكلِّمني فأعي ما يقول».

نور[3]

[طرق إلقاء العلوم إلى الإنسان]

إنَّ حصول العلومَ التي ليست بضروريَّة في باطن الإنسان إنَّما يكون بوجوه مختلفة، فتارةً يكون بالاكتساب والتعلُّم - و يسمَّى بـ «الاستبصار»، وهو طريق أهل النظر من العلماء والحكماء.

وتارة يهجم عليه، كأنَّه يُلقى إليه من حيث لايدري، سواء كان عقيب طلب وشوق أو لا:

وهذا ينقسم إلى مايطلع معه على السبب المفيد له - وهو مشاهدةُ المَلَك

---

١) التوحيد: باب ماجاء في الرؤية، ١١٥، ح١٥. عنه البحار: ١٨/٢٥٦، ح٦.

٢) البخاري: بدء الوحي، ١/٢-٣.

٣) راجع احياء علوم الدين: كتاب شرح عجائب القلب: ٣/٣١.

المُلهِم للحقائق من قِبل الله - ويسمّى بالوحي، ويختصّ به الأنبياء والرسل عليهم السلام.

و إلى ما لايطلع على هذا الوجه - سواء كان نقرا في السمع - ويسمّى «التحديث»[١] - أو نكتا في القلب - ويسمّى «بالإلهام» و «النفث في الرَوع»، ويختصُّ بها الأولياءُ والأئمّةُ عليهم السلام-

والكلُّ مشتركٌ في أنّه بواسطه المَلَك الذي هوالقلم، كما قال - عزَّ وجلَّ- ﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [٩٦/٤-٥].

ولعلَّ إلىَ هذه الأقسام أشير في قوله - سبحانه - : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَّرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾ [٤٢/٥١].

قال في الفتوحات[٢] :

«إذا كان الحقُّ هو المكلِّم عبدَه في سرِّه بارتفاع الوسائط، فإنَّ الفهمَ يستصحب كلامَه، فيكون عينُ الكلام منه عينَ الفهم منك، لايتأخَّر عنه، فإن تأخَّر عنه فليس هو كلامُ الله، ومن لم يجد هذا فليس عنده علمٌ بكلام الله عباده، فإذا كلَّمه بالحجاب الصوري بلسان نبيّ أو مَن شاء الله من العالَم فقد يصحبه الفهمُ، وقد يتأخَّر».

---

١) ر: بالتحديث.

٢) ابن عربي: الفتوحات المكية، الباب السادس والستون وثلاثمائة: ٣٣٤/٣.

في الفرق بين الرسول والنبيّ

والإمام والوليّ

﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَ لانَبِيٍّ ﴾

وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام : «ولامحدَّث»

[٥٢/٢٢]

نور

[النبي والرسول والولي والإمام]

النبيُّ : مَن أُوحي إليه بالعمل.

والرسولُ : مَن أُوحي إليه بالعمل والتبليغ.

والوليُّ : مَن حدَّثه المَلَكُ، أو أُلهم إلهاما بالعمل.

والإمامُ : مَن حدَّثه المَلَكُ بالعمل والتبليغ.

فكلُّ نبيّ رسول ولا عكس ، وكلُّ رسولٍ أو نبيٍّ أو إمامٍ فهو وليٌّ أو محدَّث ولاعكس، وكلُّ رسولٍ إمامٌ ولاعكس.

ولا نبيَّ إلاّ وولايتُه أقدمُ على نبوَّته ، ولا رسول إلاّ ونبوّتُه أقدمُ على رسالته، ولاإمام إلاّ وولايتُه أقدمُ على إمامته.

والولايةُ باطن النبوَّة والإمامةُ، والنبوَّة باطنُ الرسالة ؛ وباطنُ كلّ شيءٍ أشرف وأعظم من ظاهره ، لأنَّ الظاهر محتاجٌ إلى الباطن ، و الباطن مستغنٍ عن الظاهر ؛ ولأنَّ الباطن أقرب إلى الحقِ، فكلُّ مرتبة من المراتب المذكورة أعظم من لاحقته وأشرف.

وأيضا فإنَّ كلاّ من النبوَّة والولاية صادرة عن الله ومتعلِّقةٌ بالله ، وكلاًّ من

الرسالة والإمامة صادرة عن الله ومتعلِّقة بعباد الله ؛ فيكون الأُوليان أفضل .

وأيضا كلٌّ من الرسالة والإمامة متعلِّقٌ بمصلحة الوقت ، والنبوّة والولاية لاتعلُّق لهما بوقتٍ دون وقتٍ .

وقيل : بل الأخيرتان أفضل ، لأنَّ نفعهما متعدٍّ ، ونفعُ الأُوليين مقصورٌ على صاحبيهما - وله وجهٌ ، إلاّ أنَّ التحقيق هو الأوَّل .

وكيف ما كان فليس يجب أن يكون الوليُّ أعظم من النبيّ ، ولا من الرسول ، ولا من الإمام ؛ ولا النبيُّ أعظمُ من الرسول ؛ بل الأمر في الكلّ بالعكس في وليّ يتّبع نبيًّا أو رسولاً أو إماما ؛ أو نبيّ يتّبع رسولاً ؛ لأنَّ لكلٍّ من النبيّ والإمام مرتبتان ، وللرسول ثلاث مراتب ، وللولي الواحدة .

فمن قال : « إنَّ الوليّ فوق النبيّ » فإنَّما يعني بذلك في شخص واحد ، يعني أنَّ النبيَّ من حيث أنَّه وليٌّ أشرفُ منه من حيث أنَّه نبيٌّ ورسول ؛ وكذا الإمام من حيث أنَّه وليٌّ أشرف منه من حيث أنَّه إمامٌ .

كيف يكون الوليُّ أفضل من النبيّ مطلقا ولا وليَّ إلاّ وهو تابعٌ للنبيّ أو الإمام ، والتابع لايدرك المتبوع أبدا فيما هو تابعٌ له فيه ؛ إذ لوأدركه لم يكن تابعا ؛ نعم ، قد يكون وليٌّ أفضل من نبيّ ، إذا لم يكن تابعا له ، كماكان أميرالمؤمنين عليه السلام أعظم من جميع الأنبياء والأولياء[1] - بعد نبيِّنا صلى الله عليه وآله - وكذا أولاده المعصومون عليهم السلام .

نور شرعيٌّ

[ماورد من ذلك في الروايات]

روى في الكافي[2] عن الرضا عليه السلام في الفرق بين الرسول والنبي والإمام : « إنَّ الرسول الذي نزل عليه جبرئيلُ ، فيراه ويسمع كلامَه ، وينزل عليه الوحيُ ، وربَّما نُبِّئَ في منامه - نحو رؤيا إبراهيم - ؛ والنبيُّ ربَّما يسمع الكلامَ ، وربَّما

---

١) ر :- والأولياء.

٢) الكافي : الباب السابق ، ١/١٧٦ ، ح٢. عنه البحار : ١١/٤١ ، ح٤٢.

رأىٰ الشخصَ ولم يسمع الكلام[1] . والإمامُ هو الذي يسمع الكلامَ ولا يرى الشخصَ » .

[المحدّث]

وفي حديث الباقر عليه السلام[2] : « وأمّا المحدَّث فهو الذي يحدَّثُ فيسمع ، ولا يعاين ولا يرى في منامه » .

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله[3] « من أهل بيتي إثناعشر محدَّثا » .

وعن الصادق عليه السلام[4] : « كان عليٌّ عليه السلام محدَّثا ، وكان سلمان محدَّثا » . قيل : « وما آيةُ المحدَّث » ؟

قال : « يأتيه مَلَكٌ فينكت في قلبه كيت وكيت » .

وفي رواية أُخرى[5] : « يبعث الله ملكا ، يوقر[6] في أذنه كيت وكيت وكيت » .

والأخبار في هذا كثيرة ، ذكرنا طرفا منها في علم اليقين.

---

١) قال المؤلف بيانا للحديث في الوافي (٧٤/٢): كأن المراد به أنه لم يجمع له بين الأمرين، كما يجمع للرسول.

٢) الكافي: كتاب الحجة، باب الفرق بين الرسول والنبيّ والمحدَّث، ١٧٦/١، ح٣. عنه البحار: ٢٦٦/١٨، ح٢٧. الوافي: ٧٤/٢.

٣) بصائرالدرجات: باب أنهم عليهم السلام محدّثون، ٣٢٠، ح٤. عنه البحار: ٦٧/٢٦، ح٤.

٤) بصائرالدرجات: الباب السابق: ٣٢٢، ح٤. أمالي الطوسي: المجلس الرابع عشر، ح٦٢، ٤٠٧. عنه البحار: ٣٢٧/٢٢، ح٣١. وعنهما: ٦٧/٢٦، ح٤.

٥) بصائر الدرجات: الباب السابق، ح٨، ٣٢٣. عنه البحار: ٢٦/٢٦، ح١٥.

٦) كذا في النسخ والبحار. وفي المصدر المطبوع: ينقر. ويوقر - من الوَقار - قال ابن الأثير (النهاية: وقر) أي سكن فيه وثبت.

في صفات النبيّ وأصول المعجزات

﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾
[١٥/٤٠]

نور
[صفات النبيّ]

أشرف صفاته أن يكون صافي النفس في قوّتها النظريّة، صفاء تكون شديدة الشبه بالروح الأعظم، فيتّصل به متى أراد من غير كثير تعمُّل وتفكُّر؛ حتّى تفيض عليه العلوم اللدنيَّة من غير توسُّط تعليم بشري، بل يكاد زيت عقله يضيءُ ولولم تمسسه نارُ التعليم البشري، بمقدحةِ الفكر وزنْدِ البحث والتكرار، فيدرك أمورا يقصر عن دركها غيرُه من الناس إلّا بتعب الفكر والرياضة في مدَّة كثيرة، وذلك منه أعلى ضروب المعجزة والكرامة، وهو من الممكنات الأقليَّة.

وأن تكون قوَّته المتخيِّلة قويَّةً، بحيث يشاهد في اليقظة عالمَ الغيب، وتتمثَّل له الصورُ المثاليَّة الغيبيَّة، ويسمع الأصوات الملكوتيَّة، ويتلقَّى المغيّبات والأخبار الجزئيَّة من الملكوت، فيطَّلع على الحوادث الماضية والآتية.

وأن تكون قوَّته الحسَّاسةُ والمحرِّكةُ في القوَّة بحيث تؤثّر في مادَّة العالم بإزالة صورة و إلباس أخرى؛ فيحيل الهواءَ إلى الغيم بإذن الله، ويُحدث الأمطارَ والزلازلَ لاستهلاكه أمَّةً فجرتْ وعتَتْ عن أمرِ ربِّها ورسله، ويُسمَع دعاؤها في المُلك والملكوت لعزيمة قوَّته، فيستشفي المرضىٰ، ويستسقي العطشى، ويخضع له الحيوانات.

والجمهور يعظِّمون هذه الخاصيَّة أكثر من الأولين، لغلبة الجسمانيَّة عليهم،

ثمّ يعظّمون أمرَ الإخبار عن الحوادث الجزئيّة أكثر من الاطلاع على المعارف الحقيقيَّة.

وأمّا أُولوا الألباب: فافضلُ أجزاء النبوّة عندهم هو الضربُ الأوّلُ، ثمّ الثاني، ثمّ الثالث؛ و مجموعُ الأمور الثلاثة على الوجه المذكور يختصُّ بالأنبياء عليهم السلام، وكل جزء منها ربّما يوجد في الأولياء على وجه التابعيّة لهم.

وكلٌّ من الأخيرين ينقسم إلى الخير والشرّ، فإنَّ ضربا من الإخبار ببعض المغيَّبات الجزئية من الحوادث ربّما يوجد في أهل الكهانة والمستنطقين، وكذا قوّة التأثير للنفس، المتعدِّي من النفوس الشريرة.

[بماذا يتميّز النبيّ من المتنبي]

فإن اشتبه الخيّر بالشرّير فليمتحن بالتمرّن على الصدق، والوفا بالعهد، والاجتهاد في العبادة، والورع عن المحارم، وغوث الملهوف ونصرة المظلوم، و إجابةِ المضطرِ، وحبِّ المساكين - إلى غير ذلك من صفات الملائكة المقرّبين، فإنّ ظهور خرق العادة من مثله إنّما يكون لقربه من الله وملائكته وممّن اتّصف بضدِّ تلك الصفات يكون لقُربه من الشيطان وحزبه.

[درجات الناس في معرفة الأشياء]

وخوارق العادات إنّما هي للعوام البُله، كما أنّ العلم والحكمة للخواصّ، وأمّا أهل الشَغب والعناد من الناس فلاينفعهم إلّا السيف.

و إلى الثلاثة أشار الله - عزّ وجلّ - بقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [٢٥/٥٧] فأسرارُ الكتاب والميزان - وهو البرهان العقلي بأقسامه - للخواصِّ الذين لهم قريحةٌ نافذةٌ وفطنةٌ قويّةٌ، وقد خلى باطنُهم عن تقليد وتعصُّبٍ لمذهبٍ موروث ومسموع، فإنّهم يؤمنون للنبيّ بميزان العلم و المعرفة والحكمةِ على قربٍ، ولايحتاجون إلى خوارق العادات.

وأمّا الذين ليس لهم فطنةٌ لفهم الحقائق، أو كان لهم ذلك ولكن ليست لهم داعية الطلب، بل شغَلهم الصناعاتُ والحِرَف، وليس فيهم - أيضا - داعيةُ الجدل وتحذلق المتكايسين في الخوض في العلم، مع قصور فهمهم عنه، فإنّهم يعالَجون بالموعظة و إظهار المعجزات، ثمّ يُحالون على ظواهر الكتاب، ليس لهم التجاوز عنها إلى أسراره.

والحديدُ لأهل الجدل والشغب، الذين ﴿ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ ﴾ من الكتاب مع عدم أهليّتهم له ﴿ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ [٧/٣] فإنّهم يُتلطّف بهم أوّلا ويُجادَل معهم بالتي هي أحسن، بأخذ الأُصول المسلّمة عندهم و استنتاج الحقّ منها بالميزان القسط، فإن لم ينفعهم فـ﴿ ٱلْحَدِيد ٱلَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [٢٥/٥٧].

و إلى الثلاثة - أيضا - الإشارة بقوله - عزّ وجلّ - : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَ ٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [١٢٥/١٦].

نور

[اتصال النبيّ بالحق والخلق]

قيل[١] :

إنّ الله - عزّ وجلّ - كما أنّه خلق الخلق ثلاثة أقسام: منهم الملائكة الروحانيّون، فركّب فيهم العقل دون الشهوة، ومنهم البهائم، فركّب فيهم الشهوة دون العقل، ومنهم الإنسان فركّب فيهم العقل والشهوة؛ فهكذا خلق الإنسان ثلاثة أقسام:

منهم المستغرقون في معرفة الله وملكوته، المستهترون بذكره، المتواجدون في عظمته وكبريائه، الحائرون في أشعّة جماله؛ وهم الإلهيّون من أولياء الله، المفتّح لهم أبواب الملكوت.

ومنهم المكبّون على الشهوات، المحتبسون في سجن الدنيا، المقيّدون بسلاسلها وأغلالها؛ فهم أهل الدنيا جميعا قد أكبّهم الله على مناخرهم في النار،

١) راجع الشواهد الربوبية: المشهد الخامس، الشاهد الأول، الإشراق التاسع، ٣٥٥.

وحبسهم من[١] نعيم الآخرة، فسدّ عليهم بابَ الملكوت، وفتح لهم أبوابَ الجحيم، إلا من تاب وأصلح نفسه.

ومنهم الجالس في الحدِّ المشترك بين عالَم المعقول وعالَم المحسوس؛ فهو تارةً مع الحق بالحبِّ له، وتارةً مع الخلق بالرحمةِ عليهم والشفقةِ لهم؛ فاذا عادَ إلى الخلق كان كواحدٍ منهم، كأنّه لايعرف اللهَ وملكوتَه، و إذا خلا بربِّه مشتغلا بذكره وخدمته فكأنّه لايعرف الخلقَ.

فهذا سبيل المرسلين والصديقين، إذ لاشبهة في أنّ الجامع للطرفين أعلى في المرتبة من المحجوب عن أحدهما بالآخر، لضيق صدره وعدم انطلاق لسانه؛ فالنبيّ لابدّ أن يكون آخذا من الله، متعلّما من لدنه، معطيا لعباده، مُعلِّما وهاديا لهم؛ فيسأل ويجاب، ويُسأل ويجيب؛ ناظما للطرفين، واسطةً بين العالَمين؛ سمعا من جانبٍ، ولسانا من جانب؛ وهكذا حال سفراء الله إلى عباده وشفعائه يوم تناده.

فلقلب النبيّ بابان مفتوحان:

أحدُهما ـ وهو البابُ الداخلاني ـ إلى مطالعة اللوح والذكر الحكيم، فيعلّمه علما يقينيًّا لَدُنيًّا، من عجائب ماكان أو سيكون، وأحوال العالَم - في ما مضى وما سيقعِ - وأحوال القيامة والحشر والحساب، ومآل الخلق إلى الجنّة أو النار؛ و إنّما ينفتح هذا الباب لمن توجّه إلى عالم الغيب وأفرد ذكرَ الله على الدوام.

والثاني: إلى مطالعة ما في الحواسّ ليطّلع على سوانح مهمّات الخَلق ويهديهم إلى الخير، ويردعهم عن الشرّ؛ فيكون قد استكملتْ ذاتُه في كلتا القوّتين، آخذا بحظٍّ وافر من نصيب الوجود والكمال من الواهب سبحانه بحيث يسع الجانبين، ويوفي حقّ الطرفين.

فيكون بما أفاضه الله على قلبه وعقله المُفارق وليّا من أولياء الله وحكيما

---

١) ر: عن.

إلهيًا، وبما يفيض منه إلى قوّته المتخيّلة والمتصرّفة رسولا منذرا بما سيكون، ومخبرا بما كان وبما هو في الآن؛ وهذا أكمل مراتب الإنسانيّة وأول شرائط كون الإنسان رسولا من الله.

ثمّ مع ذلك أن يكون له قدرة بلسانه على جودة التعبير بالقول لكلّ ما يعلمه، وقدرة على حُسن الإرشاد والهداية إلى السعادة والأعمال التي يبلغ بها السعادة، وأن يكون له مع ذلك قوّة نفسانيّة للمناظرة في العلوم مع أهل الجدال، وقوّة بدنيّة للمباشرة في الحروب مع الأبطال، لإعلاء كلمة الله وهدم كلمة الكفر وطرد أولياء الطاغوت، فيكون ﴿ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [٨/٣٩] ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [٩/٣٣].

نور

[ما يجب للنبي من الصفات]

وأمّا تعديد الصفات التي لابدّ له أن يكون عليها، أعني لوازم الخصائص المذكورة، فعلى ماذكره أستاذنا - دام ظله -[١] هي اثنتاعشرة صفة مفطورة له:

إحداها أن يكون جيّد الفهم لكلِّ[٢] ما يسمعه و يقال له على مايقصده القائل، وعلى ماهو الأمر عليه - وكيف لا؟ وهو في غاية إشراق العقل ونوريّة النفس.

[٢] وأن يكون حفوظا لِما يفهمه ويحسّه، لايكاد ينساه - وكيف لا؟ ونفسُه متّصلة باللوح المحفوظ.

[٣] وأن يكون صحيح الفطرة والطبيعة، معتدل المزاج، تامَّ الخلقة، قويّ الآلات على الأعمال التي من شأنه أن يفعلها؛ وكيف لا؟ والكمالُ الأوفى يفيض[٣]: على المزاج الأتمِّ.

---

١) الشواهد الربوبية: المشهد الخامس، الشاهد الأول، الإشراق العاشر: ٣٥٧.
راجع أيضا آراء أهل المدينة الفاضلة: الفصل الثامن والعشرون: ١٢٧.

٢) ر: بكل. ٣) كذا. ولعل الصحيح: يفاض.

[٤] وأن يكون حَسَن العبارة، يواتيه لسانُه على إبانة كلِّ ما يُضمره - إبانةً تامّة - وكيف لا؟ وشأنُه التعليمُ والإرشادُ والهدايةُ إلى طريق الخير للعباد.

[٥] وأن يكون محبًّا للعلم والحكمة، لايؤلمه التأمّل في المعقولات، ولايؤذيه الكدُّ الذي يناله منها؛ وكيف لا؟ والملائمُ للشيء ملذٌّ إدراكه، لأنّه يتقوَّى به.

[٦] وأن يكون بالطبع غير شرهٍ على الشهوات، متجنِّبا عن اللعب، ومُبغِضا للّذات النفسانيَّة؛ وكيف لا؟ وهي حجابٌ عن عالم النور[١]، ووصلةٌ بعالم الغرور، فيكون ممقوتا عند أهل الله ومجاوري عالم القدس.

[٧] وأن يكون كبيرالنفس محبًّا للكرامة، تكبر نفسُه عن كلِّ ما يشينُ ويضعُ من الأمور، وتسمو نفسُه بالطبع إلى الأرفع منها، و يختار من كلِّ شيءٍ عقيلته، ويجتنب عن سفساف الأمور[٢]، ويكره خداجها[٣] وسقطها؛ اللهمَّ إلّا لرياضة النفس والاكتفاء بأيسر أُمور هذهالدار وأخفِّها، وذلك لأنَّ في الأشرف مزيد قرب من العناية الأُولى.

[٨] وأن يكون رءُوفا عطوفا على خَلق الله أجمع لايعتريه الغضب عند مشاهدة المنكَر، ولايعطِّلُ حدودَ الله من غير أن يهمَّه التجسُّس؛ وكيف لا؟ [وهو شاهد بسر الله في لوازم القدر.

[٩] وأن يكون شجاعَ القلب غير خائفٍ من الموت؛ وكيف لا؟][٤]: والآخرةُ خيرٌ له من الأُولى، فيكون قويَّ العزيمة على مايرى ينبغي أن يفعل، جسورا مِقداما عليه - لاضعيف النفس.

[١٠] وأن يكون جوادا، لأنّه عارفٌ بأنَّ خزائن رحمة الله لاتبيد ولاتنقص.

---

١) مل: عن النور.
٢) هامش مل: السفاسف: الرديء من كل شيء والأمر الحقير - ق.
٣) الخِداج: الناقص.
٤) إضافة من علم اليقين ساقط من النسختين.

[١١] وأن يكون أهشَّ[1] خلق الله إذا خلا بربّه ، لأنّه عارفٌ بالحقِّ وهو أجلُّ الموجودات بهجة وبهاء .

[١٢] وأن يكون غير جموحٍ ولا لجوج ، سلس القياد إذا دُعي إلى العدل ، صعبَ القياد إذا دُعي إلى الجوْر والقبيح .

والمفطورعلى هذه الصفات لايكون إلّا الآحاد كما قيل :

« جلّ جنابُ الحقِّ أن يكون شريعة لكلِّ واردٍ أو يطّلع عليه إلّا واحد بعد واحدٍ »[2] .

نور

[صفات الإمام وبيان عصمته]

وأمّا خليفة النبيّ ووصيّه - الذي هو إمام الأمّة - فيجب أن يكون أفضل الأُمّة ، و أقربهم إلى الله - سبحانه - وأن تجتمع فيه خصال الخير المفرّقة في غيره ؛ مثلُ العلمِ بكتاب الله وسنّة رسوله ، والفقْهِ في دين الله ، والجهاد في سبيل الله ، والرغبة فيما عند الله ، والزهد فيما بيَد خلْق الله ، إلى غير ذلك من الخيرات .

وأن يكون معصوما من الزيغ والزلل والخطإ في القول والعمل ، منزّها عن أن يحكم بالهوى أو يميل إلى الدنيا ، وعن كلّ ما يدنّسه ويشينه - من الغِلظة ، والفَظاظة ، والحسَد ، والبخلِ ، ودَناءة الآباء ، وعهْر الأُمّهات ، والأُنوثة ، والخُنوثة - وما شاكَلَ ذلك - ومن الذنوب والآثام - صغيرها وكبيرها ، عمدا وسهوا ، لئلاّ تتنفّر عنه الطبايعُ ، بل تطيعه طوعا ورغبة .

وروى الشيخُ الصدوق في معاني الأخبار[3] ، بإسناده عن محمد بن أبي عمير قال : ما سمعتُ وما استفدتُ من هشام بن الحكم في طول صحبتي له

---

١) هامش ر : الهشاشة والهشاش : الارتياح والخفة والنشاط.
٢) ابن سينا في الإشارات والتنبيهات : النمط التاسع : ٣/٣٩٤.
٣) معاني الأخبار : باب معنى عصمة الإمام، ١٣٣ ، ح٣.

شيئا أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام. فإنّي سألتُ يوما عن الإمام: «أهو معصوم»؟ فقال: «نَعم».

قلت: «فما صفةُ العصمةِ فيه، وبأيّ شيءٍ يُعرف»؟

فقال: «إنَّ جميعَ الذنوب لها أربعةُ أوجه - و لا خامس لها -: الحرصُ والحسدُ والغضبُ والشهوةُ؛ فهذه منفيّةٌ عنه:

لايجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا؛ وهي تحت خاتَمه، لأنّه خازنُ المسلمين - فعلى ما ذا يحرص؟

ولايجوز أن يكون حسودا، لأنَّ الإنسان إنَّما يحسدُ مَن فوقه - وليس فوقَه أحدٌ - فكيف يحسدُ من هو دونه؟

ولايجوز أن يغضب لشيء من أمورالدنيا، إلّا بأن يكون غضُبه لله تعالى؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد فرضَ عليه إقامةَ الحدود، وأن لايأخذه في الله لومةُ لائمٍ ولا رأفةٌ في دينِه، حتّى يُقيمَ حدودَ الله - عزَّ وجلَّ -.

ولايجوز أن يتّبع الشهواتِ، ويؤثر الدنيا على الآخرة، لأنَّ الله - عزَّ وجلَّ - حبَّب إليه الآخرةَ - كما حبَّب إليه الدنيا - فهو ينظر إلى الآخرة كما ينظر إلى الدنيا؛ فهل رأيتَ أحدا يؤخِّر وجها حسنا لوجهٍ قبيح؟ وطعاما طيّبا لطعامٍ مُرٍّ؟ وثوبا ليّنا لثوبٍ خشنٍ؟ ونعمةً دائمةً باقيةً لدنيا زائلةٍ فانيةٍ؟».

وبإسناده[1] عن مولانا الكاظم، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه السجّاد عليه السلام قال:

«الإمام منّا لايكون إلّا معصوما؛ وليست العصمة في ظاهر الخَلْق فيُعرف بها، ولذلك لايكون إلّا منصوصا».

فقيل له: «يابن رسول الله، فما معنى المعصوم»؟

فقال: «هو المعتصمُ بحبلِ الله، وحبلُ الله هوالقرآن؛ لايفترقان إلى يوم

---

١) معاني الأخبار: باب معنى عصمة الإمام، ١٣٢، ح١. عنه البحار: ٢٥/١٩٤، ح٥.

القيامة ؛ والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام ؛ وذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [٩/١٧].

وبالجملة، كلُّ ماشترط في النبيّ من الصفات فهو شرطٌ في الإمام، ماخلا النبوّة.

قال مولانا الصادق عليه السلام[1] : «كلُّ ماكان لرسول الله صلى الله عليه وآله فلنا مثلُه إلاّ النبوّة والأزواج».

وذلك لما دريت أنّ الغرضَ الأصلي من بعثة الأنبياء
والرُسل تقويةُ الجنبة العالية، واستخدام الغيب
للشهادة ؛ لا لمجرَّد السياسة الحافظة
للاجتماع الضروري.

١) حكاه المجلسي - قده - في البحار (٣١٧/٢٦، ح٨٣) نقلا عن كتاب تفضيل الأئمة على الأنبياء للحسن بن سليمان.

في تفاضل الأنبياء والأولياء والأوصياء عليهم السلام

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ ٱللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾

[٢/٢٥٣]

نور

[عدد الأنبياء والرسل وأولي العزم منهم]

اعلم أنّ الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام من زمن آدم - على نبيّنا وعليه السلام - إلى الخاتم - صلوات الله عليه وعليهم - على طبقاتهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبيّا. منهم من جمع إلى النبوّة الرسالةَ والإمامةَ.

وأُولوا العزم منهم خمسة - وهم الذين جاءوا بكتاب وشريعة ناسخة لمن قبله[1] - وهم نوح، و إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد - صلوات الله عليهم -.

و الأكابر الأشراف منهم الذين ذكرهم اللهُ - عزّ وجلّ - في كتابه في مواضع:

منها: قوله - عزّ وجلّ -: ﴿ إِنَّا أَوحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمٰعِيل ﴾- إلى قوله سبحانه :- ﴿ وَ كَانَ ٱللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [٤/١٦٣-١٦٥].

---

١) هامش ر: وقيل: أولو العزم هم الذين يبلغون رسالات ربهم ويلزمون من أرسل اليهم بالإيمان، فإن أبوا قاتلوهم - منه.

ومنها : قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾- إلى قوله تعالى :-﴿ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰ ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهِ ﴾ [٦/٨٣-٨٩].

* * *

ولكلٍّ منهم آياتٌ ومعجزاتٌ تدلُّ على صِدقه وحقيَّتِه، تناسبه وتناسب أهل زمانه، فمن الناس مَن آمَن به، ومنهم مَن صَدَّ عنه كما ذَكَرالله - عزَّ وجلَّ- تفصيل قصصهم في كتابه.

ونبيّنا ﷺ أفضلهم وأشرفهم وخاتمهم وأكرمهم على الله، كما قال[1] : «أنا سيّد ولد آدم - ولافخر».

وقال[2] : «أنا أكرم ولد آدم على الله وخاتم النبيّين».

[إتصال الوحي]

وروي في إكمال الدين[3] ، بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام - قال :-

قال رسول الله ﷺ : «أنا سيّد النبيّين، و وصيّي سيّد الوصيّين، وأوصياؤه سادةُ الأوصياء؛ إنَّ آدم عليه السلام سأل اللهَ - عزَّ وجلَّ - أن يجعلَ له وصيّا صالحا، فأوحى الله - عزَّ وجلَّ - إليه : إنّي أكرمتُ الأنبياءَ بالنبوَّة، ثمَّ اخترتُ خلقي، وجعلتُ خيارَهم الأوصياء.

فقال آدم عليه السلام : ياربِّ فاجعلْ وصيّي خير الأوصياء؛ فأوحى اللهُ

---

١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: باب فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة، ٣٥/٢، ح٧٨، عنه البحار: ٣٢٥/١٦، ح٢١. أمالي الصدوق: ٢٥٤، المجلس ٣٥، ح١. عنه البحار: ٢٩٤/٩، ح٥. وعن العياشي: ٤٨/٨، ح٥١.

المسند: ٢٨١/١. المستدرك للحاكم: ٦٠٤/٢-٦٠٥. كنزالعمال: ٤٣٤/١١، و٧٥٦، ح٣٢٠٤٠ و٣٣٦٨٢.

٢) سنن الدارمي (٢٧/١): «... أنا أكرم ولد آدم على ربي».

٣) كمال الدين: باب (٢٢) اتصال الوصية...، ٢١١-٢١٣، ح١. الفقيه: كتاب الوصية، باب الوصية من لدن آدم عليه السلام، ١٧٥/٤-١٧٧، ح٥٤٠٢. أمالي الصدوق: المجلس الثالث والستون، ح٣، ٤٨٦-٤٨٨. عنه البحار: ١٤٨/١٧، ح٤٣.

عزَّ وجلَّ إليه : ياآدم ، أوصِ إلى شيث - وهو هبةُ الله بن آدم[1] - .

فأوصى إلى شيث ، وأوصى شيثُ إلى ابنه شبَّان - وهو ابن له من الحوراء التي أنزلها الله - عزَّ وجلَّ - على آدم من الجنَّة ، فزوَّجها شيث - وأوصى شبَّان إلى ابنه مجليث[2] و أوصى مجليث إلى محوق ، وأوصى محوق إلى عثميشا[3] وأوصى عثميشا إلى أُخنوخ - وهو إدريس النبيّ صلى الله عليه - وأوصى إدريس إلى ناحور .

ودفعها ناحورُ إلى نوح ﷺ ، وأوصى نوح إلى سام ، وأوصى سام إلى عثامر ، وأوصى عثامر إلى برعيثاشا ، وأوصى برعيثاشا إلى يافث ، وأوصى يافث إلى برّه ، وأوصى برّه إلى حسفية[4] وأوصى حسفية إلى عمران .

ودفعها عمرانُ إلى إبراهيم الخليل ﷺ ، وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل ، وأوصى إسماعيلُ إلى إسحاق ، وأوصى إسحاق إلى يعقوب ، وأوصى يعقوب إلى يوسف ، وأوصى يوسفُ إلى بثريا ، وأوصى بثريا إلى شعيب .

وأوصى شعيب إلى موسى بن عمران ﷺ وأوصى موسى إلى يوشع بن نون ، وأوصى يوشع بن نون إلى داود ، وأوصى داود إلى سليمان ، و أوصى سليمان إلى آصف بن برخيا ، و أوصى آصف إلى زكريّا .

ودفعها زكريّا إلى عيسى ﷺ ، وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا ، وأوصى شمعون إلى يحيي بن زكريّا ، وأوصى يحيي بن زكريّا إلى منذر ، وأوصى منذر إلى سليمة ، وأوصى سليمة إلى بردة » .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : « ودفعها إليّ بردةُ ، وأنا أدفعها إليك

---

١) مل : هبة الله من آدم.

٢) كذا هنا وفيما يليه والياء مهملة. كمال الدين والأمالي : مجلث. الفقيه : محلث.

٣) كمال الدين ، نسخة في الأمالي : غثميشا.

٤) كمال الدين : جفيسة. الفقيه ، الأمالي ، نسخة في كمال الدين : جفسية.

ياعليّ ، وأنت تدفعُها إلى وصيّك ، ويدفعها وصيُّك إلى أوصيائك من وُلدك ، واحد بعد واحد ، حتّى تدفعَ إلى خير أهل الأرض بعدك ؛ ولتكفرنَّ بك الأُمّة ، ولتختلفنَّ عليك اختلافا شديدا ؛ الثابت عليك كالمقيم معي ، والشاذُّ عنك في النار ، والنار مثوى للكافرين » .

أنوارٌ شرعيّةٌ

[الأئمة الاثناعشر]

روي في بصائرالدرجات[1] بإسناده إلى مولانا الباقر عليه السلام - قال : - قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« إنَّ أوّل وصيّ كان على وجه الأرض هبةُ الله بن آدم ، وما من نبيّ مضى إلّا وله وصيٌّ . وكان جميعُ الأنبياء مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألفَ نبيّ . منهم خمسة أولوالعزم : نوح ، و إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد - صلوات الله عليهم - و إنَّ علي بن أبي طالب كان هبةُ الله لمحمّد ، ورث علمَ الأوصياء وعلمَ مَن كان قبله ...» - الحديث - .

وروى السيّد الجليل الحسن بن أبي كبش[2] بإسناده عن سلمان الفارسي

---

١) بصائر الدرجات : الجزء الثالث ، نادر من الباب الثالث ، ١٢١ ، ح١.
عنه البحار : ٦/٣٨ ، ح١٢ . ٦/٢٧ ، ح١٣ . ٤١/١١ ، ح١.

٢) لم أعثر على ترجمته. و الأظهر أن المؤلف رواه حكاية عن كتاب المختصر لحسن بن سليمان الحلي ، كما حكى عنه المجلسي - قده - في البحار (٦/٢٥ ، ح٩) : «كتاب المختصر... مارواه من كتاب السيد حسن بن كبش (كذا) ، مما أخذه من كتاب المقتضب ووجدته في المقتضب أيضا...» راجع أيضا ما أورده في ٩/١٥ من البحار. والرواية موجودة في كتاب «مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثناعشر» لأحمد بن محمّد بن عبيد الله بن عيّاش الجوهري (ص ٦) مع اختلافات في الألفاظ : «حدثنا أبو علي أحمد بن محمّد بن جعفر الصولي البصري ، قال حدثنا عبدالرحمن بن صالح بن رعيدة ، قال حدثني الحسين بن حميد بن الربيع ، قال حدثنا الأعمش ، عن محمّد بن خلف الطاطري ، عن زاذان ، عن سلمان...». ورواه (باختلافات يسيرة) الطبري في دلائل الإمامة : معرفة وجوب القائم ، ٤٤٧- ٤٥٠ ، ح٢٨. والحضيني في الهداية الكبرى : الباب الرابع عشر : ٣٧٥.

رضي الله عنه، قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ فلمّا نظرَ إليّ قال: «يا سلمان إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث نبيًّا ولا رسولاً إلّا جعل له اثناعشر نقيبا».

- قال: - قلت: «يارسول الله، قد عرفت هذا من الكتابين».

قال: «ياسلمان، فهل علمتَ نقبائي الاثناعشر، الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟». فقلت: «الله ورسولُه أعلم».

قال: «ياسلمان، خلقني الله من صفاء نوره، فدعاني فأطعتُه؛ وخلقَ من نوري عليّا، فدعاه إلى طاعته فأطاعه؛ وخلق من نوري ونور عليّ فاطمةَ، فدعاها فأطاعته؛ وخلق منّي ومن عليّ ومن فاطمة: الحسنَ والحسينَ، فدعاهما فأطاعاه؛ فسمّانا الله - عزَّ وجلَّ - بخمسة أسماء من أسمائه: فالله المحمود، وأنا محمّد؛ والله العليُّ، وهذا عَليٌّ؛ والله فاطر، وهذه فاطمة؛ والله الإحسان، وهذا حسن؛ والله المحسن، وهذا الحسين. ثمّ خلق من نورالحسين تسعة أئمّة، فدعاهم فاطاعوا قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة، أو أرضا مدحيّة، أو هواء أوماء، أو ملَكا أو بشَرا؛ وكنّا نعلمه [1] أنوارا نسبّحه ونسمع له ونطيعه».

- فقال سلمان -: قلت: «يارسول الله، بأبي أنت وأمّي، ما لمَن عرف هؤلاء»؟

فقال: «ياسلمان، من عرفهم حقَّ معرفتهم واقتدى بهم فوالىٰ وليّهم وتبرّأ من عدوّهم؛ فهو والله منّا، يَرِدُ حيثُ نرِد ويسكن حيثُ نسكن».

قلت: «يارسول الله، يكون إيمانٌ بهم بغير معرفتهم بأسمائهم وأنسابهم»؟

فقال: «لا، ياسلمان». فقلت: «يارسول الله، فأنّى لي بهم»؟

قال: «قد عرفتَ إلى الحسين؛ ثمّ سيّد العابدين عليّ بن الحسين، ثمّ ابنه محمّد بن عليّ باقر علم الأوّلين والآخرين من النبيّين والمرسَلين، ثم ابنه جعفربن محمّد لسان الله الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبرا في الله، ثم

---

١) كذا. وفي المصادر: بعلمه.

عليٍّ بن موسى الرضا لأمرالله ، ثمَّ محمَّد بن عليّ الجواد المختار من خَلق الله ، ثم عليّ بن محمَّد الهادي إلى الله ، ثم الحسن بن عليّ الضامن الأمين العسكري ، ثم ابنه محمَّد بن الحسن المهدي الناطق القائم بحقّ الله » .

قال سلمان : فسكتُّ ، ثمَّ قلت : « يارسول الله ، أُدع لي بإدراكهم » .

قال : « ياسلمان ، إنَّك مدرِكُهم[1] وأمثالك ومن تولاهم بحقيقة المعرفة » .

قال سلمان : فشكرت الله كثيرا ، ثمَّ قلت : « يارسول الله ، مؤجَّل إلى عهدهم » ؟ .

فقال : « ياسلمان اقرء : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَ كَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [١٧/٦٥] » .

قال سلمان : فاشتدَّ بكائي وشوقي وقلت : « يارسول الله ، بعهدٍ منك » ؟

فقال : « إي والذي أرسل محمَّدا - إنَّه لعهدٌ منّي ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمَّة ، وكلُّ مَن هو منَّا ومظلوم فينا ؛ إي والله يا سلمان - ثم لتحضرنَّ إبليس وجنوده وكلّ من محَض الإيمان محضا ومحَض الكفرَ محضا ، حتَّى يؤخَذ بالقصاص والأوتار والتُّراث ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [١٨/٤٩] .
ونحن نأول هذه الآية : ﴿ وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [٢٨/٦٥] » .

قال سلمان : « فقمتُ من بين يدي رسول الله ﷺ - ومايبالي سلمانُ متى لقى الموتَ ، أو لقيه » .

* * *

وروى الصدوق في إكمال الدين[2] بإسناده إلى جابربن يزيد الجعفي قال :

---

١) مل : تدركهم.

٢) كمال الدين : باب نصّ الله عزَّ وجلَّ على القائم عليه السلام، ٢٥٣ ، ح٣. كفاية الأثر : باب ماجاء عن جابر بن عبد الله...، ٥٣. البحار : ٢٥٠/٣٦ ، ح٦٧. راجع أيضا ٢٨٩/٢٣ ، ح١٦.

سمعت جابر بن عبدالله الأنصاري يقول: «لمّا أنزل اللهُ - عزَّ وجلَّ - على نبيّه محمّد ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَ أَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَ أُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [٤/٥٩]، قلت: «يارسول الله - عَرَفنا اللهَ وَ رَسولَه ، فَمَن أولي الأمر الذين قَرَن اللهُ طاعتَهم بطاعتِك» ؟

فقال ﷺ: «هم خلفائي - ياجابر - وأئمّة المسلمين من بعدي ؛ أوّلهم عليُّ بن أبي طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم عليّ بن الحسين ، ثم محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر - وستدركه ياجابر ، فإذا لقيتَه فاقرأه منّي السلام - ثم الصادق جعفر بن محمّد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم عليّ بن موسى ، ثم محمّد بن عليّ ، ثم عليُّ بن محمّد ، ثم الحسن بن عليّ ، ثم سَميّي وكَنيّي حجّةُ الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ ، ذاك الذي يفتح اللهُ - تعالى ذكره - على يديه مشارقَ الأرض ومغاربَها ، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبةً لايثبت فيها على القول بإمامته إلّا مَن امتحن اللهُ قلبَه للإيمان».

- قال جابر: - فقلت له: «يارسول الله - فهل ينتفع الشيعةُ به في غيبته» ؟

فقال ﷺ: «إي - والذي بعثني بالنبوّة - يستضيؤن بنوره ، وينتفعون بولايته في غيبته ، كانتفاع الناس بالشمس و إن تجلّلها سحاب . - ياجابر - هذا من مكنون سرِّ الله ومخزون علم الله ؛ فاكتُمه إلّا عن أهله».

وبإسناده[1] عن مولانا الصادق ؑ عن أبيه ، عن أميرالمؤمنين ؑ ، قال: - قال رسول الله ﷺ: «الأئمة[2] اثناعشر من أهل بيتي ، أعطاهم الله[3]

---

١) كمال الدين: الباب السابق، ٢٨١ ، ح٣٣. عيون الأخبار: الباب السابق، ١/٦٤، ح٣٢. الاختصاص: ٢٠٨. عنها البحار: ٣٦/٢٤٣ ، ح٥٢.

٢) كذا في كمال الدين. وأما في غيره (العيون والاختصاص والمنقول عنه في البحار) لايوجد هذه الكلمة وشروع الحديث: «اثناعشر من أهل بيتي...».

٣) الاختصاص: من أعطاهم الله.

فهمي وعلمي وحكمتي[١] ، وخلَقهم من طينتي ؛ فويلٌ للمتكبِّرين عليهم بعدي ، القاطعين فيهم صِلتي ؛ ما لهم ، لا أنالهم الله شفاعتي » .

و رواه العامّة بأسانيد وألفاظ متعددة[٢] .

وعن العباس بن عبد المطلب[٣] أنَّ النبي ﷺ قال له : « يا عمّ - يملك من ولدي اثناعشر خليفة ، ثم يكون أمورٌ كريهة وشدائد عظيمة ؛ ثمّ يخرج المهدي من ولدي يصلح الله أمره في ليلة ، فيملأ الأرض قسطا وعدلاً ، كما مُلئت جورا ، ويمكث في الأرض ماشاء الله ، ثم يخرج الدجّال » .

وقد استفاض أمثال هذه الأخبار في كتب العامّة[٤] . وأمّا عندنا فقد بلغ حدَّ التواتر بنصوص واضحة جليّة مفصّلة لاشكَّ فيها[٥] ، وقد نصَّ كلٌّ منهم - صلوات الله عليهم - على لاحِقه ، وأخبر أصحابَه بإمامته واسمه وصفته ، وقد ثبت طهارتُهم وصِدقُهم جميعا عند معتبري أهل الإسلام كافّة .

وأمّا ولايتهم وحجيّتهم وشرفُهم وفضلهم وعصمتهم فعلومةٌ من التتبُّع لآثارهم ومعارفهم بحيث لايبقى للشكّ مجال .

قال شيخنا الصدوق - رحمه الله - في إكمال الدين[٦] :

« ومن أوضح الأدلّة على الإمامة أنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل آية النبيِّ ﷺ

---

١) مل : وحكمي.

٢) أحاديث أن الأئمة اثناعشر سيذكر في الفصل الآتي من طرق العامة. وأما ماجاء في ذيل الحديث (أعطاهم الله فهمي...) فقد جاء مايقرب منه في حلية الأولياء : آخر ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام : ٨٦/١. تاريخ دمشق، ترجمة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام : ٩٥/٢ الحديث ٥٩٦. كنز العمال : ١٠٣/١٢ ، ح٣٤١٩٨.

٣) عن الكتاب المذكور.

٤) راجع الأحاديث وتخريجاتها في ملحقات الإحقاق : ١/١٣ - ٧٤. معجم أحاديث المهدي عليه السلام : ج١.

٥) راجع البحار : أبواب النصوص على أميرالمؤمنين والنصوص على الأئمة الاثناعشر عليهم السلام : ٣٦/ ١٩٢- ٤١٨. عوالم العلوم : الجزء الثالث من المجلد الخامس عشر٣٣-٣١٣. وغيرهما.

٦) كمال الدين : مقدمة المؤلف، أجوبة النوبختي عن المخالفين : ٩١.

أنّه أتى بقصص الأنبياء الماضين عليهم السلام وبكلّ علم توراة و إنجيل وزبور، من غير أن يكون يعلم الكتابةَ ظاهرا، أو لَقِي نصرانيّا أو يهوديّا، فكان ذلك أعظم آياته.

وقُتل الحسين بن عليّ عليهما السلام وخلّف علي بنِ الحسين عليهما السلام متقارب السنّ - كانت سِنُّه أقلّ مَن عشرين سنة - ثم انقبض عن الناس فلم يلقَ أحدا ولا كان يلقاه إلاّ خواصّ أصحابه، وكان في نهاية العبادة ولم يخرج عنه من العلم إلاّ يسيرا لصعوبة الزمان وجور بني أُميَّة -.

ثمّ ظهر ابنُه محمَّد بن عليّ المسمَّى بالباقر عليه السلام لفَتْقه العلمَ، فأتى من علوم الدين والكتاب والسُّنَّة والسِيَر والمغازي بأمر عظيم.

وأتى جعفربن محمَّد عليهما السلام من بعده من ذلك بما كثر وظهر، فلم يبق فنٌّ من فنون العلم إلاّ أتى فيه بأشياء كثيرة، وفسَّر القرآنَ والسننَ، ورُويت عنه المغازي وأخبارالأنبياء من غير أن يُرى هو وأبوه - محمَّد بن عليّ أوعليُّ بن الحسين عليهما السلام عند أحد من رواة حديث العامَّة وفقهائهم يتعلّمون منهم شيئا، وفي ذلك أدلُّ دليل على أنّهم أخذوا ذلك العلم عن النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ عن عليّ عليه السلام، ثمّ عن واحد واحد من الأئمّة عليهم السلام.

وكذلك جماعةُ الأئمّة عليهم السلام هذه سنّتُهم في العلم؛ يُسألون عن الحلال والحرام فيُجيبون جوابات متّفقة، من غير أن يتعلّموا ذلك من أحد من الناس.

فأيُّ دليل أدلُّ من هذا على إمامتهم، وأنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله نصَبهم وعلَّمهم وأودعهم علمَه وعلومَ الأنبياء عليهم السلام قبله؛ وهل رأينا في العادات من ظهر عنه مثلُ ماظهر عن محمَّد بن علي وجعفر بن محمَّدٍ عليهما السلام من غير أن يتعلّموا ذلك من أحد من الناس»؟ - انتهى كلامه -.

* * * *

وأمّا النصوصُ الواردةُ في فضائلهم ومناقبهم، فأكثر من أن تُحصى وأشهر

من أن تخفى[1] ، سيّما مولانا أميرالمؤمنين وإمام المتّقين عليه وعليهم السلام ، فقد روى الصدوق[2] بإسناده عن ابن عبّاس -قال :- قال رسول الله ﷺ : « لو أنَّ الرياض أقلامٌ والبحر مداد والجنَّ حُسَّابٌ ، والإنس كُتّابٌ ما أحصَوا فضائلَ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام » .

تنبيهٌ نوريٌّ

[الشرائع الست وأوصياء كلّ نبيّ]

قال بعضُ أهل التحقيق :[3] « اعلم أنَّ أصحاب الشريعة من لدن آدم إلى محمد ﷺ ستَّةٌ ، كلٌّ واحد منهم جاء بشريعة واحدة مدَّةً ، فالأولة فاتحه والآخرة خاتمه ، وما بينهما ينسخ الأُولى الأخيرَ ليعود الخاتمةُ فاتحةً ، والفاتحةُ خاتمةً ، و إلى ذلك أشارالنبيُّ ﷺ باستدارة الزمان وهو قوله[4] : « قد استدار الزمانُ كهيأته يوم خلق الله فيه السماوات والأرض » .

فالستَّة : آدم ، نوح ، إبراهيم ، موسى ، عيسى ، محمَّد - صلوات الله عليهم أجمعين .

و إنَّه لكلِّ واحد منهم من الأوصياء المتواصلين به في الأزمنة المتباعدة

---

١) في هامش ر :

كتاب فضل تورا آب بحر كافى نيست   كه تر كنى سر انگشت وصفحه بشمارى

٢) أمالي الصدوق : المجلس الثاني والثمانون ، ح١٥ ، ٦٥٢ ، مع فروق في اللفظ.

كنز الفوائد : ١٢٨-١٢٩. البحار : ١٩٧/٣٨ . ٧٠/٤٠ ، ح١٠٥ . مناقب الخوارزمي : ٢ و٢٣٥ . وفيه : «لو أن الغياض أقلام...». عنه كشف الغمة بلفظ المؤلف : ١١٢/١ . البحار : ٤٩/٤٠ و٧٤ و٧٥.

٣) لم أعثر على القائل ، غير أن السيد حيدر الآملي أيضا أورده في كتابه جامع الأسرار (٢٤٠-٢٤١) حاكيا عن بعض الفضلاء - على حد تعبيره - ولعل المؤلف أيضا حكى عنه ، ويوجد بينهما اختلافات في ضبط الأسامي لم نتعرض لها.

٤) لفظ الحديث : «إنَّ الزمان قداستدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض...».

البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء في سبع أرضين ، ١٣٠/٤ . كتاب التفسير ، سورة براءة ، ٨٣/٦ . مسلم : كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء... ، ١٣٠٥/٣ ، ح٢٩ . أبو داود : كتاب المناسك ، باب الأشهر الحُرم : ١٩٥/٢ ، ح١٩٤٧ . المسند : ٣٧/٥ و ٧٣ .

والمتقاربة إثنا عشر وصيّا ؛ يحفظون كلمتَه ويُقيمون شريعتَه، مادام التكليف باقيا ؛ والوصيُّ هوالحجَّة بعد ذلك النبيّ، والإمامُ الناطق بتأويل الكتاب الصامت، يحفظ الشريعةَ، ويقيم الحدودَ، ويسدُّ الثغورَ، ويقصِّر يدَ الظالم عن المظلوم.

فالشريعةُ الفاتحة لآدم ، وأوصياؤها اثناعشر وصيّا ؛ وهم : شيث، هابيل، قينال، ميسم، شيسم، قادس، قيدق، ايمنح[1] ، إينوخ، إدريس، دينوخ، ناخور.

الشريعةُ الثانية لنوح ، وأُوصياؤها اثناعشر وصيّا، وهم : سام، يافث، ارشخ، فرشخ، فاتو، شالخ، هود، صالح، ديمنح، معدل، دريحا، هجان.

الشريعةُ الثالثةُ لإبراهيم ، وأوصياؤها اثناعشر وصيّا، وهم : إسماعيل و إسحاق ويعقوب، يوسف، إيلون، إيتم، أيُّوب، زينون، دانيال الأكبر، إينوخ، اناخا، ميدخ.

الشريعةُ الرابعة لموسى ، وأوصياؤها اثناعشر وصيّا، وهم : يوشع، عروف، فيدوف، عزير، اريسا، داود، سليمان، آصف، اتواخ، منيقا، ارون، واعث.

الشريعةُ الخامسة لعيسى ، وأوصياؤها اثناعشر وصيّا، وهم : شمعون، عروف، فيدق، عبير، زكريّا، يحيي، اهدى، مشحا، طالوت، قسّ، استين، بحيرا الراهب.

الشريعةُ السادسة لمحمّد ، وأوصياؤها اثناعشر وصيّا، وهم : أميرالمومنين عليّ، الحسن الزكيُّ، الحسين الشهيد، عليٌّ زين العابدين، محمّد الباقر، جعفرالصادق، موسى الكاظم، عليّ بن موسى الرضا، محمد التقيُّ، عليٌّ النقيُّ، الحسن العسكريُّ، المهدي القائم، وبه ختمت الأوصياء، وعددهم : اثنان وسبعون وصيّا لستَّة أنبياء مرسلين.

---

١) مل : ايميخ.

فإن حصل بين الوصيّ المتَّصل بالنبيّ المتّصل بالله فترةٌ من الزمان إلى وصيّ آخر، حفظ تلك الوصيَّة الرجال المؤمنون بشريعة ذلك النبي عليه السلام و إيمانُ ذلك الوصيّ؛ ولايزالون ينقلونها سرّا إلى أن يظهرها الله جهرا؛ لقول النبيّ صلى الله عليه وآله[1] : «ولو لم يبق من الدنيا إلّا يومٌ واحدٌ، لطوَّل اللهُ - تعالى - ذلك اليوم، ليُخرج رجلاً من ولدى اسمُه اسمي، وكنيتُه كنيتي، يملأ الأرضَ قسطا وعدلا، كما مُلئَت جورا وظلما» - انتهى كلامه -.

وفى كتاب إكمال الدين و إتمام النعمة[2] : «إنّ الرسل الذين تقدموا قبل عصر نبيّنا صلى الله عليه وآله كان أُوصياؤهم أنبياء، فكلُّ وصيّ قام بوصيَّة حجة تقدّمه -من وفات آدم عليه السلام إلى عصر نبيّنا صلى الله عليه وآله- كان نبيًّا... وأوصياء نبيّنا صلى الله عليه وآله لميكونوا أنبياء، لأنَّ الله - عزَّ وجلَّ - جعل محمَّدا خاتما لهذا الاسم كرامة له وتفضيلاً».

تنبيهٌ نوريٌّ

[تكذيب المخالفين لنبوة النبي أو إمامة الإمام لايقدح في أمرهما]

«وأنت تعلم أنّه لايقدح في إمامة أئمّتنا صلوات الله عليهم كونهم عليهم السلام مُنعوا من الخلافة، وعُزلوا عن المنصب الذي اختارهم الله له، واستُبِدَّ به دونهم، إذ لم يقدح في نبوّة الأنبياء تكذيبُ من كذَّبهم، ولا وقعَ الشكُّ فيهم لانحراف مَن انحرف عنهم، و لاشوَّه وجوهَ محاسنهم تقبيحُ مَن قَبّحها، ولانقّص شرفَهم خلافُ من عاندهم ونصب لهم العداوةَ، وجاهرهم بالعصيان. و قد قال أميرالمؤمنين عليه السلام[3] : «وما على المؤمن من غضاضة في دينه أن يكون مظلوما، مالم يكن شاكّا في دينه، ولامرتابا بيقينه».

والعلّة في ذلك ما شاع وذاع بين أفراد البشر من الحسد لذوي الفضل؛

---

١) الحديث مروية بطرق مختلفة ومع اختلافات لفظية في مصادر الحديث من العامة والخاصة، راجع معجم أحاديث المهدي : ١٥٧/١، ح٨٥.

٢) مقدمة المصنف: ٢٦.

٣) نهج البلاغة: الكتاب ٢٨. بلفظ: «وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما...»

فما من نبيّ ولا وليّ إلّا وقد كان في عصره جماعة من الناس يحسدونه ويؤذونه، ويحولون بينه وبين ماأراد من الهداية والإرشاد، ويثنون أعطاف الناس عنه؛ هكذا جرت سنّةُ الله. قال الله سبحانه: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [٣/١٨٤]. وقال: ﴿ كُلَّ مَا جَاءَأُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾(١) [٢٣/٤٤] - إلى غير ذلك ممّا في معناه.

ولقد كان حول نبيّنا ﷺ جماعة من المنافقين مَرَدوا على النفاق، و إنّما أسلموا له خوفا من سيفه وطمعا في الرئاسة والسلطنة بعده ﷺ، وكانوا يؤذونه في حياته، ثمّ غصبوا حقّ أهل بيته بعد وفاته، و كلّما كان رسول الله ﷺ زاد في تشريف أميرالمؤمنين عليه السلام و إكرامه و إظهار فضيلته واستحقاقه لمنصب الخلافة والإمامة بعده - بوحي من الله عزّو جلّ وأمرٍ منه - ازدادوا لهما عليهما السلام بُغضا، ولله عداوة، وزاد في قلوبهم مرضا ونفاقا، و قال الله عزّ وجلّ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ ٱللهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَو نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ [٤٧/٢٩-٣٠].

[نصب النبيّ ﷺ عليّا عليه السلام للخلافة وماكان من المؤامرات بعد ذلك]

وعن مولانا الصادق عليه السلام - قال- :(٢) «لمّا أقام رسول الله ﷺ أميرالمؤمنين عليّا يوم غدير خمّ، كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين؛ منهم فلان وفلان وعبدالرحمان بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وأبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة؛ قال الثاني: «أما ترون عينيه كأنّها عينا مجنون - يعني النبي ﷺ - الساعة يقوم ويقول: قال ربّي». فلمّا قام «قال: أيّها الناس، من أولى بكم من أنفسكم»؟ قالوا: «الله ورسوله». قال: «اللهمّ فاشهد؟». -ثم قال :- «ألا من كنتُ مولاه فعليّ(٣) مولاه». وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين.

فأنزل الله جبرئيل عليه السلام وأعلم رسول الله ﷺ بمقالة القوم، فدعاهم

---

١) في النسخة: كلما جاءهم رسول كذبوه (التصحيح من القرآن الكريم).

٢) تفسير القمي: ١/٣٢٩، تفسير الآية التوبة/٧٤.

٣) مل: علي.

وسألهم، فأنكروا وحلفوا. فأنزل الله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ [٧٤/٩].

وفي رواية أُخرى[1] أنّها نزلت في تحالفهم في الكعبة أن لايردّوا هذا الأمر في بني هاشم، فهي كلمة الكفر. ثمّ قعدوا لرسول الله ﷺ في العقبة وهمّوا بقتله بتنفير دابّته، وهو قوله: ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ لأنّ الله عصمه من كيدهم وأفضحهم».

وروى مسلم من العامّة في الصحيح[2] عن أبي الطفيل، قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض مايكون بين الناس، فقال: «أنشدك الله، كم كان أصحاب العقبة»؟ - قال:- فقال له القوم: «أخبره إذ سألك». قال: «كنّا نخبَر أنّهم أربعة عشرٍ فإن كنت منهم لقد كان القوم خمسة عشر؛ وأشهد بالله أنّ إثنا عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

وروى الحُميدي منهم في الجمع بين الصحيحين[3] وفي الحديث الأوّل من أفراد مسلم[4]، من مسند حذيفة بن اليمان العبسي[5] - إلى أن قال:-

«ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «في أصحابي إثنا عشر منافقا، منهم ثمانية لايدخلون الجنّة حتّى يلجَ الجملُ في سمّ الخياط»، وأربعة لا أحفظ ماقال شعبة فيهم»[6].

---

١) نفس المصدر.
٢) مسلم: ٢١٤٤/٤، كتاب صفات المنافقين، ح١١.
٣) الجمع بين الصحيحين: ٢٨٦/١، ٤٠٧.
٤) مسلم: كتاب صفة المنافقين، ح٩، ٢١٤٣/٤.
٥) حذيفة بن اليمان الصحابي المشهور.
٦) أبهم الحميدي بتقطيعه معنى الحديث، فنورده بتمامه إيضاحا للمعنى بلفظ مسلم:

«حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة، حدثنا أسود بن عامر، حدثنا شعبة بن الحجاج، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن قيس - قال:- قلت لعمّار: «أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر عليّ، أرأيا رأيتموه، أو شيئا عهده إليكم رسول الله ﷺ»؟

فقال: «ماعهد إلينا رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافّة؛ ولكن حذيفة أخبرني ←

و رووا بأسانيدهم[١] عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ - قال :- «ليردنّ أناس من أصحابي عليّ الحوضَ حتّى إذا عرفتهم اختُلِجُوا دوني ، فأقول : أصحابي. فيقال : إنّك لاتدري ما أحدثوا بعدك».

ولقد أخبر رسول الله ﷺ بوقوع الفتنة واختلاف الآراء بعده، وأوصى عمّارا وابن عبّاس وغيرهما بسلوك وادي عليّ عليه السلام و إن انفرد به وسلك الناس جميعا غيره[٢] . وقد روي عنه ﷺ أنّه قال[٣] : «افترقت أمّة موسى على إحدى وسبعين فرقة، كلّها في النار إلّا واحدة ـ وهي التي اتّبعت وصيّه يوشع. وافترقت أمّة عيسى على اثنتين وسبعين فرقة، كلّها في النار إلّا واحدة ـ وهي التي اتّبعت وصيّه شمعون ـ. وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النار إلّا واحدة، وهي التي تتّبع وصيّي عليّا».

وفي صحيح الترمذي[٤] منهم هكذا : «ستفترق أمّتي ثلاثا وسبعين فرقة،

← عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ : «في أصحابي اثناعشر منافقا، فيهم ثمانية لايدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط» ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة، وأربعة لم أحفظ ماقال شعبة فيهم». والدبيلة: فسره في حديث يتلوه (٤/ ٢١٤٤): «سراج من النار يظهر في أكتافهم، حتى ينجم من صدورهم».

١) البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض: ١٤٩/٨. ورواه مسلم بفروق يسيرة في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّنا ﷺ وصفته: ١٨٠٠/٤، ح٤٠. راجع أيضا ماورد في عيون أخبار الرضا عليه السلام: باب ٣٢ في ذكر ماجاء عنه عليه السلام من العلل، ح٣٣، ٨٧/٢.

٢) أخرج الخوارزمي في مناقبه (الفصل السادس عشر: ١٢٥)، عن رسول الله ﷺ قال لعمار: «ياعمار - إنّه سيكون في أمّتي من بعدي هنات، حتّى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضا وحتى يبرأ بعضهم من بعض؛ فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع الذي عن يميني علي بن أبي طالب، وإن سلك الناس كلهم واديا وسلك عليٌّ واديا، فاسلك وادي عليّ وخلّ عن الناس...» وجاء مثله في فرائد السمطين: ١٧٨/١.

٣) أحاديث افتراق الأمة ورد في كثير من الجوامع الروائية، وأما بهذا اللفظ فلم أعثر عليه عن رسول الله ﷺ فيما بيدي من الجوامع. وقد ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام في أمالي الطوسي: المجلس ١٨، ح٦٦، ٥٢٣-٥٢٤. والاحتجاج: ٦٢٥/١. عنهما البحار: ٢٨/٤-٥، ح٥-٦.

٤) في الترمذي (كتاب الإيمان، الباب (١٨): ٢٦/٥، ح٢٦٤١): بلفظ «... وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: ومن هي - يارسول الله -؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي».

كلها في النار إلاّ واحدة. قيل: ومَن هم؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي».

روى ابن أبي الحديد[1] منهم عن أميرالمؤمنين عليه السلام - معتمدا - على صحّتها أنّه قال:

«اللهم إنّي استعديك على قريش، فإنّهم أضمروا لرسول الله صلى الله عليه وآله ضروبا من الشرِّ والغدر، فعجزوا عنها، فحُلتَ بينهم وبينها، فكانت الوجبةُ بي والدائرة عليَّ؛ اللهمَّ احفظ حسَنا وحسَينا، ولا تمكِّن فجرةَ قريش منها مادمتُ حيًا، فإذا توفَّيتني فأنت الرقيب عليهم، وأنت على كلِّ شيءٍ شهيدٌ».

قال له قائلٌ[2]: «يا أميرالمؤمنين، أرأيت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ترك ولدا ذَكرا قد بلغ الحلم، وآنس منه الرشد أكانت العرب، تُسلم إليه أمرَها»؟

قال: «لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلتُه، إنَّ العرب كرهت أمرَ محمَّد صلى الله عليه وآله وحسدته على ما آتاه الله من فضله واستطالت أيّامه حتَّى قذفت زوجتَه ونفرت ناقتَه، مع عظيم إحسانه كان إليها، وجسيم مَنِّه عندها؛ واجتمعت مذ كان حيًّا على صرف الأمر عن أهلِ بيته بعد موته. و لولا أنَّ قريشا جعلت اسمه ذريعةً إلى الرئاسة، و سُلَّما إلى العزِّ والإمرة[3] لما عبدت الله - تعالى - بعد موته يوما واحدا، ولارتدَّت في حافرتها، وعاد قارحها جذعا وبازلها بكرا.

ثمَّ فتح الله عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقة، وتموَّلت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من [4] الإسلام ماكان سمجا، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ماكان مضطربا، وقالت: «لولا أنّه حقٌّ لماكان كذا».

---

١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩٨/٢٠، الكلمة (٤١٣) من الكلمات التي انتخبها ابن أبي الحديد من كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام وألحقها بآخر شرحه.

٢) نفس المصدر: الكلمة (٤١٤). ٣) ر: الأثرة. ٤) مل: - من.

ثمَّ نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأُمراء القائمين بها ، فتأكَّد عند الناس نباهةُ قومٍ وخمولُ آخرين ؛ فكنَّا - نحن - ممَّن خمل ذكرُه وخبَت نارُه[1] ، وانقطعَ صوتُه وصَيتُه ، حتَّى أكل الدهرُ علينا وشرب ، ومضت السنون والأحقاب - بما فيها - ومات كثير ممَّن يعرف ، ونشأ كثير ممَّن لايعرف .

وما عسى أن يكون الولد - لوكان - إنَّ رسول الله ﷺ لم يقرِّبني مايعلمونه من القرب للنسب واللحمة ، بل للجهاد والنصيحة ؛ أفتراه لوكان له ولد هل كان يفعل مافعلت ؟ وكذاك[2] يقرب ماقربت .

ثمَّ لم يكن ذلك عند قريش والعرب سببا للحظوة والمنزلة ، بل للحرمان والجفوة .

اللهم إنَّك تعلم أنِّي لم أرد الإمرةَ ولا علوَّ الملك والرئاسة ، و إنَّما أردت القيامَ بحدودك والأداء بشرعك و وضع الأُمور في مواضعها ، وتوفير الحقوق على أهلها ، والمضيِّ على منهاج نبيِّك و إرشاد الضالِّ إلى أنوار هدايتك » .

قال عليه السلام[3] :

« قال لي رسولُ الله ﷺ : « إن اجتمعوا عليك فاصنع ما أمرتك ، و إلَّا فألصق كلكلك بالأرض » . فلمَّا تفرَّقوا جررتُ على المكروه ذيلي ، وأغضيتُ على القذى جفني ، وألصقتُ بالأرض كلكلي[4] ؛ أما -والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمةَ - إنَّه لعهد النبيّ الأُميّ إليَّ : أنَّ الأُمَّة ستغدر بك من بعدي »[5] .

---

١) هامش مل : خبت النار والحرب : سكنت وطفئت - ق.
٢) أُضيف في المصدر : لم يكن.
٣) شرح ابن أبي الحديد : ٣٢٦/٢٠ ، الكلمة (٧٣٦).
٤) الكلكل : منتهى عجز الظَهر.
٥) نفس المصدر : ٣٢٦/٢٠ ، الكلمة (٧٣٤).

قيل : لامَته فاطمةُ ﷺ على قعوده وأطالت تعنيفَه - وهو ساكت - حتَّى أذَّن المؤذِّن، فلمَّا بلغ إلى قوله : « أشهد أنَّ محمَّدا رسولُ الله » ، قال لها : « أتحبِّين أن تزول هذه الدعوة من الدنيا » ؟

قالت : « لا » . قال : « فهو ما أقول » .

والأخبار في هذه المعاني كثيرة مستفيضة في كتب العامّة، فضلا عن الخاصّة .

وقال أبوحامد الغزالي منهم - وهوحجّة إسلامهم - في كتابه المسمّى بـ« سرالعالمين وكشف [ما في] الدارين »[1] ، في مقالته الرابعة التي وضعها لتحقيق أمر الخلافة بعد الأبحاث، و ذكرالاختلافات فيها ما هذه عبارته :

« لكن أسفرت الحجَّة وجهها وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته يوم غدير خمٍّ، وهو يقول[2] : « مَن كُنتُ مولاهُ فَعليٌّ مولاه » .

فقال عمر : « بَخٍّ بَخٍّ لك - يا أبا الحسن - لقد أصبحت مولايَ، ومولى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة » .

« فهذا تسليمٌ ورضاءٌ وتحكيمٌ، ثمَّ بعد هذا غلب الهوى وحبُّ

---

١) طبع الكتاب (على ماجاء في مؤلفات الغزالي: ٢٢٥) في بومباي سنة ١٣١٤ هـ-، والقاهرة سنة ١٣٢٤ و١٣٢٧. وطهران بغير تأريخ. وأما الموجود عندي فطبعة المكتبة الثقافة الدينية، النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥ هـ. والنص المنقول يوجد في (٢٠-٢٢) منه.

ويجدر بنا الإشارة إلى تشكيكات وقعت في نسبة الكتاب إلى الغزالي (راجع ٢٨١ من مؤلفات الغزالي). ومن مستندات النافين قوله فيه (المقالة السادسة و العشرون: ١٤٢): «أنشد المعري لنفسه وأنا شاب في صحبة يوسف بن علي شيخ الإسلام...» - ثم أورد أشعارا يوجد بعضها في اللزوميات لأبي العلاء المعري. وأبوالعلاء - هذا - قد توفى سنة (٤٤٨) بينما الغزالي ولد سنة (٤٥٠). وتحقيق الأمر يطلب مجالا آخر و نطاقا من البحث أوسع ، فإن وضوحها ذا أهميّة، إذ به يصح ما اعتقده بعض الباحثين - منهم المؤلف في مقدمة كتابه «المحجة البيضاء في إحياء الإحياء» - بأن الغزالي تشيّع في أواخر عمره.

٢) الحديث متواتر رواه جم غفير من المحدثين، راجع تفصيل الكلام في رواته وتخريج مصادره في الغدير : ١/٩-١٥١.

تعليقات إحقاق الحق: ٢/٤١٥-٤٦٥ و٣/٣٢٢-٣٢٧ و٦/٢٢٥-٣٦٨.

الرياسة، وحمل عمود الخلافة وعقود النبوذ في خفقان الهواء في قعقعة[١] الرايات واشتباك ازدحام الخيول وفتح الأمصار والأمر والنهي. فعادوا إلى الخلاف الأوّل، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون! و لمّا مات رسول الله ﷺ قال وقت وفاته: «ائتوني بدواة و بيضاء، لأزيل عنكم مشكل الأمر وأذكر لكم من المستحقّ لها بعدي». قال عُمر: «دعوا الرجل فإنّه ليهجر» - وقيل: يهذي -».

- ثمّ قال: - «فإذا بطل تعلّقكم بتأويل النصوص فعُدتم إلى الإجماع، وهذا منقوض - أيضا - فإنّ العبّاس و أولاده و عليّا وزوجتُه لم يحضروا حلقةَ البيعة، وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجي.

ودخل محمّد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته، فقال: «يابُنيَّ ائت بعمّكَ عُمر لأوصي له». فقال: «يا أبت - كنتَ على حقٍّ أو باطل»؟ فقال: «على حقٍّ». فقال: «وصِّ بها لأولادك إن كان حقًّا»؛ ثمّ خرج إلى عليّ ﷺ فجرى ماجرى.

وقوله على منبر رسول الله ﷺ: «أقيلوني، أقيلوني، فلستُ بخيركم وعليٌّ فيكم». أفقاله هزلا، أو جدّا، أو امتحانا؟

فإن كان هزلا فالخلفاء منزّهون عن الهزل، و إن قاله[٢] جدّا فهو نقض الخلافة، و إن قاله امتحانا فالصحابة لايليق بهم الامتحان» -ثم قال:- «والعجب من منازعة معاوية بن أبي سفيان عليّا على الخلافة، وأيّ ومن أين! أليس رسول الله قطع طمع من طمع فيها بقوله: «إذا ولّي خليفتان فاقتلوا الأخير منهما؛ والعجب من حقّ واحد كيف ينقسم من اثنين، والخلافة ليست بجسم ولا عرض فيتجزى».

- انتهى كلام الغزالي - .

---

١) هامش مل: القعقة: حكاية صوت السلاح- ق.

٢) مل: وإن كان قاله.

أقول: وفي الخلفاء الثلاثة وأضرابهم قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿ وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ * وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [٢٨/٤١-٤٢].

وقال - تعالى -: ﴿ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [١١/١٨-١٩].

قال ابن عبّاس[١] في تفسيرها: «إنَّ سبيل الله في هذا الموضع عليُّ بن أبي طالب عليه السلام».

ولمّا نزلت: ﴿ وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [٨/٢٥] قال النبيُّ صلى الله عليه وآله[٢]: «مَن ظَلَم عَليًا مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنّما جحَد نبوّتي ونبوّة الأنبياء قبلي».

وقال أيضا[٣]: «من جحد عليّا إمامته بعدي فقد جحد نبوّتي، ومن جحد نبوّتي فقد جحد الله ربوبيّته».

وقال أيضا[٤]: «الأئمّة من بعدي إثنا عشر أولهم أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي؛ من أنكر واحدا منهم فقد أنكرني».

وقال الصادق عليه السلام: «المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا».

فصلوات الله وسلامه عليهم،

ولعنة الله على أعدائهم وغاصبي حقوقهم أجمعين».

---

١) الاعتقادات للصدوق - قده -: باب الاعتقاد في الظالمين. مناقب ابن شهرآشوب: باب النصوص على إمامته عليه السلام. فصل في أنه السبيل والصراط المستقيم والوسيلة: ٣/٧٢.

٢) شواهد التنزيل: في ذكر الآية: ١/٢٠٦. الاعتقادات: الباب المذكور.

٣) الاعتقادات: الباب المذكور.

٤) نفس المصدر.

في خصائص نبينا ﷺ

﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾ [٤٠/٣٣]

نور
[أخذ الميثاق على نبينا ﷺ]

إنَّ الله عزَّ وجلَّ أخذ العهود على الأنبياء عليهم السلام أنَّ من أدرك محمَّدا يؤمن به وينصره، ومن لم يُدركه فليُخبر قومَه عن صفته، ويُلقي إليهم نعتَه ويأمرهم باتِّباعه ونصره، فإن لم يدركه أحدٌ منهم فليوص به مَن بعده، كوصيَّة من سَبَقه، وهلم جرًّا.

قال الله تعالى: ﴿ وَ إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ ﴾ [٨١/٣].

وقال: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [٩٤/١٠]

وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَ إِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [٦/٦١].

وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَ ٱلإِنْجِيلِ ﴾ [١٥٧/٧].

وفي الفصل الحادي عشر من السِفر الخامس من التوراة[١] : «إنّ الربّ الهكم قال : إنّي أُقيم لهم نبيّا مِثلك مِمّن أحبّهم، وأجعلُ كلامي على فمه، وأيّما رجل لم يسمع كلماتي التي يرويها عنّي ذلك الرجل باسمي فإنّي انتقم منه».

وفي الإسرائيليّات[٢] : أوحى الله - تعالى - إلى عيسى عليه السلام : «اسمع قولي، وأطِع أمري - يابن الطاهرة البتول - فإنّي خلقتُك مِن غير فَحلٍ وجعلتكَ آيةً للعالمين؛ فإيّايَ فاعبُدْ، وعليَّ فتوكَّلْ، وخذ الكتابَ بقوّة وبلِّغ مَن بين يديك. أخبِرهم أنّي أنا الله البديعُ الدائمُ الذي لايزول، صدِّقوا النبيَّ الأميّ الذي أبعثُ في آخرالزمان، صاحب الجمل، صاحب النسل والنسب، الكثير الأزواج، القليل الأولاد؛ نسله من المباركة التي مع أُمِّك في الجنَّة، له منها إبنةٌ لها فرخان يستشهدان، دينه الحنيفيَّة، وقبلته يمانيَّة، وهو رحمة العرب والعجم؛ له حوضٌ أبعد من مكّة إلى أن تطلع الشمس، فيه آنيةٌ عدد نجوم السماء، له لون كلِّ شراب في الجنَّة، وطعم كلِّ ثمار الجنَّة، مَن شَرِب منه لم يظمأ أبدا، يصفُّ لي قدميه كما تصفُّ الملائكة، ويخشع لي قلبُه، النورُ من صدره، والحقُّ على لسانه، تنام عيناه ولاينام قلبُه، له تدخَّر الشفاعةُ، وعلى أُمَّته تقوم القيامة».

ومثل هذه الأخبار والآثار كثيرة أوردنا طرفا منها في كتاب علم اليقين مفصلا[٣] .

[أخذ الميثاق من الأنبياء للأئمة عليهم السلام]

وكذلك أخذ الله الميثاق من النبيّين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة من ولده عليهم السلام كما ورد في الأخبار المستفيضة :

---

١) حكاه الفخرالرازي (التفسير : ٣٦/٣) والذي يظهر أنه إشارة إلى ماجاء في السفرالخامس، من العهد العتيق، الفصل ١٨، الآية ١٥.

٢) لم أعثر على مصدره، ولكنه قريب المأخذ مماجاء في كمال الدين : ١٥٩، باب بشارة عيسى عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ح١٨. والدر المنثور : ٤/٤٤٠-٦٤٥، سورة الرعد/٢٩.

٣) راجع علم اليقين: الباب السابع من المقصد الثالث.

ففي بصائر الدرجات[١] بإسناده عن مولانا الكاظم عليه السلام - قال : - «ولايةُ عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث[٢] الله رسولاً إلاّ بنبوّة محمّد، و وصيّة عليّ».

وبأسانيده[٣] المتعدِّدة عنهم عليهم السلام : «مانبيٍّ نبيٌّ قطُّ إلاّ بمعرفة حقِّنا وتفضيلنا[٤] على مَن سوانا».

وفي رواية أُخرى[٥] : «ولايتُنا ولاية الله الّتي لم يبعث نبيّا قطُّ إلاّ بها».

وقد بشّر بنبيّنا صلى الله عليه وآله قبل ظهوره بعد الأنبياء عليهم السلام جماعة من الأحبار والرهبان وغيرهم باسمه ونسبه ونعته وصفته : منهم : قسّ بن ساعدة الأيادي[٦] ومنهم: تبّع الملك[٧] وسيف بن ذي يزن[٨] و بُحيراء الراهب، وأبوالمويهب الراهب، و ابن حوّاش الحبر[٩] و زيد بن عمرو بن نفيل[١٠] و سلمان الفارسي[١١] وعبد المطّلب

---

١) بصائرالدرجات: الجزء الثاني، باب (٨) ماخصَّ الله به الأئمّة من آل محمد عليهم السلام من ولاية الأنبياء لهم...، ٧٢، ح١. عنه البحار: ٢٦/٢٨٠، ح٢٤.

٢) في المصدر والبحار: «لن يبعث». ولايخلو عن تكلف.

٣) بصائر الدرجات: ٧٤-٧٥، ح١-٥. عنه البحار: ٢٦/٢٨١، ح٢٩.

٤) في المصدر والبحار: بفضلنا.

٥) بصائر الدرجات: الباب السابق، ٧٥، ح٦-٩. عنه البحار: ٢٦/٢٨١، ح٣٠-٣٣.

٦) هذا الكلام من خطبة له رواها الجاحظ في البيان والتبيين (١/٣٠٨، باب ذكر أسماء الخطباء والبلغاء). وتراه في كمال الدين :١٦٧، باب خبر قسّ.

٧) التبابعة من ملوك اليمن، وتبّع الأكبر: فهو تبّع بن الأقرن بن عمرو (مروج الذهب: ٢/٢٠٩)، راجع مروج الذهب: الباب السادس والأربعون: ٢/٢٣٦. تاريخ الطبري: ١/٥٦٦. والمعارف: ٦٣٠. كمال الدين: باب خبر تبّع: ١٦٩.

٨) سيف بن ذي يزن، كان من ملوك اليمن في زمن عبد المطلب ، راجع أخباره في مروج الذهب: الباب الثالث والأربعون، ذكر اليمن وملوكها :٢/٢٠٣. كمال الدين: باب في خبر سيف بن ذي يزن، ١٧٩، ح٣٢. عنه البحار: ١٥/١٨٨، ح١١.

٩) كمال الدين: باب خبر ابن حواش، ١٩٨، ح٤٠. عنه البحار: ١٥/٢٠٦، ح٢٤. ٢٠/٢٤٧، ح١٥.

١٠) راجع أخباره و قول النبي صلى الله عليه وآله فيه في كمال الدين: باب خبر زيد بن عمرو بن نفيل: ١٩٨-٢٠٠، ح٤١. سيرة ابن هشام: ١/٢٢٤-٢٣٢.

١١) كمال الدين باب خبر سلمان (قده)، ١٦١-١٦٦، ح٢١. سيرة ابن هشام: ٢١٤-٢٢٢.

و أبوطالب وغيرهم من الكَهَنة وأهل النجوم ؛ وقد ذكرنا نبذا من قصصهم في الكتاب المذكور.

و رُوي : أنّه ﷺ لمّا وُضع رفع رأسه إلى السماء ثمّ خرّ ساجدا لله تعالى ؛ وأنّه وُلد مختونا[١] غير محتاج إلى علاج الداية والطبيب، ليس معه دم ولا شيءٌ من أقذار النفاس المعتادة.

وارتجّ ايوان كسرى يوم ولادته، وسقط منه أربع عشر شرفة[٢] ، وخمدت نيران فارس - ولم تخمد قبل ذلك منذ ألف سنة - وغاضت بحيرةُ ساوة[٣] .

وصرفت الشياطين عن خبر السماء ورجمت بالشُهب لولادته، وغير ذلك من الآيات - وهي كثيرة.

تَنبيهٌ

[خُلقه ﷺ]

قال بعضُ العلماء[٤] :

«كان نبيُّنا ﷺ كثير الضراعة والابتهال ، دائم السؤال من الله تعالى أن يزيّنه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق، فكان يقول في دعائه :

«اللّهُمَّ حَسِّن خَلقِي وَخُلقِي»[٥]

---

١) أخرج البيهقي (دلائل النبوة: ١/١١٤، عن العباس بن عبدالمطلب): « ولد رسول الله ﷺ مختونا مسرورا... ».

٢) أخرج البيهقي رواية ارتجاس ايوان كسرى وخمود نيران فارس وغياض بحيرة ساوة في الدلائل: باب ماجاء في ارتجاس ايوان كسرى...، ١/١٢٦-١٢٧.

٣) في هامش ر: «بحيرة ساوة كانت عظيمة، لكنها صغّرت للتعظيم، من الأضداد كالمفازة. وغاض الماء: أي ذهب؛ روي أنها ذهبت حتّى أن واردها لم يجد قطرة - منه».

٤) إحياء علوم الدين: كتاب آداب المعيشة و أخلاق النبوة ، بيان تأديب الله حبيبه ﷺ بالقرآن: ٢/٥١٨ ملخصا.

٥) في المسند (١/٤٠٣ و٦/٦٨ و١٥٥) بلفظ: «اللهم أحسنت خَلقي فأحسِن خُلقي». وفي طبقات ابن سعد (١/٣٧٧): «اللهم كما حسّنت خَلقي فحسّن خُلقي».

ويقول : «اللّهم جَنِّبني مُنكَراتِ الأخلاق»[١] .

فاستجاب الله دعاءَه وأنزل عليه القرآنَ وأدَّبه به ، فكان خُلقه القرآن[٢] ، وأدَّبه بمثل قوله - عزَّ وجلَّ - :

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾ [٧/١٩٩] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَ ٱلإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَ يَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَ ٱلْمُنْكَرِ وَ ٱلْبَغْيِ ﴾ [١٦/٩٠] .

﴿ وَ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ [٣١/١٧] .

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَ ٱصْفَحْ ﴾ [٥/١٣] .

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٢٣/٩٦] - إلى غيرذلك - .

ثمَّ لمَّا أكمل الله خَلقه وخُلقه أثنى عليه فقال : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٦٨/٤] فانظر إلى عميم فضل الله كيف أعطى ثمَّ أثنىٰ .

ثمَّ بيَّن رسولُ الله ﷺ[٣] للخلق : «إنَّ الله يحبُّ مكارمَ الأخلاق ، ويُبغض سفسافها[٤] » . وقال[٥] : «بُعِثتُ لأُتَمِّم مكارمَ الأخلاق» .

ثمَّ رغَّب الخَلق في ذلك أشدّ ترغيب» .

وقد أشرنا إلى جملة من محاسن أخلاقه وخلقته وصورته وقوّة حواسّه وأسمائه وأسماء أثاثه وغير ذلك منه ﷺ في كتاب علم اليقين ، فمن أرادها فليطالع هناك .

---

١) المستدرك للحاكم : ١/٥٣٢ .

٢) دلائل النبوة : باب ذكر شمائله وأخلاقه ﷺ ، ١/٣٠٩ .

٣) في المستدرك للحاكم (كتاب الإيمان : ١/٤٨) : «إنّ الله يحبُّ معالي الأخلاق ...».
وفي البحار (٧٥/١٣٧ ، ح٥ و٩٢/١٨٤ ، ح٢١ عن نوادر الراوندي) : «إنّ الله تعالى جوادٌ يحبُّ الجواد ومعالي الأمور ، ويكره سفسافها ...».

٤) السفساف : الرديّ من كل شيء.

٥) مجمع البيان : ١٠/٣٣٣ ، تفسير الآية القلم/٥. وحكاه في كنز العمال : ١١/٤٢٠ ، ح٣١٩٦٩ ، عن مستدرك الحاكم ، ولكن في المستدرك (٢/٦١٣) والمسند (٢/٣٨١) : «بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

نور

[بعث النبيّ إلى الجنّ والإنس]

وهو ﷺ مبعوث إلى الناس كافّة، قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٢٨/٣٤].

و إلى الجنّ أيضا، قال تعالى: ﴿ وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ ﴾ - إلى قوله :- ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ [٢٩/٤٦-٣١]. - قال ابن عبّاس[١] «فاستجاب له نحوا من سبعين رجلا من الجنّ فوافقوه بالبَطحاء، فقرأ عليهم القرآنَ وأمَرهم ونهاهم».

[خصائصه ﷺ]

وروى جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ أنّه قال[٢] :

«أعطيت خمسا لم يعطهنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهر، وجُعلت لي الأرضُ مسجدا وطهورا، فأيّما رجل من أمّتي أدركتْه الصلاةُ فليصلِّ، و أُحلَّت ليَ الغنائمُ - ولم تحل لأحدٍ قبلي[٣] - وأُعطيتُ الشفاعةَ، وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبعثتُ إلى الناس عامَّة».

وفي رواية أخرى[٤] : «أعطيتُ ستّا».

---

١) معالم التنزيل : ١٥٨/٤، الأحقاف/٣١.

٢) البخاري: باب التيمم: ٩١/١، مع تقديم وتأخير. مسلم: ٣٧٠/١-٣٧١، ح٣.

٣) في هامش ر: قيل: قد كانت الغنائمُ في حقّ غيره من الأنبياء - اذا انصرف من قِبل العدوّ - جمع الغنائم كلها، فإذا لم يبق شيء منها نزلت نارٌ من الجوّ، فأحرقتها كلها، فإن وقع منها غلول لم ينزل تلك النار حتى بردَّ ويلقى فيها ذلك الذي أُخذ منها؛ فكان لهم نزول النار علامة على القبول الإلهي لفعلهم؛ فأحلّها الله لمحمّد ﷺ، فقسّمها في أصحابه، فتناولتها نار شهواتهم عناية من الله لهم وكرامة له ﷺ - منه ره.

٤) مسلم (كتاب المساجد، ح٥، ٣٧١/١): «فضّلتُ على الأنبياء بستّ: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأُرسلتُ إلى الخلق كافّة، وخُتم بي النبيُّون».

وفي أخرى[١] «سبعا»، وفي بعضها[٢] : «أُعطيتُ جوامع الكلم».

وفي أخرى[٣] : «الوسيلة»، وفي بعضها[٤] : «وأُعطيتُ خواتيمَ سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يعطهنَّ نبيٌّ قبلي».

وفي أُخرى[٥] : «وخُتم بي النبيُّون».

وفي بعضها[٦] : «وفضّلت على الناس بثلاث، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة».

وفي حديث المعراج[٧] : «وأعطي نبيّكم ثلاثا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر - لمن لايشرك بالله شيئا من أمّته - [المقحمات]».

وأمّا خصائصُه التي خصّ بها عن أُمّته فكثيرةٌ جدًّا، وفيها خلافٌ منتشر مشهور في كتب الفقه[٨] .

---

١) في الخصال (باب السبعة، ح٣٦، ٢/٣٥٥) في الجواب عمن سأله ﷺ عن سبع خصال أعطاه الله تعالى وأمّته من بين النبيين وأممهم: «أعطاني الله عزّ وجلّ فاتحة الكتاب، والأذان، والجماعة في المسجد ويوم الجمعة، والصلاة على الجنائز، والإجهار في ثلاث صلوات، والرخصة لأمّتي عند الأمراض والسفر، والشفاعة لأصحاب الكبائر من أمّتي».

٢) الخصال: باب الخمسة، ح٥٦، ١/٢٩٢. عنه البحار: ٣٨/٨، ح١٧.

٣) بصائرالدرجات (الجزء الخامس، باب (١) ماعند الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب، ٢١٦، ح٢١) عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «قد صدّقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصيّة ولاتخلي أمته من وسيلة إليه وإلى الله...». عنه البحار: ٤٣٢/٣٥، ح١٢.

٤) المسند: ١٨٠/٥ و ٣٨٣. و في معاني الأخبار (باب معاني أسماء النبي ﷺ، ٥١، ح١): «... ومنَّ عليَّ ربي وقال لي:... وأعطيت لك ولأمّتك كنزا من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة...»

٥) مسلم: كتاب المساجد، ح٥، ٣٧١/١. المسند: ٤١٢/٢.

٦) مسلم: الباب السابق، ح٤، ٣٧١/١.

٧) مايقرب منه في مسلم: كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، ح٢٧٩، ١٥٧/١.

٨) راجع تفصيل ذلك في البحار: باب فضائله وخصائصه ﷺ: ٣٨٢/١٦-٤٠١.

نُورٌ

[نبيّنا ﷺ]

قد مرّ أنّه ﷺ أفضلُ الأنبياء وأشرفُهم وخاتمُهم ؛ فاعلم أنّه ﷺ أفضل من الملائكة المقرَّبين أيضا .

روى الصدوق بإسناده[1] عن مولانا الرضا ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال :

قال رسول الله ﷺ : «والله ماخلَق الله خلْقا أفضل منّي ، ولاأكرم عليه منّي» .

قال عليٌّ عليه السلام : فقلت : «يارسول الله ، فأنت أفضل أم جبرئيل عليه السلام»؟

فقال : «ياعليّ ، إنَّ الله تبارك وتعالى فضَّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرَّبين ، وفضَّلني على جميع النبيِّين والمرسلين ، والفضل بعدي لك - ياعلي - وللأئمة من بعدك ؛ و إنَّ الملائكة لخدَّامنا وخدَّام محبّينا .

ياعليّ ، ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَ مَنْ حَولَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [وَ يُؤمِنُونَ بِهِ] وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [٤٠/٧] بربّهم و بولايتنا .

ياعليّ ، لولا نحن ماخلَق اللهُ تعالى آدمَ ولا حوَّاءَ ، ولا الجنَّة ولا النارَ ، ولا السماءَ ولا الأرضَ .

وكيف لانكون أفضل من الملائكة ، وقد سبقناهم إلى التوحيد ، ومعرفةِ ربّنا - عزَّ وجلَّ - وتسبيحه وتقديسه وتهليله .

لأنَّ أوّل ماخلق اللهُ تعالى أرواحُنا فأنطقَنا بتوحيده وتمجيده ، ثمَّ خلَقَ الملائكةَ ، فلمّا شاهَدوا أرواحَنا نورا واحدا استعظموا أُمورَنا فسبَّحنا لتعلمَ الملائكةُ أنَّا خلْقٌ مخلوقون ، وأنّه منزَّهٌ عن صفاتنا . فسبَّحت الملائكةُ لتسبيحنا ونزَّهته عن صفاتِنا .

---

١) كمال الدين : باب نصّ الله عزّ وجلّ على القائم عليه السلام ، ح٤ ، ٢٥٤ . وفيه فروق يسيرة .

فلمّا شاهَدوا عِظمَ شأننا هلّلنا، لتعلمَ الملائكةُ أن لا إله ألاّ الله، وأنّا عبيدٌ، ولسنا بآلهة نُحبُّ[١] أن نُعبد معه أو دونه[٢]؛ فلمّا شاهدوا كِبَر محلّنا كبّرنا الله، لتَعلم الملائكةُ أنَّ الله أكبر من أن يُنال، وأنّه عظيم المحل.

فلمّا شاهَدوا ماجعله الله - عزَّ وجلّ - لنا من العزّة والقوّة، قلنا: «لاحول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم» لتعلمَ الملائكةُ أن لاحول ولاقوّة إلاّ بالله؛ فقالت الملائكةُ: «لاحول ولا قوّة إلاّ بالله».

فلمّا شاهَدوا ما أنعم اللهُ به علينا، وأوجبه لنا من فرض الطاعة، قلنا: «الحمد لله» لتعلمَ الملائكةُ مايحقُّ لله - تعالى ذكره - علينا من الحمد على نعَمه؛ فقالت الملائكة: «الحمد لله». فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده.

ثمَّ إنَّ الله - تعالى - خلَق آدم عليه السلام وأودعَنا صُلبَه، وأمَر الملائكةَ بالسجود له - تعظيما لنا و إكراما - وكان سجودُهم لله - عزَّ وجلَّ - عبوديَّته ولآدم إكراما وطاعة - لكوننا في صُلبه[٣] -.

فكيف لانكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلُّهم أجمعون؟

و إنّه لمّا عُرج بي إلى السماء، أذَّن جبرئيلُ - مَثنىً مَثنىً - وأقام - مَثنىً مَثنىً - ثمّ قال لي: «تقدّم - يامحمّد».

فقلت: «ياجبرئيل، أتقدَّمُ عليك»؟

فقال: «نعَم - لأنَّ الله - تبارك وتعالى - فضَّل أنبياءَه على ملائكته أجمعين، وفضَّلك خاصّة». فتقدَّمتُ، فصلَّيتُ بهم - ولافخر - فلمّا انتهينا إلى حُجب النور قال لي جبرئيل عليه السلام: «تقدّم يامحمّد» وتخلّف عنّي.

---

١) المصدر: يحب.

٢) أُضيف في المصدر: فقالوا: «لا إله إلا الله».

٣) في هامش ر:

ملك در سجدهٔ آدم زمين بوس تو نيّت كرد
كه در وصف تو چيزى يافت بيش از حدّ انساني - بخطه

فقلت : « ياجبرئيل ، في مثل هذا الموقع تُفارقني » ؟

فقال : « يا محمّد ، إنَّ هذا انتهاء حدِّي الذي وضعني الله عزَّ وجلَّ فيه إلى هذا المكان ، فإن تجاوزتُه احترقتْ أجنحتي لتعدّي حدود ربِّي جلَّ جلاله » فزجَّ بي في النور زجَّة حتَّى انتهيتُ إلى حيث ماشاء الله عزّ وجلّ من علوّ ملكوته . فنوديتُ : « يا محمَّد » . فقلت : « لبَّيك ربِّي و سعديك ، تباركتَ وتعاليتَ » .

فنوديتُ : « يا محمَّد ، أنتَ عبدي وأنا ربُّك ، فإيَّايَ فاعبدْ ، وعليَّ فتوكَّل ، فإنَّك نوري في عبادي ، ورسولي إلى خَلقي ، وحجَّتي في بريَّتي ، لِمَن تَبعَك خَلقتُ جنَّتي ، ولمَن خالَفكَ خلقتُ ناري ، ولأوصيائك أوجبتُ كرامتي ، ولشيعتهم أوجبت ثوابي » . فقلت : « ياربِّ ، ومَن أوصيائي » ؟

فنوديتُ : « يا محمَّد ، أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي » .

فنظرتُ - وأنا بين يدي ربِّي - إلى ساق العرش ، فرأيتُ إثني عشر نورا ، في كلِّ نورٍ سطرٌ أخضر مكتوبٌ عليه اسم وصيٍّ من أوصيائي ؛ أوَّلهم عليُّ بن أبي طالب ، وآخرهم مَهديُّ أمَّتي .

فقلت : « ياربِّ ، أهؤلاء أوصيائي مِن بَعدي » ؟

فنوديتُ : « يا محمَّد ، هؤلاء أوليائي وأحبَّائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريَّتي ؛ وهم أوصياؤك وخلفاؤك ، وخير خَلقي بعدك ؛ وعزَّتي وجلالي لأظهرنَّ بهم ديني ، ولأعلينَّ بهم كلمتي ، ولأطهِّرنَّ الأرضَ بآخرهم من أعدائي ، ولأملِّكنَّه مشارقَ الأرضِ ومغاربَها ، ولأسخِّرنَّ له الرياحَ ، ولأذلِّلنَّ له الرقابَ الصعابَ ، ولأرقينَّه في الأسباب ، ولأنصرنَّه بجندي ، ولأؤيِّدنَّه[1] بملائكتي ، حتَّى يُعلن دعوتي ، ويجمع الخلق على توحيدي ، ثمَّ لأديمنَّ مُلكَه ، ولأداولنَّ الأيَّام بين أوليائي إلى يوم القيامة » .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة ، وقد ذكرنا شطرا منها في كتاب علم اليقين .

---

١) المصدر : لامدنه .

سِرٌّ شرعيٌّ

[تقدم رسول الله ﷺ على جميع الخلق]

وفي الحديث النبوي ﷺ[١] : «أنا أوّل الناس خروجا إذا بُعثوا، وأنا خطيبُهم إذا وَفدوا ، وأنا مبشِّرهم إذا يَئسوا، لواءُ الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على الله وخاتم النبيّين».

وفيه[٢] : «آدم فمَن دونه تحت لوائي يوم القيامة». وفيه[٣] : «كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الماء والطين». وفيه[٤] : «أنا أوّل الأنبياء خَلقا، وآخرهم بَعثا».

وفي رواية[٥] : «نحن الآخرون السابقون». وقد بيّنّا معنى هذه الأخبار في مباحث تقدّم الأرواح على الأجساد من كتابنا الموسوم بعين اليقين.

---

١) الترمذي: كتاب المناقب، باب (١)، ٥٨٥/٥،ح٣٦١٠، مع فروق يسيرة في اللفظ، وليس فيه «وأنا خاتم النبيين». وأخرج الدارمي (باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، ٢٦/١): «أنا أولهم خروجا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مشفّعهم إذا حبسوا، وأنا مبشّرهم إذا أيسوا، والمفاتيح يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربّي...». في حديث آخر (٢٧/١): «أنا قائد المرسلين ولافخر، وأنا خاتم النبيّين ولافخر، وأنا أول شافع وأول مشفّع ولافخر». راجع أيضا: كنزالعمال: ٤٠٤/١١، ح٣١٨٨٢.

٢) المناقب لابن شهرآشوب: باب ذكر سيدنا رسول الله ﷺ، فصل في اللطائف: ٢١٤/١. عنه البحار: ٤٠٢/١٦. و ٢١٣/٣٩. المسند: ٢٨١/١ و٢٩٥.

٣) المناقب: الصفحة السابقة. عنه البحار: ٤٠٢/١٦، ح١. وفي الترمذي (كتاب المناقب: باب (١) في فضل النبي ﷺ ٥٨٥/٥، ح٣٦٠٩): «... قالوا: يا رسول الله - متى وجبت لك النبوة ؟ قال: وآدم بين الروح والجسد».

٤) في الكامل لابن عدي (ترجمة سعيد بن بشيرالبصري، ٣٧٣/٣): «كنت أول النبيّين في الخلق وآخرهم في البعث» مثله في كنزالعمال: ٤٥٢/١١، ح٣٢١٢٦.

٥) البخاري: (كتاب الجمعة: ٢/٢): «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة». ومثله في مسلم: كتاب الجمعة: ٥٨٦/٢، ح٢١. كشف الغمة: ذكر أسمائه ﷺ: ١١/١. البحار: ١١٨/١٦.ح٢١. وفي دلائل النبوة (باب ماجاء في تحديث رسول الله بنعمة ربه عز وجل، ٤٨٢/٥): « ... فنحن الآخرون الأولون...». وورد في بصائر الدرجات (الجزء الثاني، باب (٣) في الأئمة أنهم حجة الله...، ح١٠، ٦٣) عن الباقر عليه السلام: «نحن جنب الله ... ونحن السابقون ونحن الآخرون...». عنه البحار: ٢٤٨/٢٦، ح١٨.

قال بعض العلماء[١] :

«إنَّ مقصود فطرة الآدميّين وكمالهم وغايتهم إدراكهم لسعادة القرب من الحضرة الإلٰهيَّة، ولم يمكن[٢] ذلك إلّا بتعريف الأنبياء، فكانت النبوَّة مقصودة بالإيجاد، والمقصود كمالها وغايتها لا أوّلها، و إنّما تكمل بحسب سُنّة الله ـ تعالى ـ بالتدريج كما تكمل عمارةُ الدار بالتدريج.

فتمهَّد أصلُ النبوَّة بآدم ﷺ ولم يزل ينمو ويكمل حتَّى بلغ الكمال بمحمَّد ﷺ، وكان المقصود كمال النبوَّة وغايتها، وتمهيد أوائلها وسيلة إليها كتأسيس البناء وتمهيد أُصول الحيتان، فإنَّه وسيلة إلى كمال صورة الدار؛ ولهذا السرّ كان خاتم النبيِّين، فإنَّ الزيادة على الكمال نقصان كالإصبع الزائدة في الكفِّ. و إليه الإشارة بقوله ﷺ[٣] : «مَثَل النبوَّة مَثَل دار معمورة لم يبق فيها إلّا موضع لَبنة، وكنتُ أنا تلك اللَّبنة» - أو لفظ هذا معناه -.

فهو إذن خاتم النبيّين - ضرورة - إذ بلغ به الغاية و الكمال، والعناية أوّل في التقدير، آخر في الوجود.

وقوله ﷺ[٤] : «كنتُ نبيًّا وآدم بين الماء والطين» ـ أيضا ـ إشارة إلى ماذكرناه، وأنَّه كان نبيًّا في التقدير قبل تمام خِلقَة آدم، لأنَّه لم ينشأ خِلقَة آدم إلّا لينتزع الصافى من ذريَّته، و لايزال يستصفى تدريجا - إلى أن يبلغ كمال الصفا- فيقبل الروح القدسيّ المحمَّدي»- انتهى كلامه.

---

١) الغزالي: الأجوبة الغزالية في المسائل الأُخرويّة: مجموعة رسائل الغزالي: ١٨٠/٤ ملخصا.

٢) مل: لم يكن.

٣) في البخاري (كتاب المناقب، باب خاتم النبيين: ٢٢٦/٤): «إنَّ مثلي ومَثل الأنبياء قبلي، كمَثل رجل بنى بيتا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لَبِنَة من زاوية، فجعل الناسُ يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبِنةُ ؟ قال: فأنا اللبِنة، وأنا خاتم النبيِّين». وأخرج مثله مسلم (كتاب الفضائل، باب (٧) ذكر كونه ﷺ خاتم النبيّين، ١٧٩٠/٤-١٧٩١، ح٢٢): كما أخرجه أيضا بألفاظ أخر ح٢٠-٢٣. وجاء مايقرب منه في كنزالعمال: ٤٥٣/١١، ح٣٢١٢٧.

٤) مضى الحديث آنفا.

في ذكر سبب اختلاف الناس في المذاهب

﴿ وَ لَوشَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلايَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَ ٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

[١١/١١٨-١١٩]

نور

[منشأ الخلاف بعد النبيّ ﷺ]

إنَّ سبب الاختلاف في المذاهب والأديان إنَّما هو الحسد أولا، ثمّ الجهل والتديّن بما لايعلم والقول بالرأي من غير استيقان.

وأول من فعل ذلك كلّه إبليس اللعين، حسد آدم عليه السلام وقاس في فضله عليه بأنّه مخلوق من النار وهو مخلوق من الطين؛ ثمّ قابيل، حسد هابيل وقتله؛ ثمّ غيره من بني آدم.

وأُصول الاختلافات أربعة:

أحدها الاختلاف في الإله، كماهو بين أهل الإسلام والمشركين، ومنشأه الجهل بمعنى الإله وحقيقة صفاته اللائقة به.

والثاني الاختلاف في النبيّ، كما هو بين أهل الإسلام واليهود والنصارى؛ ومنشأه الجهل بمعنى النبوّة وحقيقة النبيّ وصفاته اللائقة به.

والثالث الاختلاف في الإمام؛ كما هو بين الشيعة ومخالفيهم؛ ومنشؤه الجهل بمعنى الإمامة وحقيقة الإمام وصفاته اللائقة به.

والرابع الاختلاف في الأحكام الشرعيّة ، كما هو بين المفتين من الفرقة الواحدة ؛ ومنشأه الجهل بمعنى الإجماع وحقيقته ، وبمعنى المحكم والمتشابه وحقيقتهما ، وعدم المعرفة بأنّ المحكم ما اتّفق عليه الأفهام ، وهو الحجّة ، والمتشابه مااختلف فيه ، وأنّه لا حجيّة فيه[1] .

وكلّ ذلك يرجع إلى التديّن بما لا يعلم والقول بما لم يستيقن ، بعد الحسد الذى جبل عليه أفراد البشر لذوي الفضائل .

وأول اختلاف نشأ في الإسلام كان قول عمر ، حين أراد النبيّ ﷺ الوصيّة : «إنّ الرجل ليهذي ، حسبنا كتاب الله » .

فصار ذلك أمّ جميع الاختلافات الواقعة في هذه الأمّة ، فإنّهم إذ عدلوا بالأمر عن أهله ، واستقلّوا به من دونهم ، تشوّقت إليه نفوسُ أراذل المنافقين واجترأت عليه زنادقة بني أميّة ، لاسيّما ، وقد مهّدوا لهم بالتمكين بعد التأسيس ، و ولّوهم الولايات ، وعقدوا لهم الألوية والرايات ، وبالغوا في إبعاد أهل البيت عليهم السلام وخواصّهم عنها .

وآل الأمرُ إلى بني العبّاس ، السالكين مسالك أولئك الأرجاس ، وظهرت علماء السوء ، الضالّون المضلّون ـ كلٌّ يدعو الناسَ إلى نفسه ـ حتّى خفي الحقُّ وأهله من أولي العصمة والرشاد ، وتاه الناسُ في بيداء جهالتهم ، وضلّوا عن الطريق القويم ؛ فافترقت أحزاب ، وانشعبت في بدع وأهواء .

---

١) في هامش النسختين: بيان ذلك أنّ الإجماع لايمكن أن ينعقد إلا على حكم له دليل قاطع واضح محكم، لايتطرق إليه شوب شبهة، ولايختلف دلالته باختلاف الظنون والأفهام؛ وبدون ذلك لايكون، كما لايخفى على المنصف.

فكلّ ما يظنّ أنه إجماعيّ - وليس بهذه المثابة - فليس بإجماعيّ: وكلّ ما كان بهذه المثابة فهو إجماعيّ وإن اختلفوا فيه. وكلّ ما ليس بهذه المثابة فهو متشابه، ولايجوز تأويل المتشابه وردّه إلى أحد الشبهتين، إلا الله وللراسخين فى العلم بتأويله، وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام دون سائرالناس، فلايفعله منهم إلا من كان في قلبه زيغ، أي ميل إلى أحد الشبهين، ومن مال إلى أحد الشبهين فقد صيّر المتشابه محكما- وهو متشابه - فقد عدل به عن حقيقيته وما أعطاه حقّه، واتّبع الظنّ المنهيّ عن اتّباعه؛ بل ينبغي أن يتركه على تشابهه كما تركه الله؛ فإذا فعلوا ذلك ارتفع الاختلاف، وبقوا على المتيقّن - منه ره (مل: سلمه الله تعالى).

ولهذا قال الصادق عليه السلام[1] : «ما من محجمة دم أهريقت - إلى يوم القيامة - إلا وفي أعناقهما» - يعني أبابكر وعمر - .

في ذكر كتاب علي عليه السلام
[أميرالمؤمنين يشرح ماكان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله]

قد بعث أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أصحابه كتابا فيه ذكر بعض فتن الصحابة ناسب إيراده هنا :

روى محمّد بن يعقوب - رحمه الله في كتاب الرسائل [2] عن علي بن إبراهيم بإسناده ، قال : كتب أميرالمؤمنين عليه السلام كتابا بعد منصرَفه من النهروان ، وأمر أن يُقرء على الناس ؛ وذلك أنّ الناس سألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان ، فغضب عليه السلام وقال :

«قد تفرّغتم للسؤال عمّا لايعنيكم ، وهذه مصر قد افتتحت ، وقتل معاوية بن خديج[3] ومحمّد بن أبي بكر ؛ فيالها مصيبة ما أعظمها مصيبتي بمحمّد ،

---

١) في الكافي (١٠٢/٨ـ١٠٣ ، ح٧٥) عن أبي جعفر عليه السلام : «ما أهريق محجمة من دم ولاأخذ مال من غير حلّه ولاقلّب حجر عن حجر ، إلا ذاك في أعناقهما».

٢) رسائل الأئمة ، لثقة الإسلام الشيخ أبوجعفر محمد بن يعقوب الكليني - رحمه الله - و قد كان عند السيد رضي الدين علي بن طاووس ونقل عنه في كشف المحجة (الفصل الخامس والخمسون والمأة ، ٢٣٥-٢٦٩) ، والأظهر أن المؤلف وكذا ابنه علم الهدى - ره - فى كتابه (معادن الحكمة ١٤٩/١ـ١٧٠) أيضا ينقل الرسالة بواسطته ولم يكن الكتاب عندهما.

وقد أورد إبراهيم بن محمد الثقفي في كتابه (الغارات : ٣٠٢/١-٣٢٢) وابن قتيبة في الإمامة و السياسة (١٥٥/١ ما كتب علي عليه السلام لأهل العراق) رسالة عنه عليه السلام يقرب من هذه الرسالة. وحكاها ابن أبي الحديد عن الثقفي في شرح الخطبة السابعة والستين من نهج البلاغة (٩٤/٦-١٠٠) عنوانه خطبة للإمام عليّ بعد مقتل محمد بن أبي بكر. والمجلسي في البحار : ٥٦٧/٣٣-٥٧٣. وتوجد مقاطع منه متفرقة في نهج البلاغة سنشير إلى بعضها.

٣) كذا في كشف المحجة ومعادن الحكمة أيضا ، ولم أعثر على ترجمة له.

واحتمل محقق معادن الحكمة أنّه «معاوية بن حديج» - بالحاء المهملة - وقد عدوه من الصحابة وهو من أشراف مصر وأمرائهم ؛ غير أنّه كان من أعوان معاوية بن أبي سفيان واشترك في الحرب مع عمرو بن العاص على محمد بن أبي بكر حتى قيل أنّه قتل محمد بن←

فوالله ما كان إلّا كبعض بنيَّ - سبحان الله - بينا نحن نرجوا أن نغلب القوم على مافي أيديهم، إذ غلبونا على مافي أيدينا. وأنا كاتب لكم كتابا فيه تصريح ما سألتم - إن شاء الله تعالى -».

فدعا كاتبَه - عبيد الله[1] بن أبي رافع - فقال: «أدخِل عليَّ عشرة من ثقاتي». فقال: «سمّهم لي - يا أميرالمؤمنين» ؟

فقال: «أدخِل أصبغ بن نباتة، وأبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وزِرّ بن حُبيش الأسدي، وجُويرية بن مِسهر العبدي، وخندف بن زهير الأسدي[2]، وحارثة بن مصرف الهمْداني[3]، والحارث بن عبدالله الأعور الهمْداني، ومصابيح النخع[4]: علقمة بن قيس، وكميل بن زياد، وعمير بن زرارة[5]».

فدخلوا عليه؛ فقال لهم: «خذوا هذا الكتاب، و ليقرأه عبيد الله بن أبي رافع[6] - وأنتم شهود - كلَّ يوم جمعة، فإن شغب شاغبٌ[7] عليكم فأنصفوه بكتاب الله بينكم وبينه»:

أبي بكر. (راجع أسد الغابة: ٤/٤٣٠-٤٣١، الترجمة ٤٩٧٣). ثم إنّه لم يقتل، حكى الذهبي (سيرأعلام النبلاء ٣/٣٩-٤٠) عن ابن عساكر: «... كان من أسبّ الناس لعليّ... مات بمصر في سنة اثنتين وخمسين». فليس هو المذكور في كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام.

١) مل: عبد الله.

٢) لم أعثر على ترجمته ولم يذكر عنه غير مافي هذا الخبر. مل:- وجويرية بن مسهر... الأسدي.

٣) كذا في النسخة ومعادن الحكمة، ولم أعثر على ترجمة له. ولكن في كشف المحجة: «حارثة بن مضرب» والأظهر أنّه الصحيح، وهو حارثة بن مضرِّب العبدي الكوفي، قال ابن حجر (تهذيب التهذيب: ٤٢٣/١): «روى عن عمر وعليّ و ابن مسعود وخباب الأرتّ وسلمان الفارسي... قال أبوجعفر محمد بن الحسين البغدادي: سألت أبا عبدالله عن الثبت عن عليّ، فقال: عبيدة وأبوعبدالرحمان وحارثة وحبّة بن جوين وعبدخير.....».

٤) مل: مصابيح النخعي. كشف المحجة: «مصباح النخعي» والصحيح ما في هنا ومعادن الحكمة، إذ «مصابيح النخع» صفة لما يتلوه من الثلاثة، ولوكان اسما برأسه يصير المعدودوين أحد عشر.

٥) لم أعثر على ترجمته.

٦) مل: عبيد الله بن رافع.

٧) هامش النسختين: الشغْب - بالتسكين -: تهييج الشرّ - ص.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى شيعتِه من المؤمنين والمسلمين .

فإنَّ الله يقول : ﴿ وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ [٨٣/٣٧] ، وهو اسم شرَّفه الله في الكتاب : وأنتم شيعة النبيّ محمّد ﷺ ، كما أنَّ محمَّدا من شيعة إبراهيم[١] ، اسم غير مختصر[٢] وأمرٌ غير مُبتَّدَع .

سلامٌ عليكم ، والله هو السلامُ ، المؤمنُ أولياءه العذابَ ، المهَيمنُ[٣] الحاكمُ عليكم بعدله .

[الناس قبل البعثة]

بعثَ محمَّدا ﷺ وأنتم - معاشر العرَبِ - على شرِّ حال : يغذو[٤] أحدكم كلبَه ويقتلُ ولدَه ؛ ويُغير[٥] على غيرِه فيرجعُ وقد أُغيرَ عليه ، تأكلون العلِهز والهَبيد[٦] والميتةَ والدمَ ، تُنيخُون[٧] على أحجار خُشْن وأوثان مُضلّة ، تأكلون الطعام الجَشْبَ[٨] و تشربون الماء الآجن ، تُسافكون دماءَكم ويَسبي بعضُكم بعضا . وقد خصَّ الله قريشا بثلاث آيات ، وعمَّ العربَ بآية :

فأمَّا الآيات اللواتي في قريش ، فهو قوله - تعالى - : ﴿ وَ آذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَآوَاكُمْ وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٢٦/٨] .

---

١) كشف المحجة : كما أنّ من شيعته إبراهيم.

٢) كذا في النسخ ومعادن الحكمة. وفي البحار وكشف المحجة : غير مختص.

٣) كشف : المؤمن أولياءه من العذاب المهين. معادن : المؤمن أولياؤه من العذاب، المهيمن.

٤) في النسختين : يعدو. والصحيح ما أثبتناه كما في الكشف والمعادن.

٥) أغار عليه : هجم. مل : ويغر.

٦) هامش النسختين : العلهز - بالكسر - طعام يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة - ص. الهَبيد - حبّ الحنظل.

٧) أناخ بالمكان : أقام به.

٨) الجشب - بفتح الجيم وسكون الشين - : الغليظ من الطعام.

والثانية : ﴿ وَعَدَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾ [٢٤/٥٥].

والثالثة : قول قريش لنبيّ الله حين دعاهم إلى الإسلام والهجرة ، فقالوا : ﴿ إِنْ نَتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ ، فقال الله - تعالى - : ﴿ أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢٨/٥٧]

وأمّا الآيةُ التي عمَّ بها العربَ فهو قوله : ﴿ وَ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَ كُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [٣/١٠٣] .

[وفات رسول الله ﷺ]

فيالها [من][١] نعمةٍ ما أعظمها إن لم تَخرجُوا منها إلى غيرها ! ويالها مصيبة ما أعظمها إن لم تُؤمنوا بها وترغَبوا عنها !

فمضى نبيُّ الله ﷺ و قد بلّغ ما أُرسل به ؛ فيالها مصيبةً خصَّت الأقربين ، وعمَّت المؤمنين ، لم تصابوا بمثلها ، ولم تغابنوا[٢] بعدها مثلها .

فمضى لسبيله ﷺ ، وترك كتابَ الله وأهلَ بيته إمامَين لايختلفان ، وأخوَين لايتخاذَلان ، ومجتمِعَين لايفترقان ؛ ولقد قبض اللهُ نبيَّه ﷺ ولأنا أولى بالناس منّي بقميصي هذا[٣] ، وما أُلقي في روعي ولا عرَض في رأيي[٤] أنَّ وجه الناس إلى غيري .

---

١) إضافة من الكشف والمعادن.
٢) كذا. وفي معادن الحكمة : «لم تعاينوا». ولعل الصحيح : «لن تعاينوا» كما في كشف المحجة.
٣) كشف المحجة : ولأنا أولى الناس به منّي بقميصي هذا.
٤) مل : رأى.

فلمّا أبطأوا عليّ بالولاية[1] لهممهم، وتثبّط الأنصارُ - وهم أنصارُ الله وكتيبةُ الإسلام - قالوا: «أمّا إذ لم تُسلموها لعليّ فصاحبُنا أحقُّ بها من غيره».

[السقيفة وبيعة أبي بكر]

فوالله ما أدري إلى مَن أشكوا ؟! إمّا أن يكون الأنصارُ ظُلمت حقّها، و إمّا أن يكونوا ظلمُوني حقّي؛ بل حقّي المأخوذُ، وأنا المظلومُ.

فقال قائلُ قريش: «إنَّ نبيَّ الله قال: «الأئمّةُ من قريش». فدفعوا الأنصارَ عن دعواها، ومنعوني حقّي منها، فأتاني رهطٌ يُعرضون عليَّ النصرَ، منهم ابنا سعيد[2]، والمقداد بن الأسود، وأبوذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، وسلمان الفارسي، و الزبير بن العوام، والبراء بن عازب. فقلت لهم: «إنّ عندي من نبيّ الله ﷺ وصيّةً[3] لستُ أُخالفه عمّا أمرني به، والله لوخرموني[4] بأنني لأقررتُ لله سمعا وطاعة».

فلمّا رأيت الناس قدانثالوا على أبي بكر للبيعة، أمسكتُ يدي وظننتُ أنّي أولى وأحقُّ بمقام رسول الله ﷺ منه ومن غيره.

وقد كان نبيُّ الله ﷺ أمّر أُسامة بن زيد على جيش وجعلها في جيشه ومازال النبيُّ ﷺ - إلى أن فاضت نفسُه - يقول: «أنفِذوا جيشَ أُسامة[5]». فمضى جيشُه إلى الشام، حتّى انتهوا إلى أذرعات[6]، فلقى جيشا من الروم

---

١) أبطأ عليه بالأمر: أخّره.

٢) هم أبان وخالد. وكان أبان واليا من قِبل رسول الله ﷺ على البحرين وخالد على اليمن؛ فلما توفى رسول الله ﷺ رجعوا عن أعمالهما، فأراد أبوبكر أن يردهم إلى ما كانا، فلم يقبلا وقالا: نحن لانعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ. راجع أسد الغابة: ٤٦/١ و ٥٧٤.

٣) في الكشف والمعادن: إنّ عندي من نبيّ الله (كشف: من النبي ﷺ) عهدا وله إليّ وصيّة.

٤) كذا. والخرم: الثقب. ولعل الصحيح مافي الكشف والمعادن: «خزموني بأني».
الخِزام: حلقة يشدّ فيها الزمام. خزّم البعيرَ: جعل في جانب منخره الخِزام. ومنه يقال: خزمَ أنفَ فلان: تسخّره وأذله.

٥) في الكشف والمعادن: أنفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة.

٦) هامش ر: أذرعات - بكسر الراء ويفتح -: بلد بالشام - ق.

فهزمهم وغنَّم الله[١] أموالَهم .

فلمّا رأيتُ راجعةً من الناس قد رجعَت عن الإسلام، تدعوا إلى محْو دين محمَّد وملَّة إبراهيم ﷺ، خشيتُ إن أنا لم أنصر الإسلامَ وأهلَه أرى فيه ثَلما وهدْما تكون المصيبةُ عليَّ فيه أعظم من فوت ولاية أموركم، التي إنّما هي متاعُ أيَّام قلائل، ثمّ تزول وتنقشع، كما يزولُ وينقشعُ السحابُ، فنهضتُ مع القوم في تلك الأحداث حتَّى زهقَ الباطلُ، وكانت كلمةُ الله هي العليا، و إن رَغِمَ الكافرون .

و لقد كان سعد[٢] لمّا رأى الناسَ يبايعون أبابكرَ نادى : «أيُّها الناس إنِّي - والله - ما أردتُها حتَّى رأيتُكم تَصرِفونها عن عليّ، ولا أُبايعكم حتَّى يبايع عليٌّ، ولعلِّي لاأفعلُ و إن بايَع» ؛ ثم ركب دابَّتَهُ وأتى حوران[٣] ، وأقام في عيّان[٤] حتَّى هلكَ ولم يبايع .

وقام فروة بن عمرو [٥] الأنصاري - و كان يقود مع رسول الله فرَسين، و يصْرِم ألف وَسَق[٦] من تمْر فيتصدَّق[٧] به على المساكين - فنادى :

«يامعشر قريش ؛ أخبِروني هل فيكم رجلٌ تحلُّ له الخلافةُ وفيه ما في عليّ» ؟

---

١) الكشف والمعادن : غنمهم الله.

٢) سعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج من معاريف الأنصار. راجع : المعارف : ٢٥٩. أسدالغابة : ٢٠٤/٢. كنزالعمال : ٤٠٤/١٣. طبقات ابن سعد : ٦١٣/٣-٦١٧.

٣) هامش ر : حوران : كورة بدمشق.

٤) كذا في النسختين ومعادن الحكمة. قال الياقوت : «عيّان :... بلد باليمن من ناحية مخلاف جعفر». ويظهر أنها غير المقصود في هذه الرواية، فإن سعدا قتل بنواحي الشام، ولم اعثر على ذكر من العيان بالشام. وجاء في المعادن وكشف المحجة بدلا عنها : «في خان»، - ولعله الصحيح- وفيه : «في عنان - نسخة».

٥) فروة بن عمرو بن دقة الأنصاري، في أسد الغابة (٥٧/٤، الترجمة ٤٢١٣) : «شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ». وقال ابن أبي الحديد (الشرح : ٢٩/٦) : «كان سيدا وهو من أصحاب عليّ وممن شهد معه يوم الجمل».

٦) الصرم : القطع. الوسق : حمل البعير. وقيل : ستون صاعا. ٧) مل : فتصدق.

فقال قيس بن مَخرمة الزُهري[١] : «ليس فينا مَن فيه ما في عليّ».

فقال له : «صدقتَ ؛ فهل في عليّ ما ليس في أحد منكم» ؟ قال : «نعم». قال : «فما يصدُّكم عنه» ؟ قال : «إجماع الناسِ على أبي بكر».

قال : أما والله - لئن أصبتم سنَّتكم، لقد أخطأتم سنَّةَ نبيِّكم، لوجعلتموها في أهل بيت نبيِّكم لأكلتُم من فوقكم ومن تحت أرجُلكم».

[وصية أبي بكر لعمر]

فولي أبوبكرٌ، فقاربَ واقتصدَ، فصَحبتُه مناصحا، وأطعتُه فيما أطاع اللهَ فيه جاهِدا، حتَّى إذا احتضر قلتُ في نفسي : «ليسَ يعدلُ بهذا الأمر عنِّي» ؛ ولولا خاصَّةٌ بينه وبين عمر وأمرٌ كان ربضاه[٢] بينهما لظننت أنَّه لايعدله عنِّي، وقد سمع قولَ النبي ﷺ لبريدة الأسلمي[٣] حين بعثني وخالد بن الوليد إلى اليمن[٤] ، وقال :

«إذا افترقتما فكلُّ واحد منكما على حياله، و إذا اجتمعتما فعليٌّ عليكم جميعا». فأغزنا وأصبنا[٥] سبْيا فيهم خولةُ بنت جعفر جار الصفا،

- و إنَّما سمِّيت جارالصفا لحُسنها[٦] -

---

١) قيس بن مَخرمة بن المطلب بن عبد مناف، ولد هو ورسول الله ﷺ عام الفيل، وكان من المؤلفة قلوبهم وحسن إسلامه. راجع أسد الغابة : ١٤٥/٤، الترجمة ٤٣٩٥.

٢) كذا. قال ابن فارس (مقائيس اللغة : ٤٧٧/٢) : «ربض - الراء والباء والضاد - أصل يدلّ على سكون واستقرار... ». وفي معادن الحكمة : ربصاه. (ربص بفلان : انتظر به خيرا أو شرا). وفي كشف المحجة : رضياه. (ولعله الصحيح).

٣) بُريدة بن الحُصيب بن عبد الله الأسلمي ، أسلم عام الهجرة إذ مر النبي ﷺ به مهاجرا؛ توفى سنة اثنتين أو ثلاث وستين. راجع طبقات ابن سعد : ٢٤١/٤-٢٤٣. أسد الغابة : ٢٠٩/١، الترجمة ٣٩٨. المعجم الكبير : ١٩/٢-٢٣.

٤) راجع المسند : ٣٥٦/٥.

٥) كذا في النسختين ومعادن الحكمة، ر ن خ : «و أصفينا» بدلا من : أصبنا. وفي كشف المحجة : «فغزونا وأصبنا» ولعله الصحيح.

٦) الأظهر أن التوضيح من إضافة الرواة.

فأخذتُ الحنفيَّة - خولة - واغتنمها خالدٌ منّي، فبعث بُريدةَ إلى رسول الله ﷺ محرّشا عليَّ، فأخبره ما كان من أخذي خولة ؛ فقال:

«يا بُريدة - حظُّه في الخُمس أكثر مما أخذ، إنَّه وليُّكم بعدي».

سمعَها أبوبكر وعمرُ - وهذا بريدة حيٌّ لم يمت[1] - فهل بعد هذا مقال لقائل ؟!

[الشورى بعد عمر]

فبايع عمردونَ المشورة، وكان مرضيَّ السيرة من الناس عندهم، حتَّى إذا احتضَر قلتُ في نفسي: «ليس يعدلُ بهذا الأمر عنّي للذي قد رأى منّي في المواطن، وسَمِع من الرسول».

فجعلني سادسَ ستَّة، وأمَر صُهيبا أن يصلِّي بالناس، و دعا أبا طلحة زيد بن سعد الأنصاري[2]، فقال له: «كن في خمسين رجلا من قومك، فاقتُل من أبىٰ أن يرضى من هؤلاء الستَّة»[3].

فالعجب من خلافِ القوم، إذ زعموا أنَّ أبابكر استخلفه النبيُّ ﷺ، فلوكان هذا حقًّا لم يخفَ علي الأنصار فبايعه الناسُ على الشورى، ثم جعلها أبوبكر لعمر برأيه خاصَّة، ثم جعلها عمرُ برأيه شورى بين ستَّة، فهذا العجب واختلافهم؛ والدليل على ما لا أُحبُّ أن أذكر قوله: «هؤلاء الرهطُ الذين قُبض رسول الله ﷺ، وهو عنهم راضٍ»، فكيف يأمر بقتل قوم رضي اللهُ عنهم ورسولُه ؟! إنَّ هذا الأمر عجيبٌ!

---

١) أورده أحمد في المسند (٣٥١/٥) عن عبد الله بن بريدة، مع تفصيل أكثر وألفاظ أخر. راجع أيضا: ٣٤٧/٥ و٣٥٠ و٣٥٨ من المسند.

٢) كذا في النسختين والكشف والمعادن، ولكن في المصادر: أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود الخزرجي الأنصاري؛ شهد العقبة وبدرا وسائرالمشاهد مع رسول الله ﷺ.
راجع سير أعلام النبلاء: ٢٧/٢-٣٤. طبقات ابن سعد: ٥٠٤/٣. أسد الغابة: ١٣٧/٢-١٣٨، الترجمة ١٨٤٣.

٣) راجع الطبري: ٢٢٩/٤، وقائع سنة ٢٣.

* * *

ولو لم يكونوا بولاية أحد أكره منهم بولايتي[1] كانوا يسمعون - وأنا أُحاجُّ أبابكر - وأنا أقول : يا معشر قريش ؛ أنا أحقُّ بهذا الأمرِ منكم ، ما كان منكم من يقرأ القرآنَ ويعرف السنَّة ويدين دينَ الحقِّ ، و إنَّما حجَّتي أنِّي وليُّ هذا الأمر من دون قريش أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال : «الولاءُ لِمَن أعتَق» . فجاءَ رسولُ الله ﷺ يُعتق الرقابَ من النار ، وأعتقها من الرقِّ ، فكانَ للنبيِّ ﷺ ولاءُ هذه الأُمَّة ، وكان لي بعده ما كان له ، فما جاز لقريش من فضلها عليها بالنبيِّ ﷺ جاز لبني هاشم على قريش ، وجاز لي على بني هاشم ، بقول النبيِّ ﷺ يوم غدير خمّ : «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» . إلاّ أن يدّعي قريشٌ فضلها على العرب بغيرِ النبيِّ ﷺ ، فإن شاؤوا فليقولوا ذلك .

فخشى القومُ إن أنا وُلِّيت عليهم أن آخذ بأنفاسهم و أعترض لحُلوقهم[2] ولايكون لهم في الأمر نصيب ، فأجمعوا عليَّ إجماع رجل واحد منهم ، حتَّى صرفوا الولايةَ عنِّي إلى عثمان - رجاء أن ينالوها و يتداولوها [فيما بينهم][3] .

فبيناهم كذلك إذ نادى منادٍ ، لايُدرى مَن هو - وأظنُّه جنِّيًا - فاسمع أهلَ المدينة ليلةَ بايعوا عثمان ، فقال :

يا ناعيَ الإسلام قمْ فانعِه ... قد ماتَ عُرْفٌ ، وبدا منكَرٌ
ما لقريش - لاعلا كعبُها - ... من قدَّموا اليوم ومن أخَّروا
إنَّ عليًّا هو أولى به ... منه ، فولُّوه و لا تنكروا

فكان لهم في ذلك عِبرة ، ولولا أنَّ العامَّة قد علمتْ بذلك لم أذكره .

فدعوني إلى بيعة عثمان ، فبايعتُ مستكرَها ، و صبرتُ محتسِبا ، و علَّمتُ أهلَ القنوت أن يقولوا : «اللهمَّ لك أخلصتِ القلوبُ ، و إليك شخصت الأبصارُ ، و أنت دُعيتَ بالألسن و إليك نجواهم في الأعمال ، فافتحْ بيننا وبين

---

١) كشف المحجة : ولم يكونوا لولاية أحد منهم أكره منهم لولايتي.
٢) الحلوق : جمع الحلق. وفي كشف المحجة : واعترض في حلوقهم.
٣) الإضافة من الكشف والمعادن.

قومنا بالحقِّ. اللهمَّ إنَّا نشكوا إليك غيبةَ نبيِّنا، وكثرةَ عدوِّنا، وقلَّةَ عددنا، وهوانَنا على الناس، وشدَّةَ الزمان، و وقوعَ الفتن؛ اللهمَّ ففرِّج ذلك بعدل تُظهره، وسلطان حقٍّ نعرفه».

فقال عبد الرحمان بن عوف: «يابن أبي طالب، إنَّك على هذا الأمر لحريص». فقلت: «لستُ عليه حريصا، إنما أطلب ميراثَ رسول الله ﷺ وحقَّه، و إنَّ لي من بعده ولاء أُمَّته، وأنتم أحرص عليه منِّي، إذ تحولون بيني وبينه، وتصرفون وجهي دونه بالسيف».

[شكوى أميرالمؤمنين عليه السلام]

اللهمَّ إنِّي أستعديك[1] على قريش، فإنَّهم قطعوا رحمي، وأضاعوا أيَّامي، ودفعوا حقِّي، وصغَّروا قدري وعظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي، حقًّا كنتُ أولى به منهم فاستلبونيه، ثم قالوا: «اصبر مغموما، أو مُتْ متأسِّفا»[2].

وأما والله لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي - كما قطعوا سببي - فعلوا؛ ولكنَّهم لايجدون إلى ذلك سبيلا. إنما حقِّي على هذه الأمَّة كرَجل له حقٌّ على قوم إلى أجل معلوم، فإن أحسنوا وعجَّلوا له حقَّه قبِله، و إن أخَّروه إلى أجله أخَذه غير حامد؛ وليس يُعاب المرءُ بتأخير حقِّه، إنَّما يعاب من أخذ ما ليس له.

[سبب قعوده عليه السلام عن إقامة حقه]

وقد كان رسولُ الله ﷺ عهِد إليَّ عهْدا، فقال:

«يابن أبي طالب - لك ولاءُ أمَّتي، فإن ولَّوك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا، فقُم بأمرهم؛ و إن اختلفوا عليك فدعْهم وما هم فيه، فإنَّ الله سيجعل لك مَخرجا».

---

١) أستعديك: أستعين بك.

٢) جاء مايقرب من كلامه عليه السلام لعبدالرحمان بن عوف - دون تسميته - وجاء هذا الدعاء في نهج البلاغة: الخطبة ١٧٢.

فنظرتُ ، فإذا ليس لي رافدٌ ، ولا معي مساعدٌ إلّا أهل بيتي ؛ فضَننتُ بهم عن الهلاك ؛ و لو كان لي بعد رسول الله ﷺ عمّي حمزة وأخي جعفر لم أُبايِع كُرها ، ولكنّي مُنيتُ برجلين [حديثي عهدٍ بالإسلام[1]] : العبّاس وعقيل ؛ فضننتُ بأهل بيتي عن الهلاك ، فأغضيتُ عيني على القَذى ، وتجرّعتُ ريقي على الشَجا ، وصبرتُ على أمرّ من العَلقَم[2] ، وآلم للقلب من حَزِّ الشِفار[3] .

[أمر عثمان]

وأمّا أمر عثمان[4] : فكأنّه عِلم من القرون الأُولى ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [٢٠/٥٢] ، خذله أهلُ بدر ، وقتله أهلُ مصر ؛ والله ما أمرتُ ولَانهيتُ ، ولو أنّي أمرتُ كنت قاتلا ، ولو أنّي نهيتُ كنت ناصرا ، وكان الأمر لاينفع فيه العيان ، ولا يشفي فيه الخبر ؛ غير أنّ من نصره لايستطيع أن يقول هو : « خذَله مَن أنا خَير منه » ، ولايستطيع من خذله أن يقول : « نصره مَن هو خيرٌ منّي » . وأنا جامع أمره : استأثَر فأساء الأَثَرَة ، وجزِعتم فأسأتم الجزَع ، واللهُ يحكم بينكم وبينه ؛ واللهِ مايلزَمُني في عثمان تهمةٌ ، ماكنت إلّا رَجلا من المسلمين المهاجرين في بيتي .

[بيعة الناس لأميرالمؤمنين ﷺ]

فلمّا قتلتموه أتيتموني تبايعوني ، فأبيتُ عليكم وأبيتُم عليَّ ، فقبضتُ يدي فبسطتُموها ، وبسطتُها فمَددتُموها ، ثمّ [تداككتم][5] عليَّ تداكَّ الإبل الهِيم على حياضها يومَ ورودها ، حتّى ظننتُ أنّكم قاتلي ، وأنّ بعضَكم قاتلُ بعض ، حتّى

---

١) في النسختين : «حديثي العهد باسار» . وما أوردناه في المتن من الكشف والمعادن.
٢) جاء مايقرب منه في نهج البلاغة : الخطبة : ٢٦ . العلقم : الحنظل وكل شيء مرّ.
٣) الحزّ : القطع. الشفار : جمع الشَفرة. وهي السكين الكبيرة وحد السيف.
٤) مايقرب منه في نهج البلاغة : الخطبة ٣٠.
٥) في النسختين : تدكاتم. وما أثبتناه من الكشف والمعادن. التداك والتداكك : تدافع المتزاحمين الواردين على شيء واحد. ويقرب منه مافي نهج البلاغة : الخطبة ٥٤.

انقطعت النعلُ وسقط الرداء، و وُطئ الضعيفُ، وبلغَ من سرورِ الناس ببيعتِهم إيَّايَ أن حُمل إليها الصغيرُ، وهدَجَ إليها الكبيرُ، وتحامَل إليها العليلُ، وحسَرَت لها الكِعابُ[1] ، فقالوا : «بايعنا على ما بويع عليه أبوبكر وعمر، فإنَّا لانجد غيرك، ولانرضَى إلّا بك، فبايعنا لانفترق و [لا]نختلف[2] ».

فبايَعتكم على كتاب الله وسنَّة نبيّه ﷺ، ودعوتُ الناس إلى بيعتي، فمن بايَعني طائعا قبلتُ منه، ومن أبَى تركتُه.

[طلحة والزبير]

فكان أوّل من بايَعني طلحةُ و الزبيرُ. فقالا : «نُبايعك على أنَّا شركاؤك في الأمر».

فقلتُ : «لا، ولكنّكما شركائي في القوّة وعونايَ في العجْز».

فبايَعاني على هذا الأمر، ولو أبيا لم أُكرههما، كما لم أُكره غيرهما.

وكان طلحةُ يرجو اليمنَ، والزبيرُ يرجو العراقَ، فلمَّا علِما أنِّي غيرُ مولِّيهما، استأذناني للعمرَة - يريدان الغدْر - فأتيا عائشةَ واستخفَّاها - مع كلِّ شيء في نفسها عليَّ.

- والنساءُ[3] نواقصُ الإيمان، نواقصُ العقول، نواقصُ الحظوظ؛ فأمَّا نقصانُ إيمانهنَّ : فقعودُهنَّ عن الصلاةِ والصيام في أيَّام حيضِهنَّ؛ وأمَّا نقصانُ عقولِهنَّ : فلاشهادة لهنَّ إلّا في الدَّيْن، وشهادةُ امرأتين برَجُل؛ وأمَّا نقصانُ حظوظِهنَّ : فمواريثُهنَّ على الأنصاف من مواريث الرجال -

وقادها عبدالله بن عامر[4] إلى البصرة، وضمن لهما الأموالَ والرجالَ

---

١) هَدَج : مشى مشية الشيخ. الكِعاب : الجارية التي نهد ثدييه. يريد أن الناس بلغوا من السرور إلى أن حسر الجاريات عن وجوههن من السعي إليها.

٢) النسختين: لانفترق ونختلف. التصحيح من الكشف والمعادن.

٣) جاء مايقرب منه في نهج البلاغة: الخطبة ٨٠.

٤) عبد الله بن عامر بن كريز، هو الذي افتتح خراسان، و كان ابن خال عثمان وعامله على←

فبيناهم يقودانها، إذ هي تقودهما؛ فاتّخذاها فئةً يقاتلان دونها.

فأيُّ خطيئةٍ أعظمُ ممّا أتيا: إخراجها[1] زوجةَ رسول الله ﷺ من بيتِها، وكشَفا عنها حجابا ستَرَه الله عليها، وصانا حلائلهما[2] في بيوتِهما! ولا أنصَفا اللهَ ورسولَه من أنفسِهما

ثلاث خصال مرجِعها على الناس: قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [١٠/٢٣]. وقال: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ [٤٨/١٠]. وقال: ﴿ لَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [٣٥/٤٣]. فقد بغَيا عليَّ، ونكَثا بيعتي، ومكَرا بي.

فُنيتُ بأطوَع الناس في الناس: عائشة بنتِ أبي بكر، وبأشجع الناس: الزبير، و بأخصَم الناس: طلحة. وأعانَهم عليَّ يَعلي بن مُنَبه بأصوُع الدنانير- والله لئن استقام أمري، لأجعلنَّ مالَه فيئا للمسلمين -[3].

← البصرة بعد أبي موسى الأشعري، وهو الذي دعا طلحة والزبير إليها. مات سنة تسع وخمسين. راجع طبقات ابن سعد: ٤٤/٥-٤٩. المعارف: ٣٢٠. تاريخ الطبري: وقائع سنة ٤١، ١٧٠/٥-١٧١. سير أعلام النبلاء: ١٨/٣-٢١.

كشف المحجة: وقادهما عبد الله بن عامر...وضمن لهما...فبيناهما يقودانها إذ هي تقودهما...
معادن الحكمة: وقادها عبيد الله بن عامر...وضمن لها...فبيناها يقودانها إذ هي تقودهما...

١) في كشف المحجة: «أخرجا...» وهذا أكثر ملائمة مع قوله: «كشفا...».

٢) مل: حلائلها.

٣) قال ابن قتيبة (المعارف: ٢٠٨): «ثم صدرت (عائشة) عن الحج، فلما كانت بـ«سرف» لقيها الخبر بقتل عثمان وبيعة عليّ، فانصرفت راجعة إلى مكة، و لحق بها طلحة و الزبير ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر بن كريز ويعلي بن مُنبَّه عامل اليمن. راجع أيضا مروج الذهب: الباب السابع والسبعون، ٧٧/٣. والباب التاسع والسبعون ١٠٢/٣.

وفي كشف المحجة: «يعلي بن منية» وجاء في الطبري (٢٤١/٤، وقائع سنة ٢٣) «عمال عمر ... وعلى صنعاء يعلي بن منية...». ومثله فيه (٤٢١/٤، وقائع سنة ٣٥) ضمن عمال عثمان. راجع أيضا: ٤٥٤/٤.

وجاء فيه أيضا (٤٥٠/٤-٤٥١، وقائع سنة ٣٦): «ثم قدم عبد الله بن عامر، ثم قدم يعلي بن أمية... قالوا: كيف نستقل وليس معنا مال نجهز به الناس. فقال يعلي بن أميّة: معي ستاة ألف بعير فاركبوها. وقال ابن عامر: معي كذا وكذا فتجهّزوا به...». راجع أيضا ٥٠٧/٤.←

[حرب الجمل]

ثمّ أتوا البصرةَ - وأهلُها مجتمعون على بيعتي وطاعتي، وبها شيعتي - خزّان بيت مال الله ومال المسلمين - فدعوا الناسَ إلى معصيتي و إلى نقض بيعتي، فمن أطاعهم أكفَروه، ومن عصاهم قتَلوه. فناجزهم[1] حُكَيم بنِ جَبَلة، فقتلوه في سبعين رجلا من عُبّاد أهل البصرة ومُخبِتيهم، يسمّون المثفّنين ـ كأنّ راح أكفّهم ثفَنات الإبل ـ وأبى أن يبايعهم يزيد بن الحارث اليشكري[2]، فقال: «اتّقيا الله، إنّ أوّلكم قادنا إلى الجنّة، فلا يقودُنا آخرُكم إلى النار، فلا تُكلِّفونا أن نصدِّق المدَّعي ونَقضي على الغائب؛ أمّا يميني فشغَلها عليُّ بن أبي طالب ؑ ببيعتي إيّاه، وهذه شمالي فارغة، فخذاها إن شئتما» فخُنق حتّى مات.

«وقام عبدالله بن حكيم التميمي[3] فقال: «يا طلحة - من يعرف[4] هذا الكتاب» ؟ قال: «نعم، هذا كتابي إليك». قال: «هل تدري مافيه» ؟

قال: «إقرأه عليَّ» - فإذا فيه عيب عثمان، و دعائه إلى قتله - فسيَّره من البصرة.

وأخذوا عاملي عثمان بن حُنيف الأنصاري غدرا، فمثلا به كلَّ مُثلة[5] ونتفا كلَّ شَعرة في رأسه و وجهه، وقتلوا شيعتي - طائفةً صبرا، وطائفةً غدرا،

← وفي الإصابة (٧٤٧/٤، الترجمة ٥٤٦٠): «يعلي بن أمية بن أبي عبيدة... التميمي الحنظلي... وهوالمعروف بيعلي بن مُنيَة - وهي أمه، وهي منية بنت غزوان... وقيل هي منية بنت الحارث... وقيل منية بنت جابر... أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك... فأعان الزبير بأربعمأة ألف... وكان يعلي جوادا معروفا بالكرم، وشهد الجمل مع عايشة، ثم صار من أصحاب علي وقتل معه بصفين». راجع أيضا تهذيب الكمال: ٢٠/٤٥٧-٤٥٨. تهذيب التهذيب (٢٥١/٦ -٢٥٢) ونفى فيه قتله بصفين. فعلى هذا تسمية الرجل بـ«يعلي بن أمية» و «ابن منية» منسوبا إلى أبيه وأمه صحيحتان. وتسميته بـ«ابن منبه» خطأ. والله أعلم.

١) هامش النسختين: المناجزة: المبارزة (مل: بخطه دام فيضه).

٢) لم أعثر على ترجمته.

٣) راجع شرح ابن أبي الحديد: ٢١٨/٩. الجمل: ١٦٣.

٤) كذا. وفي الكشف والمعادن: «هل تعرف هذا الكتاب»، ولعله الصحيح.

٥) مل: المثلة.

وطائفةً عضُّوا بأسيافهم حتَّى لقوا الله - فوالله لو لم يَقتلوا منهم إلاّ رجُلا واحدا لحلَّ لي به دماؤهم ودماء ذلك الجيش ، لرضاهم بقتل مَن قُتل ؛ دع مع أنَّهم قد قتلوا أكثر من العدَّة التي قد دخلوا بها عليهم ، وقد أدال الله منهم[1] ، فبُعدا للقوم الظالمين.

وأمَّا طلحةُ فرماه مروان بسَهم فقتله.

وأمَّا الزبيرُ فذكَّرته قولَ رسول الله ﷺ « إنَّك تُقاتل عليًا وأنت ظالمٌ له ».

وأمَّا عائشةُ فإنَّها نهاها رسولُ الله ﷺ عن مسيرها ، فعضَّت يديها نادمةً على ما كان منها.

وقد كان طلحةُ لمَّا نزلت ذاقار[2] قام خطيبا فقال : « يا أيُّها الناس إنَّا أخطأنا في أمر عثمان ، خطيئةً ، مايُخرجنا منها إلاّ الطلبُ بدَمه ، وعليٌّ قاتلُه ، وعليه دمُه ؛ وقد نزل دارا مع شُكَّاك اليمن ، ونصارى ربيعة ، ومنافقي مُضَر ».

فلمَّا بلغَني قولُه - وقولٌ كان عن الزبير قبيحٌ - بعثت إليهما أُناشدهما بحقّ محمَّد المصطفى ﷺ : « ما أتيتُماني وأهلُ مصر محاصروا عثمان ، فقلتما : « اذهب بنا إلى هذا الرجل ، فإنَّا لانستطيعُ قتلَه إلاّ بك ، لِماتعلم أنَّه سيَّر أباذرَ ، وفتَق عمَّارا ، وآوى الحكَم بن أبي العاص - وقد طرَدَه رسولُ الله ﷺ وأبوبكرُ وعمرُ - واستعمل الفاسقين على كتاب الله - الوليد بن عقبة[3] - وسلَّط خالد بن عُرفطة العذري[4] على كتاب الله يمزِّق ويخرق[5] » فقلت : « كلّ هذا قد

---

١) مل : وقد أحل الله منهم.

٢) ذو قار : قال الياقوت (معجم البلدان : ١٠/٤ ، قار) ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة.

٣) في الكشف والمعادن : الفاسق. وقد سمى الله تعالى في كتابه الوليد بن عقبة فاسقا ، وفيه نزلت قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ﴾ [٦/٤٩] ، وقوله تعالى : ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون ﴾ [١٨/٣٢].
راجع الدر المنثور : ٥٥٥/٧-٥٥٨. و٥٥٣/٦.

٤) كان على مقدمة جيش ابن سعد لما مضى إلى الحسين عليه السلام. راجع إخبار علي عليه السلام لذلك في شرح ابن أبي الحديد : ٢٨٧/٢. و ٤٧/١٦.
ومات بالكوفة سنة ستين وقيل : إحدى وستين. أسد الغابة : ٥٨٠/١ ، الترجمة ١٣٧٩.

٥) كشف المحجة : يمزقه ويخرقه.

علمت ؛ ولا أرى قتلَه يومي هذا ، وأوشك سِقاؤه أن يُخرج المخضُ زُبدتَه[1] » . فأقرَّا بما قلتُ .

وأمَّا قولكما : « أنّكما تطلبان بدَم عثمان » فهذان ابناه عمرو وسعيد ، فخلُّوا عنهما يطلبان دمَ أبيهما ؛ متى كانت أسد وتيم أولياءُ بني أُميَّة » ؟

فانقطعا عند ذلك .

* * *

وقام عمران بن الحصين الخزاعي[2] - صاحبُ رسول الله ﷺ ، وهو الذي جاءت فيه الأحاديث - وقال : « يا هذان - تخرجان[3] ببيعتكما من طاعة عليّ ، ولاتحملاناعلى نَقض بيعته فإنَّها لله رضا ؛ أما وسَعتكما بيوتُكما حتَّى أتيتما بأمّ المؤمنين ؟ فالعجب لاختلافها إيَّاكما ومسيرها معكما ؛ وكُفّا عنَّا أنفسكما ، وارجعا من حيث جئتما ، فلسنا عبيدُ من غلب ، ولا أوّل من سبَق » . فهمَّا به ، ثمَّ كفَّا عنه .

[أمر عائشة]

وكانت عائشة قد شكَّت في مسيرِها وتعاظمها القتالُ ، فدعت كاتبَها -عبيد بن كعب النميري - فقالت : اكتُب : « من عائشةَ بنتِ أبي بكر ، إلى علي بن أبي طالب » . فقال : « هذا أمرٌ لايجري به القلمُ » .

قالت : « و لِمَ » ؟ قال : « لأنَّ عليَّ بن أبي طالب في الإسلام أوّلُ ، وله بذلك البدوُ في الكَتاب » .

فقالت : اكتُب « إلى علي بن أبي طالب ، من عائشةَ بنت أبي بكر : أمَّا

---

١) مثل يضرب به لاقتراب الأمرنهايته بعد اضطرابه. السقاء: وعاء من الجلد يمخض فيه اللبن.

٢) عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي الكعبي، أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله ﷺ، توفى بالبصرة سنة اثنتين وخمسين ولي قضاء البصرة. راجع أسدالغابة: ٧٧٨/٣، الترجمة ٤٠٤٢. راجع طبقات ابن سعد: ٢٨٧/٤. المعارف: ٣٠٩. سير أعلام النبلاء: ٥٠٨/٢-٥١٢.

٣) كذا. وفي الكشف والمعادن: لاتخرجانا.

بعد فإنّي لست أجهل قرابَتكٍ من رسول الله ، ولا قدَمك في الإسلام ، ولاعناك عن[1] رسول الله ﷺ ؛ و إنّما خرجتُ مصلحةً بين بنيَّ ، لا أُريد حربَك إن كففت عن هذين الرجلين» - في كلام لها كثير -.

فلم أُجِبها بحرف ، وأخَّرتُ جوابَها لقتالها ، فلمّا قضى الله ليَ الحُسنى ، سرتُ إلى الكوفة ، واستخلفتُ عبدَالله بن عبّاس على البصرة.

[معاوية والشام]

فقدِمتُ الكوفةَ وقد اتّسقتْ لي الوجوهُ كلُّها إلاّ الشامُ ؛ فأحببتُ أن اتّخذَ الحجَّةَ وأقضي العذرَ ، وأخذت بقول الله : ﴿ وَ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [٨/٥٨] .

فبعثتُ جرير بن عبدالله[2] إلى معاوية معَذّرا إليه ، متّخذا للحجّة عليه ؛ فردَّ كتابي ، وجحَدَ حقّي ، ودفَع بيعتي ؛ فبعث إليَّ أن «ابعثْ إليَّ قتلةَ عثمان».

فبعثت إليه : «ما أنتَ وقتَلةَ عثمان ؟ أولادُه أولى به ، فادخُل أنتَ وهم في طاعتي ، ثمّ خاصِموا القومَ لأحملكم و إيّاهم على كتاب الله ، و إلاّ فهذه خُدعةُ الصبيّ عن رضاع الملء».

فلمّا يئس من هذا الأمر بعَث أن : «اجعلِ الشامَ لي حياتك ، فإن حدَث بك حادثةٌ من الموت لم يكن لأحد عليَّ طاعةٌ». و إنّما أراد بذلك أن يخلعَ

---

١) كذا. وفي كشف المحجة والبحار : «ولاعناك من». وفي معادن الحكمة : «ولاعناءك عن».
وجاء تعليقا عليه : «كتب المؤلف (علم الهدى ابن الفيض - قدهما-) بخطه في الهامش : العناء : التعب والنصب. يقال : عنى - بالكسر - عناء : إذا تعب و نصب ، و أعنيته : إذا أوقعته في التعب. و كذلك : عنيته تعنيه. و ربما يوجد في طائفة من النسخ بإعجام الغين ، من الغناء - بالفتح و المد - يعني النفع. يقال : مايغني عنك هذا ، أي مابنفعك».

٢) جرير بن عبد الله البجلي ، قال نصر بن مزاحم (وقعة صفين : ١٥) : «لما بويع علي وكتب الى العمال في الآفاق ، كتب الى جرير بن عبد الله البجلي ، وكان جرير عاملا لعثمان على ثغر همدان...». راجع تفصيل ماكان من جرير ومبايعته لأميرالمؤمنين عليه السلام ، ثم رسالته الى معاوية في وقعة صفين ١٥-٣٣ و٤٦-٦١.

طاعتي من عُنقه، فأبيتُ عليه؛ فبعث إليَّ: «إنَّ أهلَ الحجاز كانوا الحكّام على أهل الشام، فلمّا قتلوا عثمانَ صار أهلُ الشام الحكّام على أهل الحجاز».
فبعثتُ إليه: «إن كنتَ صادقا فسمّ لي رجلا من قريش الشام تحلُّ له الخلافةُ ويُقبل في الشورى، فإن لم تجده سَمَّيتُ لك من قريش الحجاز من تحلُّ له الخلافة ويقبل في الشورى».

ونظرتُ إلى أصل الشام، فإذا هم بقيَّة الأحزاب، فَراش نار وذُباب طمع، تجمَّع من كلّ أوبٍ ممّن ينبغي له أن يؤدَّب ويُحمل على السُنَّة، ليسوا بالمهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين بإحسان. فدعوتُهم إلى الطاعة والجماعة، فأبوا إلاّ فراقي وشقاقي؛ ثمّ نهضوا في وجه المسلمين ينضحونهم بالنبل ويشجرونهم[1] بالرماح؛ فعند ذلك نهضتُ إليهم.

فلمّا عضّتهم السلاحُ و وجدوا ألم الجِراح رفعوا المصاحفَ، فدعَوكم إلى ما فيها، فأنبأتُكم أنّهم ليسوا بأهل دين ولاقرآن، و إنّما رفعوها مَكيدةً وخَديعةً، فامضوا لقتالهم؛ فقلتُم: «اقبَلْ منهم، وأكفُف عنهم، فإنّهم إن أجابوا إلى مافي القرآن جامَعونا على ما نحن عليه من الحقّ».

فقبلتُ منهم، فحضضت[2] عنهم؛ فكان الصلحُ بينكم وبينهم على رَجلين حكَمين، ليُحييا ماأحيا القرآنُ، و يُميتا ما أمات القرآنُ. فاختلف رأيُهما، واختلف حكمُهما، فنبذا مافي الكتاب، وخالفا ما في القرآن؛ وكانا أهله.

[الخوارج]

ثمّ إنَّ طائفة اعتزلت، فتركناهم ماتركونا، حتّى إذا عاثوا[3] في الأرض يفسدون ويقتلون.

---

١) هامش النسختين: نضح فلانا بالنبل: رماه - ق. شجره بالرمح: طعنه - ق.
٢) كشف المحجة: وكففت.
٣) عاثوا: أفسدوا.

- وكان فيمن قتلوه أهل سيرة[١] من بني أسد، وقتلوا خبّاب بن الأرتّ و إبنه وأمّ ولده[٢]، والحارث بن مرّة العبدي[٣] -

فبعثتٍ إليهم داعيا، فقلت: «أدفعوا إلينا قَتَلَةَ إخواننا». فقالوا: «كلُّنا قتَلْتُهم» ثمّ شدّت علينا خيلُهم ورجالُهم فصرعهم الله مصارع الظالمين؛ فلمّا كان ذلك من شأنهم أمرتُكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوّكم. فقلتم: «كلّت سيوفُنا ونصلت أسِنَّة رماحِنا وعاد أكثرُها قصيدا[٤] فأذَنْ لنا فلنرجع ولنستعدَّ بأحسَنِ عُدَّتنا، و إذا نحن رجعنا زدنا في مقاتلتنا عدَّة من قُتل منّا».

حتّى إذا ظللتم على النُخيلة أمرتُكم أن تلزموا معسكرَكم، وأن تضمّوا إليه

---

١) كذا. وفي الكشف والمعادن: أهل ميرة.

٢) كذا في النسختين ومعادن الحكمة وكشف المحجة. ويظهر أنّ الصحيح: «عبد الله بن خباب بن الأرتّ» فإنه المقتول بيد الخوارج. فقد حكى الطبري (٨١/٥، وقائع سنة ٣٧) بإسناده عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقهم: «دخلوا [الخوارج] قرية، فخرج عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ذَعِرا يجرّ رداءه... فقدّموه على ضفّة النهر فضربوا عنقه، فسال دمه كأنّه شراك نعل، وبقروا بطن أم ولده عمّا في بطنها».

وأمّا أبوه خباب بن الأرتّ فهو ابن جندلة التميمي، من السابقين إلى الإسلام، شهد بدرا وأُحدا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، والمذكور في ترجمته أنّه مات بالكوفة مريضا، ولم‌يذكر شيء عن قتله بيد الخوارج. وجاء في أُسد الغابة: «قال أبوعمر: مات خباب سنة سبع وثلاثين، بعد ماشهد صفّين مع عليّ - رضي الله عنه - والنهروان... وقيل: مات سنة تسع عشرة وصلى عليه عمر» - ثم قال:- « قلت: الصحيح أنّه مات سنة سبع وثلاثين، وأنه لم يشهد صفين، فإنه كان مرضه قدطال به فمنعه من شهودها».

راجع طبقات ابن سعد: ١٦٤/٣-١٦٧. سير أعلام النبلاء: ٣٢٣/٢-٣٢٥. وقعة صفين: ٣٢٥ و٥٣٠. أسد الغابة: ٥٩١/١-٥٩٤.

٣) كان من أُمراء الجند في صفين، قال نصر بن مزاحم: «واستعمل عليّ على الخيل عمّار بن ياسر... وجعل على رجّالة الميسرة الحارث بن مرة العبدي».

وحكى الطبري (٨٢/٥، وقائع سنة ٣٧) عن أبي مخنف: «... فبعث ذلك عليّا ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خبّاب واعتراضهم الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه ولايكتمه؛ فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسائلهم، فخرج إليه القوم فقتلوه».

٤) هامش النسختين: أنصل السهم ونصّله: جعل فيه نصلا وأزيل عنه، كلاهما ضد - ق.

قواصيكم[١]، وأن تُوطّنوا على الجهاد نفوسَكم، ولاتُكثِروا زيارةَ أبنائكم ولانسائكم، فإنَّ أصحابَ الحرب مصابِروها وأهلُ التشمير فيها، والذين لايتوجَّدون من سهَر ليلهم، ولاظمأ نهارهم، ولافقدان أولادهم ولانسائهم.

وأقامت طائفةٌ منهم معدَّة، وطائفةٌ دخلت المصرَ عاصية، فلا من دخل المصرَ عادَ إليَّ، ولا من أقام منكم ثبتَ معيَ ولاصبرَ. ولقد رأيتُني وما في عسكري منكم خمسون رجلا؛ فلمّا رأيت ما أنتم عليه دخلت عليكم، فما قُدِّر لكم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا.

[تحريض الناس إلى القتال]

لله أبوكم - ألا ترون إلى مصر قد افتُتحت، و إلى أطرافكم قد انتُقصت، و إلى مسالحكم[٢] تُرق، و إلى بلادكم تُغزى، وأنتم ذو عدد جمّ، وشوكة شديدة، وأولو بأس قدكان مخوفا؟

لله أنتم - أين تذهَبون وأنّىٰ تؤفكون؟ ألا إنَّ القوم جدّوا وباسوا[٣] وتناصَروا وتناصَحوا، و إنّكم أبيتم وتخاذَلتم و ونَيتم وتغاشَشتم؛ ماأنتم إن ائتمنتم على ذلك سُعداء؛ فانتبهوا -رحمكم الله- نائمَكم، وتحرّوا لحرب عدوِّكم، فقد أبدت الدعوة[٤] عن الصريح، وأضاء الصبحُ لذي عينين، إنّما تقاتلون الطلقاءَ وأبناءَ الطلقاء وأهلَ الجفاء، ومن أسلم كُرها وكان لرسول الله ﷺ أنفا وللإسلام كلّه حرْبا[٥]؛ أعداء السنَّة والقرآن، وأهل البِدع والأحداث، ومن كانت نِكايته تُتّقى وكان على الإسلام وأهله مخوفا، وأكلةُ الرشاء وعبيدُ الدنيا.

---

١) الكشف والمعادن: نواصيكم. ٢) المسالح - جمع المسلحة -: موضع السلاح.

٣) كشف المحجة: تآسوا. معادن الحكمة: تأسوا. هامش ر: بؤس ككرم فهو بئيس: شجاع-ق.

٤) كذا. وفي الكشف والمعادن: أبدت الرغوة عن الصريح.

ولعله الصحيح. فإن «أبدى الصريح عن الرغوة» مثل يضرب لظهور الأمر بعد استتاره. الرغوة: الزبد. الصريح: اللبن.

٥) في النسختين: «وكان لرسول الله ﷺ انف الاسلام كله حرب أعداء السنة...». والصحيح ما أثبتناه كما في معادن الحكمة أيضا.

لقد أُنهي إلى أنَّ ابن النابغة لم يبايـع معاوية حتَّى شرَط له أن يؤتيه آتية هي أعظم مما في يديه من سلطانه، فصَفِرت يدُ هذا البـايـعُ دينَه بالدنيا، وخربت[1] أمانةُ هذا المشتري نصرةً[2] فاسق غادر بأموال المسلمين؛ وأيُّ سهم لهذا المشتري ؟! شَربَ الخمرَ، وضُرب حدًّا في الإسلام؛ وكـلُّكـم يعـرفه بالفساد في الدين ؟ وأيُّ سهم لمن لم يدخل[3] في الإسلام وأهله حتَّى رضخ عليه رضيخة[4] ؟

فهؤلاء قادة القوم؛ و من تركتُ لكم ذكرَ مساويه أكثر و أنور[5] ، وأنتم تعرفونهم بأعيانهم وأسمائهم. كانوا على الإسلام ضدًّا، ولنبيِّ الله ﷺ حَربا، وللشيطان حِزبا، لميتقدَّم إيمانهم، ولم يحدُث نفاقُهم، وهؤلاء الذين لو وُلُّو عليكم لأظهروا فيكم الفخرَ والتكبُّرَ والتسلُّط بالجبريَّة والفساد في الأرض، وأنتم - على ماكان منكم من تواكل وتخاذُل - خير منهم وأهدى سبيلا؛ منكم الفقهاءُ، والعلماءُ والفهَماءُ وحملةُ الكتاب والمتهجِّدون بالأسحار. ألا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولايةَ السفهاءُ البطَّاء عن الإسلام، الجفاةُ فيه ؟!

اسمعوا قولي - يهدكم الله - إذا قلت، وأطيعوا أمري إذا أمرت، فوالله لئن أطعتموني لاتغووا، و إن عصيتموني لاترشدوا؛ قال الله - تعالى - : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ﴾ [١٠/٣٥] ، فما لكم كيف تحكمون. وقال الله - تعالى - لنبيِّه ﷺ : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [١٣/٧]. فالهادي بعد النبيِّ ﷺ هادٍ لأُمَّته على ماكان من رسول الله ﷺ؛ فمن عسى أن يكون الهادي إلاّ الذي دعاكم إلى الحقِّ وقادكم إلى الهدى.

خذوا للحرب أهبتَها، وأعِدُّوا له عُدَّتها، فقد شبَّت وأُوقدت نارها، وتجرَّد

---

١) الكشف والمعادن: وخزيت.

٢) الكشف والمعادن: بنصرة.

٣) كشف المحجة: وإن منهم من لم يدخل.

٤) الرضيخة: العطاء القليل.

٥) كشف المحجة: ابور.

لكم الفاسقون لكيما يطفؤا نورالله بأفواههم ويغرّوا[1] عبادَ الله ، ألا إنَّه ليس أولياءُ الشيطان - من أهل الطمع والجفاء - أولى بالحقِ من أهل البرّ والإخبات في طاعة ربّهم ومناصحة إمامهم ؛ إنّي والله لو لقيتُهم وحدي - وهم وأهلُ الأرض - ما استوحشتُ منهم ولا باليتُ ، ولكن أسفٌ يُريبني وجزَع يَعتريني من أن يلي هذه الأمّة فُجّارُها وسفهاؤها ؛ فيتّخذون مالَ الله دولاً ، وكتابَ الله دغلا ، والفاسقين حِزبا والصالحين حَربا ؛ وأيم الله لولا ذلك ماأكثرتُ تأنيبَكم وتحريصكم ولتركتُكم إذا أبيتم حتّى ألقاهم متى حمَّ لي لقاهم ؛ فوالله إنّي لعلى الحقِ ، و إنّي للشهادة لمحبّ ، و إنّي إلى لقاء الله ربّي لمشتاق ، ولحسن ثوابه منتظر .

إنّي نافرتكم فانفروا خفافا وثقالا ، وجاهِدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ولاتثاقلوا في الأرض فتعمُّوا بالذلِّ ، وتقرّوا بالخسف ، ويكون نصيبُكم الأخسرَ ؛ إنَّ أخا الحرب اليقظانُ الأرقُّ - إن نام لم تنَم عينُه - ومن ضعُف أُوذي ، ومن كره الجهادَ في سبيل الله كان المغبونُ المَهين .

إنّي لكم اليوم على ما كنت عليه أمس ، ولستم لي على ماكنتم عليه ، مَن تكونوا ناصريه أخذ بالسهم الأخيب[2] . والله - لونصرتم الله لنصركم ، وثبّت أقدامَكم ، إنّه حقٌّ على الله أن يَنصُر من نصَره ، ويخذُل مَن خذَله ؛ أترون الغلبةَ لمَن صبرَ بغير نصرٍ ، قد يكون الصبرُ جُبنا ، ويكون حميَّة ، و إنّما الصبرُ بالنصر ، والورودُ بالصدرِ ، والبرق بالمطر .

اللهمَّ أجمعنا و إيَّاهم على الهدى ؛ وزهّدنا و إيّاهم في الدنيا ،
واجعل الآخرة خيرا لنا من الأُولى» .

هذا آخر كتاب أميرالمؤمنين ﷺ وبتمامه تمّ كتاب العلم بالكتب والرسل من أنوار الحكمة ، ويتلوه كتاب العلم باليوم الآخر ؛ والحمد لله وحده .

---

١) كشف المحجة : ويعزوا - نسخة : يعرّوا -. معادن الحكمة : يغزوا.
٢) السهم الأخيب : الذي لانصيب له من القداح.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العلم باليوم الآخر

﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾

[١٦/٤٠]

في بيان مغايرة الروح للبدن

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ [١٤/٢٣]

نور

[الإنسان له روح وبدن]

اعلم أنَّ الإنسان في الحقيقة أمر وراء هذا البدن المحسوس، وهو من عالم الملكوت، وبه قوام هذا البدن، وهو ليس من جنسه ولا من جنس شيء من أجزائه، فإنّ في إهاب[١] كلّ حيوان كامل حيوانا آخر من عالم الغيب، هو في الحقيقة يسمعُ ويرى ويشمّ ويذوق ويلمس ويبطش ويمشي، ولهذا يفعل هذه الأفاعيل و إن ركدت هذه القوى والحواسُّ البدنيَّة منه - كما في النوم والإغماء والسكر - فله في ذاته هذه المشاعرُ والقوى والآلات من غيرعوز، إلاّ أنّها ليست ثابتة في عالم الحسّ والشهادة؛ وهذه المشاعر الظاهرة بمنزلة ظلال لتلك، وكذلك هذا البدن الظاهر بمنزلة قشر وغلاف وقالب لذلك البدن، و إنّما حياة هذه كلّها بذاك، وهو الحيوان بالذات. و إليه الإشارة بقوله عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [١٤/٢٣]. وقال في حقّ آدم: ﴿ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [٢٩/١٥]. وفي حقّ عيسى: ﴿ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَيهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ ﴾ [١٧١/٤]. وهذه الإضافة تؤذن على شرف هذه النفس، وكونها عريَّة عن عالم الأجرام.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ [٢٧/٨٩-٢٨] والرجوع يدلُّ على السابقة.

---

١) مل: من اهاب.

* * *

وروى الشيخُ الطبرسي - رحمه الله - في كتاب الاحتجاج[1] ، عن الصادق ﷺ إنّه قال : «الروح لاتوصف بثقل ولاخفّة. وهي جسمٌ رقيقٌ قدأُلبس[2] قالبا كثيفا... فهي بمنزلة الريح في الزقّ فإذا نفخت فيه امتلأ الزقّ منها، فلايزيد في وزن الزقّ ولوجها، ولاينقصه خروجها. وكذلك الروح : ليس لها وزنٌ ولاثقل...»

قيل : «أفيتلاشي الروحُ بعد خروجه عن قالبه أم هو باقٍ» ؟ قال : «بل هو باقٍ إلى وقتٍ يُنفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفني، فلاحسّ ولامحسوس، ثمّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها، وذلك أربعمائة سنة نسيت فيها الخَلق[3] ، وذلك بين النفختين».

و قال أيضا[4] : «إنَّ الروح مقيمةٌ في مكانها، روحُ المحسن في ضياء وفسحة، وروحُ المسيء في ضيق وظلمة، والبدنُ يصير ترابا...» الحديث.

وفي رواية أُخرى[5] قال : «وبها يؤمر البدنُ ويُنهى، ويُثاب ويُعاقب، وقدتفارقه ويلبسها الله - سبحانه - غيره كما تقتضيه حكمته».

قوله ﷺ «وقد تفارقه ويلبسها الله غيرَه» صريحٌ في أنّها مجرَّدةٌ عن البدن مستقلّةٌ، وأن ليس المراد بها الروح البخاريَّة ؛ وأمّا إطلاقه الجسم عليها : فلأنَّ نشأةَ الملكوت - أيضا- جسمانيَّة من حيث الصورة، و إن كانت روحانيَّة من حيث المعنى، وغير مدرَكة بهذه الحواسِ الظاهرة.

---

١) المنقول هنا ملتقات من أجوبته ﷺ عن سؤالات الزنديق الذي سأله عن مسائل كثيرة، الاحتجاج : ٢/٢٤٥.
٢) ر ن خ، مل ن خ : اكتست.
٣) المصدر : يسبت فيها الخلق.
٤) الاحتجاج : ٢/٢٤٦.
٥) لم أعثر على مستند الرواية، وقد أشار إليه المجلسي في البحار (٣٦/٦١) ولكنه أيضا محكي قول المصنف كما يظهر مما أورده بعده :«وقال بعضهم قوله ﷺ وقد تفارقه... صريح في أنها...» وذلك نص كلام المصنف هنا.

وروى محمّد بن الحسن الصفّار في بصائر الدرجات[١] عنه عليه السلام - أيضا أنّه قال :- «مثَلُ المؤمن وبدنِه كجوهرة في صندوق، إذا أُخرجت الجوهرة منه طُرح الصندوقُ ولم يُعبأ به».

- قال : - « إنّ الأرواح لا تُمازج البدنَ و لاتُداخله، إنّما هي كالكلل للبدن محيطة به».

نور

[إنسانيّة الإنسان بروحه لاببدنه]

وممّا يدلُّ على ذلك دلالةً واضحة أنَّ بدن الإنسان وأعضاءه دائمُ الذوبان والسيلان، لعكوف الحرارة الغريزيّة على التحليل والتنقيص، وكذا غيرها من الأسباب - كالأمراض الحارّة، والمسهلات - وذاته منذ أوّل الصبي باقية ؛ فهو هو لاببدنه.

ومن هذا يظهر أنَّ هٰذيَّة البدن ـ من حيث هو بدنٌ لهذه النفس ـ إنّما هي بهذه النفس، و إن تبدَّل تركيبُه ؛ وكذا هٰذيَّة الأعضاء - كهذه اليد، وهذا الإصبع - إذ كلُّها منحفظُ الهويَّة تبعا لهويَّة النفس.

و إلى مثل هذا أُشير فيما روي عن الصادق عليه السلام[٢] في قوله سبحانه : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَت جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [٤/٥٦] حيث سُئل : ما ذنبُ الغير ؟ قال : «ويحك - هي هي، وهي غيرُها»[٣] - فافهم واغتنم.

---

١) بصائرالدرجات: الجزء ٩، باب (١٨) الروح التي قال الله تعالى: يسئلونك...: ٤٦٣، ح١٢. عنه البحار: ٦١/٤٠، ح١١.

٢) أمالي الطوسي: المجلس الرابع والعشرون، ٥٨١، ح٩. عنه البحار: ٧/٣٩، ح٧. و ١٠/٢١٩، ح١٩.

الاحتجاج: احتجاج الإمام الصادق عليه السلام: ٢/٢٥٦. عنه البحار: ٧/٣٨، ح٦.

٣) السائل ابن أبي العوجاء وتمام الحديث: قال: «أعقِلني هذا القول». فقال عليه السلام: «أرأيتَ لوأنَّ رجلا عمدَ إلى لبِنة فكسرها، ثم صبَّ عليها الماء وجبلها، ثم ردَّها إلى هيأتها الأولى، ألم تكن هي هي، وهي غيرُها» ؟ قال: «بلى - أمتع الله بك».

نورٌ

[الجوهر الناطقة من فوق عالم الطبيعة]

ومن الشواهد أنّك - مع شواغلك - إذا فكرت في آلاء الله أو سمعتَ آية تشير إلى الأُمور الإلهيّة وأحوال المآب، انظر كيف يقشعرُّ جلدُك، و يقفُ شَعرُك و يهون عليك حينئذ رفضُ البدن وقواه، وهوسِه وهواه؛ وذلك لأجل نور قُذف في قلبك من الجنبة العالية، وانعكس أثرُه إلى ظاهر جِلدك من جهة الباطن - على عكس ما ينفعل الداخلُ من الخارج - فباطنُك غيرظاهرِك.

وكذلك إذا أردتَ إخلاصَ نـيَّةٍ في التقرُّب إلى الله - سبحانه - لم‌يتيسَّر لك ذلك إلّا بمجاهدة تامَّة؛ فالجوهر النطقي منك من عالَم آخر وقع غريبا في الجسد بيد الشهوة والغضب والوهم وغيرها.

نور علويّ
[في الإنسان أربع نفوس]

رُوي عن كميل بن زياد[1] أنَّه قال: سألتُ مولانا أمير المؤمنين عليّا عليه السلام فقلت: «يا أميرالمؤمنين أُريد أن تُعرِّفني نفسي».

قال: «يا كميل - وأيّ الأنفس تريد أن أُعرّفك»؟

قلت: «يا مولاي - هل هي إلّا نفسٌ واحدة»؟

قال: «ياكميل - إنّماهي أربعة: النامية النباتيَّة، والحسيَّة الحيوانيَّة، والناطقة القدسيَّة، والكليَّة الإلهيَّة؛ ولكلٍّ واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان:

فالناميّة النباتيّة لها خمس قوى: ماسكةٌ، وجاذبةٌ، وهاضمةٌ، ودافعةٌ، ومربيّةٌ. ولها خاصيّتان: الزيادة والنقصان؛ وانبعاثها من الكبد.

---

١) الرواية أوردها المجلسي (البحار: ٨٥/٦١) عن بعض كتب الصوفية - و لم يسم المصدر - ثم قال: «وهذه الاصطلاحات لم تكد توجد في الأخبار المعتبرة...»

والحسيَّة الحيوانيَّة لها خمس قوى : سمْع ، وبصَر ، وشمٌّ ، وذوقٌ ، ولمسٌ . ولها خاصيّتان : الرضا والغضب ؛ وانبعاثها من القلب .

والناطقة القدسيَّة لها خمس قوى : فكرٌ ، وذكرٌ ، وعلمٌ ، وحلمٌ ، ونباهةٌ . وليس لها انبعاث ، وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكيَّة[1] ولها خاصيَّتان : النزاهة والحكمة .

والكليَّة الإلٰهيَّة لها خمس قوى : بقاءٌ في فناء ، ونعيمٌ في شقاء ، وعزٌّ في ذلٍّ ، وفقرٌ في غناء ، وصبرٌ في بلاء ؛ ولها خاصيّتان : الرضا ، و التسليم ؛ وهذه التي هي مبدؤها من الله و إليه تعود ، قال الله - تعالى - : ﴿ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [٢٩/١٥] وقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [٨٩/٢٧-٢٨] .

والعقل وسط الكلّ .

نورٌ تنبيهي
[الإنسان في منازل خلقه وموته وبعثه]

اعلم أنَّ الله - سبحانه - إنَّما خَلق الإنسانَ وسوَّاه وعدَّله شيئا فشيئا ، وأتمَّ خِلقته وأكمله تدريجا وأطوارا ، كما قال : ﴿ وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [٧١/١٤] ؛ وذلك [بعد] ما أتى عليه ﴿ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [٧٦/١] .

فخلقَه ـ أوّل ماخَلقه ـ ﴿ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [٢٢/٥] ثمّ ﴿ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [٢٢/٥] ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [٢٢/٥] ، [ثم] جعله عِظاما ، ثم كَسَى العِظامَ لحما ، ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾ [٢٣/١٤] .

---

١) هامش ر : «قوله ﷺ : «وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكيّة» أراد بالملك نوعا خاصّا منه ، لمادريت أن مرتبة كثير من الملائكة السفليّة دون مرتبة الإنسان ، وكذلك يكون أكثر إطلاقاته في الكتاب والسنّة. ولهذا أيضا لم تسمَّ به القوى الحيوانيَّة في هذا الحديث ، وسمّيت بالروح في أخبار كثيرة ؛ مع أنّ الروح أعظم من الملك. وتحت هذا الحديث أسرار ليس هنا محل ذكرها (منه)».

وفي هذه المراتب تكامل شيئا فشيئا، فبعد مالم يكن شيئا مذكورا، كان كالجماد والمعادن ليس له إلّا صورة حافظة لتركيبه؛ ثمّ صارت تلك الصورة بعينها نفسا نباتيَّة ذات قوى غاذية وجاذبة وماسكة وغيرها، يصدر منها مع حفظ التركيب: النشؤ والنموُّ والازدياد في الأقطار.

ثمّ صار تلك النفس النباتيَّة بعينها نفسا حيوانيَّة يصدر منها مع مايصدر من قبل: الإحساس والحركة وخواصُّ الحيوانيَّة، ثمّ تكامل في الحيوانيَّة شيئا فشيئا إلى أن صار إنسانا يصدر منه مع مايصدر من قبل: ما هو من خواصّ الإنسانيَّة.

ثمّ تكامل في الإنسانيَّة إلى أن وصل إلى درجة العقل.

وقد شبّهوا مراتب هذه الآثار في النبات والحيوان والإنسان بنار تأثّر عنها فحمٌ بالحرارة، وآخر بالتحمّر والتجمّر، وآخر بالإضاءة والإحراق؛ فيفعل فعل النار وفعل الأولين، وكلّما وقع له الاشتداد صدر عنه ماكان يصدر عمّاتقدّم عليه.

في الموت

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوتِ ﴾
[١٨٥/٣]

نور

[الموت طبيعي لكلّ نفس]

الإنسان إذا حصل له الكمالات التي في استعداده أن تحصل له وصار كاملاً، استغنى عن البدن وانزجر عنه لتوجُّهه الطبيعيّ دائما نحو كمال أُخرويّ وانتقاله الذاتيّ قليلا قليلا إلى نشأة ثانية، لأجل تجوهره واستقلاله، حتَّى إذا بلغ غايته من التجوهر ومبلغه من الفعليّة والاستقلال في الذات انقطع تعلّقه من البدن بالكليَّة، وكلّما حصلت له قوّة وفعليّة حصل للبدن وهْن ودثورٌ إلى أن تحي هذه ويموت هذا؛ سواء كانت كمالاته مُسعدة أو مُشقية.

فإنَّه كما تكون الحركة الذاتيّة في السعادة ويكون التكامل فيها كذلك تكون في الشقاوة والازدياد فيها، على حسب ماغرز في جبلّة الروح - على ما مرّ ذكره -.

فللإنسان حركةٌ طبيعيَّةٌ ذاتيّة من لدن نشوئه و وجوده و مبدئه، إلى آخر بعثه ولقاءِ بارئه؛ و إليه الإشارة بقوله -عزَّ وجلّ- : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [٦/٨٤].

والموت والبعث منزلان من منازل هذا الطريق، لابدَّ من المرور عليهما لامحالة، ولامفرَّ منهما، فهما ضروريّان للإنسان: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوتُ ﴾ [٧٨/٤] ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهَادَةِ ﴾. [٨/٦٢]

فالموت طبيعيّ له، وكلّ طبيعي خير وتمام، وأما الفساد والهلاك الذي

يطرء البدن فإنّما هو له بالعرض، لا بالذات ؛ ولأجل رعاية النفس لكونها أشرف من البدن الذي موته حياتها وتمامها، على أنّ إنيّة البدن وذاته إنما تكون بالنفس، فإذا قطع النظر عن النفس لم تبق للبدن إنيّة وحقيقة إلا العناصر والأجزاء البسيطة والمادّة، وهي بحالها، بل ترجع إلى كمالها.

نور

[الموت حياة أخرى]

فالموت ليس أمرا يُعدمنا، بل يُفرّق بيننا وبين ماهو غيرنا وغير صفاتنا اللازمة.

وهذا ورد في الحديث النبوي ﷺ[١] : «خُلقتم للبقاء، لا للفناء».

و في لفظ آخر[٢] : «خُلقتم للأبد، و إنّما تنقلون من دار إلى دار».

وفي حديث آخر[٣] : «الأرض لا تأكل محلَّ الإيمان».

وفي القرآن : ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ﴾ [١٦٩/٣].

ونادى النبيُّ ﷺ[٤] الأشقياءَ المقتولين يومَ بدر : «يافلان ويافلان، قد وجدتُ ماوعدني ربّي حقًّا، فهل وجدتم ماوعد ربُّكم حقًّا» ؟ - ثمّ قال :- «والذي نفسي بيده إنّهم لأسمع لهذا الكلام منكم، إلّا أنّهم لايقدرون على الجواب».

---

١) قال الصدوق - قده - في اعتقاداته (باب الاعتقاد في النفوس والأرواح): «واعتقادنا فيها أنها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء، لقول النبيّ ﷺ : ماخلقتم للفناء، بل خلقتم للبقاء، و إنما تنقلون من دار إلى دار». البحار : ٢٤٩/٦، ح٨٧.

٢) راجع التعليقة السابقة.

٣) لم أعثر عليه. وقدأورده الغزالي في الإحياء (كتاب شرح عجائب القلب، بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس، ٣٦/٣) قائلا : «و إليه أشارالحسن رحمه الله بقوله : التراب لايأكل محل الإيمان». وقال الزبيدي في شرحه (إتحاف السادة : ٢٥٥/٧): «كما نقله صاحب القوت».

٤) راجع السيرة النبوية لابن هشام : ٦٣٩/١.

نور
[فناء البدن وبقاء النفس]

وأيضا فإنّ كلّ مايعدم بعد وجوده فإنّما يعدم بسبب، وسبب عدم الشيء إمّا عدم أحد أسبابه الأربعة - الفاعل والغاية والمادّة والصورة - أو ورود أمر وجوديّ مضادّ له على ذاته أو على مادّته، والنفس فاعلها وغايتها هو الله سبحانه باستخدام بعض الملائكة الباقية بإبقاء الله تعالى إيّاه، وليس لها مادّة لتجرّدها، ولاصورة لأنّها جوهر صوريّ، فصورتها ذاتها، لاصورة أخرى، و إذ لا مادّة لها، فلا ضدّ لها. وكلّ أمر وجوديّ يتحقّق في النفس فلايكون إلا من قبيل العلوم والتصوّرات النفسانيّة والتأويلات الفكريّة؛ فموت البدن لوكان مؤثّرا في بطلان النفس لكان ذلك عند تصوّر النفس لها وخطوره بالبال.

ثمّ إنّ كثيرا مّا تتصوّر أنفسنا موت البدن، ولم تتضرّر أصلا، فكيف يكون سببا لهلاكها، وشرط الحدوث لايجب أن يكون شرط البقاء، فكان البدن باستعداده شبكة اقتناص النفس من مُفيضها، فبعد دخولها في دار الوجود بواسطة الشبكة استغنت عنها.

سرّ
[من أدلّة بقاء النفس]

وكيف تعدم النفوس[1] وقد جعل الله ـ سبحانه ـ بواجب حكمته في طبايعها محبّةَ الوجود والبقاء، وجعل في جبلّتها كراهةَ العدم والفناء، لكون الوجود خيرا صِرفا ونورا محضا، وبقاؤه خيريّة الخير ونوريّة النور، وقد ثبت وتيقّن أنّ بقاءَها ودوامَها في هذه النشأة الحسيّة أمرٌ مستحيلٌ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [٤/٧٨].

فلو لم يكن لها نشأة أُخرى تنتقل هي إليها، لكان ما ارتكز في طبايعها

---

١) اقتباس من المبدء والمعاد: ٤٥٦-٤٥٨. الأسفار الأربعة: ٢٤١/٩.

وأُودع في جبلّتها من محبّة البقاء الأبديّ والحياة السرمديّة باطلا ضائعا عبثا -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - .

تنوير
[كراهة الموت]

وأمّا كراهة النفس لموت الجسد، الذي هو عائق عن حياتها السرمديّة وبقائها الأبدي، مع ما ارتكز فيها من التوجُّه الجبلّي إلى الدار الآخرة والحركة الذاتيّة إليها فالسبب فيها أمران: فاعليٌّ وغائيٌّ:

أمّا الفاعليُّ: فهو أنَّ النفس - كما مرّ مرارا - لها نشآتٌ ثلاث: حسيَّة وخياليَّة وعقليّة:

فأُولى نشآتها نشأة الحسّ، ولها الغلبة على الإنسان مادامت هذه الحياة الحسيَّة باقية له، فيجري أحكامُها على النفس في هذه الدار، و يؤثّر فيها من هذه الجهة كلُّ ما يؤثِّر في الجوهر الحاسّ وفي الحيوان الحسّي من الملايمات والمنافرات الحسّية، ولهذا تتضرَّر وتتألَّم بتفرُّق الاتّصال والاحتراق بالنار وسائر المنافيات الحسيَّة؛ لامن حيث كونها جوهرا ناطقا وذاتا عقليّة ذات نشأة روحانيّة وعالم ملكوتي، بل من حيث كونها جوهرا حسّاسا ذا نشأة حسّيَّة وعالم دنياويّ؛ فتوحُّشها من الموت البدنيّ وكراهتها للعدم الحسّيّ إنّما يكون لها بحصّة من هذه النشأة الطبيعيّة.

وأمّا مايقتضيه العقل التامّ وقوّة الباطن وغلبة سلطان الملكوت والتشوّق إلى الله - تعالى - ومجاورة مقرَّبيه: فهو محبّة الموت الطبيعي، والوحشة عن حياة هذه النشأة، ومشاهدة حيوانات الدنيا؛ فإنَّ وحشة أهل الباطن عن مجاورة أحياء هذا العالم أشدُّ من وحشة الإنسان الحيّ عن مجاورة الأموات بكثير. ومن هنا قال أميرالمؤمنين عليه السلام[1] حين ضربه ابن ملجم: «فُزتُ وربِّ الكعبة».

---

١) مناقب ابن شهرآشوب: فصل في مسابقته عليه السلام باليقين و الصبر، ١١٩/٢. و فصل في مقتله: ٣١٢/٣. عنه البحار: ٢/٤١، ح٢. و٢٣٩/٤٢، ح٤٥.

وأمّا السبب الغائي في ذلك : فهو ما مضى من أنَّ إرادة الله - سبحانه - وقصده في إيداع[1] الألم في جبلّة الحيوانات والوجع والخوف في طباعها عمّا يلحق أبدانها من الآفات والعاهات - وخصوصا الموت - إنما هو للحثّ لنفوسها على حفظ أبدانها وكلاءة أجسادها من الآفات العارضة لها ؛ إذ الأجساد لاشعور لها في ذاتها ، ولا قدرة على جرّ منفعة إليها ولا دفع مضرّة عنها ، فلو لم يكن ذلك ، لتهاونت النفوسُ بالأجساد وخذلتها ، وأسلمتها إلى المهالك قبل فناء أعمارها وحلول آجالها ولهلكت دفعة واحدة في أسرع مدّة قبل تحصيل نشأة أُخرى وتعمير للباطن ؛ وذلك ينافي المصلحة الكلّيّة ، والحكمة الأزليّة .

نور

[كل نفس ذائقة الموت]

ومن تبيّن له بالبرهان توجّه كلّ سافل إلى عال ورجوع كلّ شيء إلى أصله ، وأيقن بالحركات الطبيعيّة وغاياتها والنفسانيّة وغاياتها ، واتّصال النفوس الفلكيّة بنهاياتها ، وآمن بأنّ مصير كلّ شيء إلى الله سبحانه و أنّ ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [٢٨/٨٨] وأنّ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [٥٥/٢٦-٢٧]-

تحدّس من ذلك أنّ الموت لاينجو منه إلّا الله الحيُّ القيُّوم ، ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ [٦٧/٢] الذي خلق الموتَ والحياةَ ، يحيي و يميت ، ويميت ويحيي ، وهو حيٌّ لايموت ، وكلّ ماسواه فهو ميِّت لامحالة لامفرّ له من الموت ، ولابدّ له منه .

قال مولانا أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين - عليه الصلاة والسلام - في كلام له طويل[2] : « و إنّه ـ سبحانه ـ يعودُ بعد فناءِ الدنيا وحدَه لاشيءَ معه ، كما

---

١) ر : ابداع.

٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٦ ، مع فروق يسيرة.

كان قبل ابتدائِها كذلك يكون بعد فنائِها، بلا وقت ولامكان، ولاحيّز ولازمان، عَدِمت عند ذلك الآجال، وزالت السِنون والساعات؛ فلاشيء إلّا الواحد القهّار، الذي إليه مصيرُ جميع الأمور».

وقال الإمام الصادق عليه السلام[1] : «إنّه يموت أهلُ الأرض حتّى لايبقى أحدٌ، ثمّ يموت أهل السماء حتّى لايبقى أحدٌ إلّا ملك الموت وحملةُ العرش وجبرئيلُ وميكائيلُ؛ -قال :- فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله تعالى، فيقال له : من بقي؟ ـ و هو أعلم ـ فيقول : يارَبّ ـ لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل. فيقال له : «قل لجبرئيل و ميكائيل فليموتا».

فيقول الملائكة عند ذلك : «رسولاك وأميناك».

فيقول [تبارك وتعالى] : «إنّي قضيت على كلّ نفس فيها الروح الموت».

ثمّ يجيء ملكُ الموت حتّى يقف بين يدي الله - تعالى - فيقول : «من بقي»؟ - وهو أعلم بذلك - فيقول[2] : «يارَبِّ لم يبق غير ملك الموت وحَمَلَة العرش». فيقول : «قل لِحملة العرش فليموتوا».

- قال :- يجيء كئيبا حزينا، لايرفع طرفَه، فيقال : «مَن بقي» ؟ فيقول : «يارَبِّ لم يبق إلّا ملك الموت». فيقال له : «مت - يا ملك الموت» فيموت.

ثمّ يأخذ الأرض بشماله[3] والسماوات بيمينه، فيهزّ بهنّ ويقول : «أين الذين كانوا يدعون معي شريكا؟ أين الذين كانوا يجعلون معي إلها آخر» ؟

وفي هذا الحديث من الأسرار ما لم ينكشف إلى الآن، وعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، ولكنّك بعد اطلاعك على الأُصول السالفة تعلم أنّ موت الملائكة هو فناؤهم في الحضرة الأحديّة تعالى؛ ولنبح لك بسرٍّ تزد به كشفا.

---

١) الزهد للأهوازي: باب (١٤) ذكرالموت والقبر: ٨٠، ح٢١٦.
وجاء مايقرب منه في الكافي: ٢٥٦/٣، ح٢٥. البحار: ٣٢٩/٦، ح١٤.

٢) مل: فيقول له.

٣) في النسختين: ثم يأخذ الأرض بيمينه والسماوات بيمينه. (التصحيح من علم اليقين).

سِرٌّ

[الموت انتقال وليس بإعدام]

أنت خبير بأنّ الممكنات الموجودة واجبة بالغير، وأنّ إعدام الواجبات بالغير من الممتنعات مادام ذلك الغير باقيا؛ ودريت أنّ الأرواح باقية دائمة، والأجساد كذلك - و إن تغيّرت أوضاعها وأشكالها - فالهلاك والفناء والإعدام من حيث الشرع هوالموت الطبيعيّ الذي هو إما النقل من الدنيا إلى الآخرة، و إما الانتقال من صورة إلى أُخرى؛ وعند التحقيق هو إسقاط إضافة الوجود إلى ماهيته ومشاهدة الوجود الحقّ على صرافة وحدته، والقهّار هوالذي يقهر كلّ موجود غيره، ويبقى هو وحده.

ولاشكّ أنّه سبحانه إذا ظهر من حيث هو هو لايبقى للغير وجود ولا أثر ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٨/٨٨].

نُورٌ

[الموت هوالقيامة الصغرى]

قال بعض العلماء[١] :

«الموت هو القيامة الصغرى. في الحديث[٢] : «الموت القيامة، من مات فقد قامت قيامته». وكلُّ ما في القيامة الكبرى فله نظيرٌ في الصغرى، إذ القيامة الكبرى عبارةٌ عن موت جميع أفراد العالم الكبير،

١) ملخص ومقتبس مما أورده الغزالي في الإحياء: كتاب الصبر والشكر، بيان حقيقة الصبر ومعناه: ٩٤/٤ -٩٧.

٢) قال العراقي (ذيل الإحياء ، الطبعة القديمة: ٤٩٥/٤): «أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف». وقال الزبيدي (إتحاف السادة: ١١/٩): «... وعند ابن لال في مكارم الأخلاق والديلمي من حديث أنس: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته...» وروى العسكري في الأمثال من حديث أنس: «... الموت القيامة، إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته...» .».

وكلّ مافي العالم الكبير له نظيرٌ في العالم الصغير، وكلُّ مايكون هناك يكون هنا.

فإذا انهدَّ بالموت بدنُك - وهو أرضك الخاصّ بك - فقد ﴿ زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [١/٩٩]، و إذا رمّت عظامك - وهي جبال أرضك - وقد ﴿ دكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [١٤/٦٩] فقد نسفت جبالك ﴿ نَسفًا ﴾ [١٠٥/٢٠]، و إذا أظلم قلبُك عند النزع - وهوشمس عالَمك - فقد ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ [١/٨١] شمسُك، و إذا بطلت حواسُّك فقد ﴿ ٱنْكَدَرَتْ ﴾ [٢/٨١] نجومك، و إذا انشقّ دماغك فقد ﴿ ٱنْشَقَّتْ ﴾ [١/٨٤] سماؤك، و إذا انفجرتْ من هول الموت عيناك وفاض عرقُ جبينك فقد ﴿ فُجِّرت ﴾ [٣/٨٢] بحارك، و إذا تفرّقت قواك وانتشرت جنودك فقد حُشرت وُحوشك، فإذا فارق روحُك وقواه عن البدن فمُدَّت أرضُك ﴿ وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ ﴾ [٤/٨٤].

فبمجرَّد الموت تقوم عليك هذه القيامة، بل لايفوتك من القيامة الكبرى شيء ممّا يخصّك، بل مايخصّ غيرك؛ فإنَّ بقاء الكواكب في حقّ غيرك ماذا ينفعك، وقد انتثرت حواسُّك التي بها تنتفع بالكواكب.

والأعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس و إنجلاؤها - لأنّه قد كسفت في حقِّه دفعة واحدة - وهي حصّته منها، فالانجلاء بعد ذلك حصّة غيره.

ومن انشقَّ رأسُه فقد انشقَّت سماؤه، إذ السماء عبارةٌ عمّا يلي جهةَ الرأس، فَمن لارأس له فمِن أين ينفعه بقاءُ السماء لغيره؟

وكذلك من تزلزل بدنُه فقد حصلت الزلزلة في حقِّه، لأنّه إنّما يتضرَّر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه - لا بزلزلة مسكن غيره - وإنّما يخاف من زلزلة مسكنه أن يتزلزل بدنُه بسببه، و إلاّ فالهواء أبدا متزلزلٌ وهو لايخشاه، إذ ليس يتزلزل به بدنُه - فافهم -.

تنبيه

[شدة نزول الموت وسكراته]

الموت داهيةٌ من الدواهي العُظمى، ومابعد الموت أعظم وأدهى.

قال الله - تعالى - : ﴿ وَ إِذْ زَاغَتِ ٱلأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِٱللهِ ٱلظُّنُونَا * هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾ [٣٣/١١]، يعني من شدَّة النزع، فإنَّ الرئة تنتفخ من شدَّة الروع، فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة - وهي منتهى الحلقوم، مدخل الطعام والشراب.

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَ لَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾ [٢٢/١-٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام[١] : «إنَّ للموت لغمرات، هي أفظع من أن يستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا».

وعن الصادق عليه السلام[٢] : «إنَّ بين الدنيا والآخرة ألف عقبة، أهونها وأيسرها الموت».

وفي الحديث القدسيّ[٣] : «ما تردَّدتُ في شيء أنا فاعلُه، كتردُّدي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته له، ولابدَّ له منه».

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله[٤] : «لسكرةٌ مِن سكرات الموت أشدُّ من ثلاثمائة ضربة بالسيف».

---

١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢١، أولها: «يا له مراما ما أبعده...». البحار: ٤٣٧/٧٧، ح٤٩ و١٥٨/٨٢، ح١. ١٥٨/٨٢.   ٢) الفقيه: باب غسل الميت، ١٣٤/١، ح٣٥٩.

٣) حديث متفق عليه رواه العامة والخاصة مع اختلافات يسيرة لفظية؛ راجع الكافي ٣٥٢/٢. التوحيد: ٣٩٩. المحاسن: ١٥٩/١-١٦٠. البخاري: ١٣١/٨. المسند: ٢٥٦/٦.

٤) أورد الغزالي في الإحياء (كتاب ذكرالموت ومابعده، ٦٧٢/٤): «وعن الحسن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر الموت وغصّته وألمه، فقال: هو قدر ثلاثمأة ضربة بالسيف». وقال العراقي في تخريجه: «أخرجه ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسلا، ورجاله ثقات».

سِرٌّ

[ستر شدة سكرات الموت]

الوجه في ذلك[١] أنَّ المدرِك للألم هو النفس بتوسُّط الروح الحيواني، فمهما أصابَ العضوَ الذي فيه الروح جرحٌ أو حرقٌ سرى الأثرُ إلى الأجزاء، فلايصيب الروحَ إلاّ بعض الأثر؛ وألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرقه، حتّى لم يبق جزءٌ من أجزاء الروح المنتشرة في أعماق البدن إلاّ وقدحلَّ به الألمُ، لأنّه ينزع ويجذب من كلّ عِرق وعصب وجزء ومفصل، ومن أصل كلّ شَعرة وبشرة، من القرن إلى القدم. فالكرب يبالغ فيه ويتصاعد على قلبه ويغلب على كلّ موضع منه، فلايترك له قوّة استغاثة.

أمّا العقل فيغشيه ويشوِّشه، وأمّا اللسان فيبكمه، وأمّا الأطراف فيضعفها وينتشر الألم في داخله وخارجه، وهو يظنُّ أنّ بطنه مُلئت شوكا، وكأنّما نفسه تخرج من ثقب إبرة، وكأنّما السماء منطبقة على الأرض وهو بينهما.

ومثّله بعض الصحابة بغصن كثير الشوك أُدخل في جوف رجل[٢]، فجذبه إنسانٌ شديد البطش ذوقوّة، فقطع ماقطع، وأبقى ما أبقى[٣].

وعند ذلك يرشح جبينُه، وتدور عيناه، وترتفع أضلاعه، ويعلو نفَسه، ويصفرُّ لونه، ويتقلّص لسانُه إلى أصله، ويرتفع أُنثياه إلى أعالي موضعهما، وتخضرُّ أنامله؛ ثمّ يموت كلُّ عضو من أعضائه تدريجا: فتبرد أوّلا قدماه، ثمّ فخذاه، ولكلِّ عضو سكرةٌ بعد سكرة، و كربةٌ بعد كربة، حتّى يبلغ بها إلى

---

١) مقتبس مما جاء في الإحياء: كتاب ذكر الموت، في سكرات الموت وشدته...: ٤/٦٧٠ .

٢) أُضيف في الإحياء: فأخذت كل شوكة بعرق.

٣) نسبه الغزالي (الإحياء، الباب المذكور: ٤/٦٧٣) إلى كعب الأحبار.

وقال الزبيدي (إتحاف السادة: ١٠/٢٦٣): «هذا لفظ ابن أبي شيبة في مسنده. ورواه أبونعيم في الحلية (٦/٤٤، ترجمة كعب الأحبار)، فقال: ... إن عمر قال لكعب: أخبرني عن الموت ؟ قال: يا أميرالمؤمنين - هو مثل شجرة كثيرالشوك في جوف ابن آدم، وليس منه عرق ولامفصل إلا وفيه شوك، ورجل شديد الذراعين، فهو يعالجها، ينزعها...».

الحلقوم ؛ فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ، وينكشف له مالم يكن مكشوفا في الحياة الدنيا- كماينكشف للمتيقِّظ مالم يكن مكشوفا له في النوم - و « الناس نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا »[1] .

و أوّل ما ينكشف له مايضرّه وينفعه من علومه وإدراكاته الحقّة أو الباطلة ، وحسناته وسيّئاته . وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطويّ في سرِّ قلبه - كما نَصِفه فيمابعد - وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغلُ الدنيا ؛ فيبدو له حينئذ ، كما قال الله - سبحانه - : ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [٤٧/٣٩] .

فلاينظر إلى اعتقاد باطل أو سيّئة إلاّ ويتحسّر عليها ، تحسُّرا يودُّ أن يخوض غمرة النار للخلاص منه ، وتشتعل فيه نيران الفراق - أعني فراق ماكان يطمئنُّ إليه من هذه الدنيا الفانية ، من مال أو جاه أو عقار ، حتّى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به ؛ دون ماأراد منها لأجل الزاد والبُلغة ، فإنّ ذلك يفرح بمفارقته لبلوغه المقصد - .

فإن لم يكن فرحُه إلاّ بذكر الله ولم يأنس إلاّ به ، عظم نعيمُه وتمّت سعادتُه ، إذ خلّي بينه وبين محبوبه ، وقطعت عنه العوائقُ والشواغل ، والعبرة بمايغلب على قلبه عند السكرات وظهور الأهوال من الخواطر ؛ فهو لايزال على ذلك الخاطر ، فإنَّ المرء يموت على ما عاش عليه . ولهذا ورد في الحديث[2] : « لايموتنَّ أحدكم إلاّ وهو يُحسن الظنَّ بالله ، فإنَّ حُسن الظنِّ بالله ثمن الجنَّة » .

---

١) كلام مشهور ، وقدنسب الى النبي ﷺ. راجع البحار : ٤٣/٤ و ١٣٤/٥٠ . والإحياء : كتاب التوبة ، بيان توزّع الدرجات ، ٣٥/٤ . أحاديث مثنوي : ٨١ (نقلا عن زهر الآداب : ٦٠/١) . وقال العراقي (المغني ، المطبوعة بذيل الإحياء الطبعة القديمة : ٢٣/٤) : «لم أجده مرفوعا ، و إنما يعزى الى علي بن أبي طالب» . وجاء في نهج البلاغة (الحكمة ٦٤) : «أهل الدنيا كركب يُسار بهم وهم نيام» .

٢) في أمالي الطوسي : المجلس الثالث عشر ، ح٦٥ ، ٣٧٩ : «لايموتنّ أحدكم حتّى يحسن ظنّه بالله...» . عنه البحار : ٢٣٥/٨١ ، ح١٢ . ومثله في كنزالعمال : ١٣٧/٣ ، ح٥٨٦١ .

وإن كان العمدة مارسَخ في قلبه من الصفات والهيآت في مدَّة العمر، فإنَّ هذا يرجع إلى ذاك غالبا[1].

أنوارٌ شرعيّةٌ

قال أمير المؤمنين عليه السلام[2]: «حرامٌ على كلّ نفس أن تخرج من الدنيا حتّى تعلم من أهل الجنَّة هي أم من أهل النار». وقال عليه السلام لحارث الهمْداني مانظَمه السيِّد الحميري في أبيات منسوبة إليه[3] منها:

---

١) هامش النسختين: «قيل: من الناس من إذا بلغت نفْسُه الحلقومَ كُشف له عن أهله السابقين، وأحدق به جيرانُه من الموتى؛ فحينئذ يكون له خوارٌ يسمعه كلُّ شيء إلاّ الإنسان، لو سمعه لهلك وصعق. وآخر مايُفقد من الميّت السمعُ، لأنَّ الروح إذا فارقت القلبَ بأسرها فسد، وأمّا السمع فلا يفقده حتّى تقبض النفس؛ ولهذا قال صلى الله عليه وآله: «لقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلاّ الله» (*)؛ ونهى عن الإكثار بها عليهم لما يجدونه من الهول الأعظم والكرب الأفعم، فإذا نظرت إلى الميّت قد سال لعابُه، وتقلَّصت شفتاه، واسودَّ وجهُه، وازرقت عيناه: فاعلم أنَّه شقيٌّ قد كشفت له عن حقيقة شقوته في الآخرة. وإذا رأيت الميّت جاف الفم - كأنَّه يضحك - منطلق الوجه، مكسورة عيناه: فاعلم أنَّه يبشَّر بمايلقاه في الآخرة من السرور، وكشف له عن حقيقة كرامته» (مل: منه سلمه الله).

(*) الفقيه (باب غسل الميت: ١٣٢/١): «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقنوا موتاكم لاإله إلاّ الله؛...». ومثله في ثواب الأعمال: ١٦. عنه البحار: ٢٣٤/٨١.

٢) رواه الغزالي عن أمير المؤمنين عليه السلام: إحياء علوم الدين، كتاب ذكرالموت، الباب السابع في حقيقة الموت...: ٧١٨/٤. وروى فيه أيضا عن النبي صلى الله عليه وآله (كتاب ذكر الموت، الباب الثالث: ٦٧٥/٤): «لن يخرج أحدكم من الدنيا، حتّى يعلم أين مصيره، وحتّى يرى مقعده من الجنة أو النار». وقال العراقي في تخريجه: «أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت من رواية عليّ موقوفا. وقال الزبيدي (إتحاف السادة: ٢٨١/١٠): «.. وكذلك رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وفي رواية: لاتخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى تعلم إلى أين مصيرها: إلى الجنة أم إلى النار».

٣) راجع الحديث والأشعار مع اختلاف يسير في أمالي المفيد: المجلس الأول، ح٣، ٣-٧. وأمالي الطوسي: المجلس الثلاثون، ح٥، ٦٢٥-٦٢٧. بشارة المصطفى: ٤ -٦. عنها البحار: ١٧٨/٦-١٨٠، ح٧. ٢٣٩/٣٩-٢٤١ و٦٨/١٢٠-١٢٢.

وورد الأشعار في ديوان السيد: ٣٢٧-٣٢٨. و أوردها ابن أبي الحديد (شرح النهج: ٢٩٩/١) مع فروق في اللفظ والأبيات ونسبها إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

ياحـار[١] همدان مَن يمُت يَرني مِن مؤمن أو منـافق قُبلا[٢]

وعن سائر الأئمة عليهم السلام - في ألفاظ لاتحصى -[٣] إنّه يأتيه عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وجبرئيل وملك الموت. وفي بعضها: وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريّتهم عليهم السلام ويبشّرونه بالخير والشرّ، وعند ذلك يسخى المؤمن نفسه عن الدنيا حتّى يختار ما عند الله ويهون عليه.

وأنت تعلم أنّ هذه الرؤية[٤] إنّما تكون في النشأة البرزخيّة، لا الحسّية، و إنّ ذلك حقيقةٌ لا تجوُّز فيه؛ وسنزيد لك وضوحا فيمابعد إن شاء الله.

ويُشبه أن تكون رؤيةُ المعصومين - صلوات الله عليهم - مختصّة بمن غلب عليه ذكرُهم في الحياة الدنيا - إمّا لمحبّة شديدة منه لهم، أو لبُغض شديد، أو يكون السرّ في هذا ممّا لم ينكشف لنا بعدُ - وتصديق ذلك قول الله - عزّ وجلّ - : ﴿ وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوتِهِ ﴾ [٤/١٥٩]؛ يعني المسيح - على نبيّنا وعليه السلام -.

وعن أهل البيت عليهم السلام[٥] : «إنّ إيمان أهل الكتاب بالمسيح إنّما يكون بعد نزوله عليه السلام من السماء ورجعتهم إلى الدنيا».

تنوير

[من يتوفى الأنفس]

﴿ ٱللهُ يَتَوَفَّىٰ ٱلأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا ﴾ [٣٩/٤٢].

هو ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوتَ وَ ٱلْحَيَوٰةَ ﴾ [٦٧/٢].

---

١) منادى مرخم : ياحارث. ٢) أي قبل الموت، أو قبالا ومشاهدة.

٣) الزهد للأهوازي: باب مايعاين المؤمن والكافر، ٨١، ح٢١٩. الكافي: كتاب الجنائز، باب مايعاين المؤمن والكافر: ١٣١/٣. البحار: ١٩٦/٦ -١٩٩، ح٥١.

٤) مل: الرواية.

٥) في تفسير القمي (تفسير قوله تعالى: ﴿ وإن من أهل الكتاب... ﴾، ١٨٦/١): «إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلايبقى أهل ملة يهودي ولانصراني إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي عليه السلام». أيضا.

﴿ وَ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ ﴾ [٢٣/٨٠].
﴿ كُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [٢/٢٨].

إلّا أنّه سبحانه فوّض في عالم الشهادة كلَّ نوع من أنواع الأعمال إلى ملك من الملائكة، ففوّض قبض الأرواح إلى ملك الموت: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ ٱلْمَوتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [٣٢/١١]. وهو رئيس، وتحته خدمٌ وأتباعٌ، هم رسل الله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ [٦/٦١]. ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [١٦/٢٨]. ﴿ وَ لَو تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوتِ وَ ٱلْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُم ﴾ [٦/٩٣].

وعن الصادق عليه السلام[١]: «إنَّ الله جعل لملكِ الموت أعوانا من الملائكة، يقبضون الأرواحَ ،... فيتوفّاهم الملائكة، ويتوفّاهم ملكُ الموت منهم مع مايقبض هو، ويتوفّاها الله - تعالى - من ملك الموت».

و في خبر[٢]: إنَّ ملك الموت و ملك الحياة تناظرا، فقال ملك الموت: «أنا أُميت الأحياء»؛ وقال ملك الإحياء: «أنا أُحيي الموتى». فأوحى اللهُ إليهما: «كونا على عملكما وما سُخِّرتما له من الصُنع، وأنا المميتُ والمحيي، لاَمميت ولامحيي سواي».

وليس لملك الموت ولا لأعوانه عند قبض الأرواح صورة خاصّة وهيأة واحدة دائما لاتتبدَّل، بل يتصوَّر لكلّ أحد بصورة تناسب معتقَده وأعماله: إن كان مؤمنا فبصورة حسَنة جدًّا، حتَّى لو لم يلق عند الموت إلّا صورتَه كان حسْبه. و إن كان الآخر فبصورةٍ قبيحةٍ كريهة جدًّا، حتَّى لو لم يلق إلّا صورتَه كان حسْبه. كما ورد في الإنباء عن الأنبياء عليهم السلام. و إن أردت لقابض الأرواح بيانا أبسط تأويليًا فاسمع:

---

١) من لايحضره الفقيه: باب غسل الميت، ١/١٣٦، ح٣٦٨، مع فروق و إضافات.
٢) أورده أبوطالب المكي (قوت القلوب: شرح مقام التوكل، ٢/١٣) قائلا: وفي بعض الأخبار: إنّ ملك الموت وملك الحياة تناظرا...». وقال الزبيدي (إتحاف السادة: ٩/٤٢٧): «هكذا نقله صاحب القوت مصدّرا بقوله «وفي بعض الأخبار»، وكأنه يعني به الإسرائيليات».

سِرٌّ
[قابض الأرواح ومراتبه]

قال بعض العرفاء[١] :

«إنَّ قابض روح الأرض هي النفس النباتيَّة التي هي كلمة فعَّالةٌ وقوَّةٌ من قوى ملائكة مؤكلة على أديم الأرض، شأنُها إحالة الأرض؛ فتسلخ عنها الصورَ الأرضيَّة ليعوِّض عنها بأحسن صورة وأطهر كسوة.

وكذلك قابضُ روح النبات ومتوفِّيه ورافعُه إلى سماء الحيوانيّة هي النفس المختصَّة بالحيوان، وهي من أعوان الملائكة المؤكِّلة بإذن الله لهذا الفعل، باستخدام القوى الحسَّاسة والمحرِّكة.

وكذلك قابضُ روح الحيوان ومتوفِّيه ورافعُه إلى سماء الدرجة الإنسانيَّة هي النفس المختصَّة بالإنسان، وهي كلمةُ الله المسمَّى بالروح القدسي، الذي شأنه إخراج النفوس من القوَّة الهيولانيَّة إلى العقل المستفاد بأمر الله، و إيصال الأرواح إلى جوار الله وعالم الملكوت الأُخروي - وهم المرادون بالملائكة والرسل[٢] .

وأمَّا الإنسان بما هو إنسان، فقابضُ روحه ملك الموت :

﴿ قُلْ يَتوفَّاكُمْ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [٣٢/١١].

وأمَّا المرتبة العقليَّة : فقابضُها هو الله - سبحانه - :

﴿ ٱللهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [٣٩/٤٢] ﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَروا ﴾ [٣/٥٥] ﴿ يَرفَعِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [٥٨/١١].

---

١) أورده في عين اليقين (٤٢٥) أيضا حاكيا عن بعض العلماء، ولم أعثر على قائله.

٢) أضيف في عين اليقين: في قوله عزّوجلّ: ﴿ الذين توفّتهم الملائكة ﴾ و ﴿ الملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ﴾ ﴿ حتّى إذا جاء أحدكم الموت توفّته رسلنا ﴾.

في هذه التحويلات كانت كلُّ مرتبة لاحقة أشرف من سابقتها، ولم يكن للمنتقل من الحالة السابقة إلى اللاحقة حسرةً وندامةً على زوال النشأة الأولى، بل إن كانت في أمر آخر. والقابضُ للروح هو بعينه القابضُ لأجزاء البدن، ولهذا اختلفت الروايات في ذلك أيضا:

في بعضها[١]: «إنَّ الجامع لأجزاء بدن آدم هم الملائكةُ».

وفي بعضها[٢]: «إن الآخذ لتراب قالبه هم رسل الله، ليكون لهم الرسالة إلى عباده».

وفي بعضها[٣]: «إنّ ملك الموت أخذ قبضةً من التراب».

وفي بعضها[٤]: «إنّ الله - سبحانه - قبض بيده قبضةً من أديم الأرض».

فهذه الروايات محمولة على المراتب المذكورة.

فتفطَّن من هذه البيانات أنَّ للإنسان في كلِّ نَفَس موتا، جديدا وبعثا منه، وحشرا إلى مابعده؛ وأنَّ عددَ الموت والبعث والحشر كثيرٌ لايحصى؛ بل هي بعدد الأنفاس - كما قيل -.

وذلك لمادريت أنَّ له انتقالاتٌ وتحوّلاتٌ ذاتيَّة من لدن حدوثه الطبيعيَّة إلى آخر نشأته الطبيعيَّة، ثمَّ منها إلى آخر نشأته النفسانيَّة، وهلمَّ جرًّا إلى آخر نشأته العقليَّة.

---

١) في علل الشرايع (باب١، ح١، ٢/١): «... إن الله تعالى بعث جبرئيل عليه السلام، وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات... ثمّ أمره أن يأتيه بأربع مياه...».

٢) لم أعثر عليه.

٣) علل الشرايع: باب (٣٨٥) نوادر العلل، ح٩، ٥٧٩/٢. عنه البحار: ١٠٣/١١، ح٩.

٤) حكى في البحار (١١٦/١١، ح٤٦) عن تفسيرالعياشي: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه - وكلتا يديه يمين - فخلق منها آدم...». وفي الدرالمنثور (١١٥/١): «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض... ».

نُورٌ

[البدن الأخروي]

قيل : البدن المحسوس أمرٌ مركّبٌ من جواهر متعدّدة ، ظهرت من اجتماعها الأبعاد الثلاثة ، مع طبيعة لها أعراض لازمة أو مفارقة .

ثمّ إذا بلغنا أجلنا الذي أُجّلَ لنا ، وتلاشى هذا التركيب بالموت ، رجع كلّ جوهر من جواهره إلى أصله وعالمه مفردة ؛ أمّا الأرواح فإلى مرجع الأرواح : ﴿ إنَّا لله وَ إنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [٢/١٥٦] .

وأمّا الأشباح فإلى التراب الرميم ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [٢٠/٥٥] ، وبطلت الأعراض الدنيويّة ، واضمحلّت الهيآت البدنيّة لعدم جواز الانتقال عليها من موضوع الدنيا إلى موضوع الآخرة .

ثمّ إذا جاء وقت العود والبعث بأمر الله ، ركّب الجسم من أُصول تلك الجواهر وصوَّرها ، من دون مادّة دنيويّة - تركيبا لايقبل الفساد ؛ فيكون الجسم الأُخرويّ مجرّد جواهر بلا أعراض هذه الدنيا ولامادّتها ، ولم يكن له صفاتٌ مستحيلةٌ زائلة ، حاصلةٌ من انفعال[1] الموادّ .

---

١) مل : افعال.

في البرزخ

﴿ وَ مِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَومِ يُبْعَثُونَ ﴾ [٢٣/١٠٠]

نور

[البرزخ في الأحاديث]

البرزخ هي الحالة التي تكون بين الموت والبعث[١] ، وهي مدَّة اضمحلال البدن العنصري إلى وقت العود - أعني زمان القبر - ويكون الروح في هذه المدَّة في بدنها الخيالي المثالي[٢] الذي يرى الإنسانُ نفسَه فيه في النوم : « النومُ أخُ الموت »[٣] .

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ حِينَ مَوتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّذِي قَضَىٰ عَلَيْهِ ٱلْمَوتَ وَ يُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [٣٩/٤٢] .

وقد مضى وصف ذاك البدن ، وأنَّه هو الذي تتصرَّف فيه النفسُ أوّلا في هذه النشأة - أيضا - إذ هو معها الآن ، وحياتُه كحياةِ النفس ذاتيَّة ، بل هو عين النفس ، وهذا البدن بمنزلة قشر وغلاف له ، و إنّما تتصرَّف النفس فيه بواسطته ، وهو أعلى رتبةً من هذه الأجسام المشفَّة التي توجد هنا ومن التي

---

١) في الكافي (الجنائز ، باب ما ينطق به موضع القبر: ٢٤٢/٣ ، ح٣) عن الصادق عليه السلام في الجواب عمن سأله: «و ماالبرزخ» ؟ قال: «القبر ، منذ حين موته إلى يوم القيامة».

٢) كتب في الهامش :«قال في الفتوحات : والموت بين النشأتين حالة برزخيّة تعمر الأرواح فيها أجسادا برزخيّة خياليّة ، مثل ما عمرتها في النوم ، وهي أجساد متولدة عن هذه الأجساد الترابيّة ، فإنّ الخيال قوّة من قواها- منه ره (مل : دام فيضه) ».

٣) في حلية الأولياء (٩٠/٧): «النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لاينامون». راجع أيضا مصباح الشريعة: الباب ٤٤، في النوم: ٢٩. عنه البحار: ١٨٩/٧٦ ، ح١٨.

تسمّى بالروح الحيواني، فإنّه من الدنيا، و إن كان شريفا لطيفا بالإضافة، ولهذا يستحيل سريعا ويضمحلّ ولايمكن حشره إلى الآخرة.

أنوارٌ شرعيّةٌ

رُوي في الكافي[1] بإسناده عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام : «إنّ الأحلام لم تكن فيما مضى[2] في أوّل الخلق، و إنّما حدثت». قيل: «وما العلّة في ذلك»؟

فقال: «إنّ الله بعث رسولا إلى أهل زمانه، فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: «إن فعلنا ذلك فمالنا؟ فوالله ماأنت بأكثرنا مالا، ولابأعزّنا عشيرة».

فقال: «إن اطعتموني أدخلكم الله الجنّة، و إن عصيتم أدخلكم الله النار».

فقالوا: «وما الجنّة والنار»؟ فوصَفَ لهم ذلك، فقالوا: «متى نصير إلى ذلك»؟ فقال: «إذا مُتّم».

فقالوا: «فقد رأينا أمواتنا صاروا عظاما ورفاتا»؛ فازدادوا له تكذيبا وبه استخفافا، فأحدث الله - تعالى - فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بمارأوا وما أنكروا من ذلك. فقال: «إنّ الله - تعالى - أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا مُتّم، و إن بليت أبدانُكم تصير الأرواحُ إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان».

١) الكافي: الروضة، حديث الأحلام...، ٩٠/٨، ح٥٧. عنه البحار: ٢٤٣/٦، ح٦٨. ٤٨٤/١٤. ح٣٨. ١٨٩/٦١، ح٥٥. ولايخفى أنّ مضمون الرواية مستبعدٌ جدا؛ ويؤيّد عدم صحة صدوره ضعف سنده، إذ فيه علي بن العباس الخراذيني - أو الجراذيني، الذي قال فيه النجاشي (٢٥٥، الترجمة٦٦٨): «عليّ بن العبّاس...؛ رمي بالغلوّ و غمز عليه؛ ضعيفٌ جدا». معجم الرجال: ٦٨/١٢ -٦٩.

٢) ر: فيمن مضى.

وبإسناده[١] الصحيح عن أبيه الصادق ﷺ : إنَّه قيل له : «جعلتُ فداك ، يروون أنَّ أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر حول العرش».

فقال : «لا - المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحَه في حوصلة طير ، ولكن في أبدان كأبدانهم».

وفي رواية أُخرى عنه ﷺ[٢] : «... فإذا قبضه الله صيَّر تلك الروح في قالبٍ كقالبه في الدنيا ، فيأكلون ويشربون ؛ فإذا قدِمَ عليهم القادمُ عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا».

و في لفظ آخر[٣] : «إنَّهم في الجنَّة على صوَر أبدانهم ، لو رأيتَه لقلتَ : فلان».

وفي خبر آخر[٤] : «إنَّ الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنَّة تتعارف وتتساءل ، فإذا قدمتِ الروحُ على الأرواح تقول : «دعوها فإنَّها قد أقبلت[٥] من هول عظيم» ، ثمَّ يسألونها : «مافعَل فلان ، وما فَعل فلانٌ» ؟ فإن قالت لهم : «تركتُه حيًّا» ارتجوه ؛ و إن قالت لهم : «قد هلك» ، قالوا : «قد هَوى هُوىً[٦] ».

وفي لفظ آخر[٧] : «في روضة كهيأة الأجساد في الجنَّة».

و زاد في بعضها[٨] : يقولون : «ربَّنا أقم لنا الساعة ، و أنجز لنا ماوعدتَنا ، وألحِق آخرنا بأوّلنا».

---

١) الكافي : كتاب الجنائز ، باب آخر في أرواح المؤمنين ، ٢٤٤/٣ ، ح١.

٢) الكافي : الباب السابق ، ٢٤٥/٣ ، ٦. عنه البحار : ٢٦٩/٦-٢٧٠ ، ح١٢٤.

٣) لم أعثر عليه في الكافي ، ولكنه في التهذيب : باب تلقين المحتضرين ، ح١٧٢ ، ٤٦٦/١.

٤) الكافي : الباب السابق ، ٢٤٤/٣ ، ح٣. عنه البحار : ٢٦٩/٦ ، ح١٢١.

٥) المصدر : أفلتت.

٦) هَوى ، يهوي ، هُوِيًا : سقط من علو إلى سفل. والمعنى أنهم لو سمعوا أن المسؤل عنه في الدنيا ، ارتجوا وصوله إليهم بعد؛ ولكن لو سمعوا أنه مات ، يقولون إنه سقط إلى الأسفل ، إذ لوكان من السعداء لوصل إليهم.

٧) الكافي : الباب السابق ، ٢٤٥/٣ ، ح٧. عنه البحار : ٢٧٠/٦ ، ح١٢٥.

٨) الكافي : الباب السابق ، ٢٤٤/٣ ، ح٤. عنه البحار : ٢٦٩/٦ ، ح١٢٢.

و سُئل عن أرواح المشركين فقال[١] : «في النار يعذَّبون ، يقولون : ربَّنا لاتُقِم لنا الساعة[٢] ، ولا تُلحق آخرنا بأوّلنا».

وبإسناده عنه عليه السلام[٣] : «إنَّ الميِّت يزور أهلَه في كلِّ يوم، أو يومين، أو ثلاثة، أو جمعة،أو شهر أو سَنَة - على قدر منزلته وعمله - فينظر إليهم ويسمع كلامَهم، ويُرى المؤمن مايحبُّ، ويُستر عنه مايكره، ويُرى الكافر مايكره ويُستر عنه مايحبُّ».

تَنْبيهٌ

[ظهور الملكات في البرزخ]

النفوس في هذه الأجساد القبريَّة واجدون للَّذات والآلام التي تستصحبها الصوَر الحاصلة لهم من العلم والعمل في الخير والشرِّ، و تصير فيها محكمة، ذاتيَّة، مثمِرة؛ فحالهم فيها كحال النطفة في الرحم، و البذر في الأرض، تنبت فيها وتثمر على ما في أصلها، جاءت من ظهر أبيها، حتَّى اتَّصلت بها القوَّة الإسرافيليَّة، فصار حكمها وحالها إلى لون آخر، كأنَّهم يفيقون[٤] من سكرة وينتبهون من صعقة[٥] .

كما تنامون تموتون، وكما تستيقضون تبعثون»[٦] .

---

١) الكافي: باب في أرواح الكفار، ٢٤٥/٣، ح١. عنه البحار: ٢٧٠/٦، ح١٢٦.

٢) أُضيف في المصدر: ولاتنجز لنا ماوعدتنا.

٣) ملتقطة من خمس روايات عن الصادق و الكاظم عليهما السلام ، رويت في الكافي: باب أنَّ الميت يزور أهله، ٢٣٠/٣-٢٣١، ح١-٥). البحار: ٢٥٦/٦-٢٥٧، ح٨٩-٩٣.

٤) مل: يفتنون.

٥) هامش النسختين: «قال في الفتوحات : كل إنسان في البرزخ مرهون بكسبه في صور أعماله، إلى أن يبعث يوم القيامة (مل: منه دام فيضه) ».

٦) في اعتقادات الصدوق (باب الاعتقاد في البعث بعد الموت) عن النبي : «والذي بعثني بالحق نبيًا لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقضون، وما بعد الموت دار إلا الجنة و النار».

في عذاب القبر والسؤال فيه

﴿ يَومَ يَرَونَ المَلائِكَةَ لا بُشْرى يَومَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [٢٢/٢٥]

أنوار شرعيّة

[نعيم القبر وعذابه]

إنَّ من الأحكام التي تجري مجرى الضرورة من الدين عذاب القبر و ثوابه والمساءلة فيه، وقد تظافرت الأخبار في ذلك من طرُقنا وطرق العامَّة، بحيث لامجال للشكّ فيها والريب: قال النبيّ ﷺ[١] -: «القبرُ إمَّا حفرةٌ من حُفَر النيران، أو روضة من رياض الجنَّة».

وفي القرآن المجيد: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا ﴾ [٤٦/٤٠].

قال الصادق عليه السلام[٢]: «إنَّ هذا في نار البرزخ قبل القيامة، إذ لاغدوَّ ولاعشيَّ في القيامة» - ثمَّ قال عليه السلام: «ألم تسمع قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَ يَومَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [٤٦/٤٠].

وقال ﷺ[٣]: «إذا مات أحدكم عُرض عليه مقعدُه غدوة وعشيَّة - إن

---

١) الخرائج والجرائح: الباب الثاني، ١/١٧٢، ح٢. الدعوات: ٢٤٤، ح٦٩١.
البحار: ٢٤٩/٤١، ح٢. الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ٢٦، ٦٤٠/٤، ح٢٦٦٠.

٢) جاء مايقرب منه في تفسير القمي: قوله تعالى ﴿ النار يعرضون عليها غدوا و عشيا ﴾ : ٢٦١/٢. عنه البحار: ٢١٨/٦، ح١٢.

٣) البخاري: الجنائز، باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي: ١٢٤/٢. وكتاب بدء الخلق، باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ١٤٢/٤. مسلم: كتاب الجنة...، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار...، ٢١٩٩/٤، ح٦٥.

كان من أهل الجنَّة فمن الجنَّة، و إن كان من أهل النار فمن النار- يقال: هذا مقعدك حتّى يبعثك الله إليه يوم القيامة».

وروى الصدوق[1] عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمساءلة في القبر، والشفاعة».

وقال عليه السلام[2]: «لا يُسأل في القبر إلاّ من محَض الإيمان محضا، أو محَض الكفرَ محضا».

وفي رواية أُخرى[3]: «والآخرون يُلهون عنهم».

وفي لفظ آخر[4]: «ومايعبؤ بهم».

وقال عليه السلام[5]: «يُسأل وهو مضغوطٌ».

وسُئل عليه السلام[6]: «أيفلت من ضغطة القبر أحد»؟ قال: «نعوذ بالله منها، ما أقلَّ من يفلت من ضغطة القبر! إنَّ رُقيَّة لمَّا قتلها عثمان، وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها، فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه، وقال للناس: «إنّي ذكرتُ هذه و مالقيَتْ، فرققتُ لها، فاستوهبتُها[7] من ضمَّة القبر» - قال:- فقال: «اللهمَّ هب لي رقيَّة من ضمَّة القبر»؟ فوهبها الله له».

قال: «و إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في جنازة سعد، وقد شيَّعه سبعون ألف ملك، فرفع رسولُ الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء ثم قال: مثلُ سعد يُضمّ؟ - قال الراوي:- قلت: «جعلتُ فداك - إنَّا نحدَّث أنَّه كان يستخفُّ

---

١) أمالي الصدوق: المجلس التاسع والأربعون، ٣٧٠، ح٥.
عنه البحار: ٢٢٣/٦، ح٢٣. ٣٧/٨، ح١٣. ٣٤٠/١٨، ح٤٤.

٢) الكافي: كتاب الجنائز، باب المساءلة في القبر، ٢٣٦/٣، ح٤.
الفقيه: باب التعزية، ١٧٨/١، ح٥٣٠. عنه البحار: ٢٦٠/٦، ح١٠٠.

٣) الكافي: الباب السابق، ٢٣٥/٣، ح١. عنه البحار: ٢٦٠/٦، ح٩٧.

٤) الكافي: الباب السابق، ٢٣٧/٣، ح٨.

٥) الكافي: الباب السابق، ٢٣٦/٣، ح٥. عنه البحار: ٢٦٠/٦، ح١٠١.

٦) الكافي: الباب السابق، ٢٣٦/٣، ح٦. عنه البحار: ٢٦١/٦، ح١٠٢.

٧) ر: واستوهبتها.

بالبول». فقال: «معاذ الله - إنّما كان من زَعارّة[١] في خُلقه على أهله».

وروى عمربن يزيد[٢] قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «إنّي سمعتك وأنت تقول: «كلُّ شيعتنا في الجنَّة على ماكان منهم».

قال: «صدقتك - كلُّهم والله في الجنَّة».

- قال :- قلت: «جعلتُ فداك - إنَّ الذنوبَ كثيرةٌ كبار».

فقال: «أمّا في القيامة، فكلُّكم في الجنَّة بشفاعة النبيِّ المطاع أو وصيّ النبيّ؛ ولكنّي - والله - أتخوَّفُ عليكم في البرزخ».

قلت: «وما البرزخ»؟

قال: «القبر؛ منذ حين موته إلى يوم القيامة».

وقال عليُّ بن إبراهيم - رحمه الله -[٣] في تفسير قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَومَ يَأْتِ لَاتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمٰوَاتُ وَ ٱلْأَرْضُ ﴾ [١١/١٠٥-١٠٨]:

«فهذا هو في نار الدنيا قبل القيامة؛ وأمّا قوله: ﴿ وَ أَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ يعني في جنان الدنيا، التي تُنقل إليها أرواح المؤمنين ﴿ مَادَامَتِ ٱلسَّمٰوَاتُ وَ ٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ يعني غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنَّة، يكون متَّصلا به؛ وهو ردٌّ على من أنكرَ عذابَ القبر والثواب والعقاب في الدنيا - في البرزخ قبل يوم القيامة -».

وعن الإمام الباقر عليه السلام[٤] - قال :- قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي كنت لأنظر إلى

---

١) الزعارّة: شكاسة في الخُلق.

٢) الكافي: كتاب الجنائز، باب ماينطق به موضع القبر، ٣/٢٤٢، ح٣. عنه البحار: ٦/٢٦٧، ح١١٦.

٣) تفسير القمي: ١/٣٦٦.

٤) الكافي: كتاب الجنائز، باب أنّ الميّت يمثّل له ماله، ٣/٢٣٣، ح١، مع فروق لفظية. عنه البحار: ٦/٢٢٦، ح٢٨.

الإبل والغنم وأنا أرعاها - وليس من نبيّ إلاّ وقد رعى الغنم - فكنتُ أنظر إليها وهي ممتلئة من المكينة[١] ماحولها شيءٌ يهيّجها حتّى تذعر وتطير، فأقول: «ما هذا؟» وأعجبُ، حتّى جاءني جبرئيل عليه السلام فقال: «إنَّ الكافر يُضرب ضربةً، ماخلَق الله شيئا إلاّ سمعها ويذعر لها، إلاّ الثقلين».

- رواه في الكافي.

وعن زيد بن ثابت[٢] قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في حائطٍ لبني النجار على بغلة له، ونحن معه إذ حادت به وكادت تلقيه، و إذا أقبُرٌ ستّة - أو خمسة[٣] -، فقال صلى الله عليه وآله: «مَن يعرف أصحابَ هذه الأقبُر»؟

قال رجلٌ: «أنا».

فقال: «متى ماتوا»؟

فقال: «في الشرك».

فقال: «إنَّ هذه الأمّة تبتلى في قبورها، فلولا أن لاتدافنوا، لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه.

[آثار الأعمال والملكات في القبر]

وإن شئت أن تسمع سرّ عذاب القبر فاسمع لما استفدناه من بعض العلماء - قدس سره - ونوّرناه بأنوار الشرع [٤]

---

١) في هامش النسختين: «المكينة: السكينة (مل: منه دام فيضه)». وفي المصدر: وكنت أنظر إليها قبل النبوة وهي متمكنة في المكينة.

٢) مسلم: كتاب الجنة...، ح٦٧، ٢١٩٩/٤، مع فرق يسير. عنه البحار: ١٩١/٦٤. وجاء مايقرب منه بألفاظ مختلفة في المسند: ١٠٣/٣ و١١١ و١١٤ و١٥٣ و١٧٥ و٢٠١ و٢٨٤ و١٩٠/٥. وجاء ذيل الحديث في كنزالعمال: ٦٣٨/١٥، ح٤٢٥١٣.

٣) أضيف في مسلم: أو أربعة.

٤) لم أعثر على القائل، وقد أورده صدرالمتألهين أيضا في مفاتيح الغيب (٦٣٨) حاكيا عن بعض أهل الكشف، و في المبدء و المعاد عن بعض العرفاء، و في الأسفار الأربعة (٩/ ٢٢٠) عن بعض العلماء.

سرٌّ منوّر

«كلُّ مَن شاهَد بنور البصيرة باطنَه في الدنيا لرآه مشحونا بأنواع المؤذيات والسباع - مثل الشهوة والغضب والمكر والحسد والحقد والكبر والريا والعُجب - وهي التي لا تزال تفترسه وتنهشه إن سهى عنها بلحظة، إلّا أنَّ أكثر الناس محجوب العين عن مشاهدتها لشغلهم بالأُمور الدنياويَّة، وبما يرد عليهم من الخارج من طرق الحواس؛ فإذا انكشف الغطاء و وُضع الإنسان في قبره عايَنها، وقد تمثَّلت بصورها وأشكالِها الموافقة لمعانيها، فيرى بعينه العقاربَ والحيَّاتِ قد احدقت به، و إنّما هي ملكاته وصفاته الحاضرة الآن في نفسه - وقد انكشفت[١] له صورُها الطبيعيَّة، فإنَّ لكلِّ معنى صورة تناسبه - كما مرّ غير مرّة.

فهذا عذاب القبر إن كان شقيًّا و يقابله إن كان سعيدا».

قال النبيّ ﷺ لقيس بن عاصم[٢] : «لابدَّ لك - ياقيس - من قرين يُدفَن معك وهو حيّ، وتُدفَن معه وأنت ميِّت؛ فإن كان كريما أكرمك، وإن كان لئيما أساءَك[٣] ، ثمّ لايُحشر إلّا معك، ولا تُبعث إلّا معه، ولاتُسأل إلّا عنه؛ فلا تجعله إلّا صالحا، فإنّه إن صلح آنستَ به، وإن فسد لاتستوحش إلّا منه، وهو فِعلك».

رواه الصدوق في أماليه[٤] .

---

١) مل: وق انكشف.

٢) قيس بن عاصم المنقري، وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم وأسلم سنة تسع. راجع اسد الغابة: ١٢٢/٤، الترجمة ٤٣٦٤. معجم الشعراء: ١٩٩.

٣) المصدر: أسلمك.

٤) أمالي الصدوق: المجلس الأول، ٥١، ح٤. معاني الأخبار: باب معنى القرين الذي يدفن مع الإنسان، ٢٣٢، ح١. الخصال: باب الثلاثة، ١١٤/١، ح٩٣.
البحار: ١٧٠/٧١، ح١.

وفي نهج البلاغة[١] : «أعمالُ العباد في عاجلهم، نصْب أعينهم في آجِلهم». ولنزد ذلك بيانا :

تتميمٌ
[البرزخ عالم مثالي]

النفس تبرز من هذا البدن بالموت وليس يصحبها شيء من الهيآت البدنيّة ولامن أجزاء هذا البدن إلّا القوّة المتخيّلة المدركة للصور، التي هي آخر هذه النشاة وأول النشأة الثانية - على ما برهن عليه في محله وقد مضى شرحه -

وهي عند الموت عارفة بمفارقة البدن عن دار الدنيا، مدركة ذاتها بتلك القوّة الخياليّة عين الإنسان المقبور الذي مات على صورته، كما كان في الرؤيا يشاهد نفسها على صورتها التي كانت في الدنيا بعينها، ويشاهد الأُمور مشاهدة عيان بحسّها الباطنيّ، فيرى بدنها مقبورة، ويشاهد الآلام واللذات الواصلة إليها على سبيل العقوبات والمثوبات الحسّيين - على ما ورد في الكتاب والسنّة - وهي بعينها الأُمور التي كانت معه في الدنيا تلذّه وتؤذيه وهو لايشعر بذلك لانهاكه في الحسّيات الفانية.

قال الله - عزّ وجلّ - : ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ ﴾ [٢٩/٥٤] ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [٤/١٠] ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ [٣/٣٠] أي تجد عين ذلك العمل حاضرا، و إن كان في جلباب آخر؛ كما قال : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٦/٥٤].

وفي الحديث النبوي[٢] : «إنّما هي أعمالكم تُردُّ إليكم».

---

١) نهج البلاغة : الحكمة رقم ٧.

٢) جاء نص الحديث فيما رواه مفضل عن الصادق عليه السلام من الأدلة على إثبات الصانع المعروف بتوحيد المفضل، البحار، ٣/٩٠، أول المجلس الثاني : «... ولذلك قال سيدنا محمد -صلوات الله عليه وآله - : إنما هي أعمالكم ترد إليكم».

« الذي يشرب في آنية الذهب والفضّة، إنّما يُجرجر[١] في جوفه نار جهنّم »[٢] .

« الظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامة »[٣] .

« الجنّة قيعان و إنّ غراسها سبحان الله وبحمده »[٤] .

وأمثال ذلك كثيرة جدًا، فافهم واحدس أنّ سائر الأمور الأُخرويّة من هذا القبيل.

وأمّا كيفيّة المساءلة فنذكر فيها رواية جامعة فاسمع :

أنوارٌ شرعيّة

روي في الكافي[٥] بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

« إنّ ابن آدم، إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة مُثّل له مالُه وولدُه وعملُه ؛

فيلتفت إلى مالِه فيقول : « والله إنّي كنت عليك حريصا شحيحا، فما لي عندك » ؟ فيقول : « خذ منّي كفنَك » .

- قال :- فيلتفت إلى ولده فيقول : « والله إنّي كنت لكم محبّا و إنّي كنت عليكم محاميا، فما لي عندكم » ؟

فيقولون : « نؤدّيك إلى حُفرتك فنواريك فيها » .

---

١) الجرجرة : التصويت.

٢) مسلم : كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة...، ١٦٣٤/٣، ح١-٢.

٣) الكافي : كتاب الكفر والإيمان، باب الظلم، ح١٠، ٣٣٢/٢. البخاري : المظالم والغصب، باب الظلم ظلمات، ١٦٩/٣.

٤) راجع ما مضى في أحاديث المعراج : ٦٧٩.

٥) الكافي : كتاب الجنائز، باب أن الميّت يمثّل له ماله وولده، ٢٣١/٣، ح١. أمالي الطوسي : المجلس الثاني عشر، ح٥٩، ٣٤٧ -٣٤٩.

- قال :- فيلتفت إلى عمَلِه فيقول : « والله إنّي كنت فيك لزاهدا ، و إن كنتَ عليّ لثقيلا ، فما لي عندك » ؟

فيقول : « أنا قرينُك في قبرك ويوم نشرك ، حتّى أُعرَض أنا وأنت على ربك » .

- قال :- فإن كان لله ، وليّا أتاه أطيبُ الناس ريحا وأحبُّهم منظرا وأحسنهم رياشا[1] ؛ فقال : « ابشر برَوح وريحان وجنَّة نعيم ، ومَقدَمك خير مَقدَم » . فيقول له : « مَن أنت » ؟

فيقول : « أنا عملُك الصالح ، ارتحل من الدنيا إلى الجنَّة » .

و إنَّه ليعرف غاسلَه ويناشد حامله أن يعجِّله ؛ فإذا دخل قبره أتاه ملكا القبر ، يجرَّان أشعارَهما ويخدَّان الأرض بأقدامهما ، أصواتُهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف ، فيقولان له : « مَن ربُّك وما دينك ومن نبيُّك » ؟ فيقول : « اللهُ ربّي ، وديني الإسلام ، ونبيّي محمَّد ﷺ » .

فيقولان له : « ثبَّتك الله فيما يحبُّ ويرضى[2] » - وهو قول الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَ فِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [٢٧/١٤] - ثمّ يفسحان له في قبره مدَّ بصره ، ثمّ يفتحان له بابا إلى الجنَّة ، ثمّ يقولان له : « نَمْ قرير العين ، نوم الشابّ الناعم » ؛ فإنَّ الله - عزَّ وجلَّ - يقول : ﴿ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ [٢٤/٢٥] .

- قال :- « و إذا كان لربِّه عدوًّا ، فإنَّه يأتيه أقبح مَن خَلَق الله زيّا[3] وأنتنه ريحا ؛ فيقول : « ابشر بنُزل من حميم وتصلية جحيم » .

و إنَّه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه ؛ فإذا دخل القبر أتاه ممتحنا القبر ، فألقيا أكفانه ، ثمّ يقولان له : « مَن ربُّك ، ومادينك ، ومَن نبيّك » ؟

---

١) الرِياش - بكسرالراء -: اللباس الفاخر.

٢) في الكافي: تحب وترضى. ولكن المؤلف - قدس سره - نص في الوافي على أنها بصيغة الغائب.

٣) أضيف في الكافي والوافي: ورؤيا.

فيقول : « لا أدري » . فيقولان : « لا دَريت ولا هُديت »[١] ؛ فيضربان يافوخَه بِمرزبة[٢] معها ، ضربةً ماخلق الله - عزّوجلّ - من دابّة إلّا تذعر لها - ماخلا الثقلين - . ثمّ يفتحان له بابا إلى النار ، يقولان له : « نَمْ بِشرّ حالٍ »[٣] ويسلّط الله عليه حيّاتِ الأرض وعقاربَها وهوامَّها ، فتنهشه حتّى يبعثه الله من قبره » .

و في بعض الأخبار[٤] أنّه ﷺ قال في عمل المؤمن : « يقول : أنا رأيك الحسَن الذي كنتَ عليه ، وعملك الصالح الذي كنتَ تعمله » . وفي الكافر : « أنا عملك السيِّء الذي كنتَ تعمله ورأيك الخبيث » .

وهذا يدلُّ على تجسيم الاعتقاد - أيضا - .

وفي بعض الروايات عن الإمام الصادق ﷺ[٥] : « ويدخل في قبره ملكا القبر - وهما قعيدا القبر - منكرٌ ونكيرٌ ، فيلقيان فيه الروح إلى حَقويه[٦] فيُقعدانه ويسألانه ... » . قيل : « جعلت فداك - يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة » ؟ فقال : « لا » .

وفي كثير من أحاديثنا[٧] : أنّه يُسأل عن إمامه - أيضا - .

قيل : « ولعلّ مولانا أميرالمؤمنين ﷺ لم يذكر ذلك اكتفاءً بشهرته وهضما لنفسه المقدّسة - سلام الله عليه - » .

---

١) قال - قده - في الوافي : دعاء منهما عليه.

٢) اليافوخ : فراغ بين عظام جمجمة الرأس. المِرزبة والمِرزبّة : عصا من حديد.

٣) المصدر : نم بشرّ حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزجّ ؛ حتّى أنّ دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه.

٤) الكافي : كتاب الجنائز ، باب ماينطق به موضع القبر ، ٢٤٢/٣ ، ح١.
عنه البحار : ٢٦٧/٦ ، ح١١٤.

٥) الكافي : كتاب الجنائز ، باب المساءلة في القبر ، ٢٣٩/٣ ، ح١٢.
البحار عنه وعن العياشي : ٢٦٤/٦ ، ح١٠٨.

٦) الحَقو : الخصر.

٧) الكافي : الباب السابق : ٢٣٨/٣ ، ح١١.

وروى أصحابنا[1] : أنّ النبيَّ ﷺ لمّا دفن فاطمةَ بنت أسد، لقَّنها وقال لها : «ابنكِ ابنكِ».

و في بعض الروايات[2] : «يُفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين».

وفي بعضها[3] : «سبعة أذرع».

ولعلَّ اختلاف الفسحة لاختلاف الدرجات.

وفي لفظ آخر عن الإمام الصادق عليه السلام[4] :

«و إذا كان الرجل كافرا دخلا عليه، وأُقيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس؛ فيقولان له : «من ربُّك، وما دينك ؟ وماتقول في هذا الرجل الذي خرج من بين ظَهرانيكم» ؟ فيقول : «لا أدري».

فيخلّيان بينه وبين الشيطان، ويسلَّط عليه في قبره تسعةٌ وتسعون تنّينا - لو أنَّ واحدا منها نفخ على الأرض ما أنبتت شجرا أبدا -».

وروى العامّة عن النبيّ ﷺ[5] : «هل تدرون فيما ذا أُنزلت : ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكا ﴾ [١٢٤/٢٠] ؟ قالوا : «الله ورسولُه أعلم».

قال : «عذاب الكافر في قبره؛ يسلَّط عليه تسعةٌ وتسعون[6] تنّينا؛ هل تدرون ماالتنّين ؟ تسعة وتسعون حيَّة، لكلِّ حيَّةٍ تسعة رءوس، تنهشونه[7] وتلحسون وتنفخون في جسمه إلى يوم القيامة».

---

١) الكافي : باب مولد أمير المؤمنين عليه السلام : ٤٥٣/١، ح٢.
الاعتقادات : في سؤال القبر. عنه البحار : ٢٧٩/٦.

٢) سنن الترمذي : كتاب الجنائز، باب ٧٠، ح١٠٧١، ٣٨٣/٣.

٣) الكافي : باب المساءلة في القبر : ٢٣٨/٣، ح٩. البحار : ٢٣٧/٦، ح٥٦ و١٠٥.

٤) الكافي : كتاب الجنائز، باب المساءلة في القبر : ٢٣٧/٣، ح٧.

٥) أورده الغزالي في الإحياء : كتاب ذكر الموت، بيان عذاب القبر، ٧٢٤/٤. وجاء مايقرب منه في تفسير الطبري في تفسير الآية طه/١٢٤، ١٦٥/١٦. الدر المنثور : ٦٠٨/٥.

٦) في النسختين : تسعة وتسعين.

٧) مل : تنهشون.

قال الغزالي[١] :

« وليس التخصيص بهذا العدد بعجب، فلعلَّ عددها بقدر عدد الأخلاق المذمومة - من الكبر والريا والحسد والحقد وغيرها - فإنَّها تنشعب وتتنوَّع وتنقلب بعينها حيَّات في تلك النشأة ».

وقيل[٢] :

« لمَّا كان لله سبحانه تسعةٌ وتسعون إسما مَن أحصاها دخل الجنَّة[٣] وله تسعة وتسعون رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة - كما ورد في الحديث[٤] - والكافر لم يعرف الله بشيء من تلك الأسماء : جُعل له في مقابلة كلِّ اسم ورحمةٍ تنِّينٌ تنهشه في قبره ».

[تحقيق في المنكر والنكير وحالات الميت في القبر]

وأقول: في سرّ الملكين لايبعد أن يكون « المنكَر » عبارة عن جملة الأعمال المنكَرة التي فعَلها الإنسان في الدنيا، فتمثَّلت في الآخرة بصورة مناسبة لها، مأخوذ مما هو وصف الأفعال في الشرع - أعني المذكور في مقابلة « المعروف ».

و « النكير » هو الإنكار والتقريع لغةً.

ولايبعد أن يكون الإنسان إذا رأى فعلَه المنكَر في تلك الحال أنكرَه و وبَّخ نفسَه عليه، فتمثَّل تلك الهيأة الإنكاريّة أو مبدؤها من النفس بمثال مناسب لتلك النشأة. وقد علمتَ أنَّ قوى النفس ومبادئ آثارها - كالحواسّ ومبادئ اللمم وغير ذلك - يسّمى في الشرع بالملائكة.

---

١) الغزالي: إحياء علوم الدين، الصفحة السابقة.

٢) لم أعثر على القائل، وقد أورده الشيخ البهائي - قده - أيضا في أربعينه (شرح الحديث ٣٩، ص٤٨٥) قائلا : «و لبعض أصحاب الحديث في نكتة التخصيص بهذا العدد وجه ظاهري إقناعي...».

٣) مضى الحديث في ص ٨٧.

٤) ابن ماجة : كتاب الزهد، باب (٣٥) مايرجى من رحمة الله...، ١٤٣٥/٢ ، ح٤٢٩٣-٤٢٩٤.

ثمّ إنّ هذا الإنكار من النفس لذلك المنكَر، يحملها إلى أن يلتفت إلى اعتقاداتها ويفتّش عنها، أهي صحيحةٌ حسَنة حقّة ؟ أم فاسدةٌ خبيثةٌ باطلةٌ ؟ ليظهر نجاتها وهلاكها ويطمئنّ قلبُها.

وذلك لأنّ قبول الأعمال موقوفةٌ على صحّة الاعتقاد، بل المدار في النجاة على ذلك - كما هو مقرّرٌ ضروريٌ من الدين -.

و إليه أُشير بقوله ﷺ[1] : «حبُّ عليٍّ لاتضرّ معه سيّئة، وبغض عليّ لاتنفع معه حسنة».

ثمّ قد أشرنا إلى أنّ صور تلك النشأة وموجوداتها كلّها حيَّة مدركة، ولاميِّت فيها - وسنؤكِّد ذلك بالأخبار والنقول فيما بعد - وكلّ حيّ مدركٍ يحبُّ نفسه ويحبُّ أن يكون مقبولاً غير مردود؛ فكأنّ المفتّش عن الاعتقاد إنّما هو الملكان، حيث صار ذلك غرضا لهما بهذا الاعتبار.

وأيضا : فإنّ النفس أقرب إلى الاعتقاد من العمل إليه، فكأنّها عالمةٌ به، فينبغي أن تكون مسؤلاً عنها، لما بينها وبينه من الاتحاد؛ والملكان سائلان[2] لما بينهما وبينه من المباثنة.

و يؤيّد هذا سكوته ﷺ في الحديث المذكور عن العمل المنكَر، واقتصاره على ذكر العمل الصالح، وتسمية الملكين في بعض الأخبار بـ«قعيدَي القبر»[3] - حيث يشعر بالمصاحبة - وعدم السؤال إلّا عن المؤمن المحض والكافر المحض[4]، فإنّ من لا يهتمّ بالدين فهو بمعزل عن ذلك.

إلى غير ذلك من الإشارات؛ وسينكشف لك زيادة انكشاف بما ستطلع عليه من نظائره - والله أعلم -.

---

١) مناقب الخوارزمي: ٣٥، الفصل السادس، في محبة الرسول إياه.

٢) ر، مل: سائلين.

٣) الكافي: ٢٣٩/٣، كتاب الجنائز، باب المساءلة في القبر، ح١٢.

٤) الكافي: ٢٣٥/٣-٢٣٦، كتاب الجنائز، باب المساءلة في القبر، ح١و٤.

تَنبيهٌ

[الأمور القبريّة واقعة في صقع وجود الإنسان]

إنّ هذه الأُمور القبريّة والأهوال المُطّلعيّة ليست أُمورا موهومة لاوجود لها في الأعيان - هيهات - فإنّ من يعتقد ذلك فهو كافرٌ في الشريعة، ضالٌّ في الحكمة.

بل هي أقوى في الوجود وأشدُّ تحصّلا في التجوهر من هذه الحسّيات الدنياويّة بكثير؛ لأنّ هذه الصور توجد في المادّة الجسمانيّة - التي هي أخسُّ الموضوعات - وتلك قائمة في موضوع النفس؛ ولانسبة بين الموضوعين في الشرف و الخسّة؛ فلا نسبة بين الصورتين في القوّة والضعف.

على أنّ كلتيهما مدرَكتان للنفس[١]، إحداهما بواسطة الآلات الجسدانيّة، والأُخرى لذواتها[٢].

و من هنا صحّ أن يقال[٣]: «إنّ الدنيا والآخرة حالتان للنفس». وأن يقال: «إنّ النشأة الثانية عبارةٌ عن خروج النفس عن غبار هذه الهيآت البدنية» فمِن قَبل أن تخرج عن البدن لاترى تلك الصور إلّا مشاهدة ضعيفة - وذاك أيضا لبعض الناس - و إذا تجرّدت وارتفعت الشواغل وقوي العزيمة وانحصرت القوى كلّها في قوّة واحدة - وهي المتخيّلة وتصير هي عينا باصرة وقدرَة فعّالة: ينقلب العلم مشاهدة، والمسموع مشافهة.

وقد علمت أنّ أهل كل نشأة إنّما يدرك الموجودات التي فيها على سبيل المشاهدة، والتي في غيرها على سبيل الحكاية؛ فشهادة كلّ نشأة غيبٌ في أُخرى، وعيانها علمٌ وخبرٌ في غيرها، «والناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[٤].

---

١) مل :- للنفس.

٢) مقتبس من مفاتيح الغيب: المفتاح الثامن عشر، المشهد الخامس: ٦٠٧.

٣) نفس المصدر: ٦٠٩.

٤) مضى في ص: ٢٨٢.

فالصور الدنياويّة بالنسبة إلى الأُخراويّة كالصور المناميّة إلى الانتباهيّة.

و من هنا يظهر أنه لايلزم أن يشاهَد تلك الأُمور في القبر بهذه الآلات الجسدانيّة، لأنّها من نشأة أخرى؛ ومَن يشاهدها في الدنيا، فذاك لظهور سلطان الآخرة عليه؛ كما كان يشاهد النبيُّ ﷺ جبرئيل ؑ ولايشاهده غيره من الحاضرين؛ فإنّ لكلٍّ نشأة حكمها - فافهم.

وقال بعض المحقّقين «والذي يوضح لك كيفيّة ضغطة القبر - و إن كان جسد الميّت ساكنا أو كان في الهواء أو الماء - أنَّ من كان في ضيق شديد أو تفرُّق اتِّصال بالنار وغيرها، أو وقع بين حجرين عظيمين: فإنَّ الذي يؤلمه ويؤثّر في نفسه بالذات ليس هذه الأُمور الواقعة على بدنه؛ بل صورتها الواصلة إلى نفسه لعلاقة لها مع البدن، حتّى أنّه لو فرض حصول تلك الصوَر إلى النفس من سبيل آخر - لا من جهة هذه الأسباب الماديّة - لكان التأثير بحالها مادامت النفس ذات علاقة بهذا البدن - سواء كان البدن بعينه باقيا أم لا -. فضَغطة القبر وعذابُه من هذا القبيل الذي ذكرناه، وكذلك ثوابه وراحته، فسعة القبر و ضيقه تابعان لانشراح الصدر وضيقه».

نورٌ

[الفرق بين الصور البرزخيّة والأُخرويّة]

الفرق بين الصوَر المشاهدة في البرزخ وبين المشاهدة في الجنان أو النيران إنّما هو بالشدَّة والضعف والكمال والنقص؛ وهذه أُنموذج من تلك؛ ومادام الإنسان قريب العهد من الدنيا، لم تستحكم بعد في نفسه قوَّةُ انكشاف الآخرة على وجه الكمال؛ كما لم تستحكم في الجنين قوّة الإحساس بالمحسوسات؛ بل يكون حاله بالنسبة إلى ذلك كحال النائم بالإضافة إلى اليقظان، وكلتا الصورتين إدراكيّة جزئيّة غير مادّية، إلا أنّ البرزخيّة مشهودة بعين الخيال، والأُخرويّة بعين الحسّ؛ على أنّ عين الحسّ الأُخرويّ ليست غير عين الخيال، بل تتّحد هناك معها، بخلاف الدنيوي.

في نفخ الصور والساعة

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [٣٩/٦٨]

نور سري

[الصور والنفخ]

الصور - بسكون الواو، وقرء بانفتاحها أيضا - : جمع الصورة[١] .

وسئل النبيّ ﷺ عنه، فقال[٢] : «قرنٌ من نورٍ التقمه إسرافيل».

فوصف بالسعة والضيق. واختلف في أنّ أعلاه ضيّقٌ وأسفله واسعٌ، أوبالعكس؛ ولكلٍ وجهٌ.

---

١) قراءة الفتح روي عن الحسن كما سيجيء، وحكاه في مجمع البيان (٥٠٨/٨) عن قتادة.

٢) ورد في الفتوحات (الباب الثالث والستون: ٣٠٦/١): «أنّ رسول الله ﷺ لما سئل عن الصور، ماهو ؟ فقال ﷺ: «هو قرن من نور ألقمه إسرافيل»؛ فأخبر أنّ شكله شكل القرن، فوصف بالسعة والضيق، فإنّ القرن واسع ضيّق...».
ولم أعثر على هذا النص في الجوامع الروائيّة. والذي جاء في بعض الأحاديث: «قال أعرابي: يارسول الله - ما الصور ؟ قال: قرن ينفخ فيه». رواه الترمذي: كتاب التفسير، سورة المدثر، ٣٧٣/٥، ح٣٢٤٤. وفي حديث آخر ورد بألفاظ مختلفة: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرنَ وحنى الجبهة...»: الترمذي: الباب المذكور، ٣٧٢/٥، ح٣٢٤٣. راجع كنز العمال: ٣٥١/١٤-٣٥٢.

وورد[١] : «أنَّ فيه ثقبا بعدد كلِّ إنسان، ثقبة فيها روحه».

قال أُستاذنا - دام ظلّه -[٢] : «اعلم أنّ جميع الموادّ الكونيّة بصورها الطبيعيّة قابلة للاستنارة بالأرواح، كالفحم في استعداده للاشتعال من جهة ناريّة كامنة فيه؛ فالصور البرزخيّة كامنة فيها كلها، كمون الحرارة والجمرة[٣] في الفحم، والأرواح كامنة في الصور البرزخيّة كلها كمون الاشتعال والإنارة في الحرارة.

ففي النفخة الأُولى زالت الصور الطبيعيّة بالإماتة، كزوال هيأة السواد والبرودة للفحم بحصول الجمرة والحرارة، واستعدت الصور البرزخيّة لقبول الاستنارة بالأرواح، استعداد الفحم المجمر[٤] المتسخّن لقبول الاشتعال؛ فإذا نفخ إسرافيل - وهوالمنشئ للأرواح - في الصور نفخة ثانية تستنير بالأرواح البارزة القائمة بذاتها، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [٣٩/٦٨].

وقال في الفتوحات[٥] : «النفخة نفختان: نفخة تطفئ النارَ، و نفخة تشعلها؛ فإذا تهيَّأ صورُ الخلائق، كانت فتيلة استعدادها كالحشيش المحترق، وهو الاستعداد لقبول الأرواح؛ كاستعداد الحشيش بالنار التي[٦] كمُنت فيه لقبول الاشتعال؛ والصور البرزخية - كالسُرج - مشتعلة بالأرواح التي فيها؛ فينفخ إسرافيل نفخة واحدة، فتمرُّ على تلك الصور، فتطفئها؛ وتمرُّ النفخة التي تليها - وهي الأُخرى - على الصور المستعدَّة للاشتعال - وهي النشأة الأُخرى، فتشتعل بأرواحها ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [٣٩/٦٨].

---

١) في الدر المنثور (الأنعام/٧٣، ٣/٢٩٨-٢٩٩): «وأخرج أبو الشيخ في العظمة، عن وهب بن منبه، قال: خلق الله الصور... ثم قال كن؛ فكان إسرافيل. فأمره أن يأخذ الصور فأخذه، وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفْس منفوسة، لاتخرج روحان من ثقب واحد...».
٢) الأسفار الأربعة: ٩/٢٧٦.
٣) في المصدر هنا وفيما يلي: الحمرة.
٤) المصدر: المحمر.
٥) مقتبس من الفتوحات المكية: الباب الرابع والستون: ١/٣١٣.
٦) الفتوحات: الحشيش المحرق... بالنارية التي.

فتقوم تلك الصور أحياءً ناطقةً بما ينطقها الله ؛ فمن ناطق بـ« الحمد لله » ، ومن ناطق يقول : ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ [٥٢/٣٦] ، ومن ناطق يقول : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور . وكلٌ ينطق بحسب علمه وحاله وماكان عليه ، ونسي حالَه في البرزخ ، ويتخيَّل أنَّ ذلك منامٌ كما يتخيَّله المستيقظ ، وقدكان عندموته و انتقاله إلى البرزخ كالمستيقظ هناك ؛ وأنَّ الحياة الدنيا كانت له كالمنام ، وفي الآخرة يعتقد أمرَ الدنيا والبرزخ أنه منامٌ في منام » .

«وقال في موضع آخر[١] بعد ذكر الناقور والصور :

« وليعلم بعد ماقرَّرناه ، أنَّ الله تعالى بعد ماقبض الأرواح من هذه الأجسام الطبيعيَّة والعنصريَّة ، أودعها صورا أخذها في مجموع هذا القرن النوريّ ، بجميع مايدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ ، من الأمور التي يدركها بعين الصورة التي هو بها في القرن [٢] .

والنفخة نفختان : نفخةٌ تطفئ النار ، ونفخةٌ تشعلها ؛ فكذلك نفخة الصور نفختان : الأولى للإماتة لمن يزعم أنَّ له حياة - سواء كان من أهل السماوات أو من أهل الأرض . قال الله تعالى : ﴿ وَ نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ ٱللّٰهُ ﴾ [٦٨/٣٩] وهم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى ، و إليهم الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ - إلى قوله :- ﴿ لَايَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقَّيٰهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ هٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَاءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [٢١/١٠١-١٠٤] إذ الفزع الأكبر إشارة إلى مافي قوله : ﴿ فَفَزِعَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٩٣/٢٧] .

قال أُستاذنا - أدام الله تأييده -[٣] : وذلك لأنَّ أولئك ليسوا من أهل السماوات والأرض ، لكون ذواتهم خارجة عن عالم الأجسام وصورها

---

١) الفتوحات المكية : ٣٠٧/١ ، الباب الثالث والستون ، مع اختلافات لفظية.

٢) المصدر : فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور إنما يدركه بعين الصورة التي هو بها في القرن وبنورها.   ٣) الأسفار الأربعة : ٢٧٧/٩.

ونفوسها، ولايجرى عليهم تجدّد الأكوان ولا تغيّر الزمان، لاستغراقهم في بحر الأحديّة وسلطان نور الإلهيّة، كالملائكة المهيّمين، الذين هويّاتهم مطويّة تحت الشعاع الطامس القيّوميّ، والنور الباهر الإلهيّ، فلا التفات لهم إلى ذواتهم.

والثانية لأجل الإحياء بعد الإماتة، والبقاء بعد الفناء، صورة أرفع من الأولى - وبقاء حقيقيًا لافناء بعده.

قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [٦٨/٩٣].

سِرٌّ

والنفخة و إن كانت من جانب الحقّ واحدة - لإحاطته بجميع ماسواه - لكنّها بالنسبة إلى الخلائق نفخاتٌ متعدّدة حسب تعدُّد الأشخاص؛ كما أنّ الأزمنة والأوقات المتمادية هاهنا إنّما هي ساعة واحدة بالقياس إليه «وما أمر الساعة إلا واحدة».

نُورٌ

«الساعة» مأخوذةٌ من السعي، لأنّ جميع الأشياء متوجّهة إلى الله تعالى[1]، ساعية نحوه. قال الله تعالى: ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسٰيهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرٰيهَا إلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهٰيهَا ﴾ [٧٩/٤٢-٤٤]

واعلم أنّ أهل اليقين لايمارون في الساعة [2] ويعلمون أنّها الحقُّ ويستعدّون للقائها ويرونها كأنّها قائمة عليهم، واقعةً بهم أو قريبةً منهم، كما قال - عزّ وجلّ -: ﴿ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِهَا وَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَا إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [٤٢/١٧-١٨]. وقال: ﴿ وَ أَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَارَيْبَ فِيهَا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤٠/٥٩]. وقال تعالى: ﴿ وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا ٱلْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا إِلَّا مَاشَاءَ ٱللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَايَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [١٠/٤٨-٤٩]

١) ر: الى الله سبحانه. ٢) ر: في الآخرة.

في البعث والقيامة

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَومَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [١٦/٢٣]

سِرٌّ نُورِيٌّ

قد دريت بقاء أُصول الجواهر التي خلق الناس منها، ودريت أنّ حال النفوس في الأجساد البرزخيّة كحال النطفة في الرحم، والبذر في الأرض، تنبت وتثمر وتختلف عليها أطوار النشأة، إلى أن تولّدت يوم القيامة بالنفخة الإسرافيليّة، وأفاقت من صعقتها، وخرجت من الهيآت المحيطة بها، كما يخرج الجنين من القرار المكين.

ولهذا قيل في الميّت «إذا مات فقد قامت قيامته»، أي ابتداء ظهور النشأة الأُخرى في البرزخ إلى يوم البعث من البرزخ، كما يبعث الجنين من البطن إلى الأرض بالولادة.

[عود الأرواح إلى الأبدان]

سئل[١] مولانا الصادق عليه السلام[٢] عن الميّت: «يبلى جسدُه»؟

قال: «نعم - حتّى لايبقى له لحمٌ ولاعظْمٌ إلاّ طينته التي خُلق منها، فإنّها لاتبلى؛ تبقى في الأرض مستديرة، حتّى يخلق منها - كماخُلق أوّل مرّة».

---

١) ر: وسئل.

٢) الكافي: كتاب الجنائز، باب النوادر: ٢٥١/٣، ح٧.
عنه البحار: ٤٣/٧، ح٢١. و ٣٥٧/٦٠-٣٥٨، ح٤٣.

و قال ﷺ: «إذا أراد الله أن يُبعث الخَلق أمطرَ السماءَ على الأرض أربعين صباحا، فاجتمت الأوصالُ ونبتت اللحومُ». رواه الصدوق[1] بإسناده الصحيح، وهي إشارة إلى الأطوارالبرزخيَّة، التي بها يتمُّ البعث و الإعادة، المشار إليه بقوله - سبحانه -: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ [١٩/٨٤] كالأطوار الحمليَّة التي للجنين في بطن اُمِّه، التي بها يتمُّ الخَلق أوَّل مرَّة؛ فقس الآخرة بالأولى: فـ ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَ لَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [٢٨/٣١].

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَ أَنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ أَنَّ ٱللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [٢٢/٥-٧].

وقال - تعالى -: ﴿ وَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَومَ ٱلْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [٢٣/١٢-١٦].

وقال: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوتِهَا وَ كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [١٩/٣٠] وقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [٥٠/٩-١١] وقال: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [٥٠/١٥]

---

١) أمالي الصدوق: المجلس الثالث والثلاثون، ح٦، ٢٤٣. الزهد للأهوازي: باب (١٦) المساءلة في القبر والبرزخ، ٨٨، ح٢٣٧. عنهما البحار: ٣٣/٧، ح١.

تَنْبِيهٌ

لاتعجُب لأُولي الألباب من النشأة الثانية والبعث إليها، بل تعجُّبهم من النشأة الأُولى أكثر بكثير؛ إلاّ أنَّ الأُولى لمّا كانت محسوسة مشاهَدة معتادة: سقط التعجّبُ منها. كما ذكر بعض العرفاء[1] أنّه :

«لوسمع عاقلٌ - قبل أن يشاهد - أنَّ إنسانا حرَّك نفسَه فوقَ امرأة مرارا - كما يحرك الممخض - وخرج من بعض أجزائه شيء مثل زبد سيّال، فيخفى ذلك الشيء في بعض أجزاء المرأة، ويبقى مدَّة على هذه الحالة، ثم يصير علقة، ثم العلقة تصير مضغة، ثم المضغة تصير عظاما، ثم يُكسى العظام لحما، ثم تحصل منه الحركة، فيخرج من موضعٍ لم‌يعهد خروج شيء منه على حالة لاتهلك أُمّه ولاتشقُّ عليها ولادتُه؛ ثم يفتح عينه، ويحصل في ثدي الأُمّ مثل شراب مائع ـ لم‌يكن فيها قبل ذلك شيء ـ ويغتذي به الطفل إلى أن يصير هذا الطفل بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات؛ بل ربما يكون هذا الذي أصله نطفة - وهو عند الولادة أضعف خلق الله - عن قريب ملكا جبّارا قهّارا، يملك أكثر العالم ويتصرّف فيه. فإنَّ التعجُّب من ذلك أكثر وأوفر من التعجُّب من النشأة الثانية».

و إلى ذلك أُشير في القرآن بقوله سبحانه: ﴿وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلأُولَىٰ فَلوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٦٢/٥٦].

قال سيّد العابدين عليه السلام[2] : «عجبا ـ كلّ العجب ـ لمن أنكر الموت، وهو يرى من يموت كلّ يوم وليلة؛ والعجب كلّ العجب لمن أنكر النشأة الآخرة، وهو يرى النشأة الأُولى».

---

١) الغزالي في المضنون به على غير أهله: مجموعة رسائل الغزالي، ١٥٤/٤-١٥٥.

٢) المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، ح٢٣٠: ٢٤٢/١. أمالي الطوسي: المجلس ٣٥، ح٣١، ٦٦٣، مع فرق يسير. عنهما البحار: ٤٢/٧، ح١٤. ١٤٢/٧٨، ح٤.

نور

إذا فهمت القيامة الجزئيّة بموت هذا الشخص المعيّن، علمت القيامة العامّة لكلّ ميّت من الموجودات، على اختلاف أنواع موتهم وفنون فنائهم وأصناف هلاكهم، على حسب مراتبهم وتوجّهاتهم إلى مافوقهم وحركاتهم إلى غاياتهم ووصولاتهم إلى نهاياتهم، ورجوع كلّ إلى أصله من الأملاك والأفلاك والأرواح والنفوس.

وعلمت اجتماعهم جميعا في صعيد واحد دفعة واحدة بالنفخة الإسرافيليّة، كما قال سبحانه : ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [٣٦/٥١-٥٢].

إذ عدمَت عند ذلك الآجال، وزالت السنون والساعات، ولايبقى إلّا الله الواحد القهّار، الذي إليه مصير جميع الأمور، ولله ميراث السماوات والأرض، بلاوقت ولازمان، ولاحيّزٍ ولامكان، فلاقبْل يومئذٍ ولابَعد، ولاهنا ولاهنالك، ولاستر ولاحجاب.

لأنّ ذلك من لوازم الزمان والمكان، الموجبين للتغير والتكثّر، فلمّا ارتفعا ارتفع الحجاب والستر، ولم يبق بعد، ولامباينة مكان ووضع، فالتحق كلّ فرع بأصله، وجمع كلٍّ مستفيض مع مفيضه، وكلّ مستنير مع المنير، وجمع الشمس والقمر، واتحدت النفوس بالأرواح، وزالت المباثنة بين الأشباح والأرواح.

ولهذا لايكون أبدان أهل الجنّة بصورة نفوسها، كالشخص وظلّه.

ورجعت السماوات والأرض إلى ماكانتا عليه قبل انفتاقهما[1] من الرتق، فعادتا إلى مقام الجمعيّة المعنويّة - حيث كانتا رتقا- من هذه التفرقة من حيث هذا الوجود الطبيعيّ، فعادتا كما كانتا رتقا بعد الفتق.

---

١) مل: انفتاقها.

وكذا العناصر الأربعة يصير كلّها عنصرا واحدا مظلما، لايرون فيها شمسا ولازمهريرا، ويتقلّب كلّها نارا واحدة غير هذه النار الأسطقسيّة، ويصير الهيولى كلّها بحرا مسجورا، ﴿ وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [٨١/٦] ﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ [٧١/٢٥]

وبالجملة يتّصل البرّ بالبحر ويتّحد الفوق والتحت، وتزول الأبعاد والأحجام، وترتفع الحواجز والحوائل، وترق(؟) الحجب لأهل البرازخ، ﴿ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾[١١/١٠٣] ﴿ يَومَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [١٤/٤٨]، فتمدّ مدَّ الأديم، وتبسط فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا[١] يجمع فيها جميع الخلايق كلّها من أوّل الدنيا إلى آخرها، لأنّها يومئذ مبسوطة على قدر تسع الخلائق كلّها.

ومن أطلق اللهُ حقيقتَه عن قيد الزمان والمكان يعرف أنّ مجمع الزمان وما يطابقه كساعة واحدة، وهي شأن واحد من شؤن الله، مشتمل على شؤن التجلّيات الواقعة في كلّ يوم وساعة؛ وكذا مجموع الأمكنة الواقعة في كلّ وقت، فكما اتّصلت الآنات في نظر شهوده، اتّصلت الأمكنة التي في كلّ آن؛ فعلى هذا القياس اتّصلت الأرض الموجودة الآن مع الأراضي الموجودة في الآزال والآباد.

فهكذا تصير الأراضي كلّها أرضا واحدا فيها الخلائق كلّها عند شهود الملائكة والنبيّين والشهداء كما قال الله عز وجل[٢] : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِالنَّبِيِّينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [٣٩/٦٩].

كذا أفاد أُستاذنا[٣] : أدام الله إفاداته[٤] .

---

١) ﴿ وَ إِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ [٨٤/٣]. ﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا ﴾ [٢٠/١٠٧].

٢) مل: قال الله تعالى.

٣) الإشراق السابع عشر، من الشاهد الثاني من المشهد الرابع.

٤) وكتب في هامش النسختين: «قال: ولنمثّل لاجتماع الخلائق عند الله في يوم واحد على ساهرة بمثال واحد جزئيّ، وهو أنّ ملاقاة الكرة المتدحرجة مع السطح المستوي لايكون في كلّ آن←

[منزلة الآخرة من الدنيا]

وقال زيد بركاته[١] : القيامة من داخل حجب السماوات والأرض، فما لم ينهدم بناء الظاهر لم ينكشف أحوال الباطن لأنّ الغيب والشهادة لايجتمعان.

ولذلك ورد عن النبي ﷺ[٢] : «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَن يقول: الله الله».

ومنزلتها من هذا العالم، منزلة هذا العالم مِن الرحم [...] فمن كان بعد على وجه الأرض مع هذه الطبيعة الحاجبة عن أنوار الآخرة، لم يحشر بعد إلى الله، فإذا خرج من الدنيا حشر إليه وقامت قيامته؛ والله سبحانه داخل هذه الحجب، وعنده علم الساعة.

وهذا هوالجواب الحقّ مع الكفّار، إذ قالوا ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ﴾[٣٦/٤٨] وإذا مات الكلّ بنفخ الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض قامت القيامة الكبرى.

← ولا في كلّ زمان من أزمنة السكون إلا بنقطة واحدة متعيّنة، وتكون ملاقاتها معه في زمان الحركة الدوريّة بخطّ متّصل واحد، بل بنقطة واحدة تجمع النقاط كلّها، لا كجمعيّة النقاط التي تكون في مقدار قارّ ساكن، بل جمعيّة أخرى انطوت بسببها جميع أجزاء الخطّ وجميع النقاط التي كلّ منها واقعة في آن غير آن صاحبتها في نقطة الملاقاة؛ فكذلك حال اجتماع الخلائق في عرصة القيامة عند الله - فافهم واغتنم إن كنت من أهله - (مل: منه دام فيضه).

١) الشواهد الربوبية: الإشراق الخامس عشر من الشاهد الثاني من المشهد الرابع، مع بعض التغييرات.

٢) في مسلم: كتاب الإيمان، باب (٦٦) ذهاب الإيمان، ح٢٣٤؛ ١٣١/١ ومستدرك الحاكم (كتاب الفتن والملاحم: ٤٩٢/٤): «لاتقوم الساعة حتى لايقال في الأرض الله الله». وفي حديث آخر فيه: «لاتقوم الساعة حتى لايقال في الأرض لاإله إلا الله». وروي بألفاظ أخر أيضا، كنز العمال: ٢٤٣/١٤-٢٤٤، ح ٣٨٥٧٢-٣٨٥٧٦.

في الحشر

﴿ وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [١٨/٤٧]

نور

[الحشر على صور الملكات]

إنّما يحشر كلّ أحد إلى غاية سعيه وعمله وما يحبّه، حتّى أنّه «لو أحبّ أحدكم حجرا لحُشر معه»[1] ؛ فإنّ تكرُّر الأفاعيل والتصوّرات يوجب حدوثَ الملكات، فكلّ ملكة تغلب على الإنسان في الدنيا تتصوَّر في الآخرة بصورة تناسبها، فمن كانت غالب تصوّراته أمورا قدسيّة، وأكثر أعماله باقيات صالحات حشر مع الملائكة إلى الرحمان على سبيل الوفد؛ كما قال سبحانه: ﴿ يَومَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَىٰ ٱلرَّحْمٰنِ وَفْدًا ﴾ [١٩/٨٥].

ومن كانت تصوّراته وأفاعيله مقصورة على أغراض بهيميّة أو سبُعيّة أو شيطانيّة حشر مع الجنّ إلى جهنّم على صور تلك الحيوانات؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَ إِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [٨١/٥]، وقال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ ٱلإِنْسِ ﴾ [٦/١٢٨]، وفي الحديث[2] : «يُحشر الناس على نيّاتهم».

---

١) أمالي الصدوق: المجلس ٣٧، ح٩، ٢٧٨: «لو أنّ رجلا أحبّ حجرا لحشره الله معه».

٢) ابن ماجة: كتاب الزهد، باب (٢١) النية، ١٤١٤/٢، ح٤٢٣٠. المسند: ٣٩٢/٢.

وجاء عن الصادق عليه السلام في الكافي: كتاب الجهاد، باب الغزو مع الناس...، ٥/ ٢٠.
والتهذيب: كتاب الجهاد، باب من يجب معه الجهاد: ١٣٥/٦.
البحار: ٢٠٩/٧٠، ح٢٩.

وفيه[١] «يحشر بعضُ الناس على صوَر تحسنُ عندها القرَدةُ والخنازيرُ».

وفيه أيضا[٢] : «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركبانا، ومشاة، وعلى وجوههم».

فقيل: «يارسول الله - فكيف يمشون على وجوههم»؟

قال: «الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمشيهم على وجوههم».

سِرٌّ

سرُّ ذلك أنَّ الملكات النفسانيَّة تصير صوَرا جوهريَّة وذواتا قائمة فعَّالة في النفس تنعيما وتعذيبا، إذ لو لم يكن للآثار الحاصلة في النفس من الأعمال والأقوال دوامٌ وثباتٌ وقوّةٌ واشتدادٌ يوما فيوما، إلى حدٍّ تصير ملكَة راسخة، لم يكن لأحد تعلُّم شيءٍ من الصنايع والحِرف، ولم ينجع فيه التأديبُ والتهذيبُ، ولم يكن في تأديب الأطفال وتمرينهم فائدةٌ، و لا لهم تفاوت من أوّل الحداثة إلى آخر حدِّ الكمال، وتكون التكاليف الشرعيّة عبثا لا فائدة فيها.

و لو لم يكن لتلك الملكات من الثبات و التجوهر ما يبقى أبد الآباد، لم يكن لخلود أهل الجنّة في الثواب وخلود أهل النار في العقاب - أبدا - وجهٌ.

فإنّ منشأ الثواب والعقاب لو كان نفس العمل أو القول - وهما أمران زائلان - للزم بقاءُ المعلول مع زوال العلَّة المقتضية، وذلك غير صحيح، والفعل الجسماني الواقع في زمان متناهٍ، كيف يصير منشأً للجزاء الواقع في أزمنة غير متناهيةٍ؟ ومثل هذه المجازاة غير لائق بالحكيم، سيَّما في جانب العقاب. ولكن إنّما يخلَّد أهلُ الجنَّة في الجنَّة وأهل النار في النار بالثبات في النيَّات والرسوخ في الملكات.

---

١) لم أعثر عليه.

٢) الترمذي: كتاب التفسير، باب (١٨) سورة بني إسرائيل: ٣٠٥/٥، ح٣١٤٢. المسند: ٣٥٤/٢. كنز العمال: ٣٦٠/١٤، ح٣٨٩٣٣.

وقد ظهر من هذا أنّ موادّ[1] الأشخاص الأُخرويّة[2] - ومايكون لها بمنزلة البذور للأشجار والنُطف للحيوانات والهيولى للعقليّات - إنّما هي التصوُّرات الباطنيّة والتخيُّلات النفسانيّة والتأمُّلات العقليّة ؛ وصوَرها قائمة بذواتها ، حياتها نفس ذاتها ، وكلّ إنسان مع مايتعلّق به - من الحور والقصور والأنهار وغيرها - موجود بوجود واحد ، حيٌّ بحياة واحدة ، و إن تكثّرت صوره .

نور عرشيّ

قد ثبت في محلّه أنّ لكلّ خُلقٍ من الأخلاق المذمومة والهيآت الرديئة المتمكِّنة في النفس صورةَ نوع من أنواع الحيوانات وبدن يختصُّ بذلك الخلق ، كصور أبدان الأُسود ونحوها لخُلق التكبُّر والتهوُّر - مثلا - وأبدان الثعالب وأمثالها للخبث والروغان ، وأبدان القِرد وأشباهها للمحاكاة والسخريّة ، وأبدان الطواويس ونظائرها للعُجب ، والخنازير للحرص ، والديك للشهوة - إلى غير ذلك - .

وكذلك بإزاء كلِّ مرتبة - قويّة أو ضعيفة - من خُلق مّا ، بدن نوع خاصّ من الحيوانات التي اشتركت في ذلك الخُلق ، كعِظم الجثّة لشديد ذلك الخُلق ، وصغيرها لضعيفه . وربما كان لشخص واحد من الإنسان عددٌ كثير من الأخلاق الرديئة على مراتب متفاوتة ، فبحسب كلّ خُلقٍ مذموم في نفسه وضعف ذلك وما ينضمّ إليه من باقي الأخلاق المحمودة والمذمومة القويّة والضعيفة واختلاف تراكيبها الكثيرة التي لايقدر على حصرها إلاّ الله سبحانه تختلف الصورة الحيوانيّة في الآخرة .

وربما ينتقل من صورة إلى صورة أُخرى نوعا أو مرتبة - بحسب زوال ذلك الخُلق عنه رأسا - أو مرتبة شديدة منه - إلى أن يزول عن نفسه الهيآت الرديئة بالكليّة - إن كانت قابلة للزوال - أويبقى فيها وفي الأبدان المناسبة لها

---

١) مل : سواد.
٢) الأسفار الأربعة : ٢٩٥/٩.

أحقابا كثيرة إلى ما شاء الله - كما بيّنه أهل التناسخ وقد برهن على بطلان قولهم في محلّه - .

و إنّما نجوّز هذا في النشأة الآخرة، لأنّ الأبدان الأُخرويّة ليست وجوداتها بحسب استعدادات الموادّ وحركاتها وتهيّآتها واستكمالاتها المتدرّجة الحاصلة لها عن أسباب غريبة ولواحق مفارقة؛ بل هي فائضة بمجرّد إبداع الحقّ الأول إيّاهابحسب الجهات الفاعليّة، من غير مشاركة القوابل، فلايلزم فيها ما يلزم هناك من المفاسد.

وعلى هذا يحمل ما تشبّثوا بها من الآيات والأخبار الدالّة بظاهرها على التناسخ.

نور

إنّ المُعاد في المَعاد والمحشور في الآخرة، هو بعينه هذا الشخص الإنساني الذي في الدنيا والبرزخ - روحا وبدنا - بحيث لو يراه أحدٌ عند المحشر يقول: «هذا فلان، الذي كان في الدنيا».

كما قال الصادق عليه السلام في البرزخي[1] : «لو رأيتَه لقلتَ فلان».

و إن كان صورتُه صورةَ حمار أو خنزير، أو ضِرسُه مثلَ جبل أُحُد تغليظا للعقوبة، أو كانوا جُردا مُردا مكحّلين، أبناء ثلاث وثلاثين، على خَلق آدم، طولهم ستّون في عرض سبعة أذرع - ليتوفّر عليهم اللذات - كما ورد كلّه في الأخبار.

وذلك لأنّ تشخُّص البدن - على ماحقّق في محلّه وثبت[2] - ليس إلاّ بالنفس، فلايمتاز ولايتعيَّن إلاّ بها، ولهذا يكون بدنُ زيد وأعضاؤه ينسب إليه

---

١) مضى في ص ٢٩١.

٢) راجع الأسفار الأربعة: ١٨٥/٩-١٩٩. المبدء والمعاد: ٣٨٠-٣٩٦. تفسير سورة يس لصدرالمتألهين: الآية ﴿أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ : ٤٣٤-٤٤٧.

ويعرف به و يُحكم بوحدته - وإن تبدّل أنواعا من التبدُّل.

فجوهريَّة هذا الإنسان واحدة في الدنيا والآخرة وروحُه باقٍ مع تبدُّل الصوَر عليه - من غير تناسخ باطل - وكلٌّ مانشأ من عمله الذي كان يعمله في الدنيا من خير أو شرٍّ يعطى لقالبه جزاء ذلك في الآخرة.

ومن هنا قال الصادق عليه السلام في قوله - سبحانه - ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا ﴾ [٥٦/٤]، حيث سُئل: «ما ذنب الغير»؟

قال: «ويحك - هي هي، وهي غيرها». ثمَّ مثَّل باللبِنة المكسورة المجدَّدة ثانيا[1]. وبهذا تتوافق وتتلائم الآيات والأخبار والدلائل الدالَّة على أنَّ المُعاد في الآخرة هو عين هذا الجسم الميّت، كقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [٧٩/٣٦]، والدَّالَّة على أنَّه مثله، كقوله تعالى: ﴿ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَاتَعْلَمُونَ ﴾ [٦١/٥٦] - إلى غير ذلك -.

نور

قال بعض المحقّقين[2]:

إنَّما يعاد الإنسان بجميع قواه وجوارحه، لأنَّ كلّ قوَّة من قواه بماهو إنسانٌ يسري من نفسه إلى البدن، ولكلٍّ منهاكمالٌ يخصُّها، ولذَّةٌ وألمٌ تناسبها، وبحسب كلّ ماكسبته يلزم لها في الطبيعة الجزاء.

وقد ثبتت الغايات الطبيعيَّة لجميع المبادي والقوى، عاليةً كانت أو سافلة؛ ﴿ وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [١٤٨/٢]، وهذا هو مقتضى الحكمة والوفاء بالوعد والوعيد ولزوم الجزاء والمكافات للعبيد.

وكذلك لكلّ موجودٍ من الموجودات حشرٌ وإعادةٌ - لامتناع ساكن

---

١) تفسير القمي: ١٦٩/١.

٢) مقتبس من مفاتيح الغيب: المفتاح الثامن عشر، المشهد السادس: ٦٠٩-٦١٠.

في الخليقة، معطَّل في الطبيعة - بل الكلُّ متوجّهٌ نحو الغاية المطلوبة منه، إلاّ أنَّ حشر كلِّ شيءٍ إلى ما يناسبه ويقصده؛ فللإنسان بحسبه، ولقواه بحسبها، وللملائكة بحسبهم، وللشياطين بحسبهم، وللحيوانات بحسبها، وللنباتات بحسبها[1].

وبالجملة يحشر كلّ شيء إلى ما بدأ منه؛ فمن علم من أين مجيئه، علم إلى أين ذهابه.

- قال :- ومن الحيوانات كلّ ما له نفس متخيّلة بالفعل فلايبعد القول بحشره إلى بعض البرازخ؛ وأمّا حشر النفوس الحسّاسة فقط، فكحشر القوى النفسانيّة إلى ربّ نوعها وأمير جيشها، وكذا النفوس النباتيّة إذا قطعت عن الأشجار.

وحشر المقلّدين والأتباع إلى مايحشر إليه الأئمّة والمجتهدون يشبه حشر القوى النفسانيّة من الناطقة إليها؛ و إلى مثله أُشير في قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [١٧/٢٧] وقوله: ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [١٩/٣٨].

١) راجع عين اليقين: ٤٢٢-٤٢٥.

في تطاير الكتب ونشرها

﴿ وَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * إِقْرَءْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [١٧/١٣-١٤]

نور

كلّ مايدركه الإنسان بحواسّه يرتفع منه أثرٌ إلى روحه ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته، وكذلك كلُّ مثقال ذرة من خير أو شرّ يرى أثره مكتوبا ثمّة، ولاسيّما مارسخت بسببه الهيآت وتأكّدت به الصفات وصار خُلقا وملكة، فإنّ ذلك ممايوجب خلودَ الثواب والعقاب - كما دريت -.

فكلّ إنسان نفسه صحيفة أعماله، وهو كتابٌ منطوٍ اليومَ عن مشاهدة الأبصار، و إنّما ينكشف بالموت عند كشف الغطاء ورفع ما يورده الشواغل الحسيّة، المعبّر عنه بقوله سبحانه: ﴿ وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [٨١/١٠].

فإذا حان وقتُ ذلك - وهو ﴿ يَوم تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [٨٦/٩] - صار الغيب شهادةً، والسرُّ علانيةً، والخبرُ عيانا، فيقال: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَومَ حَدِيدٌ ﴾ [٥٠/٢٢].

﴿ هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. [٤٥/٢٩]

فمن كان في غفلة عن ذاته وحساب سرّه، فإذا وقع بصرُه على ذلك، والتفتَ إلى صفحة باطنه وصحيفة قلبه يقول:

﴿ مَالِ هٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيهَا وَ وَجَدُوا مَا

عَمِلوا حَاضِرًا وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1] [٤٩/١٨] ﴿ يَومَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَو أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [٣٠/٣].

فمَن كان مِن أهل السعادة وأصحاب اليمين وكان معلوماته أمورا مقدَّسة وأعماله صالحة، فقد أوتي كتابه بيمينه من جهة علّيين: ﴿ إِنَّ كِتَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَ مَا أَدْرَيٰكَ مَا عِلِّيُّون * كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [٢١/٨٣].

وذلك لأنَّ كِتابه من جنس الألواح العالية والصحف المكرَّمة، المرفوعة المطهَّرة ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [١٥/٨٠-١٦]، فليس عليه سوى العرض كما قال - عزَّ وجلَّ - : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ - إلى قوله[2] :- ﴿ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [١٩/٦٩-٢٤].

وقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [٧/٨٤-٨] - وهو العرض كما دريت.

ومن كان من الأشقياء المردودين، وكان معلوماتُه مقصورةً على الجرميَّات، وأعماله خبيثة، فقد أوتي كتابه بشماله من جهة سجّين: ﴿ إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَ مَا أَدْرَيٰكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [٧/٨٣-١٠].

وذلك لأنَّ كتابه مِن جنس الأوراق السفليَّة والصحائف الحسيَّة القابلة للاحتراق، فلذلك يعذَّب بالنار كما قال - سبحانه - :

---

١) في هامش ر: «و يقال: يستخرج لهم كتابٌ عظيم يسدُّ ما بين المشرق والمغرب، فيه أعمال جميع الخلائق؛ فما من كبيرة ولاصغيرة إلا أحصاها، ﴿ وَ وَجَدُوا مَا عَمِلوا حَاضِرًا وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾. وذلك أنَّ أعمال الخلائق يعرض على الله في كلّ يوم، فيأمر الكرام البررة أن ينسخوا في ذلك الكتاب العظيم، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ - منه».

٢) ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَ ٱشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾.

﴿ وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَ لَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ - إلى قوله[1] :- ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا ٱلْخَاطِئُونَ ﴾ [٦٩/٢٥-٣٧] .

وأمَّا مَن أُوتِيَ كتابه وراءَ ظهره، فهم الذين أُوتوا الكتاب، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا، فقيل لهم : ﴿ ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُوراً ﴾ [٥٧/١٣] .

فإنَّه حين نبذه وراءَ ظهره : ﴿ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ [٨٤/١٤] ﴿ فَسَوفَ يَدْعُوا ثُبُوراً * وَ يَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [٨٤/١١-١٢] .

---

١) ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللهِ ٱلْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هٰهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا ٱلْخَاطِئُونَ ﴾.

في الميزان والحساب

﴿وَ نَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَومِ ٱلْقِيَامَةِ فَلَاتُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [٢١/٤٧]

نور

ميزان كلّ شيء[١] هو المعيار الذي يُعرف به قدرُ ذلك الشيء على اختلاف أجناس الموزونات والموازين، كذي الكفّتين والأُسطرلاب والفرجار والشاقول والعَروض والمنطق والعقل وغيرذلك.

فميزان يوم القيامة - أعني مايوزَن به العقائد والأعمال - هو نفس العقائد الحقّة والأعمال الصالحة التامّة - من وجه - و أهلها الهادون إليهما[٢] - من وجه آخر-.

وعلى الأوّل قيل «الميزان هو كلمة: لا إله إلا الله»؛ لأنّها هي الفاصلة بين الإسلام والكفر، والمائزة بين أهل الجنّة والنار.
وعليه أيضا ورد في الحديث[٣]: «الصلوة ميزان، مَن وفى استوفى».

هذا في الأعمال وذاك في العلوم.

---

١) راجع مفاتيح الغيب: الفاتحة الثامنة من المفتاح الثاني، ٩٢.
تفسير آية الكرسي لصدرالمتألهين: ١٥١.

٢) ر: اليها.

٣) معاني الأخبار: باب معنى المحاقلة ...، ٢٨٣، ح١٢. البحار: ٣٤٨/٧٦. ٢٣٥/٨٢، ح٦٢.

وعلى الثاني ورد في الحديث[1] : «إنَّ الموازين القسط هم الأنبياء والأوصياء ﷺ».

وذلك لأنّ ارتفاع قدر العباد وقبول أعمالهم إنّما هو بقدر محبّتهم للأنبياء والأوصياء ﷺ، وطاعتهم في أفعالهم وأقوالهم، واقتفائهم لآثارهم، والاعتقاد فيهم بالنبوّة والإمامة، فالمقبول الراجح من الأعمال ماوافَق أعمالَهم، والمرضيّ من الأخلاق والأقوال ماطابَق أخلاقَهم وأقوالهم، والحقُّ من العقائد ما اقتُبس منهم ومن إرشادهم وهدايتهم، والمردود منها ماخالف ذلك، وكلّما قرب منهم قرب من الحقّ، وكلّما بعُد عنهم بعُد عنه.

فميزان كلّ أمّة هو نبيُّ تلك الأُمَّة و وصيُّ نبيّها على هذا الوجه، وشريعتها على الوجه الأوّل.

وقد ظهر من هذا أنّ الموازين كثيرة ؛ و لهذا وردت في الآية الشريفة بلفظ الجمع.

و إذا قيست إلى المكلّفين بحسب اختلافهم في التكاليف على حسب تفاوت طبقات الناس في الوسع والطاقة والفهم والذكاء، تعدّدت الموازين على حسب تعدُّد المكلّفين.

و إذا قيست إلى العلوم والأعمال بحسب أفرادها وأشخاصها - على فنونها وكثرتها - كما أشير إليه في حديثي كلمة التوحيد والصلاة المذكورين آنفا - تكثَّرت الموازين بحسب تكثُّر الاعتقادات والأعمال بالإضافة إلى شخص واحد.

و إليه الإشارة بقوله - عزّ وجلّ - : ﴿ وَالْوَزْنُ يَومَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ [٨/٧] ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [٢٣/١٠٢-١٠٣].

وما روي عن ابن عبّاس «إنّ طول عمود الميزان ما بين المشرق والمغرب،

---

١) معاني الأخبار: باب معنى الموازين...، ٣١، ح١. البحار: ٢٥١/٧، ح٩. الكافي: باب نتف من الآيات في الولاية: ٤١٩/١، ح٣٦.

وكفته كأطباق الدنيا في طولها وعرضها، وكفّة الحسنات عن يمين العرش وكفّة السيّئات عن يساره، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فلاينافي ماذكر، لمادريت من صور اختلاف صورالحقائق باختلاف النشآت والمواطن.

وهذا التحقيق من خواصّنا وسوانح الوقت - ولله الحمد.

نور
[حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا]

الحساب عبارةٌ عن جمع تفاريق المقادير والأعداد، وتعريف مبلَغها، وفي قدرة الله أن ينكشف في لحظة واحدة للخلائق حاصل حسناتهم وسيّآتهم وهو أسرع الحاسبين.

قال شيخنا الصدوق - رحمه الله - في اعتقاداته[1] :

« والله - تعالى - يخاطِب عبادَه من الأوّلين والآخرين بمجمل حساب عملهم مخاطبةً واحدة، يسمع منها كلّ واحد قضيّته دون غيرها، ويظنُّ أنّه المخاطب دون غيره، لايشغله - عزّ وجلّ - مخاطبةٌ عن مخاطبة؛ ويفرغ من حساب الأوّلين والآخرين في مقدار ساعة من ساعات الدنيا.

ويُخرج الله - عزّ وجلّ - لكلّ إنسان كتابا يلقاه منشورا، ينطق عليه بجميع أعماله، لايغادر صغيرةً ولاكبيرة إلاّ أحصاها، فيجعله الله محاسِب نفسِه والحاكم عليها بأن يقال له: ﴿ إقْرَءْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَومَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [١٧/١٤].

ويختم الله - تبارك وتعالى - على أفواههم، وتشهد أيديهم وأرجلهم وجميعُ جوارحهم بما كانوا يكسبون: ﴿ وَ قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا ٱللهُ ٱلَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ

---
١) الاعتقادات: في الحساب والموازين.

تُرجَعُونَ * وَ مَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصَارُكُمْ وَ لاجُلُودُكُمْ وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ آللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٤١/٢٢-٢١]»

سِرٌّ

السرُّ في ذلك ما مرّ أنّ لكلّ خُلقٍ وهيأةٍ ظهورا خاصًا في كلّ موطنٍ ونشأةٍ، وكلّ إنسان يُحشر على صورة تناسب أخلاقَه وأعمالَه، كما قال - عزّ وجلّ - : ﴿ وَ نَحْشُرُهُمْ يَومَ ٱلْقِيٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَ بُكْمًا وَ صُمًّا ﴾ [١٧/٩٧].

فتلك الصور تدلُّ على تلك الأخلاق والأعمال، وتشهد عليها صريحا بحيث لامجال للإنكار والاعتذار، كما قال - عزّ وجلّ - : ﴿ هٰذَا يَومُ لَايَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [٧٧/٣٥-٣٦] ولمّا كان هذا الصور المحسوسة ظلال تلك الصور الملكوتيّة، يعرف العارف بالفراسة من صورة الإنسان أحواله وأخلاقه؛ ولهذا ورد في الحديث: «الدجّال مكتوب على ناصيته : (ك ف ر) ولايقرؤه إلا مؤمن»[1] .

نُورٌ

[أصناف الناس عند الحساب]

قيل[2] :

إنّ الناس من جهة الحساب صنفان:

أحدهما يدخلون الجنّة يرزقون من نعيمها بغيرحساب، وهم ثلاثة أقوام: منهم المقرّبون الكاملون في المعرفة والتجرّد، لأنّهم لتنزّههم وارتفاع مكانتهم عن شواغل الكتاب والحساب يدخلون الجنّة بغير حساب، كما

---

١) في كمال الدين (٥٢٦، باب ٤٧، حديث الدجال) عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الدجال: «... بين عينيه مكتوب: كافر، يقرؤه كل كاتب وأمي...».

٢) راجع مفاتيح الغيب: المفتاح ١٩، المشهد ١٣، ٦٥٤. الأسفار الأربعة: ٩/٣٠٥.

قال تعالى فيهم : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَامِن حِسَابِك عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [٦/٥٢].

ومنهم جماعة من أصحاب اليمين لم يقدموا في الدنيا على معصية، ولم‌يقترفوا سيّئة ولم يريدوا علوّا في الأرض ولا فسادا، لصفاء ضمائرهم وسلامة فطرهم عن رين المعاصي وقوّة نفوسهم على فعل الطاعات: فهم أيضا يدخلون الجنّة بغير حساب كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا وَ ٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٢٨/٨٣].

ومنهم جماعة نفوسهم ساذجة وصحائف أعمالهم خالية عن آثار السيّآت والحسنات جميعا، فلهم حالة إمكانيّة، فينالهم الله برحمة منه وفضل لم يمسسهم سوء العذاب، لأنّ جانب الرحمة أرجح من جانب الغضب، والإمكان مصحّح للقبول مع عدم المنافي [١] ، والواهب جواد كريم، فهؤلاء أيضا يدخلون الجنّة بغير حساب؛ وقد قال: ﴿ وَمَارَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [٤١/٤٦]، وقال[٢] : «سبقت رحمتي غضبي»؛ وقال: ﴿ وَ رَحْمَتِيَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [٧/١٥٦].

وأمّا القسم الآخر - وهم أهل العقاب في الجملة - فهم أيضا ثلاثة أقوام:

منهم قوم صحيفة أعمالهم خالية من العمل الصالح، ولا محالة يكونون كفّارا محضة فيدخلون جهنّم بلاحساب.

ومنهم قوم صدر منهم بعض الحسنات، لكن وقع في حقّهم قوله تعالى: ﴿ حَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١١/١٦] ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَاعَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [٢٥/٢٣].

ومنهم قوم هم في الحقيقة من أهل الحسنات، حيث ﴿ خَلَطُوا

---

١) مل :- مع عدم المنافي.

٢) راجع مامضى في ص ٥٢.

عَـمَلاً صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّـئًا ﴾ [٩/١٠٢] ؛ فهؤلاء قسمان :

أحدهما من نوقش في حسابه بكلّ دقيق وجليل ، لأنّه بهذه المثابة في الدنيا وعاشر مع الخلائق ، وكان يستوفي حقّه في المعاملات معهم من غير مسامحة ؛ فيعامَل معه في الآخرة مثلَ ما عامَل مع الخلق في الدنيا .

والقسم الثاني ، وهم الذين يخافون سوء الحساب ويشفقون من حساب يوم القيامة ، فهؤلاء لايناقش معهم في موقف الحساب ، فكيف يعذّبون ويمكثون في مقام العذاب .

في الخصماء والمظالم

﴿ وَ لا تَحْسَبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَومٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ ﴾ [١٤/٤٣]

أنوار شرعيّة

روي في الكافي[١] بإسناده عن سيّد العابدين عليه السلام أنّه قال: حدَّثني أبي، أنّه سمع أباه عليّ بن أبي طالب عليه السلام يحدّث الناس، قال:

«إذا كان يوم القيامة بعث الله - تعالى - الناس من حُفَرهم عُزلاً بُهْماً جُرداً مُرداً[٢] في صعيد واحد، يسوقهم النور، وتجمعهم الظلمة؛ حتّى يقفوا على عقبة في المحشر، فيركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون دونها، فيمنعون من المضيّ، فيشتدُّ أنفاسُهم، ويكثر عرقهم، ويضيق بهم أُمورهم، ويشتدُّ ضجيجهم، وترتفع أصواتُهم».

---

١) الكافي: الروضة، ح٧٩، ٨/١٠٤-١٠٥. عنه البحار: ٧/٢٦٨-٢٧٠، ح٣٥.

٢) عُزلا: لاسلاح لهم - بضم العين وسكون الزا، جمع أعزل. بُهما: ليس معهم شيء. جُرد: لاثياب لهم. (الوافي). مُرد: جمع أمرد.

قال ابن الأثير (النهاية: بهم، ١/١٦٧): «فيه «يحشرالناس يوم القيامة عُراة حُفاة بُهما»، البُهم: جمع بهيم؛ وهو في الأصل الذي لايخالط لونه لون سواه، يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدنيا، كالعمى والعور والعرج وغير ذلك؛ و إنما هي أجساد مصححة لخلود الأبد في الجنة أوالنار.

وقال بعضهم في تمام الحديث: «قيل: وما البُهم؟ قال: ليس معهم شيء» يعني من أعراض الدنيا. وهذا يخالف الأول من حيث المعنى».

- قال :- « وهو أوّل هول من أهوال يوم القيامة » .

- قال :- « فيشرف الجبّار - تعالى - عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة ، فيأمر ملكا من الملائكة فينادي فيهم : « يا معشر الخلائق - انصتوا واستمعوا منادي الجبّار » .

- قال :- « فيسمع آخرُهم ، كما يسمع أوّلهم » .

- قال :- « فتنكسر أصواتهم عند ذلك وتخشع أبصارهم وتضطرب فرائصهم وتفزع قلوبهم ، ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت ﴿ مُهطِعِينَ إِلَىٰ ٱلدَّاعِ ﴾ » .

- قال :- « فعند ذلك يقول الكافر : ﴿ هٰذَا يَومٌ عَسِرٌ ﴾ [٨/٥٤] » .

- قال :- « فيشرف الجبّار - تعالى ذكره - الحكَم العدْلُ عليهم ، فيقول : « أنا اللهُ لا إله إلاّ أنا ، الحكَم العدْل الذي لايجور ، اليوم أحكم بينكم بعدْلي وقسطي ، لايظلم اليوم عندى أحد ؛ اليوم آخذ للضعيف من القويّ بحقِّه ، ولصاحب المظلَمة بالمظلمة ، بالقصاص من الحسنات والسيّآت ، وأُثيب على الهبات ، ولايجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالمٌ - ولأحد عنده مظلمةٌ ، إلاّ مظلمةٌ يهبها صاحبُها ، وأُثيبه عليها ، وآخذ له بها عند الحساب - وتلازموا أيُّها الخلائق ، واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا ، وأنا شاهد لكم بها عليهم - وكفى بي شهيدا - » .

- قال :- « فيتعارفون و يتلازمون ، فلايبقى أحد له عند أحد مظلمةٌ أو حقٌّ إلاّ لزمه بها » .

- قال :- « فيمكثون ماشاء الله ، فيشتدُّ حالُهم ويكثر عرقُهم[1] و ترتفع أصواتهم بضجيج شديد ، فيتمنَّون المَخلَص منه بترك مظالمهم لأهلها » .

- قال :- « ويطّلع الله - تعالى - على جهدهم ، فينادي مناد من عند الله - تعالى - يسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم : « يامعشر الخلائق - انصتوا

١) أضيف في المصدر : ويشتدّ غمّهم.

لداعي الله - تعالى - واسمعوا، إنَّ الله - تعالى - يقول: أنا الوهَّاب إن أحببتم أن تواهبوا فتواهبوا، وإن لم تواهبوا أخذت لكم بمظالمكم».

- قال :- «فيفرحون بذلك لشدَّة جُهدهم وضيق مسلكهم وتزاحمهم».

- قال :- «فيهب بعضُهم مظالمَهم رجاء أن يتخلَّصوا ممَّا هم فيه، ويبقى بعضهم فيقول: «ياربِّ - مظالمنا أعظم من أن نهبها».

- قال :- فينادي مناد من تلقاء العرش: «أين رضوان خازن الجنان؛ جنان الفردوس»؟

- قال :- «فيأمره الله - تعالى - أن يُطلع من الفردوس قصرا من فضَّة بما فيه من الآنية والخدم».

- قال :- «فيُطلعه عليهم، في حفافة القصر الوصائف والخدم».

- قال :- «فينادي منادٍ من عند الله - تعالى -: يا معشر الخلائق، ارفعوا رءُوسَكم، فانظروا إلى هذا القصر».

- قال :- «فيرفعون رءُوسَهم، فكلُّهم يتمنَّاه».

- قال :- «فينادي منادٍ من عند الله - تعالى -: يا معشر الخلايق، هذا لكلِّ مَن عفا عن مؤمن». - قال :- «فيعفون كلّهم إلاّ القليل».

- قال :- «فيقول تعالى: لايجوز إلى جنَّتي اليوم ظالم، ولايجوز إلى ناري اليوم إلاّ ظالمٌ ولأحد من المسلمين عنده مظلمة، حتَّى يأخذها منه عند الحساب؛ أيّها الخلائق استعدُّوا للحساب».

- قال :- «ثمَّ يخلِّي سبيلُهم، فينطلقون إلى العقبة، فيكرد بعضهم بعضا حتَّى ينتهوا إلى العرصة - والجبَّار تعالى على العرش - قد نُشرت الدواوين، ونُصبت الموازين وأُحضر النبيُّون والشهداء - وهم الأئمَّة - يشهد كلُّ إمام على أهل عالمه بأنَّه قد قام فيهم بأمر الله - تعالى - و دعاهم إلى سبيل الله».

- قال الراوي :- فقال له رجلٌ من قريش: «يابن رسول الله - إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمة، أيُّ شيءٍ يأخذ من الكافر - وهو من أهل النار»؟

- قال :- «فقال له عليٌّ بن الحسين ﷺ : «يطرح عن المسلم من سيّآته بقدر ما له على الكافر ، فيعذّب الكافر بها مع عذابه بكفره ، عذابا بقدر ما للمسلم قِبله من مظلمته».

- قال :- «فقال له القرشيّ : فإذا كانت المظلمة للمسلم عند مسلم كيف يؤخذ مظلمته من المسلم» ؟

- قال :- «يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم».

- قال :- «فقال له القرشي : فإن لم يكن للظالم حسنات» ؟

قال : «إن لم يكن للظالم حسنات ، فإن كان للمظلوم سيّآت ، يؤخذ من سيّآت المظلوم فتزاد على سيّآت الظالم».

وعن النبيّ ﷺ[1] : «هل تدرون مَن المفلِس» ؟

قالوا : «المفلِس فينا - يارسول الله - مَن لادرهم له ولامتاع».

فقال : «المفلس من أُمّتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي قد شَتم هذا ، وقذَف هذا ، وأكل مالَ هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ؛ فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، و إن فنيت حسناتُه قبل أن يقضي ماعليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثمّ يطرح في النار».

سؤال:

الحسنات والسيّآت عبارة عن أعمالٍ هي حركاتٌ قد انقضت ، فكيف يُنقل المعدومُ الذي لوكان موجودا لكان عرَضا لايبقى لينتقل؟

جواب:

هذا النقل واقع في الدنيا عند جريان الظلم ، لكنّه ينكشف في القيامة ،

---

١) مسلم : كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، ١٩٩٧/٤ ، ح٥٩. المسند : ٣٠٣/٢ و٣٣٤ و٣٧٢.

فيرى طاعاتِ نفسه في ديوان غيره - كما علمتَ في نظائره - وما لم ينكشف بعد للإنسان فليس بموجود له، و إن كان موجودا في نفسه؛ فإذا انكشف له وعلمه، صار موجودا له وكأنّه وُجد الآن في حقّه.

ثمّ المنقول ليس نفس الحسنات والسيّآت، بل الأثر الذي يترتّب عليهما من تنوير القلب وإظلامه؛ وإنّما عبّر بهما عن الأثر لأنّه المقصود والغاية منهما، وبين آثارهما تعاقب وتضادّ.

ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ ﴾ [١١/١١٤].

وفي الحديث[١] : «أتبِع السيئةَ بالحسنة تَمحُها».

و : «الآلامُ تمحيصاتٌ للذنوب»[٢] .

ولذلك قال ﷺ[٣] : «إنَّ الرجلَ لَيثاب حتَّى بالشوكة تُصيب رِجله».

وقال[٤] : « الحدود كفّارت لأهلها».

فالظالم يتبع شهوته بالظلم، وفيه ما يقسي قلبه ويسوّده، فيمحو أثر النور الذي في قلبه من طاعته - و كأنّه أحبط طاعته.

---

١) الترمذي: ٣٥٥/٤، كتاب البر والصلة، باب (٥٥) في معاشرة الناس، ح١٩٨٧: «أتبع السيئة الحسنة تَمحُها».
وفي أمالي الطوسي (١٨٦، المجلس السابع، ح١٤): «إذا عملت سيّئة فاعمل حسنة تمحوها». البحار عنه وعن تفسير القمي ٢٤٢/٧١، ح٢-٣.

٢) في أمالي الطوسي (٦٠٢، المجلس ٢٧، ح٢): «المرض لاأجر فيه، ولكنّه لايدع على العبد ذنبا إلّا حطّه». البحار: ٣١٧/٥، ح١٥.
وفي التمحيص: (باب التمحيص بالعلل والأمراض: ٤٣): «لايمرض مؤمن ولامؤمنة إلا حطّ الله به من خطاياه».

٣) في مسلم (كتاب البر والصلة، باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه...، ١٩٩٢/٤، ح٥١): «مامن شيء يصيب المؤمن، حتّى الشوكة تصيبه، إلا كتب الله بها حسنة، أوحطّت عنه بها خطيئة». وفي الباب أحاديث أخر يقرب منه.

٤) في الترمذي (كتاب الحدود، الباب (١٢)، ٤٥/٤، ح١٤٣٩): «من أصاب من ذلك شيئا فعوقب عليه فهو كفارته». وفي ابن ماجة (كتاب الحدود، الباب ٣٣، ٢/ ٨٦٨، ح٢٦٠٣): «من أصاب منكم حدا، فعجّلت عقوبته، فهو كفّارته...».

والمظلوم يتألّم ويكسر شهوته ويستنير به قلبُه، وتفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتّباع الشهوات.

ولقد كان قلب الظالم مستنيرا فكأنّه انتقل النور من قلب الظالم إلى قلب المظلوم، وانتقل السواد من قلب المظلوم إلى قلب الظالم.

وهذا وإن لم يكن انتقالا حقيقيا - بل هو بطلان أمر من موضع وحدوث مثله في موضع آخر - إلاّ أنّ إطلاق النقل على مثل ذلك استعارةٌ شائعة كما يقال: «انتقل الظلُّ - أو نور الشمس - من موضع إلى موضع، أو ولاية القضاء من فلان إلى فلان» ونحو ذلك.

- كذا أفاد بعض العلماء -.

* * *
* *
*

في طول يوم القيامة وحره وعرقه

﴿ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة ﴾ [٤/٧٠]

رموز

[طول هذا اليوم وقصره]

وروي عن النبي ﷺ[١] أنّه تلا قوله - تعالى - : ﴿ يَومَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ العالَمِين ﴾ [٦/٨٣]، ثم قال : «كيف بكم إذا جمعكم الله كما يُجمع النبلُ في الكنانة، خمسين ألف سنة - لا ينظر إليكم -» ؟

وعن الإمام الصادق عليه السلام في حديث[٢] : «فحاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا عليها ، فإنَّ للقيامة خمسين موقفا، كلّ موقف مقام[٣] ألف سنة»، ثم تلا : ﴿ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة ﴾.

وعنه عليه السلام[٤] : «مَثَل الناس يوم القيامة إذا قاموا لربِّ العالمين مَثَل السهم في القِرَب ، ليس له من الأرض إلّا موضع قدمه ، كالسهم في الكنانة لايقدر أن يزول هاهنا ولا هاهنا».

وعن النبيّ ﷺ[٥] : « تدنوا الشمس من الأرض يوم القيامة ، فيعرق

---

١) المستدرك للحاكم : كتاب الأهوال : ٥٧٢/٤.
٢) الكافي : الروضة، حديث محاسبة النفس، ١٤٣/٨، ح١٠٨.
٣) الكافي : مقداره.
٤) الكافي : الصفحة السابقة، ح١١٠. عنه البحار : ١١١/٧، ح٤٣.
٥) أورده الغزالي في الإحياء : كتاب ذكر الموت، صفة العرق، ٧٤٤/٤. وجاء مع فروق في المستدرك للحاكم : كتاب الأهوال، ٥٧١/٤. المسند : ١٥٧/٤. مسلم : باب (١٥) في صفةيوم القيامة، ٢١٩٦/٤، ح٦٢.

الناس ؛ فمن الناس مَن يبلغ عرقُه عقبه ، ومنهم من يبلغ نصف ساقه ، ومنهم من يبلغ ركبتيه ، ومنهم من يبلغ فخذيه ، ومنهم من يبلغ خاصرته ، ومنهم من يبلغ فاه - فأشار بيده - فالجمها فاه ، ومنهم من يغطيه عرقه - وضرب بيده على رأسه - هكذا » .

وفي معناه أخبار أُخر ، وفي بعضها[١] : « يذهب عرَقُهم في الأرض سبعين باعا » .

تَنبيهٌ

« كلّ عرَق لم يخرجه التعبُ في سبيل الله - من حجّ و جهادٍ وقيام وصيامٍ وتردُّدٍ في قضاء حاجة مسلمٍ وتحمُّل مشقَّةٍ في أمرٍ بمعروف و نهيٍ عن منكرٍ - فيستخرجه الحياءُ والخوفُ في صعيد القيامة ، ويطول فيه الكرب » .

ومن طال انتظاره في الدنيا للموت لشدَّة مقاساته للصبر عن الشهوات ، فإنّه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصَّة .

سُئل رسول الله ﷺ عن طول ذلك اليوم ، فقال[٢] : والذي نفسي بيده إنّه ليخفَّف على المؤمن حتَّى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلِّيها في الدنيا » .

رموز

ورد في الخبر : إذا كان يوم القيامة يجمع الله - تعالى - خلق الأولين والآخرين في صعيد واحد ، و تدنو الشمس على رءُوسهم ، فيشتدّ عليهم يوم القيامة حرُّها ، فيخرج عنقٌ من النار كالظلّ ، ثم ينادي المنادي : « يامعشر الخلائق - انطلقوا إلى الظلّ » ، فينطلقون وهم ثلاث فرق : فرقة من المؤمنين ، وفرقة من المنافقين ، وفرقة من الكافرين .

فإذا صار[٣] الخلائق إلى الظلِّ ، صار الظلّ ثلاثة أقسام :

---

١) مسلم : الباب السابق ، الحديث ٦١. المسند : ٤١٨/٢. كنزالعمال : ٣٥٨/١٤ ، ح٣٨٩٢٧.
٢) المسند : ٧٥/٣. كنز العمال : ٣٧٧/١٤ ح٣٩٠٠٣. ٣) ر : فاذا اصاب.

قسمٌ للحرارة وقسمٌ للدخان وقسم للنور ؛ فذلك قوله - تعالى - : ﴿ ٱنطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ [٧٧/٣٠-٣٣].

والحرارة تقوم على رءُوس المنافقين والدخان على رءُوس الكفار والنور على رءُوس المؤمنين.

فالحرارة على رءُوس المنافقين لأنَّهم يحدثون في الحرارة في الدنيا : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي ٱلْحَرِّ قُلْ ﴾ - يامحمّد - ﴿ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [٩/٨١].

والدخان على رءُوس الكفّار، لأنَّهم كانوا في الدنيا في الظلمات، وفي الآخرة كذلك، لقوله - تعالى - : ﴿ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٢/٢٥٧].

والنور على رءُوس المؤمنين، لأنَّهم كانوا في الدنيا في النور، لقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [٢/٢٥٧].

وقال في صفاتهم يوم القيامة : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ﴾ [٥٧/١٢].

وعن النبيّ ﷺ[١] : «سبعةٌ يظلّهم الله في ظِلِّ العرش - يومَ لا ظلَّ إلاّ ظِلّه - : إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، و رجلان تحابّا في الله، ورجلٌ طلبته امرأة ذات جمال فقال : «إنّي أخاف الله ربَّ العالمين»، و رجلٌ ذكر الله - تعالى - خاليا، ففاضت عيناه من خشية الله، ورجلٌ تصدّق بيمينه فأخفاها عن شماله، ورجلٌ يتعلّق قلبه في المساجد».

---

١) ورد في الخصال مع اختلاف يسير : باب السبعة، ٣٤٣، ح٧.
عنه البحار : ٢٦١/٢٦، ح٤١. المسند : ٤٣٩/٢.

في السّياق والصراط

﴿ وَ سِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ [٧١/٣٩]
﴿ وَ سِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ - الآية - [٧٣/٣٩]
﴿ وَ جَاءَتْ كلُّ نفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ ﴾ [٢١/٥٠]

نور

[السائق والشهيد]

سياق الملائكة عبارة عن تكميلهم النفوس الإنسانيّة شيئا فشيئا، من ابتداء حدوثها إلى أن تبلغ الكمال اللائق بحالها.

فمن يقرّبها منهم إلى عالَم الرحمة والرضوان؛ فهم ملائكة الرحمة.

ومن يُبعّدها عن ذلك فهم ملائكة العذاب، كالزبانية والحواس[1].

قال أميرالمؤمنين عليه السلام[2] في قوله تعالى ﴿ كلُّ نفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [٢١/٥٠]: «سائقٌ يسوقها إلى محشرها وشهيدٌ يشهد عليها بعملها»[3].

وما عليه يقع هذه الحركة هو الصراط، فالصراط هو الطريق إلى الله بالاستكمال التدريجيّ للإنسان: ونزيد في الإيضاح فاسمع:

---

١) راجع الشواهد الربوبية: الإشراق الرابع من المشهدالرابع، ٣٢٣-٣٢٤.
٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٥. عنه البحار: ١١٣/٧، ح٤٧.
٣) جاء بهامش نسخة (ر): وفي كتاب الحسين بن سعيد عن شعيب بن ميثم، قال: سمعت أباعبد الله عليه السلام يقول: «نار تخرج من قعر عدن تضيء لها أعناق الإبل، تبصر من أرض الشام، تسوق الناس إلى المحشر» منه.

نورٌ سريٌّ
[ماهو الصراط]

قد علمت أنّ لكلّ إنسان من ابتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جبليّة وحركات طبيعيّة اشتداديّة، لايزال ينتقل من صورة إلى صورة حتّى يتّصل بالعالم العقلي ويلحق بالملإ الأعلى - إن ساعده التوفيق - أو يحشر مع الشياطين والحشرات في عالم الظلمات - إن ولّاه الطبع والشيطان وقارنه الخذلان.

فأول ما اقتضت النفس هو تكميل نشأتها الحسيّة وتعمير هذا القالب، ليكون مسكنا لقواها ومعسكرا لجنودها، ثمّ إذا كملت هذه النشأة وعمّرت هذه المملكة وقويت جنودها أخذت في تحصيل نشأة ثانية ومنزل آخر، فتوجّهت إلى عالم آخر هو أعلى من هذا العالم وأشرف وأقرب إلى بارئها.

فهذا هو معنى صراط الله الذي فطر عليه الخلق، فالاستقامة عليه والتثبّت فيه هو الذي أراده الله من عباده وأرسل لأجله[1] رسوله إليهم، كما قال: ﴿ وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٤٢/٥٢-٥٣].

والانحراف عنه يوجب السقوط عن الفطرة والهويّ إلى جهنّم التي قيل لها: ﴿ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [٥٠/٣٠].

فالصراط المستقيم - الذي إذا سلكت أوصلك إلى الجنّة هو صورة الهدى التي أنشأته لنفسك - مادمت في عالم الطبيعة - من الأعمال القلبيّة، فهو في هذه الدار معنى كسائر المعاني الغائبة عن الحواسّ، لايشاهَد له صورة حسيّة، فإذا انكشف غطاء الطبيعة بالموت، يمدّ لك يوم القيامة جسرا محسوسا على متن جهنّم، أوّله في الموقف وآخره على باب الجنّة، يعرف من يشاهده إنّه صنعتك وبناؤك، ويعلم أنّه قد كان في الدنيا جسرا ممدودا على متن جهنّم

---

١) النسخ: وأرسله لأجله. (التصحيح على السياق).

طبيعتك، التي قيل لها ﴿ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ فَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [٥٠/٣٠] ليزيد في طولك وعرضك وعمقك من ظلّ ذي ثلاث شعب، إذ كان جسمك ظلّ حقيقتك، وهو ظلٌّ غير ظليل لايغنيها من اللهب - لهب الطبيعة - بل هو الذي يقودها إلى لهب الشهوات، ويوقد فيها نارها.

فالكامل من يطفئ نارها بماء التوبة وماء العلم في الموطن الذي فيه قوّة قبول الأعمال والطاعات قبل قيام نشأة المجازاة.

كذا قال أُستاذنا[1] أدام الله بركاته.

قال[2] : «ومن العجب كون الصراط والمارّ عليه والمسافة والمتحرّك فيه شيئا واحدا؛ وهذا هكذا في طريق الآخرة التي تسلكها النفس الإنسانيّة، فإنّ المسافر إلى الله - أعني النفس - تسافر في ذاتها وتقطع المنازل والمقامات الواقعة في ذاتها بذاتها؛ في كلّ خطوة تضع قدمها على رأسها، بل رأسها على قدمها - وهذا أمر عجيب، ولكن ليس بعجب عند التحقيق والعرفان.

تأييد شرعيّ

روى الصدوق في كتاب معاني الأخبار[3] بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن الصراط، فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله - عزّ وجلّ - وهما صراطان: صراطٌ في الدنيا، وصراطٌ في الآخرة. فأمّا الصراط الذي في الدنيا: فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة؛ ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه على الصراط[4] في الآخرة فتردى في نار جهنّم».

وبإسناده عنه عليه السلام[5] أيضا قال: «الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام».

---

١) الشواهد الربوبية: الإشراق الثامن من الشاهد الثاني من المشهد الرابع.
٢) الأسفار الأربعة: ٩/٢٩٠.
٣) معاني الأخبار: باب معنى الصراط، ٣٢، ح١. عنه البحار: ٢٤/١١، ح٣.
٤) مل: عن الصراط. ٥) معاني الأخبار: باب معنى الصراط، ح٢، ٣٢.

وقد مضى ما يشرح هذين الحديثين في معنى الميزان، فتذكّر ذلك حتّى تعلم أنّ الصراط المستقيم في الدنيا هوالطريق إلى الحقّ من وجه، والسالك عليه من وجه.

فالصراط والميزان متّحدان في المعنى بكلا الوجهين، وإن اختلفا بالاعتبار.

في تفسير أبي محمّد العسكري عليه السلام[1]: «الصراط المستقيم صراطان: صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة، فأمّا الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلوّ وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل. والطريق الآخر طريق المؤمنين إلى الجنّة، وهومستقيمٌ لايعدلون عن الجنّة إلى النار، ولا إلى غيرالنار سوى الجنّة».

وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله[2]: «الصراط أدقُّ من الشَعر، وأحدّ من السيف، وأظلم من الليل».

وتفسير ذلك[3]: أنّ كمال الإنسان في سلوكه إلى الحقّ منوطٌ باستكمال قوّتيه: أمّا العلميّة: فبحسب إصابة الحقّ في الأنظار الدقيقة التي هي أدقُّ من الشَعر في المعالم الإلهية.

وأمّا العمليّة: فبحسب توسُّط القوّة الشهويّة والغضبيّة والفكريّة في الأعمال، لتحصيل ملكة العدالة؛ وهي أحدُّ من السيف.

فالأول من الصراطين في كلام الإمام عليه السلام إشارة إلى هذين، فللصراط

---

١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٤٤.
معاني الأخبار: باب معنى الصراط، ٣٣. عنهما البحار: ٢٤/٩-١٠، ح١.

٢) لم أعثر عل نص الحديث. و جاء في تفسير القمي (قوله تعالى ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ ٤٥٢/٢): «ثم يوضع عليها الصراط، أدقّ من حد السيف...». عنه البحار: ٢٩٣/٨، ح٣٦، بهذا اللفظ. وحكاه أيضا في البحار (٦٥/٨، ح٢) بلفظ: «ثم يوضع عليها الصراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف...». فلعل سبب اختلاف النقلين اختلاف النسخ الموجودة عندالتأليف.

٣) راجع مفاتيح الغيب: المفتاح التاسع عشر، المشهد الحادي عشر: ٦٤٤-٦٤٥.
الشواهد الربوبية: المشهد الرابع، الإشراق الثامن: ٢٩٠-٢٩٢.

المستقيم في الدنيا وجهان : أحدهما أدقّ من الشَعر ، والآخر أحدُّ من السيف ، وهما مظلمان لا يهتدي إليهما إلاّ من جعل الله له نورا يمشي به في الناس .

ولهذا ورد في الخبر[1] : أنّ الصراط يظهر يوم القيامة للأبصار على قدر المارّين عليه ، فيكون دقيقا في حقّ بعضٍ ، وجليلا في حقّ آخرين ، وأنّهم يعطون نورَهم على قدر أعمالهم ؛ فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ، حتّى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمِه ، فيضيء مرّة وانطفئ مرّة ؛ فإذا أضاء قدّم قدمه فمشى ، وإذا طفئ قام .

ويصدِّق هذا الخبر قوله تعالى : ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [٨/٦٦] والسعيُ مشيٌ ، وما ثمّة طريقٌ إلاّ الصراط ، و إنّما قال ﴿ بأيمانهم ﴾ لأنَّ المؤمن في الآخرة لاشمال له ، كما أنَّ الكافر لايمين له .

وبالجملة - النور ، نور القوّة النظريّة ، وبحسبه يمشي الإنسان طريقَ الحقّ بقوّته العمليّة ، والانحراف عن الوجه الأولّ يوجب الهلاك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ لَنَاكِبُون ﴾ [٢٣/٧٤] .

والوقوف على الوجه الثاني يوجب الشقّ والقطع[2] وإليه اشير بقوله - عزّ وجلّ - : ﴿ وَ لَا تَرْكَنُوا إِلَىٰ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [١١/١١٣] وقوله : ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَىٰ ٱلأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلآخِرَةِ ﴾ [٩/٣٨] .

فالصراط المستقيم هو الوسط الحقُّ بين الأطراف ، ولا عرْض له ، ولذلك ليس في قدرة البشر الاستقامة عليه إلاّ من شاء الله .

---

١) مأخوذ من الأحاديث وقد ورد مايقرب منه في المستدرك للحاكم: كتاب الأهوال، ٥٩٠/٤. والترغيب والترهيب: كتاب البعث، فصل في الحشر، ١٨٤/٦، ح٥١٦٢.

٢) في هامش النسختين: «قال أستاذنا - دام ظله -: وجه ذلك أنّ هذه العدالة ليست كمالا حقيقيّا، لأنّ ذلك منحصر في نورالعلم وقوّة الإيمان والمعرفة، بل هي أمر عدميّ وصفةٌ نفسانيّةٌ عدميّةٌ اعتداليّة من جنس أطرافها، والركون إليها والاعتماد عليها يوجب الإخلاد إلى الدنيا، لأنها من الدنيا أيضا - وحبُّ الدنيا رأس كلّ خطيئة» (مل :+ منه دام فيضه).

وقال النبيّ ﷺ : «شيّبتني سورة هود»، لمكان : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [١١/١١٢][1] .

فلاجرم يرد أمثالُنا النارَ ورودا مّا - كما قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [١٩/٧١] .

وأيضا : الصراط في النار وهو غائب فيها، وما ثمّة طريق إلى الجنّة إلاّ عليه، فلابدّ من ورود النار. ولهذا لمّا سُئل بعض أئمّتنا عليهم السلام عن عموم الآية المذكورة، فقال[2] : «جزناها وهي خامدة».

سِرٌّ

قال في الفتوحات[3] :

يشتمل على الصراط الشرع الأنور؛ ولمّا تلى رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [٦/١٥٣] خطّ خطّاً، وعن جنبيه خطوطا؛ فالمستقيم هو صراط التوحيد الذي سلكه جميعُ الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم، والمعوجة هي طرق أهل الضلال[4] والمشرك، لا قدم له على صراط التوحيد، وله قدم على صراط الوجود؛ والمعطّل لا قدم له على صراط الوجود؛ والموحّد - و إن كان فاسقا- لايخلّد في النار، بل يمسك ويسأل ويعذّب على الصراط.

---

١) في شعب الإيمان (باب ١٩، ٢/٤٧٢، ح٢٤٣٩) عن أبي علي السري، قال: رأيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله - روي عنك أنك قلت: شيّبتني سورة هود ؟ قال: نعم. فقلت: ما الذي شيّبك منه، قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ قال: لا ؛ ولكن قوله: ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾[١١/١١٢] ».

٢) لم أعثر على الحديث. وقد أورده أستاذه صدرالمتألهين - قدس سرهما - أيضا في بعض كتبه، مثل تفسير سورة يس: ٦٨.

٣) الفتوحات المكية: ١/٣٢٥، مع تلخيص ونقل بالمعنى.

٤) مستدرك الحاكم: كتاب التفسير، ٢/٢٣٩. أيضا فيه، سورة الأنعام، الحديث الأخير، ١/٣١٨. وأورده السيوطي عنه وعن غيره في الدرالمنثور: الأنعام/١٥٣، ٣/٣٨٥.

أنوار شرعية

روى الصدوق بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام[1] قال: لمّانزلت هذه الآية -﴿ وَ جِيءَ يَومَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ [٢٣/٨١]- سُئل عن ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وآله فقال:

«أخبرني الروحُ الأمين أنَّ الله لا إله غيره، إذا جمع الأولين والآخرين أتى بجهنّم، تُقاد بألف زمام، أخذ بكلِّ زمام ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدّةٌ وتغيّظ وزفير، وأنّها لتزفر الزفرة - فلولا أنَّ الله أخّرهم إلى الحساب لأهلكت الجميع.

ثمَّ يخرج منها عنقٌ محيط بالخلائق - البرّ منهم والفاجر - فما خلَق اللهُ عبدا من عباده - ملكا ولا نبيًّا - إلّاينادي: «ياربِّ نفسي نفسي» وأنت تقول: «ياربِّ أُمّتي أُمّتي».

ثمَّ يوضع عليها صراطٌ، أدقّ من حدّ السيف، عليه ثلاث قناطر: أمّا واحدة فعليها الأمانة والرحم[2]، وأمّا الأُخرى فعليها الصلاة، وأمّا الأُخرى فعليها عدل ربِّ العالمين[3] لا إله غيره؛ فيكلّفون الممرَّ عليه، فيحبسهم الرحم والأمانة، فإنْ نجوا منها حبستهم الصلاة، و إنْ نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين - عزَّ وجلَّ - وهو قوله - تبارك و تعالى -: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [١٤/٨٩].

والناس على الصراط، فمتعلّقٌ وقدم تزلُّ وقدم تستمسك؛ والملائكة حولهم ينادون: «يا حليم اغفر، واصفح، وعد بفضلك، وسلِّم سلِّم»؛ والناس يتهافتون فيها كالفراش، فإذا نجا ناج برحمة الله - عزَّ وجلَّ - نظر إليها فقال: «الحمد لله الذي نجّاني منك بعد إياس بمنّه وفضله، إنَّ ربّنا لغفورٌ شكور».

---

١) مع فروق يسيرة في أمالي الصدوق: ٢٤١، المجلس الثالث والثلاثون، ح٤.

٢) الكافي: الرحمة.

٣) الكافي: فعليها رب العالمين.

وبإسناده[١] عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الناس يمرُّون على الصراط طبقات، والصراط أدقّ من الشَّعر وأحدُّ من السيف؛ فمنهم من يمرُّ مثل البرق، ومنهم من يمرُّ مثل عدْو الفرَس، ومنهم من يمرُّ حبوًا، ومنهم من يمرُّ مشيا، ومنهم من يمرُّ متعلِّقا، قد تأخذ النار منه شيئا وتترك شيئا».

وروي مثل ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله[٢] وروي أنَّ مرورهم على الصراط على قدر نورهم[٣].

وفي حديث آخر[٤]: «إنَّه يمرُّ الناس على جسر جهنَّم وعليه حسَك وكلاليب وخطاطيف، يخطف الناس يمينا وشمالاً، وعلى جنبتيه ملائكة يقولون: اللهم سلِّم سلِّم».

قال في الفتوحات[٥]:

«وهذه الكلاليب والخطاطيف والحسَك هي صور أعمال بني آدم، وهي القيود والتعلّقات بالأُمور الدنياويَّة، تُمسكهم على الصراط، فلاينتهضون إلى الجنَّة ولا يقعون في النار حتَّى تدركهم الشفاعة لمن أذن له الرحمن.

فمن تجاوز هاهنا تجاوز الله عنه، ومن أنظَر معسِرا أنظَره الله، ومن عفى عفى الله عنه، ومن استقصى حقَّه هاهنا من عباده استقصى الله حقَّه منه هناك، ومن شدَّد على هذه الأُمَّة شدَّد الله عليه؛ «إنَّما هي أعمالكم ترد إليكم»[٦]، فالتزموا مكارمَ الأخلاق، فإنَّ الله غدا يعاملكم بما عامَلتم به عبادَه».

---

١) أمالي الصدوق: ٢٤٢، المجلس الثالث والثلاثون، ح٥. الزهد: باب الحشر والحساب...، ٩٢، ح٢٤٨، مع فرق يسير. عنهما البحار: ٦٤/٨، ح١.

٢) المستدرك للحاكم: كتاب التفسير، سورة مريم، ٣٧٦/٢. وكتاب الأهوال: ٥٩٠/٤.

٣) راجع مامضى في الفصل السابق: إن الصراط يظهر يوم القيامة على قدرالمارين عليه...

٤) المستدرك للحاكم: كتاب الأهوال: ٥٨٤/٤. كنز العمال: ٣٨٧/١٤، ح٣٩٠٣٩.

٥) الفتوحات المكية: ٣١٦/١، الباب الرابع والستون، مع بعض الاختلافات اللفظية.

٦) مضى الحديث، راجع الصفحة: ٣٠٠.

في الشفاعة

﴿ لَايَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ [إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا] ﴾ [١٩/٨٧]

﴿ [يَوْمَئِذٍ لَّاتَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ] إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [٢٠/١٠٩]

﴿ مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [٢/٢٥٥]

أنوار شرعية

[شفاعة رسول الله ﷺ]

عن الإمام الرضا عليه السلام[1] - قال :- قال رسول الله ﷺ : «مَن لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ومَن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله شفاعتي[2] ». ثم قال : «إنّما شفاعتي لأهل الكبائر مِن أُمّتي ، فأمّا المحسنون ، فما عليهم مِن سبيل».

قيل للرضا عليه السلام : «يابن رسول الله ، فما معنى قول الله تعالى : ﴿ وَلَايَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [٢١/٢٨] ؟

قال : «لايشفعون إلّا لمن ارتضى[3] دينه».

---

١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ما جاء عن الرضا عليه السلام في الأخبار عن التوحيد: ١/١٣٦، ح٣٥. أمالي الصدوق: ٥٦، المجلس الثاني، ح٤. البحار: ٨/٣٤، ح٤.

٢) في العيون والأمالي: فلا أناله الله شفاعتي.

٣) في العيون والأمالي: ارتضى الله.

وعن النبيّ ﷺ[١] : «شفاعتي لأهل الكبائر مِن أُمّتي ما خلا الشرك والظلم».

وعن الصادق عليه السلام[٢] : «مَن أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا : المعراج، والمساءلة في القبر، والشفاعة».

وعن النبيّ ﷺ[٣] : «خيّرتُ بين أن يدخل شطر أُمّتي الجنّة وبين الشفاعة، فاخترتُ الشفاعةَ لأنّها أعمُّ وأكفى».

وفي الموثّق عن الصادق عليه السلام[٤] أنّه سُئل عن شفاعة النبيّ ﷺ يوم القيامة؟ قال : «يلجم الناس يوم القيامة العرقُ، فيقولون : «انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا» ؛ فيأتون آدمَ، فيقولون : «اشفع لنا عند ربّك».

فيقول : «إنّ لي ذنبا وخطيئة، فعليكم بنوح».

فيأتون نوحا، فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كل نبيّ إلى من يليه، حتّى ينتهون إلى عيسى، فيقول : «عليكم بمحمّد رسول الله ﷺ».

فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه ؛ فيقول : «انطلقوا». فينطلق بهم إلى باب الجنّة، ويستقبل باب الرحمان ويخرّ ساجدا، فيمكث ماشاء الله، فيقول [الله][٥] : «ارفع رأسك، واشفع تشفَّع، وسل تعط».

- ذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [١٧/٧٩].

رواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره.

---

١) في الخصال (باب السبعة، ح٣٦، ٣٥٥) عن النبي عليه السلام: «وأما شفاعتي ففي أصحاب الكبائر، ماخلا أهل الشرك والظلم».

٢) أمالي الصدوق: ٣٧٠، المجلس التاسع والأربعون، ح٥.
البحار: ٢٢٣/٦، ح٢٣. ٣٧/٨، ح١٣. ٣٤٠/١٨، ح٣٣.

٣) جاء بلفظ «... نصف أمتي...» في ابن ماجة: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، ١٤٤١/٢، ح٤٣١١. والمسند: ٧٥/٢. كنز العمال: ٤٠٠/١٤، ح٣٩٠٦٤.

٤) تفسير القمي: ٢٤/٢، قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك...﴾، وفيه فروق يسيرة.
عنه البحار: ٣٥/٨، ح٧.

٥) إضافة من المصدر.

وعنه ﷺ[1] : «إنَّ مِن أُمَّتي مَن يدخل الجنَّة بشفاعته أكثر من مُضر».

وعن الإمام الباقر عليه السلام[2] : «أمَّا إنَّه ليس من عبد يُذكر عنده أهل البيت فيرقّ لذكرنا إلاّ مسحت الملائكة ظَهره وغُفر ذنوبه كلّها، إلاّ أن يجيء بذنب يخرجه من الإيمان؛ و إنَّ الشفاعة لمقبولةٌ، ومايُقبل في ناصب؛ و إنّ المؤمن ليشفع لجاره وما لَه حسنةٌ، فيقول: «ياربِّ جاري، كان يكفُّ عنّي الأذى»، فيشفَّع فيه؛ فيقول الله - تعالى -: «أنا ربُّك، وأنا أحقُّ مَن كافى عنك»، فيدخله الجنَّة وما له من حسنة. و إنَّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنسانا، فعند ذلك يقول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [٢٦/١٠٠-١٠١].

سِرٌّ

معنى الشفاعة ما قاله بعض العلماء: أنّه يُجعل بعض مقرّبي حضرة الله سبحانه وسيلة إليه في مغفرته تعالى لذنوب عبده و عفوه عن خطاياه أو ازدياده إيّاه في درجاته.

وهذا إنّما يتصوّر إذا كان العبد استحكم نسبته إلى ذلك الشفيع في الدنيا بشدّة المحبّة له، أو كثرة المواظبة على الاقتداء به، أو كثرة الذكر له بالصلاة والسلام عليه، أو تألّمه بفقدانه وحزنه على ذلك أو نحو ذلك؛ فإنّ ذلك كلّه

---

١) مجمع البيان: قوله تعالى ﴿فاتنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [المدثر/٤٨] ٣٩٢/١٠. وأورده الغزالي في الإحياء (كتاب ذكرالموت، صفة الشفاعة، ٧٦٣/٤) وقال الزبيدي في شرحه (إتحاف السادة: ٤٩٥/١٠): «سياق المصنف رواه ابن أبي شيبة و الحاكم والبيهقي وابن عساكر عن الحسن مرسلا...». وجاء مع فرق يسير في مستدرك الحاكم: كتاب الأهوال، ٥٩٣/٤. عنه وعن المسند في كنزالعمال (١٥٨/١٢، ح٣٤٤٧١). وفي التمحيص (باب التمحيص بذهاب المال...: ٤٧، ح٦٨): «لاتستخفّوا بفقراء شيعة عليّ وعترته من بعده، فإن الرجل منهم ليشفع لمثل ربيعة ومضر». عنه البحار: ٥٩/٨، ح٨٠. وقد ورد ما يقرب منه عن الباقر عليه السلام، راجع تفسير القمي: ٢٠٢/٢-٢٠٣، قوله تعالى: ﴿و لاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾.

٢) الكافي: الروضة، ١٠١/٨، ح٧٢. عنه وعن العياشي في البحار: ٥٦/٨-٥٧، ح٧٠.

يصير سببا لتنوير القلب والقربِ من الله - سبحانه - وهما بعينهما مغفرة للذنوب وزيادة في الدرجات، و إنما حصلا بوسيلة ذلك الشفيع، بل بوسيلة قربه من الله - سبحانه.

فافهم؛ وهذا معنى الإذن؛ فما لم يكن هذه المناسبة لم يتحقَّق الإذن، فلم يحصل الشفاعة [١].

يدلُّك على ما ذكر أنَّ جميع ما ورد في الأخبار عن استحقاق شفاعة النبيّ ﷺ معلَّقٌ بما يتعلَّق به: من صلاة عليه، أو زيارة لقبره، أو جواب المؤذِّن والدعاء له عقيبه - وغير ذلك ممَّا يحكِّم علاقةَ المحبَّة والمناسبة معه.

وكذا شفاعة غيره من الأئمَّة المعصومين عليهم السلام والعلماء الصالحين - كما نبَّه عليه الحديث السابق.

وقد ورد في الخبر[٢]: أنَّه يقال للرجل: «قُم يا فلان - فاشفع»، فيقوم الرجلُ، فيشفع للقبيلة، ولأهل البيت، وللرجل وللرجلين - على قدرعمَله.

وفيه إنَّ رجلا من أهل الجنّة يشرف يوم القيامة على النار، فيناديه رجل من أهل النار ويقول: يافلان، تعرفني؟ يقول: لا والله ما أعرفك، من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا يوما... فاستقيتني شربة ماء، فسقيتك. قال: قد عرفت. قال: فاشفع لي بها عند ربّك.

[فيسأل الله تعالى ذكره ويقول: إنّي أشرفت على النار، فناداني رجل من أهلها، فقال: هل تعرفني؟ فقلت: لا، من أنت؟ فقال: أنا الذي استقيتني في الدنيا فسقيتك، فاشفع لي عند ربّك][٣] فشفّعني فيه.

---

١) ر: فلايحصل الشفاعة.

٢) حكاه الغزالي في الإحياء: كتاب ذكرالموت، صفة الشفاعة، ٧٦٣/٤. وجاء في مناقب ابن شهرآشوب (فصل في أنّه [أميرالمؤمنين عليه السلام] الساقي والشفيع، ١٦٥/٢) عن الباقر عليه السلام: «في قوله ﴿ وترى كلّ أمّة جاثية ﴾ -الآية -: قال: ذلك النبي وعليّ، يقوم على كوم قد علا الخلائق، فيشفع، ثم يقول: «ياعلي اشفع». فيشفع الرجل في القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت، ويشفع الرجل للرجلين - على قدر عمله - فذلك المقام المحمود».

٣) ما بين المعقوفتين إضافة من علم اليقين.

فيشفّعه الله، فيؤمر به، فيخرج من النار.

فافهم واحدس من هذا أنّ الشفاعة أيضا واقعة في الدنيا، كنقل الحسنات والسيّآت، و إنّما ينكشف في الآخرة على ما بيّناه.

ونزيدك بيانا، فاستمع:

نور

كما أنّ المناسبات الوضعيّة تقتضي الاختصاص بانعكاس النور الحسّي، كنور الشمس - مثلا - إذا وقع على الماء، فإنّه ينعكس منه إلى موضع مخصوص من الحائط، دون سائر المواضع، وذلك لمناسبة مخصوصة بين ذلك الموضع وبين الماء في الوضع، منتفية عن سائر أجزاء الحائط؛ فكذلك المناسبات المعنويّة العقليّة إنّما تقتضي الاختصاص بانعكاس النور المعنويّ في الجواهر المعنويّة، ومن استولت عليه صفة التوحيد فقد تأكّدت مناسبته مع الحضرة الإلهيّة ويشرق عليه النور من غير واسطة، ومن استولى عليه الاقتداء بالرسول ﷺ ومحبّة أتباعه ولم يترسّخ قدمه في ملاحظة الوحدانيّة، لم تستحكم مناسبته إلّا مع الواسطة؛ فافتقر إلى واسطة في اقتباس النور، كما يفتقر الحائط الذي ليس مكشوفا للشمس إلى واسطة الماء المكشوف للشمس.

و إلى مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة في الدنيا؛ فالوزير الممكّن في قلب الملك المخصوص بالعناية، إنّما يعفى عن جريمة أصحابه لمناسبة بينهم وبينه، ومناسبة بينه وبين الملك؛ إذ لا مناسبة بينهم وبين الملك.

فلو ارتفعت الواسطة لم يشملهم العناية أصلا، إلّا أنّ الملك لايعرف أصحاب الوزير واختصاصهم به إلّا بتعريف الوزير و إظهار الرغبة في العفو عنهم، ويسمّى لفظة الوزير في التعريف و إظهار الرغبة شفاعة على سبيل المجاز؛ و إنّما الشفيع مكانته عند الملك، و إنّما اللفظ لإظهار الغرض. والله تعالى مستغنٍ عن التعريف، ولو عرف الملك حقيقة اختصاص أصحاب الوزير لاستغنى عن اللفظ وحصل العفو بشفاعة لانطق فيها ولاكلام.

والله تعالى عالم به، فلو أذن للأنبياء في التلفّظ بما هو معلوم له، لكانت ألفاظهم ألفاظ الشفعاء، و إذا أراد الله أن يمثّل حقيقة الشفاعة بمثال يدخل في الحسّ والخيال، لم يكن ذلك التمثيل إلاّ بالألفاظ المألوفة في الشفاعة.

كذا أفاد بعض العلماء.

قلت: ومن هذا القبيل توسُّل الأبوين بأولادهما - الذين لم يبلغوا الحنث - في دخول الجنَّة - كما وردت في الأخبار المتظافرة[1]، فإنَّ ذلك من جهة إصابتهما بهم وحزنهما عليهم واستحكامهما المناسبة لهم، وذلك ممّا يؤثّر في تنوير القلب بسبب الرغبة عن الدنيا والزهد فيها.

* * *
* *
*

١) راجع الكافي: كتاب الجنائز، باب المصيبة بالولد، ٣/٢١٨-٢٢٠.
البحار: ٨٢/١١٤-١٢٤

في الحوض

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾
[١٠٨/١]

أنوار شرعيّة

[تفسير الكوثر في المأثورات]

قد مضى[١] عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «مَن لم يؤمن بحوضي، فلا أورده الله حوضي».

وعن ابن عبّاس - رضي الله عنه - أنّه قال[٢]: «لمّا نزلت: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [١٠٨/١]، صعد رسولُ الله ﷺ المنبرَ، فقرأها على الناس. فلمّا نزل قالوا: «يارسول الله - ما هذا الذي أعطاك الله»؟

«قال: نهرٌ في الجنّة أشدُّ بياضا من اللبن، وأشدُّ استقامة من القدح، حافتاه قباب الدرّ والياقوت، ترده طيرٌ خضرٌ لها أعناق كأعناق البخت[٣]».

قالوا: «يارسول الله - ما أنعم هذا الطائر»؟

قال: «أفلا أُخبركم بأنعم منه»؟ قالوا: «بلى يارسول الله».

قال: «من أكل الطائر وشرب الماء وفاز برضوان الله».

وفي رواية[٤]: «إنّه نهرٌ وعدنيه ربِّي - عزَّ وجلَّ - في الجنّة، عليه خيرٌ

---

١) مضى في أول الباب السابق.
٢) رواه الطبرسي في مجمع البيان، تفسير سورة الكوثر: ٥٤٩/١٠. عنه البحار: ١٦/٨.
٣) قال ابن الأثير (النهاية: ١٠١/١، بخت): «البُختية: الأنثى من الجمال البُخت، والذكر بُختي. وهي جمال طوال الأعناق، وتجمع على بُخت وبَخاتي. واللفظة معرّبة».
٤) أبو داود: كتاب السنة، باب الحوض، ٢٣٧/٤، ح٤٧٤٧. المسند: ١٠٢/٣.

كثيرٌ، عليه حوض يرد عليه أُمّتي يوم القيامة، وآنيته عدد النجوم».

وفي رواية[١] : «إنَّ حوضي مابين عدن إلى عمّان البلقاء، ماؤه أشدُّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل، وأكوابُه عدد نجوم السماء، مَن شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدا، أوّل ورودا عليه فقراءُ المهاجرين».

وفي خبر آخر[٢] : «عرضه ما بين إيلة [٣] وصنعاء، وأنَّ الوالي عليه يوم القيامة أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام، يسقي منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه».

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله[٤] : «ليختلجنَّ قومٌ من أصحابي دوني ـ و أنا على الحوض ـ فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأُنادي : «يارَبّ أصحابي أصحابي» فيقال لى : «إنّك لاتدري ماأحدثوا بعدك». وفي رواية[٥] «تشخب فيه ميزابان من الجنَّة». وقد يقال : إنَّ الحوض على باب الجنَّة خارج عنها، وماؤه الموعود من ماء الكوثر الذي هو النهر الجاري في وسط الجنَّة.

وفسّر ابن عبّاس[٦] «الكوثر» بالخير الكثير، فقيل له : «إنَّ ناسا يقولون : «إنَّه نهر في الجنَّة» ؟ فقال : «هو من الخير الكثير».

---

١) الترمذي : كتاب القيامة، باب (١٥)، ٦٢٩/٤، ح٢٤٤٤. المسند : ٢٧٥/٥.

٢) الاعتقادات للصدوق : باب الاعتقاد في الحوض. عنه البحار : ٢٧/٨.
وما يقرب منه في أمالي الطوسي : المجلس الثامن ، ح٥٠، ٢٢٨.

٣) ر : ابلّة. مل : املّة. وكتب في هامش مل : «الاملّة : بتشديد اللام مدينة بجنب البصرة. صنعاء اسم بلدة بجانب المغرب - بخطه».

٤) الاعتقادات : الباب السابق. عنه البحار : ٢٧/٨، ح٣٠. والحديث مرويّ في كتب العامة بألفاظ مختلفة، راجع البخاري : كتاب الرقاق، باب في الحوض، ١٤٨/٨- ١٥٢، وكتاب الفتن، الباب الأول، ٥٨/٩-٥٩. مسلم : كتاب الفضائل، باب (٩) إثبات حوض نبيّنا صلى الله عليه وآله وصفاته، ١٧٩٢/٤/١٨٠٢.

٥) مسلم : الباب السابق، ح٣٦، ١٧٩٨/٤.

٦) في البخاري (كتاب التفسير، سورة الكوثر : ٢١٩/٦): «... حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس – رضي الله عنها – أنه قال في الكوثر : هو الخير الذي أعطاه الله إيّاه. قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنّة ؟ فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إيّاه».

وفسّر - أيضا - بالنبوّة وبالقرآن وبخديجة - رضي الله عنها - فإنّ جميع أولاده - صلوات الله عليه - منها سوى إبراهيم.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الرجل للرجل: «جزاك الله خيرا»، مايعني به؟ **فقال** عليه السلام[1]: «إنّ خيرا نهرٌ في الجنّة مخرجه من الكوثر، والكوثر مخرجه من ساق العرش، عليه منازل الأوصياء وشيعتهم، على حافتي ذلك النهر جواري نابتات، كلّما قُلعت واحدة نبتت أُخرى، سمّي بذلك النهر، وذلك قوله - عزّ وجلّ -: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [٥٥/٧٠]. فإذا قال الرجل لصاحبه: «جزاك الله خيرا»، فإنّما يعني بذلك تلك المنازل التي أعدّها الله - تعالى - لصفوته وخيرته من خلقه».

و في رواية أُخرى عنه عليه السلام[2]: «أنّ في الجنّة نهرا حافتاه حورٌ نابتات، فإذا مرّ المؤمن بإحداهنّ فأعجبته اقتلعها، فأنبت الله مكانها».

سِرٌّ

[مثال الكوثر في الدنيا]

يخطر بالبال: أنّ مثال الكوثر في الدنيا هو العلم والحكمة، ومثال أوانيه علماء الأُمّة، ولهذا فسّر بالخير الكثير، فإنّ الله - عزّ وجلّ - يقول: ﴿وَ مَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ﴾ [٢/٢٦٩].

ويؤيّد هذا ماروي عن الصادق عليه السلام في تأويل الآية[3]: «إنّا أعطيناك نورا في قلبك، دلّك عليّ وقطعك عمّا سواي». فافهم واغتنم وأحمد الله.

---

١) معاني الأخبار: باب معنى قول الرجل للرجل: «جزاك الله خيرا»: ١٨٢.

٢) الكافي: ٨/٢٣١، ح٢٩٩.

٣) في هامش النسختين: «رواه عنه عليه السلام بعض العامة وقال: وكأن هذا منه عليه السلام نوع إشارة كإشارات الصوفية، لا أنه تفسير السورة- منه» (ر: منه دام الله فيضه).

وجاءت هذه الرواية منسوبة إلى الصادق عليه السلام في حقائق التفسير للسلمي (رسائل السلمي: ١/٦٣). ولم أعثر على مصدر نقل المؤلف - قده -.

في الجنّة والنار والأعراف

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٢/٢٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [٢/٣٩] ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ [٧/٤٦]

أنوار ورموز
[حقيقة الجنة والنار]

قد دريت مما أسلفناه من التحقيقات المبرهن عليها في الأُصول أنّ لكلّ معنى من المعاني الأُصوليّة حقيقة كلّية في عالم الغيب ومثالا كليّا في عالم الملكوت ومظهرا جزئيّا في عالم الشهادة؛ فالحقيقة الكليّة للجنّة هي روح العالم ومظهر اسم الرحمان؛ ﴿ يَومَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْدًا ﴾ [١٩/٨٥]، وللنار هي البُعد من رحمة الله بحسب اسمه الجبّار والمنتقم ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [١٩/٨٦]

سمّيت «جهنّم» لبُعد قعرها - يقال: «بئر جهنام» إذا كانت بعيدة القعر-. والمثال الكلي للجنّة هو العرش الأعظم، مستوى الرحمان، كما ورد في الآثار[1] : «إنّ أرض الجنّة الكرسي، وسقفها عرش الرحمان».

---

١) اورد المجلسي - قده - في البحار حديثا مطولا فيه مسائل ابن سلام عن رسول الله ﷺ، جاء فيه (٦٠/٢٥٦): «... وسقفها[الجنّة] عرش الرحمان».
وفي كنزالعمال (١٤/٤٥٣،ح٣٩٢٣٠): «... و الفردوس أعلى الجنّة، و فوقه عرش الرحمان». راجع أيضا: ١٤/٤٥٥، ح٣٩٢٣٨.

وفي القرآن المجيد : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [٥٣/١٣-١٥] مع أنّه روي أنّ السدرة في السماء السابعة[١] وللنار هي طبقات سبعة تحت الكرسي موضع القدمين - قدم الجبّار وقدم صدق عند ربّك - وفيه أصول السدرة التي هي من شجرة الزقّوم طعام الأثيم ، وهناك ينتهي أعمال الفجّار والمنافقين.

-- كذا في الفتوحات

قال مجاهد[٢] : قلت لابن عبّاس : «أين الجنّة» ؟ فقال : «فوق سبع سماوات». قلت : «فأين النار» ؟ قال : «تحت أبحر مطبّقة».

قال بعض العلماء[٣] :

إنّ هذه الأبحر المطبّقة في كلام ابن عبّاس هي مايروى عن كعب الأحبار أنّه قال : «خلق الله - تعالى - سبعة أبحر : بحر اسمه قنبس ، ومن ورائه بحر اسمه الأصم ، ومن ورائه بحر اسمه مطبّقة ، ومن ورائه بحر اسمه مرماس ، ومن ورائه بحر اسمه الساكن ، ومن ورائه بحر اسمه الباكي ؛ وهو آخر البحار محيط بالكلّ ، وكل واحد من هذه البحار محيط بالذي تقدّمه».

وفي الحديث النبوي[٤] : «البحر هو جهنّم».

---

١) راجع تفسيرالقمي : ٢/٣٤٤، سورة النجم، ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ ﴾ [٥٣/١٤]. بصائر الدرجات : الجزء الرابع ، باب (٥) في الأئمة عليهم السلام عندهم الصحيفة التي فيها أسماء أهل الجنة والنار، ح٦، ١٩٢. أمالي الصدوق : المجلس الثالث والتسعون، ٧٣٩، ح١.
البحار : ٨/١٣٣، ح٤٠. ٩/٢٩٠، ح٢. ١٠/٣٩٤. ١٦/٣٢٧، ح٢٥. ١٧/١٤٧، ح٤١. ١٨/٢٨٩ و ٣٤٠.

٢) لم أعثر على مصدره ، و الظنّ الغالب أنّ المؤلف يورده اعتمادا على حكاية صدر المتألهين في كتبه المختلفة، منها المبدء والمعاد : ٤٥٠.

٣) حكاه صدر المتألهين في المبدء والمعاد : ٤٥٢ مع اختلاف في بعض الكلمات؛ ويظهر أن المؤلف منه اقتبس القسم الكبير من هذا الفصل. راجع أيضا الأسفار : ٩/٣٢٦.

٤) المسند : ٤/٢٢٣. تفسير الطبري : ١٥/١٥٧ ،سورة الكهف، قوله تعالى ﴿ نارا أحاط بهم سرادقها ﴾ [١٨/٢٩].

وعن بعض السلف[١] في قوله - عزّ وجلّ - : ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ ﴾ [٥٤/٢٩] - قال :- «إنَّ جهنَّم هو البحر - وهو محيطٌ بهم - ينتثر فيه الكواكب، ثمّ يستوقد، ويكون هو جهنّم».

وفي التفاسير[٢] : «إنَّ البحر المسجور هو النار».

[مظاهر الجنة والنار][٣]

وأمّا المظاهر الجزئيَّة للجنَّة والنار وأمثلتها بالنسبة إلى المشاهدين لها، فذلك مثل ما روي في الحديث النبويّ المشهور[٤] : «إنَّ مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة». وفي رواية[٥] : «و منبري على حوضي».

وسئل الصادق عليه السلام[٦] : «هي روضةُ اليوم» ؟

قال : «نعم، لو كُشف الغطاء لرأيتم».

وعنه عليه السلام[٧] : الحمّى بريد الموت وسجن الله في أرضه، وفورها من جهنّم، وهي حظّ المؤمن من النار».

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله[٨] في حديث الكسوف أنّه قال : «مامن شيء توعَدونه إلّا قد

---

١) قال السيوطي (الدرالمنثور: العنكبوت، ٤٧٣/٦): «وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس -رض-...: جهنم هو هذا البحر الأخضر، تنتثر الكواكب فيه، ويكون فيه الشمس والقمر، ثم تستوقد، ثم يكون هو جهنم».

٢) حكى الطبري (التفسير: الصفحة السابقة) عن مجاهد وابن زيد: «والبحر المسجور، قال: الموقد».

٣) هذا الفصل مقتبس - على مايظهر - من المبدء والمعاد: ٤٥٠-٤٥٣.

٤) معاني الأخبار: باب معنى الخبر الذي روي عن النبي عليه السلام أنه قال: مابين...، ٢٦٧، ح١. المناقب لابن شهرآشوب: ٣٦٥/٣. عنه البحار: ١٨٥/٤٣، ح١٧. ١٩٢/١٠٠، ح٣.

٥) المسند: ٤/٣.

٦) الكافي: كتاب الحج، باب المنبر والروضة ومقام النبي صلى الله عليه وآله، ٥٥٤/٤، ح٣.

٧) ثواب الأعمال (ثواب الحمى، ٢٢٨، ح١): «الحمى رائد الموت، وسجن الله في أرضه، وفورها وحرُّها من جهنّم، وهي حظّ كلّ مؤمن من النار». البحار: ١٨٣/٨١، ح٣٤.

٨) مسلم: كتاب الكسوف، باب ماعرض على النبيّ صلى الله عليه وآله في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار: ٦٢٣/٢، ح١٠. المسند: ٣١٨/٣.

رأيتُه في صلاتي هذه، لقد جيء بالنار - وذلك حين رأيتُموني تأخَّرتُ، مخافة أن يصيبني من نفحها[1] - إلى أن قال :- «ثمّ جيء بالجنَّة وذلكم حين رأيتموني تقدَّمت، حتّى قمتُ مقامي، ولقد مددتُ يدي وأنا أُريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه، ثمّ بدا لي أن لا أفعل».

وعن أميرالمؤمنين ﷺ[2] : «أبغض البقاع إلى الله تعالى وادي برهوت[3]، فيه أرواح الكفَّار، وفيه بئر ماؤها أسود منتن تأوي إليها أرواح الكفَّار».

وذكر رجلٌ أنَّه بات في وادي برهوت، فسمع طول الليل : «يا دومة»؛ فذكر ذلك لرجل من أهل العلم، فقال : الملك الموكَّل بأرواح الكفَّار، اسمه : «دومة». وحكى الأصمعي[4] عن رجل من حضرموت، أنَّه قال : نجد من ناحية برَهوت رائحةً فظيعة منتنة جدّا، فيأتينا بعد ذلك خبرُ موت عظيم من عظماء الكفَّار.

وعن الصادق ﷺ[5] «أنَّه وادي برهوت واد بحضر موت يرد عليه هام الكفَّار وصداهم[6] ».

---

١) في المسند ومسلم : لفحها.

٢) رواه الياقوت في معجم البدان : برهوت، ٥٩٨/١. وفي الكافي (كتاب الجنائز، باب في أرواح الكفار : ٢٤٦/٣، ح٤) عن أميرالمؤمنين ﷺ : «شرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو الذي بحضرموت، ترده هام الكفار».
ومثله في المحاسن : كتاب الماء، باب ماء زمزم، ٥٧٣/٢، ح١٨.
وفى الكافي أيضا (الباب المذكور، ح٥) : «شر بئر في النار برهوت، الذي فيه أرواح الكفار». البحار : ٢٨٩/٦، ح١٢. ٢٤٤/٩٩.

٣) قال الياقوت (معجم البلدان : برهوت، ٥٩٨/١) : «بَرَهُوت - بضم الهاء وسكون الواو وتاء فوقها نقطتان - واد باليمن يوضع فيه أرواح الكفار، وقيل برهوت بئر بحضرموت، وقيل هو اسم للبلد الذي فيه هذه البئر، ورواه ابن دريد : بُرْهُوت - بضم الباء وسكون الراء. وقيل هو واد معروف...».

٤) حكاه الياقوت في معجم البلدان : ٥٩٨/١. والمؤلف يحكي جلّ هذه المنقولات عن المبدء والمعاد كما ذكرناه في أول الفصل.

٥) الكافي : كتاب الجنائز، باب في أرواح الكفار : ٢٤٦/٣، ح٥. البحار : ٢٨٩/٦، ح١.

٦) قال ابن الأثير (النهاية : هوم، ٢٨٣/٥) : «الهامة : الرأس، واسم طائر؛ وهو المراد في الحديث←

وعن النبيّ ﷺ[1] أنّه كان قاعدا مع أصحابه في المسجد، فسمعوا هدّة عظيمةً فارتاعوا؛ فقال ﷺ: «أتعرفون ماهذه الهدّة»؟

قالوا: «الله ورسوله أعلم».

قال: «حجرٌ أُلقي من أعلى جهنّم منذ سبعين سنة، الآن وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدّة». فمافرغ من كلامه ﷺ إلّا والصراخ في دار منافق من المنافقين قدمات، وكان عمره سبعين سنة؛ فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر»؛ فعلمت علماء الصحابة أنّ هذا الحجر هو ذاك، وأنّه منذ خلقه الله يهوي في جهنّم، وبلغ عمره سبعين سنة، فلمّا مات حصل في قعرها.

قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [٤/١٤٥].

فكان سماعُهم تلك الهدّة التي أسمعهم الله ليعتبروا، فإنّ المراد بجهنّم المشار إليها هي الدنيا ومتاعُها، وبالحجر هو ذلك المنافق استعارةً.

و وجه المشابهة أنّ ذلك المنافق لم ينتفع بوجوده مدّة حياته، و لم يكسب لنفسه خيرا، فأشبه الحجر في ذلك. و إرسال الله له: هو إفاضته له ما استعدّ له من اتّباع هواه فيها والانهماك في شهواتها والتيه عن سبيله، المشار إليه بقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ [١٣/٢٧]. وشفيرها: هو أولها بالنسبة إليه، وذلك حين استعداده للانهماك فيها، وأوّل الأمور القائدة له في طريق الضلال

← [لاعدوى ولاهامة]. وذلك أنّهم يتشاءمون بها؛ وهي من طير الليل.
وقيل: هي البومة. وقيل: كانت العرب تزعم أنّ روح القتيل الذي لايُدرك بثأره تصير هامة، فتقول: أُسقوني؛ فإذا أُدرك بثأره طارت. وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميّت -وقيل روحه- تصير هامة فتطير؛ ويسمّونه الصدى؛ فنفاه الإسلام».
وقال المجلسي - قده - (البحار: ٢٨٩/٦): «و إنما عبّر عنها بها لأنّهم كانوا هكذا يعبّرون عنها - و إن كان ذلك باطلا».

١) ورد صدر الحديث مع اختلاف يسير في اللفظ في مسلم: كتاب الجنة، باب (١٢) في شدة حرّ نار جهنم، ٢١٨٤/٤-٢١٨٥، ح٣١. المسند: ٣٧١/٢. وأما ذيل الحديث (فمافرغ من كلامه...) فلم أعثر عليه. وقدأورده ابن عربي في الفتوحات: الباب الحادي والستون، ٢٩٨/١. وحكاه المصنّف - قده - عنه في عين اليقين: ٢٩٥.

من متاعها ولذّاتها. و «هُوِيّه فيها سبعين خريفا» هو انهماكه فيها مدّة عمره. وبلوغه قعرها هو وصوله بموته إلى غاية العذاب بسبب ما اكتسب فيها من ملكات السوء.

* * *

روي أنّ النبيّ ﷺ سُئل عن قوله - عزّ وجلّ - : ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [١٧/٧٤]؟ فقال[١] : «إنّه جبل من نار يصعد[٢] فيه سبعين خريفا، ثم يهوي فيه كذلك أبدا».

وقال - أيضا -[٣] : «يكلّف أن يصعد عقبة في النار، كلّما وضع يده عليها ذابت، فإذا رجعها عادت، و إذا وضع رِجله ذابت فإذا رفعها عادت؛ ويهوى فيه إلى أسفل سافلين».

قال بعض أهل المعرفة: «إنّ ذلك الصَعود هو سقر الطبيعة من أعلى طبقتها إلى أسفلها» - يعني أنّها مثاله ومظهره في الدنيا -.

سِرٌّ

قال في الفتوحات[٤] :

وللنار أمثلة جزئيّة هي طبيعة كلّ أحد وهواه في أولاه وأُخراه، ولها أبواب ومشاعر - وهي سبعة - وهي عين أبواب الجنّة، فإنّها على شكل الباب الذي إذا فتح إلى موضع انسدّ به موضع آخر؛ فعين غلقه لمنزل، عين فتحه لمنزل آخر. وهذه الأبواب مفتوحة على الفريقين ـ أهل النار والجنّة ـ إلاّ باب القلب، فإنّه مطبوعٌ على أهل النار أبدا :

---

١) المسند: ٧٥/٣. الترمذي: كتاب صفة جهنم، باب ٢، ٧٠٣/٤، ح٢٥٧٦. كنزالعمال: ١٢/٢، ح٢٩٣٥.

٢) كذا في الطبري، ولكن في غيره من المصادر المذكورة: يتصعد.

٣) أورده الطبري (التفسير: سورة المدثر، ٩٧/٢٩) إلى قوله: «فإذا رفعها عادت».

٤) لم أعثر على النص المنقول في الفتوحات المكية، والذي يظهر أنه نقل بالمعنى مما جاء فى ٤٤٠/٣-٤٤١ من الفتوحات (الفصل السادس في جهنم وأبوابها ومنازلها ودركاتها).

﴿ لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ وَ لَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [٤٠/٧]، لأنَّ صراط الله أدقُّ من الشعر، فيحتاج مَن يسلكه إلى كمال التلطيف والتدقيق؛ وأنّى يتيسَّر للحمقاء الجاهلين - خصوصا مع الاغترار والاستبداد برأيهم من[1] غير تسليم وانقياد.

فأبواب الجحيم سبعةٌ، وأبواب الجنَّة ثمانية؛ وهذا الباب الذي لايفتح لهم، ولا يدخل عليه أحد منهم وهو في السور، فـ﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [١٣/٥٧]، وهي النار التي ﴿ تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ ﴾ [٧/١٠٤]، وللنار على الأفئدة اطِّلاع لادخول - لغلق ذلك الباب - فهو في الجنَّة حفَّت بالمكاره.

والسور حجابٌ مضروبٌ بين الفريقين يسمَّى الأعراف، بين الجنَّة والنار، وهو مقام من اعتدلت كفَّتا ميزانه؛ فهم ينظرون بعينٍ إلى النار وبعين أُخرى إلى الجنّة، وما لهم رجحان بمايُدخلهم الله إحدى الدارين؛ فإذا دُعوا إلى السجود ـ وهو الذي يبقى في القيامة من التكليف ـ فيسجدون، فيرجّح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنَّة، ولو جاءت ذرَّة لإحدى الكفَّتين لرجحت بها، فيطمعون في كرم الله وعدله. و إنّه لابدَّ لكلمة: «لا إله إلاّ الله»، من[2] عناية لصاحبها؛ يقول الله فيهم: ﴿ وَ عَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَ نَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَ هُمْ يَطْمَعُونَ * وَ إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ [٧/٤٦-٤٧] ».

أقول: ويصدِّق قولَه في أهل الأعراف قول مولانا الباقر عليه السلام فيهم[3] «إنّهم قومٌ استوت حسناتهم وسيّآتهم، فقصرت بهم الأعمال، و إنّهم لكما قال الله تعالى».

---

١) مل: عن. ٢) مل: - من.

٣) وجاء مايقرب منه عن الصادق عليه السلام رواه العياشي: ١٨/٢، ح٤٦ من سورة الأعراف. عنه البحار: ٣٣٧/٨، ح١٠.

وفي رواية أُخرى: «إن أدخلهم الله النار فبذنوبهم، و إن أدخلهم الجنّة فبرحمته.

نور

[تحقيق في الأعراف]

قد ورد في أخبار أُخر أنّ المراد بالرجال الذين على الأعراف الأئمّة المعصومون عليهم السلام:

في بصائر الدرجات[1] بإسناده عن سلمان الفارسي- رضي الله عنه -: قال: «أُشهدُ - أو قال: أُقسم - بالله، لسمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وهو يقول لعليّ عليه السلام: «يا عليّ إنّك والأوصياء من بعدي - أو قال: من بعدك - أعرافٌ، لايُعرف الله إلّا بسبيل[2] معرفتكم، وأعرافٌ لايدخل الجنّة إلّا من عرفكم وعرفتموه، ولايدخل النار إلّا من أنكركم وأنكرتموه».

وبإسناده[3] عن الأصبغ بن نباته قال: «كنت عند أميرالمؤمنين عليه السلام جالسا، فجاءه[4] رجلٌ فقال له يا أميرالمؤمنين: ﴿وَ عَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [٤٦/٧]؟

فقال له عليٌّ عليه السلام: «نحن الأعراف، نحن نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لايُعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنار، فلايدخل الجنّة إلّا من عرفَنا و عرفناه، ولايدخل النار إلّا من أنكرَنا وأنكرناه؛ وذلك بأنّ الله - تبارك وتعالى - لوشاء عرَّف الناسَ نفسَه، حتّى يعرفوا حدَّه ويأتوه من بابه، ولكن جعلَنا أبوابَه وصراطَه وسبيلَه، وبابَه الذي يؤتى منه».

---

١) بصائر الدرجات: الجزء العاشر، باب (١٦) في الأئمة أنهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنة والنار، ٤٩٧، ح٧. عنه البحار: ٢٥٢/٢٤، ح١٣.

٢) مل: سبيل.

٣) بصائر الدرجات: الباب السابق: ٤٩٦، ح٦.

٤) مل: فجاء

وبإسناده الصحيح[١] عن بريد العجليّ، قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله - تعالى -: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [٧/٤٦]، قال: «أُنزلت في هذه الأمّة، والرجال هم الأئمّة من آل محمّد عليهم السلام». قلت: «فمَن الأعراف»؟

قال: «صراطٌ بين الجنّة والنار، فمن شفع له الأئمّة منّا من المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفعوا له هوى».

وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام[٢] قال: «نحن أولئك الرجال، الأئمّة منّا يعرفون من يدخل النار ومن يدخل الجنّة، كما يعرفون في قبائلكم الرجل منكم يعرف مَن فيها مِن صالح أوطالح».

أقول: لامنافاة بين هذه الأخبار وبين ما قدّمنا من الخبر أنّ أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيّآتهم؛ وذلك لأنّ هؤلاء القوم يكونون مع الرجال الذين على الأعراف، وكلاهما أصحاب الأعراف.

كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام[٣] «إنّ الأعراف كُثبانٌ بين الجنّة والنار، يوقف عليها كلّ نبيّ وكلّ خليفة نبيّ، مع المذنبين من أهل زمانه - كمايقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده - وقد سبق المحسنون إلى الجنّة.

فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: أُنظروا إلى إخوانكم المحسنين قدسبقوا إلى الجنّة فيسلم عليهم المذنبون؛ وذلك قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أن يُدخلهم الله إيّاها بشفاعة النبيّ والإمام، وينظر هؤلاء إلى النار، فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾.

وينادي أصحاب الأعراف - وهم الأنبياء والخلفاء - رجالا من أهل النار ورؤساء الكفّار، يقولون لهم مقرعين: ما أغنى عنكم جمعكم واستكباركم، ﴿أَهَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ إشارة إلى أهل الجنّة الذين كان

١) بصائرالدرجات: الصفحة السابقة، ح٥. عنه البحار: ٨/٣٣٥، ح٣.

٢) بصائر الدرجات: ٤٩٥، ح١.

٣) مجمع البيان: ٤/٤٢٣.

الرؤساء يستضعفونهم ويحتقرونهم بفقرهم، ويستطيلون عليهم بدنياهم، ويقسمون أنّ الله لايدخلهم الجنّة.

يقول أصحاب الأعراف لهؤلاء المستضعفين عن أمر من أمر الله لهم بذلك: ﴿ اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَاخَوفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [٧/٤٦-٤٩] أي لاخائفين ولامحزونين.

رواه الطبرسي عن مولانا الصادق عليه السلام.

سِرٌّ

[رؤية أهل الكشف للجنة والنار]

قال في الفتوحات[١] :

اعلم يا أخي - تولاك الله برحمته - إنّ الجنّة التي يصل إليها من هو من أهلها في الآخرة، هي مشهودة لك اليوم من حيث محلّها - لا من حيث صورتها - فأنت فيها تتقلّب على الحال التي أنت عليها، ولا تعلم أنّك فيها؛ فإنّ الصورة تحجبك، التي تجلّت لك فيها.

فأهل الكشف - الذين أدركوا ما غاب عنهم - يرون ذلك المحلّ، ويرون من كان في روضة خضراء، و إن كان جهنّميا يرونه بحسب مايكون فيه من لغوب زمهريرها[٢] وحرورها وما أعدّ الله فيها؛ وأكثر أهل الكشف في بداية الطريق يرون هذا، وقد نبّه الشرع على ذلك بقوله: «بين منبري وقبري روضة من رياض الجنّة».

أقول: ويصدّقه حديث حارثة بن النعمان[٣] إذ قال له النبيّ صلى الله عليه وآله «كيف

---

١) الفتوحات المكية: ١٣/٣، الباب الثاني وثلاث مائة.

٢) المصدر: فأهل الكشف الذين أدركوا ما غاب عنه الناس يرون ذلك المحل إن كان جنة روضة خضراء و إن كان جهنميا يرونها بحسب ما يكون فيه من نعوت زمهريرها.

٣) الرواية مروية عن طرق الفريقين كما نشير إليه، ففي بعض المصادر «حارث بن مالك» وفي بعضها «حارثة» وفي معاني الأخبار «حارث بن النعمان الأنصاري» وأورد ابن حجر ماجاء←

أصبحت» ؟ فقال : «أصبحت مؤمنا حقّا».

فقال النبيُّ ﷺ : «لكلِّ حقّ حقيقة ، فما حقيقة إيمانك» ؟

قال : «عزفت[1] نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت هواجري ، فكأنّي أنظر إلى عرش ربّي - وقد وُضع للحساب - وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة ، وكأنّي أسمع عواءَ أهل النار في النار». فقال ﷺ : «عبدٌ نوّر اللهُ قلبَه ، أبصرتَ فاثبت».

وقد استفاض نقل مشاهدة النبي ﷺ لخازن الجنة وتناوله منه بيده من ثمارها ؛ وكان ﷺ يقول[2] : «الجنّة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك».

وروى **الصدوق** - رحمه الله -[3] عن الرضا عليه السلام : أنّه سئل عن الجنّة والنار : «أهما اليومَ مخلوقتان» ؟

فقال : «نعم. و إنّ رسول الله ﷺ دخل الجنّةَ ورأى النارَ لمّا عرج به إلى السماء».

قيل : «إنّ أقواما يقولون : إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين» ؟

فقال عليه السلام : «ما أولئك منّا ولانحن منهم ؛ من أنكر خلقَ الجنّة والنار فقد كذّب النبيَّ ﷺ وكذّبنا ، وليس من ولايتنا على شيء ، وخُلّد في نار جهنّم ، قال الله - عزّ وجلّ - : ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [٥٥/٤٤] ».

← فيه عن طرق العامة في الإصابة (الترجمة (١٤٧٨) : ٢٨٩/١). هذا - و إن يمكن توفيقها بالتكلف غير أنه لايمكن القول فيه جزما. راجع الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب حقيقة الإيمان واليقين ، ٥٤/٢ ، ح٣. راجع أيضا : معاني الأخبار ، باب معنى الإسلام والإيمان : ١٨٧ ح٥.

١) عزفتْ نفسُه عن الشيء : زهدت فيه وملّته.

٢) البخاري : ١٢٧/٨ ، كتاب الرقاق ، باب ٢٩. كنز العمال : ١٥٧٧٦ ، ح٤٣٠٥٥.

٣) التوحيد : باب ماجاء في الرؤية ، ١١٨ ، ح٢١. البحار : ١١٩/٨ ، ح٦. و٢٨٣/٨-٢٨٤ ، ح٨.

وقال النبيّ ﷺ : «لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة، فناولني من رُطبها، فأكلتها، فتحوّلت ذلك نطفةً في صُلبي، فلمّا هبطتُ إلى الأرض واقَعتُ خديجةَ، فحملتْ بفاطمة حوراء إنسيّة، فلمّا اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت ابنتي فاطمة»[1] .

سِرٌّ

[الجنّة والنار موجودان في صقع وجود صاحبهما]

ليعلم إنّ الجنّة والنار إنّما تنشآن من النفس، وهما حالّتان في موضعها وحالتان لها، وتحدثان لكلّ نفس بحدوثها وتعمران بأعمالها ومدركاتها وأخلاقها وملكاتها التي تحصل لها من أول العمر إلى آخره.

فإنّ من ألف عقيدة وأنس طريقة واعتاد عملا وأحبّ شيئا واستمرّ على ذلك مدّة وربّاه يوما فيوما وشيئا فشيئا، ترسّخ ذلك لامحالة في نفسه، وصار جزءا من حقيقة ذاته، بحيث يتعذّر» أو يتعسّر انفكاكه عنها، فيحمله معه إلى الآخرة، ويكون قرينه - شاء أم أبى - ولاتدفعه عنه كراهيّته له ونفرته عنه.

ألا ترى إذا أصابك مصيبة في الدنيا، كيف كلّما خطر ببالك اغتممت بها وتأذّيت بسببها، ولا يمكنك أن لا تخطرها ببالك أو تتناسى عنها، لأنّها تفجأك من غير اختيارلك، إلا أنّك في الدنيا تغفل عنها أحيانا بسبب الشواغل، بخلاف الآخرة، فإنه لا ينفكّ مكتسباتها عنك بحال، لصفاء المحلّ وقوّته، وعدم الشاغل، وصيرورة القوى كلّها قوّة واحدة.

فالمؤمن من يحمل معه من الدنيا ما يلتذّ به من الصور الحسان واللؤلؤ والمرجان والحور والغلمان، ممّا كسبه؛ والكافر يحمل معه من الدنيا[2] ما يتأذّى به من سموم وحميم، وظلٍّ من يحموم ممّا اكتسبه.

وقد تبيّن ذلك ممّا قدّمناه من البيان.

---

١) إلى هنا انتهت الرواية عن الرضا عليه السلام.

٢) مل: يحمل معه منها.

قال بعض أهل المعرفة :

«اعلم أنّ النفس والشيطان والملك ليست أشياء خارجة عنك، بل أنت هم؛ وكذلك السماء والأرض والعرش والكرسي ليست أشياء خارجة عنك، ولا الجنّة والنار؛ إنما هي أشياء فيك، فإذا سرت وصفوت تبيّنت إن شاء الله»

- انتهى كلامه -.

فما أشدّ سخافة رأي أهل الظنّ والتخمين، حيث يزعمون يوم القيامة بعيدا عن الإنسان بحسب الزمان ﴿ وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ [٤١/٥٠]، أو بحسب المكان ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٣٤/٥٣].

وأمّا الموقنون فيعدّونه قريبا بحسب الزمان ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [٥٤/١]، وبحسب المكان ﴿ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [٣٤/٥١] ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَيٰهُ قَرِيبًا ﴾ [٧٠/٦-٧].

في أمثلة الجنة والنار

﴿ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَ أَنْهَارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِن رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَ سُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [١٥/٤٧]

تنبيه

إنَّ الكتاب المجيد والسنَّة المُطهَّرة قد أتيا بتفاصيل مافي الجنَّة والنار بأمثلتها وصفاتها على أبلغ وجه وأحسن بيان بما لامزيد عليه.

وناهيك بما في سورتي «الواقعة» و«الرحمان» في بيان الجنان، وبما في بعض السُور القصار في صفة النار ـ فضلا عمّا في سائر السُور من الآيات، وما يشتمل عليه الروايات. وهي من طرقنا وطرق العامَّة كثيرةٌ جدًّا؛ ولنذكر عدَّة ممَّا رواه أصحابنا ممَّا يحتوي على أكثر مقاصدها في فصول، فاسمع:

أنوارٌ شرعيّةٌ

قال رسول الله ﷺ[١] «إنَّ للجنَّة[٢] لبِنةٌ من ذهب ولبِنة من فضّة ولبِنةٌ من ياقوت، وملاطها المسك الأذفر، وشرفها الياقوت الأخضر والأصفر[٣] ...

١) أمالي الصدوق: المجلس ٣٨، ٢٨١، ح١ تلخيصا واقتباسا. عنه البحار: ١١٦/٨، ح١.
٢) كذا في النسختين. المصدر: سورالجنة.
٣) المصدر: الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر.

وأبوابها مختلفة: باب الرحمة من ياقوتة حمراء[١] ...، وأمَّا الصبر فبابٌ صغير [له][٢] مصراع واحد من ياقوتة حمراء لا حلق له.

وأمَّا باب الشكر، فإنَّه من ياقوتة بيضاء لها مصراعان، مسيرة مابينهما خمسمائة عام، له ضجيج وحنين، يقول: «اللهم جئني بأهلي» ـ... ينطقه ذوالجلال والإكرام ـ.

وأمَّا باب البلاء... من ياقوتة صفراء [له] مصراع واحد ـ ما أقلَّ من يدخل[٣] ...

فأمَّا الباب الأعظم، فيدخل منه العباد الصالحون ـ وهم أهل الزهد والورع، الراغبون إلى الله عزَّ وجلَّ، المستأنسون به ـ فإذا دخلوا الجنَّة يسيرون على نهرين في ماء صاف[٤] في سفن الياقوت، مجاديفها[٥] اللؤلؤ، فيها ملائكة من نور عليهم ثياب خضر شديد الخضرة... يسيرون على حافتي ذلك النهر... وأسم ذلك النهر جنَّة المأوى...

وجنَّة عدن: هي وسط الجنان... وسورها ياقوت أحمر، وحصباها اللؤلؤ...».

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام[٦] «إنَّ للجنَّة ثمانية أبواب:

بابٌ يدخل منه النبيُّون والصدِّيقون، وبابٌ يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبُّونا. فلا أزال واقفا على الصراط أدعو وأقول: «ربِّ سَلِّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن تولاّني في دار الدنيا». فإذا النداء من بطنان العرش: «قد أُجيبت دعوتك وشُفِّعت في

---

١) أسقط المؤلف بعض مقاطع الحديث تلخيصا، ولعل ذلك صار سبب عدم ملائمة السياق.

٢) إضافة من المصدر.

٣) المصدر: منه.

٤) المصدر: في مصاف.

٥) هامش النسختين: «الجداف ـ بالجيم والدال المهملة ـ: الجناح (مل: بخطه دام ظله». وفي المصدر: مجاذيفها ـ بالذال. وهو مايجذف ـ أي يدفع ـ به السفينة.

٦) الخصال: باب الثمانية: ٤٠٧/٢، ح٦. عنه البحار: ٣٩/٨، ح١٩. ١٢١/٨، ح١٢.

شيعتك». ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولّاني ونصرني وحارَبَ من حارَبني ـ بفعل أو قول ـ في سبعين ألفا من جيرانه وأقربائه.

و بابٌ يدخل منه سائر المسلمين، ممّن يشهد أن لا إله إلّا الله، ولم يكن في قلبه مثقال ذرّة من بغضنا أهل البيت».

وقال الباقر عليه السلام[1]: «أحسِنوا الظنَّ بالله واعلموا أنَّ للجنَّة ثمانية أبواب، عرض كلِّ باب منها مسيرة أربعمائة سنة[2]».

أنوار شرعيّة

[الجنة والمتقين]

وروي في الكافي[3] بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام ـ قال:ـ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل عن قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَومَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَىٰ ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [١٩/٨٥] فقال:

«ياعليّ ـ إنَّ الوفد لايكونون إلّا ركبانا، أُولئِكَ رجالٌ اتَّقوا الله فأحبَّهم الله ـ تعالى ـ واختصَّهم ورضيَ أعمالهم، فسمّاهم: المتَّقين».

ثمَّ قال له: «ياعلي ـ أما والذي فلقَ الحبّةَ وبرأ النسمةَ، إنّهم ليخرجون من قبورهم، و إنَّ الملائكة لتستقبلهم بنُوقٍ من نوق العزِّ، عليها رحال الذهب مكلّلة بالدرّ والياقوت، وجلائلها الاستبرق والسندس، وخطمها جُدُل[4] الأُرجوان، تطير بهم إلى المحشر؛ مع كلّ رجل منهم ألف ملك من قدّامه وعن يمينه وعن شماله، يزفّونه زفّا، حتّى ينتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم.

وعلى باب الجنّة شجرة، إنَّ الورقة منها يستظلُّ تحتها ألف رجل من

---

١) الخصال: باب الثمانية: ٤٠٨، ح٧. عنه البحار: ١٣١/٨، ح٣٢.

٢) في الخصال: أربعين سنة.

٣) الكافي: حديث الجنان والنوق، ٩٥/٨ـ١٠٠، ح٦٩. عنه البحار: ١٥٧/٨ـ١٦١، ح٩٨.

٤) هامش النسختين: الخطم من كل دابة مقدم أنفه وفمه. والخطام: الزمام. والجُدُل أيضا الزمام. والأُرجوان: صبغ أحمر شديد الحمرة.

الناس ، وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكّية فيسقون منها شربة ، فيطهّر الله بها قلوبَهم من الحسد ويسقط عن أبشارهم الشَعر وذلك قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَ سَقَيٰهُمْ رَبُّهُم شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [٢١/٧٦] من تلك العين المطهّرة » .

ـ قال :ـ « ثمّ ينصرفون إلى عين أُخرى عن يسار الشجرة ، فيغتسلون فيها وهي « عين الحياة » ، فلا يموتون أبدا » .

ـ قال :ـ « ثمّ يوقف بهم قدّام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحرّ والبَرد أبدا » .

ـ قال :ـ « فيقول الجبّار ـ جلّ ذكره ـ للملائكة الذين معهم : « احشروا أوليائي إلى الجنّة ولاتوقفوهم مع الخلائق ، فقد سبق رضائي عنهم و وجبت رحمتي لهم ، وكيف أُريد أن أُوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيّآت » .

ـ قال :ـ « فتسوقهم الملائكة إلى الجنّة ، فإذا انتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم ضرب الملائكةُ الحلقةَ ضربة تصرُّ صريرا يبلغ صوت صريرها كلَّ حوراء أعدّها الله ـ تعالى ـ لأوليائه في الجنان ، فيتباشرون بهم إذا سمعوا صريرَ الحلقة ؛ فيقول بعضهم لبعض : « قد جاءنا أولياء الله » . فيفتح لهم الباب ، فيدخلون الجنّة ، وتشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميّين ، فيقلن : « مرحبا بكم ، فما كان أشدّ شوقنا إليكم » ، ويقول لهنَّ أولياء الله مثل ذلك .

* * *

ـ فقال عليّ عليه السلام :ـ « يارسول الله ، أخبِرنا عن قول الله ـ تعالى ـ : « غُرَفٌ من فوقِها غُرفٌ مَبْنِيَّةٌ ﴾ [٣٩/٢٠] ، بما ذا بنيت ـ يارسول الله » ؟

فقال : « ياعليّ ـ تلك غرف بناها الله ـ تعالى ـ لأوليائه بالدرّ والياقوت والزبرجد ، سقوفها الذهب محبوكة بالفضّة ، لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب ، علي كلّ باب منها ملك موكّل به ، فيها فُرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة ، وحشوها المسك والكافور والعنبر ، وذلك قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَ فُرُشٍ مَرفوعَة ﴾ [٥٦/٣٤] .

إذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنّة و وضع على رأسه تاج الملك

والكرامة، أُلبس حلل الذهب والفضّة والياقوت والدرّ منظوم[١] في الإكليل تحت التاج».

- قال :- «وأُلبس سبعين حلّة حرير بألوان مختلفة، منسوجة بالذهب والفضّة واللؤلؤ والياقوت الأحمر، فذلك قوله تعالى ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [٢٢/٢٣].

فإذا جلس المؤمنُ على سريره اهتزَّ سريرُه فرحا، فإذا استقرَّ لوليّ الله منازله في الجنان استأذن عليه الملك الموكّل بجنانه ليهنّئه بكرامة الله -تعالى- إيّاه.

فيقول له خدّام المؤمن - من الوصفاء والوصائف - : «مكانك - فإنَّ وليّ الله قد اتّكى على أريكته، و زوجتُه الحوراء [تهيّأ له][٢]، فاصبر لوليّ الله».

- قال :- «فتخرج عليه زوجتُه الحوراء من خيمة لها، تمشي مقبلة وحولها وصائفها، وعليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد، هي من مسك وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة، وعليها نعلان من ذهب مكلّلتان بالياقوت واللؤلؤ، شراكهما ياقوت أحمر؛ فإذا دنت من وليّ الله فهمَّ أن يقوم إليها شوقا؛ فتقول له: «ياوليّ الله - ليس هذا يوم تعَب ولانصَب، فلا تقم، أنا لكَ وأنتَ لي».

- قال :- «فيعتنقان مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا - لايملّها ولاتملّه».

- قال :- «فإذا فتَر - بعضَ الفتور من غير ملالة - نظر إلى عنقها، فإذًا عليها قلائد من قصب من ياقوت أحمر، وسطها لوح صفحته درّة، مكتوب فيها: «أنت - يا وليّ الله - حبيبي، وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تناهت نفسي و إليَّ تناهت نفسك».

---

١) المصدر: المنظوم.

٢) النسختين: تهى له. التصحيح من المصدر.

وفي هامش النسختين: الأريكة: سرير مزين في قبة أو بيت (مل: بخطه دام ظله).

ثمّ يبعث الله إليه ألف ملك يهنّؤنه بالجنّة، ويزوّجونه بالحوراء».

- قال :- «فينتهون إلى أوّل باب من جنانه، فيقولون للملك الموكّل بأبواب جنانه : «استأذن لنا على وليّ الله، فإنّ الله بعثنا إليه نهنّؤه».

فيقول لهم الملك : «حتّى أقول للحاجب فيُعلمه بمكانكم».

- قال :- فيدخل الملك إلى الحاجب - وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان، حتّى ينتهي إلى أوّل باب - فيقول للحاجب : «إنّ على باب العرصة ألف ملك، أرسلهم ربُّ العالمين ليهنّؤا وليّ الله، وقد سألوني أن آذن لهم عليه».

«فيقول الحاجب : «إنّه ليعظم عليّ أن استأذن لأحدٍ على وليّ الله، وهو مع زوجته الحوراء».

- قال :- «وبين الحاجب وبين وليّ الله جنّتان».

- قال :- «فيدخل الحاجب إلى القيّم، فيقول له : «إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربُّ العزّة يهنّؤن وليّ الله، فاستأذن لهم».

فيتقدّم القيّم إلى الخدّام، فيقول لهم : «إنّ رسل الجبّار على باب العرصة وهم ألف ملك، أرسلهم [ربُّ العزّة][1] يهنّؤن وليّ الله، فاعلِموه بمكانهم».

- قال : - «فيُعلمونه، فيؤذن للملائكة، فيدخلون على وليّ الله - وهو في الغرفة، ولها ألف باب، وعلى كلّ باب من أبوابها ملك موكّل به - فإذا أذن للملائكة بالدخول على وليّ الله فتح كلُّ ملك بابَه الموكّل به».

- قال :- «فيُدخل القيّم كلَّ ملك من باب من أبواب الغرفة، فيبلِّغونه رسالةَ الجبّار - جلَّ وعزَّ - وذلك قول الله - تعالى - :﴿ وَ ٱلْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ من أبواب الغرفة ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [١٣/٢٣-٢٤] - إلى آخر الآية -».

- قال :- «وذلك قوله - تعالى - : ﴿ وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [٧٦/٢٠]، يعني بذلك وليّ الله وما هو فيه من الكرامة والنعيم والملك

---

١) إضافة من المصدر.

العظيم الكبير ، إنّ الملائكة من رسل الله ـ تعالى ـ يستأذنون عليه ، فلايدخلون عليه إلّا بإذنه ـ فذلك الملك العظيم الكبير ـ » .

ـ قال :ـ « والأنهار تجري من تحت مساكنهم ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾ [٣١/١٨] ، والثمار دانيةٌ منهم وهوقوله ـعزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ [١٤/٧٦] من قربها منهم ، يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار بفيه ـ وهو متّكئ ـ وأنّ الأنواع من الفاكهة ليَقلن لوليّ الله : « ياوليَّ الله ـ كُلني قبل أن تأكل هذا قبلي » .

ـ قال :ـ « وليس من مؤمن في الجنَّة إلّا وله جنان كثيرة معروشات وغير معروشات ، وأنهار من خمر ، وأنهار من ماء ، وأنهار من لبن ، وأنهار من عسل ؛ فإذا دعا وليُّ الله بغذائه أُتي بماتشتهي نفسُه عند طلبه الغذاء من غير أن يسمّي شهوتَه » .

ـ قال : ـ « ثمَّ يتخلّى مع إخوانه ، ويزور بعضُهم بعضا ، ويتنعّمون في جنّاتهم في ظلّ ممدود ، في مثل مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وأطيب من ذلك ؛ لكلّ مؤمن سبعون زوجةً حوراء ، وأربع نسوة من الآدميّين ؛ والمؤمن ساعة مع[1] الحوراء وساعة مع الآدميَّة ، وساعة يخلو بنفسه على الأرائك متّكأً ينظر بعضهم إلى بعض .

و إنَّ المؤمن ليغشاه شعاع نور ـ وهو على أريكته ـ ويقول لخدّامه : « ما هذا الشعاع اللامع ؟ لعلَّ الجبّار لحظني » .

فيقول له خدّامه : « قدُّوس قدُّوس ، جلَّ جلال الله ـ بل هذه حوراء من نسائك ، ممَّن لم تدخل بها بعدُ ، أشرفت عليك من خيمتها شوقا إليك ، وقد تعرَّضت لك وأحبّت لقاءك ، فلمّا أن رأتك متّكأً على سريرتك تبسّمت نحوك شوقا إليك ، فالشعاع الذي رأيت والنور الذي غشيك هو من بياض ثَغرها وصفائه ونقائه ورقّته » . ـ قال :ـ « فيقول وليُّ الله : « ائذنوا لها فتنزل إليَّ » .

فيبتدر عليها ألف وصيف وألف وصيفة ، يبشّرونها بذلك . فتنزل إليه من

---

١) النسخة : من (التصحيح من المصدر).

خيمتها ـ وعليها سبعون حلّةً منسوجة بالذهب والفضّة، مكلّلة بالدرّ والياقوت والزبرجد، صبغهنّ المسك والعنبر بألوان مختلفة، كاعبٌ مقطوعةٌ خميصةٌ كفلاءُ سوقاء[١]، يُرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلّة، طولها سبعون ذراعا، وعرض مابين منكبيها عشرة أذرع.

فإذا دنت من وليّ الله، أقبلت الخدّام بصحائف الذهب والفضّة، فيها الدرُّ والياقوت والزبرجد، فينثرونه عليها.

ثمّ يعانقها وتعانقه، فلا يملُّ ولا تملُّ».

قال الراوي: ثمّ قال أبوجعفر عليه السلام:

«أمّا الجنان المذكور في الكتاب، فإنّهنّ: جنّة عدن، وجنّة الفردوس، وجنّة نعيم، وجنّة المأوى».

ـ قال: ـ «و إنّ لله ـ تعالى ـ جنانا محفوفة بهذه الجنان، و إنّ المؤمن ليكون له من الجنان ما أحبَّ واشتهى، يتنعّم فيهنّ كيف يشاء. و إذا أراد المؤمن شيئا إنّما دعواه به إذا أراد أن يقول: «سبحانك اللهم»؛ فإذا قالها تبادرت إليه الخدّام بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم، أو أمر به؛ وذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ ـ يعني الخدّام، قال: ـ ﴿وَ ءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [١٠/١٠]، يعني بذلك عند مايقضون من لذّاتهم ـ من الجماع والطعام والشراب ـ يحمدون الله ـ تعالى ـ عند فراغهم.

وأمّا قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ [٤١/٣٧] ـ قال: ـ يعلمه الخدّام، فيأتون به أولياءَ الله قبل أن يسألوهم إيّاه.

وأمّا قوله: ﴿فَوَاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ﴾ [٤٢/٣٧] ـ قال: ـ فإنّهم لايشتهون شيئا في الجنّة إلّا أكرموا به». ـ انتهى ـ.

---

١) هامش النسختين: «الكاعب هي الجارية حين يبدو ثديها للنهود. والمقطوعة: المهتاجة للنيك. والخميصة: الضامرة البطن. والكفلاء: الغليظة الجسم. والسوقاء: الطويلة الساقين أو حسنهما» (مل: + بخطه دام فيضه).

وعن النبيّ ﷺ[١] أنَّ أدنى أهل الجنَّة منزلا مَن له ثمانون ألف خادم، واثنتان وتسعون درجة[٢] ، وتنصب له قبَّة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كمابين الجابية وصنعا.

وعنه ﷺ[٣] : «إنَّ أهل الجنَّة لايتغوَّطون ولا يبولون؛ طعامهم جشأ[٤] ورشح كالمسك، يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس».

وعنه ﷺ[٥] : «والذي أنزل الكتاب على محمَّد، إنَّ أهل الجنَّة ليزدادون جمالاً وحُسنا كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرما».

وفي كتاب الحسين بن سعيد الأهوازي[٦] ، عن أبي بصير، عن أحدهما ـ قال :ـ «إذا كان يوم الجمعة وأهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار، عرف أهل الجنَّة يومَ الجمعة لمايرون من تضاعف اللذة والسرور؛ وعرف أهل النار يوم الجمعة، وذلك أنَّه تبطش بهم الزبانية».

وفيه[٧] عن أبي بصير، عن أبي جعفر قال: «إذا كان يوم القيامة نادت الجنّة ربّها، فقالت: ياربِّ أنت العدل قد ملأت النار من أهلها كما وعدتها ولم تملأني كما وعدتني».

فيخلق الله خلقا لم يروا الدنيا فيملأ بهم الجنَّة ـ طوبى لهم ـ.

وفي حديث آخر[٨] : «لم يروا غموم الدنيا ولا همومها».

---

١) الترمذي: ٦٩٥/٤، كتاب صفة الجنة، باب (٢٣) ماجاء مالأدنى أهل الجنة من الكرامة، ح٢٥٦٢. كنزالعمال: ٤٧٦/١٤، ح٣٩٣٢٧.

٢) في المصادر التي ذكرنا: اثنتان وسبعون زوجة.

٣) جاء مع فرق يسير و إضافة في مسلم: ٢١٨٠/٤ـ٢١٨١، كتاب صفة الجنة، ح١٨ـ٢٠. كنزالعمال: ٤٦٩/١٤ و٤٨١ و٤٨٦، ح٣٩٢٩٤ و٣٩٣٤٨ و٣٩٣٦٧.

٤) الجشأ: ريح يخرج من الفم مع الصوت عند الشبع.

٥) روضة الواعظين: ٥٨١. الدرالمنثور: ٩٤/١، البقرة/٢٥.

٦) الزهد: باب أحاديث الجنة والنار، ٩٩، ح٢٦٨. عنه البحار: ١٩٨/٨، ح١٩٣.

٧) نفس المصدر: ٩٩. وقد سقط من المصدر «أبو بصير». البحار: الصفحة السابقة.

٨) نفس المصدر: ١٠٣. تفسيرالقمي: ٣٣٤/٢، سورة ق.

في طوبى والتسنيم

قال أمير المؤمنين - عليه الصلاة والسلام -[١] «طوبى شجرة في الجنَّة أصلها في دار رسول الله ﷺ، فليس من مؤمن إلاّ وفي داره غصن من أغصانها لاينوي في قلبه شيئا إلاّ أتاه ذلك الغصن به، ولو أنَّ راكبا مُجِدًّا سار في ظلِّها مائةَ عام لم يخرج منها، ولو أنَّ غرابا طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتَّى يبياضَّ هرما».

قال بعض المحقِّقين[٢] :

«وتأويل ذلك من جهة العلم: أنَّ المعارف الإلهيَّة - سيَّما مايتعلَّق بأحوال الآخرة وما لاتستقلّ بإدراكه العقول على طريقة الفكر البحثي - إنَّما يُقتبس من مشكاة نبوَّة خاتم الأنبياء - عليه وعليهم السلام - ونور ولايته المندمج في رسالته، المنتشر أضواؤه من ولاية أفضل أوصيائه عليٍّ عليه السلام في نفوس القابلين للهدى والإيمان، المستعدِّين للعلم والعرفان؛ فإنَّ آثار العلوم الإلهيَّة والمعارف الحقيقيّة إنَّما نشأت في قلوب عرفاء هذه الأُمَّة المرحومة من بذر ولايته ونجم هدايته[٣]».

---

١) أمالي الصدوق: المجلس التاسع والثلاثون، ح٧، ٢٩٠. الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح٣٠، ٢/٢٣٩.

٢) الأسفار الأربعة: ٣٧٩/٩. راجع أيضا مفاتيح الغيب: ٦٧٩.

٣) مل: بدر ولايته ونجم هدايته. كتب في هامش (ر): «البذر يتربى بالنجم - بخطه ره».

كما أفصح عنه قول النبيّ ﷺ[1] : « أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها » .

ونسبة ذاته المقدَّسة بالنسبة إلى سائر الأولياء والعلماء بالولادة المعنويَّة كنسبة آدم أبي البشر إلى سائرالناس بالولادة الصوريَّة ؛ ولذلك ورد عن النبيّ ﷺ أنَّه قال[2] : « ياعليُّ أنا وأنت أبوا هذه الأُمَّة » .

و روى العامَّة بإسنادهم عن همام بن أبي علي[3] ، قال : قلت لكعب الحبر : « ما تقول في هذه الشيعة ـ شيعة علي بن أبي طالب » ؟

فقال : « يا همام ـ إنِّي أجدُ صفتَهم في كتاب الله المنزَل ، إنَّهم حزب الله وأنصار دينه وشيعة وليِّه ، وهم خاصَّة الله من عباده ونجباؤه من خلقه ؛ اصطفاهم لدينه وخلقهم لجنَّته ، مسكنهم الجنَّة : الفردوس الأعلى ، في خيام الدرّ وغرف اللؤلؤ ، وهم المقرَّبون الأبرار ، يشربون من الرحيق المختوم ، وتلك عين يقال لها : « تسنيم » ، لا يشرب منها غيرهم ؛ فإنَّ تسنيما عين وهبها الله لفاطمة بنت محمَّد زوجة علي بن أبي طالب ، يخرج من تحت قائمة العرش قبّتها ، على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك ، ثم تسنم فيشرب منها شيعتها وأحبَّاؤها .

و إنَّ لقبَّتها لأربع قوائم ، قائمة من لؤلؤة بيضاء ، تخرج من تحتها عينٌ تسيل في سبل أهل الجنَّة ، يقال لها « السلسبيل » ، وقائمة من درَّة صفراء[4] تخرج من تحتها عين يقال لها « طهور » ، وهي التي قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كتابه : ﴿ وَ سَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [٢١/٧٦] .

---

١) المستدرك للحاكم : ١٢٦/٣ . كنز العمال : ٦١٤/١١ ، ح٣٢٩٧٨ . و١٤٨/١٣ ، ح٣٦٤٦٣ . راجع تخريجات الحديث في الغدير : ٦١/٦ـ٨١ . وملحقات إحقاق الحق : ٤٦٩/٥ـ٥٠١

٢) مناقب آل أبي طالب : ١٠٥/٣ ، فصل في أنه عليه السلام المعني بالإنسان و... جاء في كمال الدين (٢٦١ ، باب نص النبي ﷺ على القائم عليه السلام ، ح٧) عن النبي ﷺ : «أنا وعلي أبوا هذه الأمة».

٣) لم أعثر على ترجمته. وجاء الحديث في بشارة المصطفى : ٦٠ . عنه البحار : ١٢٨/٦٨ ، ح٥٩ . تأويل الآيات : المطففين/٢٧ ، ٧٧٨/٢ـ٧٧٩ ، ح١١ ، مع اختلاف يسير.

٤) مل : درة الصفراء.

وقائمة من زمرّدة خضراء تخرّج من تحتها عينان نضاختان من خمر وعسل، فكلّ عين منها تسيل إلى أسفل الجنان إلاّ التسنيم، فإنّها تسنم إلى عليّين، فيشرب منها خاصّة أهل الجنّة ـ وهم شيعة عليّ وأحبّاؤه ـ تلك قول الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [٨٣/٢٥ـ٢٨] فهنيئا لهم.

ـ ثمّ قال كعب :ـ «والله لا يحبّهم إلاّ مَن أخذ الله منه الميثاق».

وعن الإمام الباقر عليه السلام[1]: «تسنيم أشرف شراب أهل الجنّة، يشربه محمّد وآل محمّد صِرفا، ويُمزج لأصحاب اليمين وسائرأهل الجنّة».

أنوارٌ شرعيّةٌ

في الوسيلة واللواء[2]

روى الصدوق[3] بإسناده عن أبي سعيد الخدري، - قال :- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا سألتم اللهَ - تعالى - شيئا، فاسألوه لي الوسيلةَ».

فسألت النبيَّ صلى الله عليه وآله عن الوسيلة؟

فقال: «هي درجتي في الجنّة، وهي ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة

---

١) تأويل الآيات الظاهرة: الصفحة السابقة. عنه وعن كتاب المحتضر: البحار: ١٥٠/٨، ح٨٥. و٣/٢٤، ح٨. ٢٦٦/٢٤، ح٢٩. و٣١٨/٢٦، ح٨٨.

٢) كتب في هامش نسخة (ر): وفي حديث العامة في صفة اللواء ما يقرب من هذا، وفي آخره: «...وعنده سبعون ألف صفّ من الملائكة، في كلّ صفّ خمسمائة علم، ألف ملك يسبحون الله ويقدّسونه» بخطه ره.

٣) معاني الأخبار: باب معنى الوسيلة: ١١٦.
أمالي الصدوق: المجلس الرابع والعشرون، ح٤، ١٧٨. تفسير القمي: قوله تعالى: ﴿ألقيا فى جهنّم كل كفّار عنيد﴾، ٣٣٢/٢، وفيه فروق يسيرة.
بصائرالدرجات: الجزء الثامن، باب (١٧) في أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قسيم الجنة والنار، ٤١٦-٤١٨، ح١١. عنها البحار: ٣٢٦/٧-٣٢٨، ح٢.

حضر الفرَس الجواد شهرا ، و هي مابين مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد ، ومرقاة ياقوت إلى مرقاة ذهب ، ومرقاة ذهب إلى مرقاة فضَّة .

فيؤتى بها يومَ القيامة حتَّى تنصب مع درجة النبيِّين ، فهي في درج النبيِّين كالقمر بين الكواكب ، فلا يبقى يومئذٍ نبيٌّ ولاصدّيق ولاشهيد إلاّ قال : « طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته » .

فيأتي النداء من عند الله - تعالى - يسمع النبيّين وجميعُ الخلق : « هذه درجةُ محمَّد » .

فأقبلُ - وأنا يومئذٍ متَّزرٌ بريطة[1] من نور ، عليَّ تاجُ الملك ، و إكليل[2] الكرامة - وعليٌّ بن أبي طالب أمامي ، وبيده لوائي - وهو لواء الحمد - مكتوبٌ عليه : « لا إله إلاّ الله ، المفلحون هم الفائزون بالله » ؛ و إذا مررنا بالنبيِّين قالوا : « هذان ملكان مقرَّبان لم نعرفهما ولم نرَهما » ؛ وإذا مررنا بالملائكة قالوا : « هذان نبيَّان مرسلان » .

حتَّى أعلو الدرجةَ - وعليٌّ يُتبِعني - حتَّى إذا صرتُ في أعلى درجة منها - وعليٌّ أسفل منّي بدرجة - فلا يبقى يومئذٍ نبيٌّ ولا صدّيقٌ ولاشهيدٌ إلاّ قال : « طوبى لهذين العبدين ، ما أكرمهما على الله » .

فيأتي النداء من قِبل الله - تعالى - يسمع النبيّين والصدِّيقين والشهداء والمؤمنين : « هذا حبيبي محمَّدٌ ، وهذا وليّي عليٌّ ، طوبى لمن أحبّه ، و ويل لمن أبغضه وكذب عليه » .

- ثمَّ قال رسول الله ﷺ - : « فلا يبقى يومئذٍ أحدٌ أحبّك - ياعليّ - إلاّ استروح إلى هذا الكلام وابيضَّ وجهُه وفرح قلبُه ، ولا يبقى أحدٌ ممَّن عاداك ونصب لك حرْبا أو جحد لك حقًّا ، إلاّ اسودَّ وجهُه واضطربت قدماه » .

* * *

« فبينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إليّ : أمَّا أحدهما فرضوان ، خازن

---

١) الريطة : كل ثوب يشبه الملحفة.

٢) الإكليل : التاج.

الجنَّة ؛ وأمَّا الآخر فمالك خازن النار ؛ فيدنو رضوانُ فيقول : «السلام عليك يا أحمد».

فأقول : «السلام عليك أيُّها الملك، من أنت ؟ فما أحسن وجهُك وأطيب ريحك». فيقول الملك : «أنا رضوان خازن الجنَّة، وهذه مفاتيح الجنَّة بعث بها إليك ربُّ العزّة، فخذها يا أحمد».

فأقول : «قد قبلت ذلك من ربّي، فله الحمد على ما فضَّلني به ؛ ادفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب».

- ثمّ يرجع رضوان - فيدنو مالك فيقول : «السلام عليك يا أحمد».

فأقول : «السلام عليك أيُّها الملك، من أنت ؟ فما أقبح وجهك وأنكر رؤيتك». «فيقول : أنا مالك، خازن النار، وهذه مقاليد النار بعث بها إليك ربُّ العزّة، فخذها يا أحمد».

فأقول : «قد قبلتُ ذلك من ربّي، فله الحمد على ما فضّلني به، ادفعها إلى أخي عليّ بن أبيطالب». - ثمّ يرجع مالِك -.

فيقبل عليٌّ و معه مفاتيح الجنّة ومقاليد النار، حتّى يقف على عجُز جهنَّم، وقد تطايرها شررها وعلا زفيرها واشتدّ حرُّها وعليٌّ آخذ بزمامها.

فتقول له جهنَّم : «جزني ياعليّ، قد أطفأ نورُك لهبي».

فيقول لها عليٌّ : «قرّي ياجهنَّم ؛ خذي هذا عدوّي، واتركي هذا وليّي».

فلَجهنَّمُ يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهبها يمنة وإن شاء يذهبها يسرة ؛ ولَلجنَّةُ يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ فيما يأمرها به من جميع الخلائق».

وفي حديث آخر[1] : «... و إنَّ آدم وجميع خلق الله يستظلّون بظلِّ

---

١) أمالي الصدوق : المجلس الثاني والخمسون، ح١٤، ٤٠٢. عنه البحار : ٨/١-٢، ح١. كشف الغمة : في قول النبي ﷺ أنت وارثي... : ٣٣٨/١. عنه البحار : ٣٤١/٣٨. وأورده ابن بطريق في العمدة (الفصل التاسع والعشرون : ٢٢٩) عن أحمد بن حنبل.

لوائي يوم القيامة، وطوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمراء، قصبته فضّة بيضاء، زجُّه زبرجدة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور: ذؤابةٌ في المشرق، وذؤابةٌ في المغرب، وذؤابة في وسط الدنيا؛ مكتوب عليها ثلاثة أسطر: الأوّل «بسم الله الرحمن الرحيم»، والآخر «الحمد لله ربّ العالمين»، والثالث «لاإله إلّا الله، محمّد رسول الله»؛ طول كلّ سطر مسيرة ألف سنة، وعرضه مسيرة ألف سنة».

وفي الكافي[1] عن أميرالمؤمنين عليه السلام مايقرب من الحديث المذكور - بزيادة بسط - ولكن ليس فيه قصّة الملكين إلى آخر الحديث، وفيه:

«إنَّ الرسل والأنبياء عليهم السلام قد وقفوا على المراقي، وأعلام الأزمنة وحجج الدهور عن أيماننا، قد تجلّلتهم حلل النور والكرامة، لايرانا ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل إلّا بهت بأنوارنا وعجب من ضيائنا وجلالتنا».

وفي حديث الباقر عليه السلام[2]: «ثمّ يدعى بنا، فيدفع إلينا حساب الناس، فنحن - والله - نُدخل أهلَ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلَ النارِ النارَ؛ ثمّ يُدعى بالنبيّين، فيُقامون صفّين عند عرش الله حتّى نفرغ من حساب الناس؛ فإذا دخل أهلُ الجنّةِ الجنّةَ وأهلُ النارِ النارَ بعث ربُّ العزّة عليًّا، فأنزلهم منازلهم من الجنَّة و زوَّجهم؛ فعليٌّ - والله - الذي يزوِّج أهلَ الجنَّة في الجنَّة، وماذاك إلى أحد غيره - كرامة من الله وفضلا فضّله الله به ومنَّ به عليه - وهو - والله - يُدخل أهلَ النار النارَ، وهو الذي يغلق على أهل الجنَّة إذا دخلوا فيها أبوابَها، لأنَّ أبواب الجنّة إليه وأبواب النار إليه».

وروى العامّة بأسنادهم عن عبد الله بن عمر[3] - قال:- قال رسول الله

---

١) الكافي: خطبة الوسيلة: ٢٥/٨.
٢) الكافي: ١٥٩/٨، ح١٥٤. عنه البحار: ٣٣٧/٧، ح٢٤.
٣) رواه الصدوق عن عبد الله بن عمر في الأمالي: ٤٤٢، المجلس السابع والخمسون، الحديث الأخير. عنه البحار: ٢٣٢/٧، ح٣. وجاء مايقرب منه مع إضافة في صدر الحديث في الكافي (١٥٩/٨، ح١٥٤) عن جابر.

ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة يوتى بك - ياعليّ - على نجيب من نور، على رأسك تاجٌ قد أضاء نورُه وكاد يخطف أبصارَ أهل الموقف ؛ فيأتي النداءُ من عند الله ـ جلّ جلاله ـ : أين خليفة محمّد رسول الله ؟ فيقول عليٌّ : «ها أنا ذا».

- قال : - فينادي المنادي : «يا عليّ - أدخل من أحبّك الجنّةَ، ومن عاداك النارَ، وأنت قسيمُ الجنّة والنار».

أنوار شرعيّة

قال أمير المؤمنين عليه السلام[1] : «إنَّ للنار سبعة أبواب : [بابٌ][2] يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وبابٌ يدخل منه المشركون والكفّار ممن لايؤمن بالله طرفة عين، وبابٌ يدخل منه بنو أُميّة - هو لهم خاصّة لايزاحمهم فيه أحد أبدا- وهو باب لظى، وهو باب سقر، وهو باب الهاوية يهوي بهم سبعين خريفا، [فكلّما هوى بهم سبعين خريفا فارَ بهم فورةً قذف بهم في أعلاها سبعين خريفا، ثمّ هوى بهم كذلك سبعين خريفا،][3] فلا يزالون هكذا أبدا خالدين مخلّدين، وبابٌ يدخل مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا، و إنّه لأعظم الأبواب وأشدّها حرّا».

وقال الصادق عليه السلام[4] : «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم قاعد إذ نزل جبرئيل عليه السلام وهو كئيبٌ حزينٌ متغيّر اللون، فقال رسول الله ﷺ : «يا جبرئيل - ما لي أراك كئيبا حزينا» ؟

فقال : يا محمّد - فكيف لا أكون كذلك، و إنّما وضعت منافيخ جهنّم اليوم».

---

١) الخصال : باب السبعة : ح٥١، ٢/٣٦١. عنه البحار : ٨/٢٨٥، ح١١.

٢) مل :- باب.

٣) ما بين المعقوفتين إضافة من علم اليقين، ساقطة من النسختين.

٤) روى مايقرب منه القمي في تفسيره : ٢/٨١، سورة الحج/٢٢. البحار : ٨/٢٨٠، ح١.

فقال رسول الله ﷺ : «وما منافيخ جهنّم - ياجبرئيل» ؟

فقال : «إنّ الله تعالى أمر بالنار فأُوقد عليها ألف عام حتّى احمرّت، ثمّ أمر بها فأُوقد عليها ألف عام حتّى ابيضّت، ثمّ أمر بها فأُوقد عليها ألف عام[1] حتّى اسودّت وهي سوداءٌ مظلمة، فلو أنّ حلقة من السلسلة - التي طولها سبعون ذراعا - وضعت على الدنيا، لذابت الدنيا من حرّها، ولو أنّ قطرة من الزقّوم والضريع قطرت في شراب أهل الدنيا، مات أهل الدنيا من نتنها». - قال :- «فبكى رسول الله ﷺ، وبكى جبرئيل عليه السلام ؛ فبعث الله إليهما ملكا فقال : «إنّ ربّكما يقرؤكما السلام ويقول : «إنّي قد أمنتُكما من أن تذنبا ذنبا أعذّبكما عليه».

وقال الباقر عليه السلام[2] لمّا نزلت هذه الآية : ﴿ وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ [٢٣/٨٩] سُئل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال :

«أخبرني الروح الأمين أنّ الله لا إله غيره إذا جمع الأوّلين والآخرين أتى بجهنّم تُقاد بألف زمام، أخذ بكلِّ زمام ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدّةٌ وتغيُّظ وزفير، و إنّها لتزفر الزفرة، فلولا أنّ الله أخّرهم إلى الحساب لأهلكت الجميع.

ثمّ يخرج منها عنقٌ محيطٌ بالخلائق ـ البرّ منهم والفاجر ـ فماخلَق الله عبدا من عباده ـ ملكٌ و لانبيٌّ ـ إلّا ينادي : «ياربِّ، نفسي نفسي»، وأنت تقول : «يارب أُمّتي أُمّتي» - الحديث وقد مضى[3] -

وقال الباقر عليه السلام[4] : «إنّ أهل النار يتعاوون كما يتعاوى الكلاب والذئاب

---

١) أضيف في هامش (ر) وعليه علامة الاستدراك : «حتى احمرت ثم أمر بها فأوقدت عليها ألف عام» ثم كتب تعليقا عليها : «الظاهر أن فيه تكرارا فإن هذا الحديث قد تثنى ذكره وليس في الثانية هذا التكرار - بخطه ره».

٢) أمالي الصدوق : المجلس ٣٣، ح٤، ٢٤١. وفي تفسير القمي : ٤٥١/٢، مع فروق يسيرة. البحار : ١٢٥/٧ ،ح١. ٦٥/٨، ح٢. و٢٩٣، ح٣٦.

٣) مضى في باب السياق والصراط.

٤) أمالي الصدوق : المجلس الثاني والثمانون، ح١٤، ٦٥١. عنه البحار : ٢٨١/٨، ح٣.

ممايلقون من أليم العذاب ؛ ما ظنُّك بقوم لايُقضى عليهم فيموتوا ، ولايخفَّف عنهم من عذابها ؛ عطاش فيها جياع ، كليلة أبصارهم ، صمٌّ بكمٌ عميٌ ، مسودّة وجوهُهم ، خاسئين فيها نادمين ، مغضوبٌ عليهم فلا يُرحمون ، ومن العذاب لايخفّف عنهم ، وفي النار يسجرون ، ومن الحميم يشربون ، ومن الزقّوم يأكلون ، وبكلاليب النار يحطمون ، وبالمقامع يُضربون ، والملائكة الغلاظ الشداد لايرحمون ، فهم في النار يُسحبون على وجوههم ، ومع الشياطين يُقرَنون ، وفي الأنكال والأغلال يصفَّدون ؛ إن دعَوا لم يُستجب لهم ، و إن سألوا حاجةً لم يُقض لهم ؛ هذه حال من دخل النار».

وقال عليه السلام[1] : «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمَّا أُسري به لم يمرّ بخَلق من خَلق الله إلاّ رأى ما يحبّ من البُشر واللطف والسرور ، حتَّى مرَّ بخَلق من خلق الله ، فلم يلتفت إليه ولم يقل شيئا ، فوجده قاطبا عابسا ؛ فقال : «ياجبرئيل ، مامررت بخلق من خلق الله إلاّ رأيت البُشر و اللطف والسرور منه إلاّ هذا ، فمَن هذا» ؟

قال : «هذا مالك ، خازن النار [وهكذا خلقَه ربُّه»

قال : فإنّي أُحبُّ أن تطلب إليه أن يُريني النار] »[2]

فقال له جبرئيل : «إنَّ هذا محمَّد رسول الله ، قد سألني أن أطلب إليك أن تريه النار».

- قال : - «فأخرج عُنقا منها ، فرآها ؛ فما افترَّ ضاحكا حتَّى قبضه الله عزَّ وجلَّ».

ورواها الحسين بن سعيد الأهوازي في كتابه بأدنى تفاوت[3] .

---

١) أمالي الصدوق : المجلس السابع والثمانون ، ح٦ ، ٦٩٦-٦٩٧. عنه البحار : ٢٨٤/٨ ، ح٩.

٢) الإضافة بين المعقوفتين من المصدر ولم تكن في النسخ.

٣) الزهد : باب أحاديث الجنة والنار ، ٩٩ ، ح٢٧١ ، عن الصادق عليه السلام.
عنه البحار : ٢٨٤/٨ ، ح٩.

و روى فيه[1] عن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ ناركم هذه لَجزء من سبعين جزءا من نارِجهنَّم، ولقد أُطفئت سبعين مرَّة بالماء، و لولا ذلك لما استطاع آدميٌّ أن يطفئها[2] إذا التهبت، و إنّه لتؤتى بها يومَ القيامة حتَّى توضَع على النار، [فتصرخ صرخة][3] مايبقى ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسَل إلاّ جثا بركبتيه فزعا من صرخها[4]».

وعن ابن بكير، عن أبي عبدالله ﷺ[5] قال: «إنَّ في جهنَّم لوادٍ للمتكبِّرين يقال له: سَقَر؛ شكى إلى الله شدَّة حرِّهِ، وسأله أن يأذن له أن يتنفَّس؟ فأذن له، فتنفَّس، فأحرق جهنَّم».

وفي روايةٍ أخرى عن النبيّ ﷺ[6] قال: «لوكان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، ثمّ تنفَّس رجل من أهل النار فأصابهم نفَسَه لاحترق المسجد ومن فيه».

وعنه ﷺ[7]: إنَّ في النار لحيّات مثل أعناق البُخت، يلسعن أحدهم اللسعة فيجد حُموَّتها أربعين خريفا؛ و إنَّ فيها لعقارب كالبغال المؤكفة[8]، يلسعن أحدُهم فيجد حُموّتها أربعين خريفا».

---

١) الزهد: الباب المذكور، ١٠١، ح٢٧٥. عنه البحار: ٢٨٨/٨، ح٢١. وجاء مايقرب منه في مستدرك الحاكم: كتاب الأهوال: ٥٩٣/٤.

٢) نسخة في المصدر: أن يطيقها.

٣) إضافة من المصدر.

٤) المصدر: صرختها.

٥) الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر، ٣١٠/٢، ح١٠. تفسير القمي: الزمر/٦٠، ٢٥٣/٢-٢٥٤. المحاسن: ١٢٣، ح١٣٨.
عنها البحار: ٢٩٤/٨، ح٣٨. ١٨٩/٧٣. ٢٣٢/٧٣، ح٢٨.

٦) حلية الأولياء: ترجمة سعيد بن جبير: ٣٠٧/٤.

٧) مايقرب منه فيمستدرك الحاكم: كتاب الأهوال: ٥٩٣/٤. المسند: ١٩١/٤.
كنزالعمال: ٥٢٦/١٤، ح٣٩٥٠٣.

٨) في النسختين: «المؤلفة» والتصحيح من المصادر. الأكاف: كساء يلقى على ظهر الدابّة.

في وجوه الفرق بين الدنيا والآخرة

في نحو الوجود الجسماني[١]

﴿ إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَ إِنَّ الآخِرَةَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾

[٤٠/٣٩]

فمنها : أنّ الدنيا لابدّ وأن تفنى ، لأنّها لم تخلق لذاتها ، بل لتكون وسيلة إلى تحصيل نشأة أُخرى وتمتّعا لها وبلغة إليها ، فلابدّ من انقطاعها ومصيرها إلى البوار ؛ والآخرة باقية أبدا ببقاء بارئها وقيّومها ، لأنّها خلقت لذاتها ، لا لشيء آخر ، فهى محل الإقامة ودار القرار .

قال أميرالمؤمنين[٢] عليه السلام : « الدنيا خلقت لغيرها ، ولم يخلق لنفسها » .

ومنها : أنّ الأجساد الدنيويّة قابلة لنفوسها على سبيل الاستعداد ، والنفوس الأُخرويّة فاعلة لأجسادها على سبيل الاستيجاب والاستلزام ، فهاهنا ترتقي الأبدان بحسب تزايد استعداداتها إلى حدود النفوس ، وفي الآخرة يتنزّل الأمر إلى النفوس فينسج منها الأبدان .

ومنها : أنّ القوّة الخياليّة في الدنيا غير الحواسّ الظاهرة ، وفي الآخرة تصير عينها وتتّحد بها ؛ ولهذا قيل : « إنَّ اللذة الخيالية لاتكون في الجنَّة » . لأنّها من قضيّات الوهم ، إذ من شأنه أن يتخيّل أشياء على طريق التمنّي فتلتذّ بها النفس - و « المُنىٰ رأسُ مال المفاليس » - والآخرة دار الصدق ودار الحقائق ، ولذلك سمّيت ﴿ اَلْحَاقَّةُ ﴾ [٦٩/١] ، لأنّ فيها حواقّ الأمور ، وليس فيها أباطيل

---

١) مل : وجود الجسماني.

٢) نهج البلاغة : الحكمة رقم ٤٦٣.

وأكاذيب ولا أمنيَّة، إذ ﴿ فِيهَا مَاتَشْتَهِيهِ ٱلْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [٤٣/٧١] نقدا، و إنّما التذاذهم بالوجود المشاهَد.

ومنها: أنّ الشهوات في الدنيا تابعة للمشتهيات، والمشتهيات في الجنّة تابعةً للشهوات، كما قال الله - تعالى -: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ﴾ [٤١/٣١]، فما تريد يستحضر، لأنّه يكون موجودا ثمّ يستحضر، بل يستحضر فيكون موجودا بالاستحضار، فالحضور هناك ليس بقطع المسافة.

قيل ورد في الحديث القدسي أنّ الله - سبحانه - يقول[1] «يابن آدم خلقتك للبقاء، وأنا حيٌّ لاأموت، أطعني فيما أمرتك به وانتهِ عمّا نهيتُك عنه، أجعلك مثلي حيّا لا تموت؛ أنا الذي أقول لشيء: «كُن»، فيكون، أطعني فيما أمرتك به أجعلك مثلي إذا قلتَ لشيء: «كُن»، فيكون».

ومنها: أنّ باطن الإنسان يكون ثابتا في الآخرة، فإنّه عين ظاهر صورته في الدنيا، ويكون ظاهره فيها مثل باطنه في الدنيا متنوّعا في الصور.

ومنها: أنّ المادّة الحاملة للصور الدنيويّة تحتاج إلى فاعل مبائن يكملها على سبيل التربية شيئا فشيئا، لأنّها في عالم الحركات، فإذا زالت منها الصور احتاجت في استرجاعها إلى فاعل مبائن عن ذاته، بخلاف المادّة الحاملة للصور الأُخرويّة، فإنّها قوّة نفسانيّة مستكفية بذاتها وبأسبابها الذاتيّة، فإذا زالت عنها الصور ففي استرجاعها يكفي تذكّرها من غير حاجة إلى تجشّم اكتساب من فاعل جديد ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [٨٠/٣٧].

ومنها: أنّ المادّة الأُخرويّة أشرف صورةٍ وأسرع قبولا للصور، وأسهل انفعالا من الفاعل، لأنّها ألطف جوهرا وأشدُّقربا من الروحانيّة بالإضافة إلى الموادّ الدنيويّة.

---

١) جاء في عدة الداعي (الباب السادس، ٢٩١): «ورد في الحديث القدسي: يابن آدم أنا غنيّ لاأفتقر، أطعني فيما أمرتك أجعلك غنيا لاتفتقر؛ يابن آدم أنا حيّ لاأموت، أطعني فيما أمرتك أجعلك حيّا لاتموت؛ يابن آدم أنا أقول للشيء «كن»، فيكون؛ أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء «كن»، فيكون».

ومنها : أنّ الموجودات الأُخرويّة أقوى في الوجود وأشدّ تحصّلا في التجوهر من الحسّيات الدنياويّة - كما مرّ بيانه في مباحث عذاب القبر.

ومنها أنّ الأجساد الدنيويّة أجسام لحميّة طبيعيّة مركّبة من أخلاط قابلة للتغيّرات والاستحالات، معرضة للآفات ، والأجساد الأُخرويّة ليست كذلك ، بل «لايمسُّهم فيها نَصَبٌ و لايمسُّهمْ فيها لغوبٌ»[1] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [٥٦/٤٤]. ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢/٢]. «جُرد مُرد مكحلون من أبناء ثلاث وثلاثين»[2] دائما.

ومنها : أنّ الدار الآخرة لافاعل ولامؤثّر هناك إلا الحقّ سبحانه، إذ الأسباب المقابلة والعلل المتضادّة مرتفعة، وكذا الموانع والقواسر والحُجب منتفية، فلا مالك إلا هو ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[٥٦/٢٢].

ومنها : أنّ الآخرة قريبة من الله، يتكلّم فيها الإنسان مع الله، وينظر إليه بعين قلبه، وينظر الله إليه ؛ وهذه بعيدة من الله دائرة ذاتها. بائدة هالكة ذووها، ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [٧٧/٣] ؛ كما ورد في الحديث القدسي : «ما نظرت في الأجسام مذ خلقتُها»، وأما مكالمة الأنبياء ﷺ مع الله تعالى في الدنيا، فهي من ظهور سلطان الآخرة على قلوبهم.

ومنها : أنّ الآخرة نشأة الوجود والنور والإدراك والحضور والحياة والظهور، وكلُّ مافيها حيٌّ مدرِك كماورد في الحديث[3] : «إنّ الأنواع من الفاكهة ليقُلنَ لوليِّ الله : ياوليّ الله كُلني قبل أن تأكل هذا قبلي». و «إنّ المؤمن إذا جلس على سريره اهتزّ سريرُه فرحا». ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [٦٤/٢٩] وهذه النشأة موصوفة بمقابلات ذلك.

ومنها : أنّ النشأة الدنياويّة لضعف وجودها التدريجيّ يحتاج الإنسان مادام فيها إلى مهد المكان وظئر الزمان، وكلّ منها لضعف وجوده غير مجتمع

---

١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [٣٥/٣٥].
٢) الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب (١٢)، ٦٨٣/٤، ح٢٥٤٥.
٣) الكافي: ٩٩/٨، ح٦٩.

الأجزاء، فوجود كلّ منها وحضوره يقتضي فقد صاحبه وغيبته ؛ وأمّا النشأة الأُخرويّة فليست كذلك.

ومنها : أنّ عدد الأبدان في الآخرة كعدد النفوس غير متناهية، لعدم التضايق والتزاحم فيها، إذ ليست في أمكنة وأبعاد، ولا في موادّ جسمانيّة ؛ بل اتّصال بعضها ببعض اتّصال عقلي وتلاق معنويّ.

ومنها : أنّ النفس الواحدة فيها مع ما تتصوّره وتدركه من الصور بمنزلة عالم عظيم نفسانيّ أعظم من هذا العالم الجسمانيّ بما فيه، وأنّ كلّ ما فيها من الأشجار والأنهار والأبنية والغرف حيّة بحياة واحدة ذاتيّة، هي حياة النفس التي تدركها وتوجدها.

ومنها : أنّه ما لم تخرب الدنيا لم توجد الآخرة، وهذا فرقان مبينٌ ؛ إذ لوكانت الآخرة من جوهر الدنيا لم يصحّ أنّ الدنيا تخرب، لأنّ الدنيا إنّما هي دنيا بالجوهر ونحو الوجود، لا بالتخصّصات الشخصيّة والامتيازات التعيّنيّة، وإلا لكان كلّ يوم دنيا أُخرى، لتبدّل الأشكال والهيآت والمشخّصات، ولكان القول بالآخرة تناسخا، ولكان البعث عبارة عن الدنيا بعد خرابها، وقد ثبت أنّ الدنيا تضمحلّ وتفنى ولا تعود أبدا.

ومنها : أنّ الآخرة لا تنتظم مع الدنيا في سلك واحد، ولا إحداهما مع الأُخرى في جهة واحدة أو اتّصال واحد زمانيّ أو مكانيّ، وليس منها ولا من الصور الموجودة فيها في الدنيا إلا أمثلة بعيدة، ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [١٧/٣٢] ﴿ وَ نُنْشِئَكُمْ فِيمَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [٦١/٥٦] قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنّة إلا الأسماء.

في أصناف اللذات والآلام وأصحابهما في الآخرة

﴿ وَ كُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴾- الآيات - [٥٦/٧-١١]

نور

[اللذة في الآخرة]

اللذّة إمّا عقليّة أو خياليّة أو حسّيّة، لأنّ أُصول النشآت تنحصر في هذه الثلاث، والأزواج الثلاثة بإزاء هذه الثلاث.

فأصحاب الشمال هم أهل الدنيا، إلا أنّهم إنّما يتعذّبون في دار أُخرى هي من جنس النشأتين الأوليين، خلقت بالعرض - لا بالذات - وهي جهنّم، بخلاف الأُوليين، فإنّ السابقين يتنعّمون أينما كانوا.

وأصحاب اليمين يتنعّمون في دارهم المختصّة بهم، واللذة الخياليّة في الآخرة ترجع إلى الحسيّة، لما دريت أنّ الخيال هناك يصير عين الحسّ الظاهر ويتّحد به.

فاللذّة في الآخرة تنحصر في قسمين: العقليّة والحسيّة.

فالعقليّة: كالالتذاذ بالعلوم والمعارف والأُنس بالله - عزّ وجلّ - و بمقرّبي حضرته؛ وهي إنّما تكون للسابقين المقرّبين ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [٥٦/١٢] على حسب درجاتهم ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ [٥٦/١٣-١٤]، وهي أحلى اللذّات وأشهاها.

روي في الكافي[1] عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «لو يعلم الناس مافي فضل معرفة الله - تعالى - مامدُّوا أعيُنهم إلى ما مُتِّع به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤنه بأرجلهم، ولنعمّوا بمعرفة الله - تعالى - وتلذَّذوا بها تلذُّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله. إنَّ معرفة الله تعالى أُنس من كلِّ وحشة، وصاحب من كلِّ وحدة، ونورٌ من كلِّ ظلمة، وقوّة من كلِّ ضعف، وشفاءٌ من كلِّ سقم».

- ثمّ قال :- «قد كان قبلكم قومٌ يُقتلون ويُحرقون ويُنشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردُّهم عمّا هم عليه شيءٌ ممّا هم فيه من غير ترَة[2] وتروا من فعل ذلك بهم، ولا أذى بمانقموا منهم، إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. فسلوا ربّكم درجاتِهم، و اصبروا على نوائب دهركم، تدركوا سعيهم».

وقال بعض الفضلاء[3] : «لو علم الملوك مانحن فيه من لذّة العلم لحاربونا بالسيوف».

﴿ وَ لَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ [٢١/١٧].

لأنَّ المعرفة في هذه الدنيا بذر المشاهدة في الآخرة، واللذّة الكاملة متوقّفة على المشاهدة، لأنَّ الوجود لذيذٌ، وكماله ألذُّ ، فالمعارف التي هي مقتضى طباع القوّة العاقلة - من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله - إذا كانت مشاهَدة للنفس، لكانت لها لذّة لايدرك الوصف كنهها.

ولهذا ورد في الحديث[4] : «لاعيش إلاّ عيش الآخرة».

والوجودات متفاوتة في العالم العقليّ، فالسعادات متفاضلة بحسبها.

---

١) الكافي: الروضة، ح٣٤٧، ٢٤٧/٨.
٢) وَتَر، يتِر، تِرَة فلانا: أصابه بظلم أو مكروه.
٣) ر: بعض العلماء.
٤) تفسير القمي: ١٧٨/٢، الأحزاب/١٠. البخاري: باب ماجاء في الرقاق، ١٠٩/٨. كنزالعمال: ٣٨٤/١٠.

وإليه أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله[1] : «درجاتٌ متفاضلاتٌ ومنازلٌ متفاوتاتٌ، لاينقطع نعيمها، ولا يظعن مقيمها، ولايهرم خالدها، ولاييأس ساكنها».

وتفاضلها إمّا بالنوع، أو الكمّ، أو الكيف؛ فإنّ كلّ نوع من الأنواع الموجودة في هذا العالم يوجد هناك على وجه عقليّ وجودا قويّا أو ضعيفا، كما يوجد هاهنا صناعات مختلفة في نفس واحدة منّا متفاضلة في النوع أوالقوّة والضعف أوالكثرة والقلّة ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾[٦/١٣٢].

نور

[اتصال الأرواح في الآخرة والتذاذهم بذلك]

ولمّا جاز اجتماع النفوس هناك - ولو بلغت إلى لانهاية - لعدم تضايق بعضها عن بعض، فكلّما كثرت الأرواح المفارقة عن الأبدان المتعارفة المؤتلفة واتّصل بعضها ببعض - اتّصال معقول بمعقول - كان التذاذ كلّ واحد منها بالأخرى أشدّ، وكلّما لحق بهم مَن بعدهم زاد التذاذُ مَن لحق بمصادفة الماضين، وزادت لذّات الماضين بمصادفة اللاحقين؛ كما قال الله -سبحانه- : ﴿ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٣/١٧٠].

لأنّ كلّ واحد منهم هويّة وجوده نوريّة، فيعقل ذاته، ويعقل مثل ذاته مرّات كثيرة، ولأنّ المتلاحقين إلى غير نهاية يكون تزايد قوّة كلّ واحد واحد ولذّاته في غابر الزمان إلى غير نهاية نوعا وكمّا وكيفا كما ذكرناه.

نور

[اللذائذ الحسيّة]

وأمّا اللذّة الحسّيّة : كالالتذاذ بالطعام والشراب والنكاح والأصوات الطيّبة

---

١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٥؛ أولها: «وأشهد أن لاإله إلا الله...».

والنغمات الرخيمة ؛ فهي لذّة المتوسّطين الصالحين من أصحاب اليمين، كما قال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[1] - إلى قوله: ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [٥٦/٢٨-٤٠].

وقد تكون أنواع منها للسابقين المقرّبين، كما قال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ - إلى قوله سبحانه :- ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٥٦/١٥-٢٤].

وهذا يدلّ على أنّ ذلك جزاء أعمالهم دون علومهم واعتقاداتهم؛ و يشبه أن لايكون لهم كثير التذاذ بها، بل ولا التفات، كما يشعر به قوله سبحانه: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ لأنّ قرّة عيونهم إنّما هي في الجنّة العالية.

وإنّما[2] يحصل ذلك كلّه بإبداع النفس تلك الصور الملذّة في عالمها وصُقعها الخاصّ بها، كما تبدع الصور هاهنا في قوّتها المتخيّلة، إلّا أنّها هناك تكون عينيّة، وقد ثبت أنّ للنفس اقتدارا على ذلك، و لكنّها مادامت في هذه النشأة لاتترتّب عليها آثارها، لضعفها و اشتغالها بالمحسوسات وانهماكها فيها، إلّا لأصحاب الكرامات خاصّة. وأمّا في الآخرة: فيكون ذلك لعامّة الناس، إلّا أنّ السعداء - لصفاء طويّتهم وعدالة أخلاقهم - تكون قرناؤهم الصُور الحسان واللؤلؤ والمرجان؛ والأشقياء - لخبث عقائدهم ورداءة أخلاقهم واعوجاج عاداتهم - يكون جليسهم الجحيم والزقّوم والعقارب والحيّات؛ إذ كما أنّ الأعمال مستتبعةٌ للملكات في الدنيا بوجه، فالملكات مستتبعة للأعمال في الآخرة بوجه.

---

١) هامش (ر): ذكر السدر والطلح ونحوهما- مما لايرغب فيه رغبة بالغة - إمّا لأنه مما خوطب به جماعة عظمت هذه الأمور في أعينهم ويشتهونه غاية الشهوة، وإما لأن كل شيء يكون في الدنيا فله صورة في الآخرة وكثيرا ما يكون صورته الدنياوية سمجة كريهة، وصورته في الآخرة في غاية الحسن واللطافة. أولاترى أنّ أهل الإيمان كثيرا ما يكونون في الدنيا شعثا غبرا صفر الوجوه، وفي الآخرة وجوههم أضوء من الشمس، وخلوف فم الصائم عند الملائكة أطيب من رائحة المسك الأذفر - منه ره.

٢) مقتبس مما جاء في تفسير سورة الواقعة لصدرالمتألهين: ٣٤/٧-٣٦.

وهذا معنى قول النبيّ ﷺ[1] : « إنّ الجنّة قاعٌ صفصف فأكثروا من غراس[2] الجنّة »- الحديث.

وقد دريت أنّ مايحصل هناك من الصور أشدُّ إلذاذا و إيلاما من هذه المحسوسات الملذّة والمؤلمة بكثير ؛ لصفاء المحلّ، وقوّة الفاعل، وعدم الشاغل، وذكاء المدرِك، وانحصار القوى كلّها في قوّة واحدة هي المتخيّلة، وصيرورتها عينا باصرة للنفس وقدرة فعّالة، وانقلاب العلم مشاهدة ؛ فلايخطر بالبال شيء في الجنّة تميل إليه النفس إلاّ و يوجد في الحال بـإذن الله - أي يوجد بحيث يراه رؤية عيان، ويحسُّ به إحساسا قويًا لا أقوى منه.

و إليه الإشارة بقوله ﷺ[3] : «إنَّ في الجنَّة سوقا يباع فيه الصور».

والسوق عبارة عن اللطف الإلهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصوَر بحسب المشيئة ونيلها بالحسّ.

وقد مضى حديث «كن فيكون» في ذلك.

وهذه القدرة أوسع وأكمل من القدرة على الإيجاد في المادّة الجسمانيّة، لأنَّ الموجود في تلك المادّة لايوجد في مكانين و إذا صارت النفس مشغولة باستماع واحد ومشاهدته ومماسّته صارت مستغرقة محجوبة عن غيره ؛ وأمّا هذا فيتّسع اتّساعا لاضيق فيه ولامنع، حتّى لواشتهى مشاهدةَ النبيّ ﷺ مثلا ألف شخص في ألف مكان في حالة واحدة - لشاهَدوه كما خطر ببالهم - في الأماكن المختلفة، وأمّا الإبصار الحاصل عن شخص النبيّ الماديّ فلا يكون إلاّ في مكان واحد.

وأمر الآخرة أوسع وأوفى بالشهوات وأوفق لها، وقد علمت في محلّه أنَّ كلّ

---

١) في الترمذي (كتاب الدعوات، الباب ٥٩، ٥/٥١٠، ح٣٤٦٢): «إنّ الجنّة طيّبة التربة عذبة الماء، وأنّها قيعان، وأنّ غراسها: سبحان الله والحمد لله ولاإله الله والله أكبر».

٢) ر: غرايس.

٣) جاء مع فرق يسير في جامع الأخبار: الفصل ١٣٧، ٤٩٤. عنه البحار: ١٤٨/٨، ح٧٦. المسند: ١٥٦/١. الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب (١٥)، ٦٨٦/٤، ح٢٥٥٠.

مايصدر من الفاعل - لابواسطة المادَّة الجسمانيَّة - فحصوله في نفسه عين حصوله لفاعله، وليس من شرط الحصول: الحلول والاتِّصاف، فإنَّ صور الموجودات حاصلة للباري سبحانه قائمة به من غير حلول ولا اتِّصاف، وإنَّ حصول الشيء للفاعل أوكد من حصوله للقابل، فلكلّ واحد من أهل السعادة في الآخرة عالَم فيه مايريد، ومن يرغب في صحبته ينشأ في لحظة عين أو فلتة خاطر.

فالعوالم هناك بلانهاية، كلٌّ منها كعرض السماوات و الأرض بلامزاحمة شريك وسهيم، فكلّ عالم عالَمٌ، والله - عزَّ وجلَّ - ربُّ العالمين.

قال أستاذنا - دام ظله -: ويمكن أن يخلق الله - سبحانه - ادراكاتٌ أُخر لأهل الجنَّة يدركون بها ما أخفى لهم من قرَّة أعين، والله قادرٌ على كلِّ شيء وهو بكلّ شيء عليم.

قال الفاضل العارف كمال الدين بن ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة عند قوله عليه السلام «درجات متفاضلات»[1]:

«اعلم أنَّ ألذّ ثمار الجنَّة هي المعارف الإلهيَّة، والنظر إلى وجه الله ذي الجلال والإكرام؛ والسعداء في الوصول إلى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة:

فالأولى مرتبة مَن أُوتي الكمال[2] في حدس القوَّة النظريَّة، حتَّى استغنى عن معلِّم بشريٍّ رأسا، وأُوتي مع ذلك ثبات قوَّته المفكِّرة واستقامة وهمه، منقادا تحت قلم العقل، فلا يلتفت إلى العالم المحسوس بمافيه، حتَّى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الأحوال، ويستثبتها في اليقظة؛ فيصير العالم وما يجري فيه متمثّلا في نفسه، فيكون لقوَّته النفسانيَّة أن تؤثّر في عالَم الطبيعة، حتَّى ينتهي إلى درجة النفوس السماويَّة، وتلك هي النفوس القدسيَّة أُولات المعارج، وهم ﴿ ٱلسَّابِقُونَ

---

١) شرح نهج البلاغة: ٢/٢٧٩-٢٨٠. الخطبة ٨٢ حسب ترقيم الشرح.
٢) مل: من أدنى الكمال.

﴿ٱلسَّـٰبِقُونَ * أُولَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [٥٦/١٠-١١]، وهم أفضل النوع البشريّ وأحقُّه بأعلى درجات السعادة في الجنَّة.

المرتبة الثانية: مرتبة من له الأمران الأوّلان دون الثالث - أعني التأثير في عالم الطبيعة - وهذه مرتبة أصحاب اليمين وتحتها مراتب:

فإحداها: مرتبة مَن له استعداد طبيعيٌّ لاستكمال قوّته النظريّة -دون العمليّة-.

الثانية: مرتبة من اكتسب ذلك الاستكمال في قوّته النظريّة اكتسابا تكليفيًّا، دون تهيّوء طبيعيّ، ولا حصّة له في أمر القوّة العمليّة.

الثالثة: مرتبة من ليس[١] له تهيُّؤٌ طبيعيٌّ، و لا اكتساب تكليفيّ في قوّته النظريّة، وله ذلك التهيُّؤ في قوّته العمليّة.

الرابعة: مرتبة من له[٢] تكلُّف في إصلاح الأخلاق و اكتساب الملكات الفاضلة، دون تهيّوءٍ طبيعيّ لذلك.

إذا عرفت ذلك - فاعلم أنَّ للمقرّبين البالغين في الملكات الشريفة لذّات عظيمة في الجنَّة، قد فازوا بنعيم الأبد والسرور الدائم في حضرة جلال ربّ العالمين - ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [٥٤/٥٥] - غير مخرجين عن لذّاتهم؛ لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، وهم فيها خالدون.

كما قال عليه السلام[٣]: «لايظعن مقيمها».

جُرد عن عوارض الأبدان و شوائب المواد، مُردٌ عن مزاحمة القوى المتعالية المتجاذبة المؤدية إلى الهرم و الموت، مكحلين بالأنوار الساطعة، ينظرون إلى ربّهم بوجوههم المفارقة.

---

١) مل: - ليس.

٢) مل: الرابعة من له قرينة من له.

٣) من الخطبة المذكورة.

وأمّا ﴿ أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ ﴾ ﴿ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ ﴾ و لهم لذّات دون الوصول إلى رتبة السابقين ، و قد يخالط لذّات هؤلاء شوبٌ من لذّات المقرّبين كما أُشير إليه في التنزيل الإلهي في وصف شراب الأبرار ، و ﴿ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [٢٧/٨٣] .

ولكلٍّ من المراتب المذكورة كمالٌ يخصُّه ودرجة من السعادة في الجنّة تخصُّه ، كما قال : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ ٱللهِ ﴾ [١٦٣/٣] وقال : ﴿ يَرْفَعِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [١١/٥٨] ، وقال : ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ﴾ [٢٠/٣٩][١] .

نور

[الآلام في الآخرة]

وأمّا الآلام : فهي - أيضا - تنقسم بالأقسام الثلاثة ، وترجع في الآخرة إلى القسمين - كاللذات بعينها - .

والعقل - و إن لم يتألّم - حيث لاحظّ له من الشقاء ، وليس من دارالشقاء - إلّا أنّ من اشتاق إليه وحرم الوصول يُسمّى[٢] ألمُه ألما عقليًا- وإن لم يبلغ مرتبة العقل ، مشاكلة للذّة العقليّة ومقابلة لها - إذ الألم يرجع في الحقيقة إلى العدم - كما دريت - والعدم إنّما يُعرف ويمتاز بالوجود .

فالعقليُّ من الألم يكون للجاحدين للحقّ والمنكرين للعلوم ، والكاسبين لأنفسهم شوقا إلى الكمالات العقليّة في الدنيا ، ثمّ التاركين الجهد في كسبها ؛ ففقدت منهم القوّة الهيولانيّة ، وحصلت لهم فعليّةُ الشيطنة والاعوجاج ، ورسخت في أوهامهم العقائدُ الباطلة ؛ دون الناقصين بحسب الغريزة عن إدراك المراتب العالية ، فإنّ شقاوة هؤلاء غير مؤلمة لعدم معرفتهم بالكمال ولاشوقهم إليه ، فهي بمنزلة الموت أو الزمانة في الأعضاء من غير شعور بمؤلم. وكلاهما

---

١) إلى هنا انتهى المنقول من شرح ابن ميثم.

٢) مل :- يسمى.

مشتركان في عدم الانحيار في الآخرة ، إلّا أنّ البلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانة بتراء .

فعذابُ الناقصين بالذوات عظيم - من دون ألم - وإلى أمثالهم الإشارة بقوله - سبحانه - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَايُؤْمِنُونَ * خَتَمَ ٱللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [٢/٦-٧] .

وعذاب الجاحدين والمنافقين أليم ، و إليهم الإشارة بقوله - تعالى - : ﴿ وَ مِنَ ٱلنَاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِٱللهِ وَ بِٱلْيَومِ ٱلآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ ٱللهَ وَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللهُ مَرَضًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [٢/٩-١١] . وهذا الألم العقلي - الكائن عن المضادّات للحقّ - هو بإزاء اللذّة والراحة الكائنة عن مقابلاتها ، وكما أنّ تلك أجلُّ من كلِّ إحساس بأمر ملائم ، فكذلك هذه أشدّ من كلِّ إحساس بمنافر حسّيٍّ ، من تفريق اتّصال بالنار ، أو تجميدٍ بالزمهرير ، أوقطع بالمناشير ، أوسقطةٍ من شاهق - أو نحوذلك .

أعاذنا الله واخواننا منه بمنّه .

نور
[الآلام الحسيّة في الآخرة]

وأمّا الألم الحسّي : فهو لمن غلبت عليه الهيآت البدنيّة من المعاصي الحسّية - كالفسوق و المَظالم - و الأخلاق المذموم - كالحرص والحسد - إلى غير ذلك ، فإنّها بعينها تصير حيّات و عقارب محسوسة - كما دريت في اللذات الحسّية - فإنّ هذه الهيآت الانقهاريّة قبيحةٌ مؤلمة لجوهر النفس ، مضادّةٌ لحقيقتها ، لأنّ حقيقتها تستدعي أن تكون لها هيأة استعلائيّة قهريّة على البدن وقواه الشهويّة والغضبيّة ، فإذا انقهرت عنها وانقادت وخدمت إيّاها في تحصيل مآربها الدنيّة كان ذلك موجب شقاوتها وتألّمها وحسرتها .

إلّا أنّ إقبالها على البدن وشواغله يُنسيها عن أمرعاقبتها ، وسكر الطبيعة

يشغلها عن الإحساس بفضيحتها ؛ فإذا زال العائق وارتفع الحجاب وكشف الغطاء بموت البدن تصوّرت تلك الهيآت بالصور القبيحة المؤلمة التي تناسبها في تلك النشأة، كما قال الله - عزّ وجلّ - : ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [٣/١٨٠] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [٩/٣٥] .

ولكن لمّا كانت هذه الهيآت غريبة عن جوهر النفس وكذا مايلزمها ، فلايبعد أن تزول في مدّة من الدهر متفاوتة حسب تفاوت العوائق في رسوخها وضعفها وكثرتها وقلّتها - إن شاء الله - «فيخرج من النار مَن في قلبه مثقال ذرّة من الإيمان»[١] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٩٩/٧-٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [٤/١١٦] .

وفي اعتقادات الصدوق - رحمه الله -[٢] وروي أنّه لايصيب أحد من أهل التوحيد ألم في النار، و إنّما يصيبهم الآلام عند الخروج منها، فيكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم وما الله بظلام للعبيد» .

وبإسناده[٣] عن إبن عبّاس، قال : قال رسول الله ﷺ : «و الذي بعثني بالحقّ بشيرا - لايعذّب اللهُ بالنار موحّدا أبدا، و إنَّ أهل التوحيد ليَشفعون فيُشفّعون» . وعن الصادق عليه السلام[٤] في الحمّى : «إنّها حظُّ المومن من النار» .

تتميم نوريّ
[مآل الإنسان في الآخرة إلى النشآت الغالبة عليه في الدنيا]

قد ثبت أنَّ أصول النشآت ثلاثة : العقليُّ والخياليُّ والحسّيُّ .

---

١) راجع ماسيجيء في الفصل السادس من هذا الباب.
٢) الاعتقادات : باب الاعتقاد في الجنة والنار.
٣) التوحيد : باب ثواب الموحّدين، ٢٩ ، ح٣١. أمالي الصدوق : المجلس التاسع والأربعون، ح١٠ ، ٣٧٢. عنهما البحار : ٣/١ ، ح١.
٤) ثواب الأعمال : ٢٢٨ ، باب ثواب الحمى، ح١. بحار الأنوار : ٨١/١٨٣ ، ح٣٤.

فكلٌّ من غلبت عليه في الدنيا واحدة من تلك النشآت[١] فمآله بعد وفاته إليها.

فمن غلبت عليه القوّة العقليّة واستكملت بإدراك العقليّات المحضة، والعلم باليقينيّات الحقيقيّة، فمآله إلى النشأة العقليّة في علّيّين مع الملائكة المقرّبين.

ومن غلبت عليه اللذات الحسّية الأُخرويّة - من الجنّة ونعيمها وسرورها وحورها وقصورها، والخوف من عذاب الآخرة ونار جهنّم وآلامها - وعمل بمقتضى الوعد والوعيد، فمآله إلى النشأة الخياليّة الحسّية في نعيم الجنّة مع أصحاب اليمين.

ومن غلبت عليه المستلذّات الحسّية الدنيويّة والعادة بهذه المألوفات الفانية، فهو بعد وفاته أليف غصّة شديدة، ورهين عذاب أليم؛ لأنّ الدنيا ولذّاتها أمور مَجازيّة لاحقيقة لها، و الإحساس بها انفعالات تنفعل النفس بها عند الحدوث ، و تزول بسرعة عنها ولاتدوم؛ ولكن يبقى الأثر والعادة في المحبّة والاشتياق.

فمن عشقها واشتاقها كان كمن أحبَّ أمرا معدوما، محبّةً مفرِطة، وطلب شيئا باطلاً طلبا شديدا، وحيث لم يكن لمحبوبه أثرٌ ولا لطلبه أثرٌ فهو في هذه الحال في غصّة شديدة وألم دائم.

إلّا أنّهم ماداموا في الدنيا يشتبه ذلك عليهم، ويزعمون أنّ لمحبوباتهم حقيقةً، فيأكلون ويتمتّعون ﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ وَ ٱلنَّار مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [٤٧/١٢]؛ لأنّه إذا طلعت شمسُ الآخرة وقامت الحقيقة، اضمحلّت بها رسومُ المَجازات، وذابت بإشراقها أكوانُ المحسوسات، اضمحلال الظلال وذوبان الجميد بحرارة ارتفاع الشمس في أوان الصيف، فبقي المحب للدنيا والمحسوسات المادّية محترقا بنار الجحيم، معذّبا بالعذاب الأليم[٢] .

---

١) مل: في الدنيا في تلك النشآت.

٢) في هامش (ر): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإنّ الدنيا قد ولّت حذّاء، فلم يبق منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء اصطبّها صابّها، ألا وإنّ الآخرة قد أقبلت، ولكلّ منها بنون، فكونوا←

رموزٌ شرعيّةٌ

[مآل الناقصين من الناس في الآخرة]

وأمّا الناقصون - كالأطفال والمجانين والبُله ومن مات في الفترة ونحوهم - ففي الأخبار إنّه يحتجّ الله عليهم بأن يرفع لهم نارا فيقال لهم أُدخلوها، فمن دخلها كانت عليهم بردا وسلاما، ومن أبى قال: «ها أنتم، قد أمرتكم فعصيتموني»[1].

وعن النبيّ ﷺ أنّه سُئل عن الأطفال، فقال[2]: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

أقول: يشبه أن تكون تلك النار كناية عن التكاليف الشرعيّة المقدَّرة، بأن يتصوّر لهم تلك التكاليف بالصور المناسبة لها - و هي الصورة الناريّة - فمن كان منهم من أهل الإطاعة والانقياد و الإيمان في علم الله بأن كانت نفسه مفطورة على الخير، و إن كان يبقى لآمن بها وقبِلَها، يلقي نفسه في النار؛ و إن يكن الأُخرى يأبى ويهاب. كما يلوّح إليه قوله ﷺ[3]: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

وفي القرآن المجيد: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً﴾ [١٧/٨٤].

وسيأتي في هذه الآية كلام عن النبيّ ﷺ يؤيّد ماقلناه - والله أعلم -.

← من أبناء الأخرة ولاتكونوا من أبناء الدنيا، فإنّ كلّ ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة». قوله: حذّاء: أي خفيفة مسرعة، لايتعلّق أحد منها بشيء. والصبابة: بقيّة الماء في الإناء - منه.

١) الكافي: كتاب الجنائز، باب الأطفال، ٣/٢٤٩، ح٦.

٢) الكافي: كتاب الجنائز، باب الأطفال، ٣/٢٤٩، ح٤. البحار: ٥/٢٩٠، ح٣. البخاري: كتاب الجنائز: باب ماقيل في أولاد المشركين، ٢/١٢٥. كنزالعمال: ١٤/٤٩٩ و٦٧٦.

٣) مضى الحديث آنفا.

في خلود الفريقين

﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٢/ ٢٥]

أسرارٌ
[ذبح الموت]

قال في الفتوحات: ورد في الخبر[١] : أنّ الله - سبحانه - يظهر الموت يوم القيامة في صورة كبش أملح، و يأتي يحيي - على نبينا وعليه السلام - وبيده الشفرة، فيضجعه ويذبحه، وينادي مناد : «يا أهل الجنّة خلودٌ بلاموت، ويا أهل النار خلودٌ بلا موت». وليس في النار في ذلك اليوم[٢] إلا الذين هم أهلها .

وذلك ﴿ يَومَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلأَمْـرُ﴾ [١٩/٣٩]».

و إنّما سمّي به لأنّه حسر للجميع عن صفة الخلود الدائم للطائفتين.

فأمّا أهلُ الجنّة إذا رأوا الموتَ سرُّوا سرورا عظيما، فيقولون : «بارك الله لنا فيك، لقد خلّصتنا من تلك الدنيا الفانية، وكنت خير وارد علينا، وخير تحفة أهداها الله إلينا.

---

١) الفتوحات المكية : ٤٤١/٣، الفصل السادس من الباب الحادي والسبعون وثلاث مائة.

وجاء رواية ذبح الموت بدون ذكر يحيي عليه السلام في البحار: كتاب السماء والعالم، باب نادر، عن بعض الكتب القديمة، ٢٦١/٦٠. البخاري: كتاب التفسير، سورة مريم، ١١٨/٦. وروي مايقرب منه عن الصادق عليه السلام أيضا: تفسير القمي: ٤٩/٢، مريم/٣٩. عنه البحار: ٣٤٦/٨، ح٤.

٢) مل :- اليوم.

قال النبيّ ﷺ[١] : «الموتُ تحفةُ المؤمن».

وأمّا أهل النار إذا أبصروه يفزعون منه ويقولون : «لقد كنتَ شرَّ وارد علينا، حُلتَ بيننا وبين ما كنّا فيه من الخير والدعة»، ثمّ يقولون له : «عسى أن تميتنا فنستريح ممّا نحن فيه من المصيبة والعذاب».

قال : يدخل أهل الدارين فيها ؛ السعداء بفضل الله ، وأهل النار بعدل الله ؛ وينزلون فيها بالأعمال ويخلّدون فيها بالنيّات .

أقول : وتصديق هذا مارواه في التوحيد[٢] عن الصادق ؑ، عن آبائه ، عن أميرالمؤمنين ؑ، قال : «جاء يهوديٌّ إلى النبيّ ﷺ وسأل عنه أشياء ، وكان فيما سأل أن قال : يامحمّد إن كان ربُّك لايظلم ، فكيف يخلِّد في النار أبد الآبدين من لم يعصه إلّا أياما معدودة» ؟

قال : «يخلّده على نيّته ؛ فمن علم أنَّ نيّته أنّه لو بقي في الدنيا إلى انقضائها كان يعصي الله - عزّ وجلّ - خلّده في ناره على نيّته ، ونيّته في ذلك شرٌّ من عمله . وكذلك يخلّد من يخلّد في الجنّة بأنّه ينوي أنّه لوبقي في الدنيا أيّامها لأطاع الله أبدا ، ونيّته خيرٌ من عمله».

فبالنيّات يخلّد أهل الجنّة الجنّة ، وأهل النار النار ، والله عزّ وجلّ يقول : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً﴾ [١٧/٨٤] .

قال صاحب الفتوحات[٣] :

«فيأخذ الألم جزاء العقوبة موازيا لمدّة العمر في التنزّل في الدنيا[٤] ؛

---

١) جاء بلفظ : «تحفة المؤمن الموت» في الدعوات للراوندي : الباب الرابع ، ذكر الموت : ٢٣٥ . عنه البحار : ١٧١/٨٢ . كنزالعمال : ٥٤٦/١٥ ، ح٤٢١١٠ .

٢) الحديث موجود في بعض نسخ المصدر ، راجع التوحيد : ٣٩٩ الهامش .

وقد جاء مايقرب منه عن الصادق ؑ، راجع الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب النيّة ، ٨٥/٢ ، ح٥ . والعياشي : أسرى/٨٤ ، ٣١٦/٢ . عنه البحار : ٢٠١/٧٠ و٢٠٩ .

٣) الفتوحات المكية : ٦٤٨/٢ ، الباب التاسع والثمانون ومائتان ، مع بعض الفروق والتلخيص .

٤) المصدر : في الشرك في الدنيا .

فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيم في الدار التي يخلّدون فيها ، بحيث أنّهم لو دخلوا الجنّة تألّموا بعدم موافقة الطبع الذي جبلوا عليه ؛ فهم يتلذّذون بما هم فيه من نار وزمهرير ، وما فيها من لدغ الحيّات والعقارب ، كما يلتذّ أهل الجنّة بالظلال والنور ولثم الحسان من الحور ، لأنّ طبائعهم تقتضي ذلك . ألا ترى الجُعل على طبيعة يتضرّر بريح الورد ويلتذّ بالنتن ، والمحرور من الإنسان يتألّم بريح المسك .

فاللذّات تابعة للملائم ، والآلام تابعة لعدمه » .

قال في الفصوص[1] :

« أمّا أهل النار فمآلهم إلى النعيم - لكن في النار- إذ لابدّ لصورة النار بعد انتهاء مدّة العقاب أن يكون بردا وسلاما على مَن فيها ، وهذا نعيمُهم »[2]

وقال في موضع آخر منه[3] :

« الثناء بصدق الوعد ، لابصدق الوعيد ؛ والحضرة الإلهيّة تطلب الثناءَ المحمود بالذات ، فيثنى عليها بصدق الوعد ، لابصدق الوعيد ، بل بالتجاوز : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه ﴾ [١٤/٤٧] ؛ ولم يقل : « ووعيده » ، بل قال : ﴿ وَ نَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ [٤٦/١٦] . مع أنّه توعّد على ذلك » .

أقول : وتصديق هذا ما رواه في كتاب التوحيد[4] عن الصادق ، عن آبائه

---

١) فصوص الحكم : الفصّ اليونسي.

٢) كتب في الهامش : «ويصدق هذا ما ورد في الحديث الذي روته العامة : «إنه سيأتي على جهنم زمان ينبت في قعرها الجرجير» . ولكن روي في الكافي عن أهل البيت عليهم السلام ما يكذب هذا الحديث صريحا وينسبه إلى الوضع والافتراء - منه -» (مل : منه دام فيضه).

٣) فصوص الحكم : الفص الإسماعيلي.

٤) التوحيد : باب الأمر والنهي والوعيد ، ٤٠٦. المحاسن : كتاب مصابيح الظلم ، باب (٢٧) الوعد والوعيد ، ٢٤٦. عنها البحار : ٣٣٤/٥ -٣٣٥. راجع أيضا اعتقادات الصدوق : باب الاعتقاد في الوعد والوعيد.

ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «مَن وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزٌ له ، ومن أوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار» .

وقال القيصري[١] :

«اعلم أنَّ مَن اكتحلت عينُه بنور الحقِ يعلم أنَّ العالَم بأسره عباد الله ، وليس لهم وجودٌ وصفةٌ وفعلٌ إلاّ بالله وحوله و قوّته ، وكلّهم محتاجون إلى رحمته ، وهو الرحمان الرحيم .

ومن شأن مَن هو موصوف بهذه الصفات أن لايعذِّب أحدا عذابا أبديًا ، وليس ذلك المقدار من العذاب إلاّ لأجل إيصالهم إلى كمالاتهم المقدَّرة ، كما يذاب الذهب والفضّة بالنار لأجل الخلاص مما يكدِّره ويُنقص عيارَه ، فهو يتضمَّن أمتن اللطف والرحمة - كما قيل :

وتعذيبكم عَذبٌ وسخطكم رضا
وقطعكم وصلٌ وجوركم عدل » .

وقال أُستاذنا - سلمه الله - [٢] :

إنّ الأُصول الحكميّة دالّة على أنّ القسر لايدوم على طبيعة ، و إنّ لكلّ موجود غاية يصل إليه يوما ، و إنّ الرحمة الإلهيّة وسعت كلّ شيء .

وعندنا - أيضا - أُصول دالّة على أنّ الجحيم وآلامها وشرورها دائمة بأهلها ، كما أنّ الجنّة ونعيمها وخيراتها دائمة بأهلها ، إلاّ أنّ الدوام لكلّ منهما على معنى آخر .

- قال : -

وأنت تعلم أنّ نظام الدنيا لا ينصلح إلا بنفوس غليظة وقلوب قاسية ،

---

١) شرح الفصوص للقيصري : الفصّ الهودي : ٢٤٦ .
٢) راجع الشواهد الربوبية : الإشراق السادس عشر من الشاهد الثاني من المشهد الرابع . الأسفار الأربعة : ٩/٣٤٦-٣٥١ .

فلو كان الناس كلّهم سعداء بنفوس خائفة من عذاب الله خاشئة، لاختلّ النظام بعدم القائمين بعمارة هذه الدار من النفوس الغلاظ -كالفراعنة والدجاجلة - والنفوس المكّارة كشياطين الإنس، والنفوس البهيميّة كجهلة الكفّار.

وفي الحديث الربّانيّ: «إنّي جعلت معصية آدم سببا لعمارة العالم».

وقال سبحانه: ﴿ وَلَو شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَيٰهَا وَ لٰكِنْ حَقَّ الْقَولُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٣/٣٢]، فكونها على طبقة واحدة ينافي الحكمة، وفيه إهمال سائر الطبقات الممكنة من أن يخرج من القوّة إلى الفعل، وخلق أكثر مراتب هذا العالم عن أربابها.

فلايتمشّى النظام إلا بوجود الأمور الخسيسة والدنيّة المحتاج إليها في هذه الدار التي يقوم بها أهل الظلمة والحجاب، ويتنعّم بها أهل الذلّة والقسوة، المبعّدين عن دار الكرامة والمحبّة والنور.

فوجب في الحكمة الحقّة التفاوت في الاستعدادات لمراتب الدرجات في القوّة والضعف والصفا والكدورة: وثبت بموجب قضائه اللازم النافذ في قدره بوجود السعداء والأشقياء جميعا.

فإذا كان وجود كلّ طائفة بحسب قضاء إلهيّ ومقتضى ظهور اسم ربّانيّ، فيكون لها غايات طبيعيّة، ومنازل ذاتيّة، والأمور الذاتيّة التي جبّلت عليها الأشياء إذا وقع الرجوع إليها تكون ملائمة لذيذة، و إن وقعت المفارقة عنها أمدا بعيدا، والحيلولة عن السكون إليها والاستقرار لها زمانا مديدا، كما قال تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَايَشْتَهُونَ ﴾ [٥٤/٣٤]

والله تعالى يتجلّى بجميع الأسماء في جميع المقامات والمراتب، فهو الرحمان الرحيم، وهو العزيز القهّار. وفي الحديث [1] «لولا أنكم تذنبون لذهب بكم وجاء بقوم يذنبون فيستعفرون فيغفر الله لهم».

---

١) مع فرق يسير في مسلم: ٢١٠٥/٤-٢١٠٦، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار.

- قال: -

وقد سبق القول منّا بأنّ جميع الحركات الطبيعيّة والانتقالات في ذوات الطبائع والنفوس إلى الله وفي سبيل الله، والإنسان بحسب فطرته داخل في السالكين إليه؛ وأمّا بحسب اختياره وهواه، فإنّ من كان من أهل السعادة، فيزيد على قربه قربا وعلى سلوكه الجبليّ سعيا واسعا وإمعانا وهرولة.

و إن كان من الكفار الناقصين، المختوم على قلوبهم، الصمّ البكم الذين لا يعقلون، فهو كالذئاب والبهائم، لا يفقه شيئا إلا الأغراض الحيوانيّة، وإنّما الغرض في وجوده خزانة الدنيا وعمارة الأبدان، وما له في الآخرة من خلاق؛ فله المشي في مراتع الدوابّ والسباع، فيحشر كحشرها، ويعذّب كعذابها، ويحاسب كحسابها وينعم كنعيمها.

وإن كان من أهل النفاق المردودين عن الفطرة الخاصّة، المردودين عن سماء الرحمة، فيكون عذابه أليما لانحرافه عمّا فطر عليه وهويّه إلى الهاوية بما كسبت يداه؛ فبقدر خروجه عن الفطرة ونزوله في مهاوي الجحيم يكون عذابه الأليم؛ إلا أنّ الرحمة واسعة، والآلام دالّة على وجود جوهر أصليّ مقاوم لها، والتقاوم بين المتضادّين لايكون دائميّا ولا أكثريّا، لما حقّق في مقامه؛ فلا محالة يؤول إمّا إلى بطلان أحدهما أو إلى الخلاص، لكن الجوهر النفساني من الإنسان لايقبل الفساد، ولو فسد لاستراح من العذاب، فإمّا أن يزول الهيآت الرديئة بزوال أسبابها، فيعود إلى الفطرة ويدخل الجنة - إن يكن الهيآت من باب الاعتقادات كالشرك - و إلا فينقل إلى فطرة أُخرى، ويخلص من الألم والعذاب.

وهذا مراد من قال: «إنّ عذاب صاحب الجهل المركّب أبديّ» أي لايمكن عوده إلى الفطرة الأصليّة، فيصير من الهالكين المايتين عن هذه النشأة وعن الحياة العقليّة؛ ولاينافي ذلك كونه حيّا بحياة أُخرى نازلة دنيّة؛ وقوله تعالى: ﴿ لايَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾ [١٣/٨٧] أي لايموت موت البهائم والحشرات، ولايحيى حياة السعداء والعقلاء.

تنبيه

[عذاب أهل النار ونعيمهم]

وأنت تعلم أنّ كون الشيء عذابا من وجه لاينافي كونه رحمة من وجه آخر، وأنّ عدم انقطاع العذاب من أهل النار لاينافي انقطاعه عن كل أحد من أهلها.

ثمّ ليعلم أنّ بين نعيم أهل الجنّة ونعيم أهل النار عند إفاضة الرحمة عليهم بونا بعيدا، ولهذا قيل: «ينبت في قعر جهنّم الجرجير»، ولم يقل: «ينبت الورد والفرفير[1]».

فإنّ نعيم أهل النار من رحمة أرحم الراحمين - لحدوثه بعد الغضب والعذاب - ونعيم أهل الجنّة من حضرة الرحمان الرحيم والامتنان الجسيم؛ والأول كالقشر للثاني، لكثافة ذلك ولطافة هذا؛ كالتبن والنخالة للحمار والبقر، ولباب البرّ للإنسان والبشر؛ والقشر إنّما هو لصيانة اللبّ وحفظه.

فكذا أهل النار محامل يتحمّلون المشاقّ لعمارة العالم، وأهل الجنّة مظاهر يحقّقون المعارف والحقائق لعمارة الآخرة، فيحفظونهم عن الشدائد، ويفرغونهم لملازمة المعابد؛ فعمرت الداران وسبقت الرحمة الغضب، ووسعت كلّ شيء جهنّم ومن فيها، والله أرحم الراحمين.

وعن النبيّ ﷺ[2]: «إنَّ الله خلقَ يومَ خلقَ السماوات والأرض مأةَ رحمة، فجعل في الأرض منها رحمة، [بها] تعطف الوالدة على ولدها و البهائم بعضها على بعض، والطير؛ وأخّر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة؛ فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة».

---

١) هامش ر: الفرفير كجرجير: نوع من الألوان.

٢) ابن ماجة: كتاب الزهد، الباب (٣٥)، ١٤٣٥/٢. ومايقرب منه في مسلم: كتاب التوبة، باب (٤)، ٢١٠٩/٤. ومستدرك الحاكم: كتاب الإيمان: ٥٦/١. وكتاب التوبة: ٢٤٧/٤. كنزالعمال: ٢٥٠/٤، ح١٠٣٩١ و٩٧/٣، ح٥٦٧٠.

هذا آخر الكلام في كتاب العلم باليوم الآخر من كتاب
أنوار الحكمة، وبه تمّ الكتاب بكتبه الأربعة
وختم وكمل، والحمد لله أولا وآخرا
وظاهرا وباطنا[١] .

* *
*

١) كتب في آخر نسخة مل:

وقع الفراغ من نقله من النسخة التي كان نقله من خطّ مصنّفه - أدام الله تعالى أيّام إفاضاته في شهر شوّال، ختم بالظفر والخير والإقبال، من شهور سنة (١٠٨٥) خمس وثمانين بعد الألف من الهجرة النبويّة - صلّى الله عليه وآله وسلّم بعدد علمه وزنة عرشه وملإ سماواته وأرضه - في بلدة شيراز - صانها الله عن الحوادث والآفات والأعواز.

قوبل وصحّح مع أصله، الذي كتب وصحّح من النسخة الأصل، التي خطّها المصنّف الأستاذ الاستناد - أدام الله فيضه وفضله ومتّعنا بوجوده وبقائه - وكان آخر مجالس المقابلة أوّل شهر جمادي الأولى من شهور سنة ١٠٨٦، وكنت طرف المقابلتين بحمد الله ومنّه؛ وأنا العبد المذنب الأثيم عند ربّه الكريم محمّد شفيع بن محمّد مقيم، نوّر الله قلبهما بأنوار العلم والحكمة؛ والمرجوّ من الأخ في الله - مولانا محمّد علي - صاحب الكتاب - الدعاء.

وجاء في آخر نسخة (ر):

تمّ في أصيلة يوم الخميس ١١ شهر ربيع الثاني سنة ١١٢٦.

صورة خط سيدي ومولاي وملاذي أمير محمد خان طاب ثراه:

«قد وقع الفراغ من كتابة هذا الكتاب المستطاب وانتسخ من نسخة المحقّق الربّاني والمدقّق العارف الإلهيّ الصمداني مولانا محمّد محسن الكاشاني بخطّه الشريف - أدام الله بركاته وأفاض على العالمين أنوار فيوضاته، وقوبل بها؛ وقد كان أرسلها إليّ من كاشان، وأنا يومئذ بسمنان، صانها الله عن آفات الزمان ونوائب الدهر الخوّان. وأنا العبد الفقير المحتاج المستنير بأنوار الهدى محمّد خان بن عزيز الله طبا طبا - عفي عنهما-». كتبه الفقير الحقير المحتاج إلى ربّه الغني محمد بن محمد مؤمن فصاع السمنان عفي عنهما.

اتّفق تاريخ الإتمام هذه العبارة: «تمت الأنوار ساقطة عنه ثلث آحاده» - أعني الثلاثة -: ١١٢٦ مما كتبه كاتبه».

الفهارس

رقم الآية رقم الصفحة

فهرس الآيات

٢- سورة البقرة

٣- سورة آل عمران

٤- سورة النساء

٥- سورة المائدة

٦- سورة الأنعام

٧- سورة الأعراف

٨- سورة الأنفال

٩- سورة التوبة

١٠- سورة يونس

١١- سورة هود

رقم الآية رقم الصفحة

١٢- سورة يوسف

١٣- سورة الرعد

١٤- سورة إبراهيم

١٥- سورة الحجر

١٦- سورة النحل

١٧- سورة الإسرا

١٨- سورة الكهف

١٩- سورة مريم

٢٠- سورة طه

٢١- سورة الأنبياء

٢٢- سورة الحج

رقم الآية		رقم الصفحة

٢٣- سورة المؤمنون

٢٤- سورة النور

رقم الآية رقم الصفحة

٣٣- سورة الأحزاب

٣٤- سورة سبا

٣٥- سورة فاطر

٣٦- سورة يس

٣٧- الصافات

٤٢- سورة الشورى

٤٣- سورةالزخرف

٤٤- سورة الدخان

٤٩- سورة الحجرات

٥٠- سورة ق

٥١- سورة الذاريات

٥٣- سورة النجم

٥٤- سورة القمر

٥٥- سورة الرحمن

٥٦- سورة الواقعة

٥٧- سورة الحديد

٦٩- سورة الحاقّة

٧٠- سورة المعارج

٧١- سورة نوح

٧٣- المزمل

٧٤- سورة المدثّر

٧٦- الإنسان

٧٧- سورة المرسلات

٧٨- سورة النبا

٧٩- سورة النازعات

٨٠- سورة عبس

٨٢- سورة التكوير

٨٢- سورة الانفطار

٨٣- سورة المطففين

٨٤- سورة الانشقاق

٨٥- سورة البروج

٨٦- سورة الطارق

٨٧- سورة الأعلى

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأشعار الفارسيّة

فهرس الأشعار العربية

فهرس الأعلام

[ن]

فهرس الموضوعات والاصطلاحات

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

فهرس المحتوى

فهرس أنوار الحكمة

٢- كتاب العلم بالملائكة

٣- كتاب العلم بالكتب والرسل

٤- كتاب العلم باليوم الآخر

فهرس المراجع

الكتاب	المؤلف	المحقق	الناشر	محل وتاريخ الطبع
آراء أهل المدينة الفاضلة	أبو نصر الفارابي	البير نصري نادر	دارالمشرق	بيروت ١٩٨٥ م
اتحاف السادة المتقين	محمد بن محمد الزبيدي	مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية بمصر	دارالفكر	بيروت
إحقاق الحق وملحقاته	القاضي نورالله الشهيد		المكتبة الإسلامية	طهران ١٣٧٦ ق
الاحتجاج	أحمد بن علي الطبرسي	هادي به- بهادري	منشورات أُسوه	قم ١٤١٣ ق
إحياء علوم الدين	محمد الغزالي		دارالهادي	بيروت ١٤١٢ ق
الاختصاص	محمد بن محمّد بن النعمان	علي أكبر الغفاري	مكتبة الصدوق	طهران ١٣٧٩ ق
اختيار معرفة الرجال	محمد بن الحسن الطوسي	حسن المصطفوي	كلية الإلهيات	مشهد ١٣٤٨ ش
الأربعون حديثا	الشيخ البهائي		مؤسسة النشر الإسلامي	قم ١٤١٥ق
الأسفار الأربعة	صدرالدين الشيرازي		شركة دارالمعارف الإسلامية	قم ١٣٨٧ ق
الأسماء والصفات	أحمد بن حسين البيهقي	عمادالدين أحمد حيدر	دارالكتاب العربي	بيروت ١٤٠٥ ق
أُسد الغابة	عزالدين بن الأثير		دارالفكر	بيروت ١٤٠٩ ق
الاعتقادات	محمد بن بابويه الصدوق		الطبعة الملحقة بشرح باب الحاديعشر	الطبعة الحجرية ١٣١٠ ق
إقبال الأعمال	السيد ابن طاوس			طهران ١٣١٢ ق
الأمالي	الشريف المرتضى	محمد أبوالفضل إبراهيم	عيسى البابي الحلبي	القاهرة ١٣٧٣ ق
الأمالي	محمد بن بابويه الصدوق	مؤسسة البعثة		قم ١٤١٧ ق
الأمالي	محمد بن الحسن الطوسي	مؤسسة البعثة	دارالثقافة	قم ١٤١٤ ق
الأمالي	محمد بن محمد الشيخ المفيد	استاد ولي ـ غفاري	جماعة المدرسين	قم ١٤٠٣ ق
الإمامة والسياسة	ابن قتيبة الدينوري		مصطفى البابي الحلبي	١٣٧٧ ق
بحار الأنوار	محمد باقر المجلسي		دارالكتب الإسلامية	طهران
بصائرالدرجات	محمد بن الحسن الصفار		شركة الطبع	تبريز ١٣٨١ ق
البلد الأمين	إبراهيم بن عليّ الكفعمي		مكتبة الصدوق	طهران ١٣٨٣ ق
البيان والتبيين	عمرو بن بحر الجاحظ	عبد السلام محمد هارون	مكتبة الخانجي	القاهرة ١٣٨٠ ق
تاريخ دمشق (الإمام علي عليه السلام)	ابن عساكر	محمد باقر المحمودي	دارالتعارف	بيروت ١٣٩٥ ق
تاريخ الرسل والملوك	محمد بن جرير الطبري	محمد أبوالفضل إبراهيم	دارالمعارف	القاهرة ١٣٨٧ ق
تحف العقول	ابن شعبة الحراني	علي أكبر الغفاري	مكتبة الصدوق	طهران ١٣٧٦ ق
التعليقات	ابن سينا	عبد الرحمان بدوي	مكتب الإعلام الإسلامي	قم ١٤٠٤ق
تفسير العياشي	محمد بن مسعود بن عياش	هاشم الرسولي المحلاتي	المطبعة العلمية	قم ١٣٨٠ ق

تفسيرالقرآن الكريم	محمد صدرالدين الشيرازي	محمد خواجوي	منشورات بيدار	قم	١٣٦٦ ش
تفسيرالقمي	علي بن إبراهيم القمي	السيد طيب الموسوي	دارالسرور	بيروت	١٤١١ ق
التفسيرالمنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام			مدرسة الإمام المهدي	قم	١٤٠٩ ق
التمحيص	محمد بن همام الاسكافي		مدرسة الإمام المهدي	قم	١٤٠٤ ق
التوحيد	محمد بن بابويه الصدوق		مكتبة الصدوق	طهران	١٣٨٧ ق
ثواب الأعمال	محمد بن بابويه الصدوق	علي أكبر الغفاري	مكتبة الصدوق	طهران	١٣٩١ ق
جامع الأخبار		علاء آل جعفر	مؤسسة آل البيت	قم	١٤١٤ ق
جامع البيان	محمد بن جرير الطبري	مصورة عن طبعة بولاق ١٣٢٨ ق		بيروت	١٣٩٨ ق
الجامع الصحيح	محمد بن عيسى الترمذي	أحمد محمد شاكر			١٣٥٧ ق
الجامع الصغير	جلال الدين السيوطي	مصورة عن الطبعة المصرية ١٣٧٣ق	دارالكتب العلمية	بيروت	
جنة الأمان الواقية (المصباح)	إبراهيم بن عليّ الكفعمي	مصورة عن الطبعة الحجرية		طهران	١٣٢١ ق
حلية الأولياء	أبونعيم الإصبهاني		دارالكتاب العربي	بيروت	١٣٨٧ ق
الخرائج والجرائح	قطب الدين الراوندي		مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام	قم	١٤٠٩ ق
الخصال	محمد بن بابويه الصدوق	علي أكبر الغفاري	مكتبة الصدوق	طهران	١٤٠٣ ق
الدرالمنثور	جلال الدين السيوطي		دارالفكر	بيروت	١٤٠٣ ق
دلائل الإمامة	محمد بن جرير بن رستم	مؤسسة البعثة	مؤسسة البعثة	قم	١٣١٤ ق
دلائل النبوة	أحمد بن الحسين البيهقي	عبد المعطي قلعجي	دارالكتب العلمية	بيروت	١٤٠٥ ق
الرجال	أحمد بن علي النجاشي	السيد موسى الشبيري	مؤسسةالنشرالإسلامي	قم	١٤٠٧ ق
الرسائل (مجموعة)	محمد الغزالي		دارالكتب العلمية	بيروت	١٤٠٥ ق
روضة الواعظين	محمد بن الفتال النيسابوري		مكتبة المصطفوي	قم	١٣٧٧ ق
الزهد	حسين بن سعيد الأهوازي	غلامرضا عرفانيان	مكتبة حسينيان	طهران	١٤٠٢ ق
سرالعالمين	محمد الغزالي (منسوب)		مكتبة الثقافة الدينية	النجف	١٣٨٥ ق
السنن	عبد الله بن عبدالرحمان الدارمي	محمد أحمد دهمان	دار إحياء السنة النبوية		
السنن	محمد بن يزيد ابن ماجة	محمد فؤاد عبدالباقي	دارإحياء التراث العربي	بيروت	١٣٩٥ ق
السنن	أبوداود سليمان السجستاني	محمد محيي الدين عبدالحميد	دارإحياء السنة النبوية		
سير أعلام النبلاء	محمد بن أحمد الذهبي		مؤسسة الرسالة	بيروت	١٤١٣ ق
السيرة النبوية	ابن هشام	جمع من المحققين	مصطفى البابي الحلبي	القاهرة	١٣٧٥ ق
شذرات الذهب	ابن العماد الحنبلي		دارإحياء التراث العربي	بيروت	
شرح مسألة العلم	الخواجة نصيرالدين الطوسي	عبدالله النوراني	جامعة مشهد	مشهد	١٣٨٥ ق
شرح فصوص الحكم	داود بن محمود القيصري		الطبعة الحجرية	طهران	١٢٩٩ ق
شرح منازل السائرين	عبد الرزاق القاساني	محسن بيدارفر	منشورات بيدار	قم	١٤١٣ ق
شرح نهج البلاغة	ابن أبي الحديد	محمد أبوالفضل إبراهيم	دارإحياء الكتب العربية	القاهرة	١٣٨٦ ق

شرح نهج البلاغة — ابن ميثم البحراني — مؤسسة النصر — طهران ١٣٧٨ ق

شعب الإيمان — أحمد بن الحسين البيهقي — محمد السعيد زغلول — دارالكتب العلمية — بيروت ١٤١٠ ق

الشفاء — ابن سينا — مصورة عن الطبعة الحجرية ١٣٠٣ ق — منشورات بيدار — قم

شواهد التنزيل — عبدالله بن عبد الله الحسكاني — محمّد باقر المحمودي — أعلمي — بيروت ١٣٩٣ ق

الشواهد الربوبية — محمد صدرالدين الشيرازي — جلال الدين الآشتياني — جامعة مشهد — مشهد١٣٤٦ ق

صحاح اللغة — إسماعيل بن حماد الجوهري — أحمد عبد الغفور عطار — مصورة عن طبعة القاهرة ١٣٧٦ ق

الصحيح — محمد بن إسماعيل البخاري — مصورة عن طبعة السلطان عبدالحميد بيروت

الصحيح — مسلم بن الحجاج — محمد فؤاد عبدالباقي — دار إحياء التراث الإسلامي

الطبقات الكبري — ابن سعد — داربيروت — بيروت ١٤٠٥ ق

غرر الحكم ودرر الكلم — الآمدي — أعلمي — بيروت ١٤٠٧ ق

علل الشرائع — محمد بن بابويه الصدوق — المكتبة الحيدرية — النجف ١٣٨٥ ق

علم اليقين — الفيض الكاشاني — محسن بيدارفر — منشورات بيدار — قم ١٤١٨ ق

عوالي اللئالي العزيزية — ابن أبي جهور الأحسائي — مجتبى العراقي — قم ١٤٠٥ ق

عين اليقين — الفيض الكاشاني — طهران ١٣٠٣ ق

عيون أخبار الرضا — محمد بن بابويه الصدوق — مهدي الحسيني اللاجوردي — دارالكتب الإسلامية — طهران ١٣٧٧ ق

الغارات — إبراهيم بن محمد الثقفي — جلال الدين المحدث — أنجمن آثار ملي — طهران ١٣٩٥ ق

غزالي نامه — جلال الدين همائي — نشر هما — طهران ١٣٦٨ ش

الغيبة — محمد بن الحسن الطوسي — الطهراني ـ ناصح — مؤسسة المعارف الإسلامية — قم ١٤١١ ق

الغيبة — محمد بن إبراهيم النعماني — علي أكبر الغفاري — مكتبة الصدوق — طهران

الفتوحات المكية — محيي الدين ابن عربي — دارصادر — بيروت

فرائد السمطين — إبراهيم بن محمّد الجويني — محمّد باقرالمحمودي — مؤسسة المحمودي — بيروت ١٣٩٨ ق

فصوص الحكم — محيي الدين ابن عربي — أبو العلا عفيفي — دارالكتاب العربي — بيروت ١٤٠٠ ق

القاموس المحيط — مجد الدين الفيروزآبادي — مطبعة السعادة — مصر

القبسات — سيد محمد باقر الداماد — مهدي محقق — مؤسسه مطالعات اسلامي — طهران١٣٥٦ ش

قرب الإسناد — عبد الله بن جعفرالحميري — مؤسسة آل البيت — قم ١٤١٣ ق

قوت القلوب — أبوطالب محمد المكي — مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٠ ق — دارصادر بيروت

الكافي — محمد بن يعقوب الكليني — علي أكبر الغفاري — دارالكتب الإسلامية — طهران ١٣٨١ ق

الكامل في ضعفاء الرجال — عبد الله بن عدي الجرجاني — دارالفكر — بيروت ١٤٠٩ ق

الكتاب المقدس (العهد العتيق والجديد ـ مترجم بالفارسية) — B. F. B. S. — لندن ١٩٥٩ م

كشف الغمة — علي بن عيسى الاربلي — السيد هاشم الرسولي — بني هاشمي — تبريز ١٣٨١ ق

كشف المحجة — رضي الدين ابن طاوس — محمد الحسون — مكتب الإعلام الإسلامي — قم ١٤١٧ ق

كفاية الأثر — علي بن محمد الخزاز — عبد اللطيف الحسيني — منشورات بيدار — قم ١٤٠١ ق

كمال الدين وتمام النعمة محمد بن بابويه الصدوق علي أكبر الغفاري مكتبة الصدوق طهران ١٣٩٠ ق
كنز الفوائد محمّد بن عليّ الكراجكي مصوره عن الطبعة الحجرية إيران ١٣٢٢ ق
كنزالعمال علي المتقي الهندي بكري حياني ـ صفوة السقا مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩ ق
لسان العرب محمد بن مكرم ابن منظور مصورة عن الطبعة اللبنانية قم ١٤٠٥ ق
المبدء والمعاد صدرالدين الشيرازي جلال الدين الآشتياني معهد الفلسفة طهران ١٣٥٤ ش
المثنوي جلال الدين الرومي توفيق سبحاني وزارة الإعلام والإرشاد الإسلامي طهران
مجالس المؤمنين القاضي نورالله الشهيد المكتبة الإسلامية طهران ١٣٧٥ ق
مجمع البيان فضل بن الحسن الطبرسي أبوالحسن الشعراني المكتبة الإسلامية طهران ١٣٧٣ ق
مجموعة مصنفات الشيخ الإشراقي هنري كربين معهد الفلسفة طهران ١٣٥٥ ش
المحجة البيضاء الفيض الكاشاني علي أكبر الغفاري مكتبة الصدوق طهران ١٣٣٩ ق
المحاسن أحمد بن محمد البرقي جلال الدين المحدث دارالكتب الإسلامية طهران ١٣٧٠ ق
مروج الذهب المسعودي شارل بلاّ الجامعة اللبنانية بيروت ١٩٦٦ م
المستدرك علي الصحيحين الحاكم النيسابوري مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية حيدر آباد بيروت
المسند أحمد بن حنبل دار صادر بيروت ١٣٨٩ ق
مصباح الشريعة حسن المصطفوي مركز نشرالكتاب طهران
معادن الحكمة محمد علم الهدى علي الأحمدي الميانجي مؤسسة النشرالإسلامي قم ١٤٠٧ ق
معاني الأخبار محمد بن بابويه الصدوق علي أكبر الغفاري مكتبة الصدوق طهران ١٣٧٩ ق
معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم ١٤١١ ق
المعجم الأوسط سليمان بن أحمد الطبراني محمود الطحان مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٥ ق
المعجم الكبير سليمان بن أحمد الطبراني حمدي عبد المجيد الساعي دارإحياء التراث بيروت ١٤٠٥ ق
المغني عن حمل الأسفار عبدالرحيم العراقي المطبوعة في ذيل الطبعة القديمة من إحياء علوم الدين
مفاتيح الغيب فخرالدين الرازي مصورة عن الطبعة المصرية مكتبة الإعلام الإسلامي قم ١٤١٣ ق
مقائيس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا عبدالسلام محمد هارون مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٨٩ ق
مقتضب الأثر أحمد بن محمد الجوهري هاشم الرسولي المحلاتي مكتبة الطباطبائي قم ١٣٧٩ ق
المقصد الأسنى محمد الغزالي مكتبة القاهرة القاهرة
من لايحضره الفقيه محمد بن بابويه الصدوق علي أكبر الغفاري مكتبة الصدوق طهران ١٣٩٢ ق
المناقب الخطيب الخوارزمي النجف
مناقب آل أبي طالب محمد بن علي بن شهرآشوب المطبعة العلمية قم
النهاية في غريب الحديث ابن الأثير الجزري محمود محمد الطناجي عيسي البابي الحلبي القاهرة ١٣٨٣ ق
الهداية الكبري حسين بن حمدان الخصيبي مؤسسة البلاغ بيروت ١٤٠٦ ق
الوافي الفيض الكاشاني ضياء الدين الحسيني مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أصبهان ١٤٠٦ ق
وقعة صفين نصر بن مزاحم المنقري عبدالسلام محمد هارون المؤسسة العربية الحديثة القاهرة ١٣٨٢ ق